

رحلة الشتاء والصيف

تأليف

محمد بن عبد الله الحسني الموسوي

الشهيد ب (كبريت)

١٠١٢ - ١٠٧٠ هـ

حققها وقدمها وفهرسها

الأستاذ

محمد سعيد الطنطاوي

هذه الطبعة
على نفقة الشيخ محمد نصيف وشركاه

الطبعة الاولى

القاهرة ١٢٩٣ هـ

الطبعة الثانية

بيروت ١٣٨٥ هـ

المكتب الاسلامي للطباعة والنشر

لصاحبه

محمد زهير الشاويش

دمشق ، أكلبوني ص. ب. ٨٠٠ هاتف ١١٦٣٧ بريقس : ١٤ - اسلامي

بيروت : ص. ب. ٣٧٧١ هاتف ٢٥٠٠٦٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) يا من أودع كنوز الأرض اسرار حكمته يطلع عليها من جاب البلاد بحسن فطنته ، وخص كل بقعة بخاصة لا توجد الا فيها ، وجعل لهذا رغبة عن هذه فيأتى عنها ، ولهذا رغبة في هذه فيصطفئها ، صل على نبيك ورسولك وحبيبك وخليلك سيدنا وسندنا محمد الذي شرفت به كثيراً من البقاع ، وعطرت بآثاره الشريفة الأكم والقاع ، وعلى آله وصحبه ، وشيعته وحزبه ، أكرم من ساروا في أقطار الأقاليم فعمروها ، وأقاموا بالأراضي المجدبة وبهاطل بركاتهم غمروها ، ما اهتز بها أغصان الآمال ، بنسمات الاقبال وما تذكر مجروح الفؤاد على مر المنازل ، لذة الوطن والمناهل .

فانه لا يخفى على من سبر الدهر وخبر أحواله ، ورأى تغيراته وشاهد في ذوي الفضائل أفعاله ، أن من ارتدى بمحامد الخلال ، وتحلى بجلي الفضائل والكمال ، نصب له الزمان مصايد المصايب ^(١) ، وأوقعه في شرك الهوان متجرعاً غصص النوى والنوائب ، فهو في وهاد حسراته ، محترق بنار زفراته .

(١) يجوز « في مصائب » الوجهان : مصائب ومصايب ، والهمزة سماعية ، والياء قياسية ، حتى قالوا : همز مصائب من المصائب .

إلا أن المؤلف لا يقتصر في هذا الكتاب على استعمال الياء فيما يجوز ذلك فيه ، ولكنه يتوسع ويفرق اغراقاً مبعثه التسهيل الذي كان سائداً في ذلك العهد ومتعارفاً عليه . وهذا ما يدفنا إلى الإغضاء عما سيمر من ذلك في هذا الكتاب .

وكم للدهر من فعل عجيب به فيه أولوا الألباب حاروا
وأعجب ما يرى فيه فقيه مهان والجهول هو المشار
أمور لا يتم لها قياس أرانا شأنها الفلك المدار

وكنت ممن ناواه الزمان ، وكرّر عليه بسيف حيفه الحدّثان ، اتقلب من الحسرات
على فرش الغضا ، وأجد لما بي أضيق ما يكون سعة القضاء ، فأعلل النفس بالأمني ،
وأستلى بذكر من لم يصف له التهاني . ولما عيل مني الصبر ، وأعياني هذا الأمر ، دعاني
داعي الأماني والآمال ، وحر كني فيه الرجاء والاتجاء الى الكريم المتعال ، أن
أمتطي غارب الاغتراب ، حسب (فامشوا) والبركة في الحركة والله مسبب
الاسباب ، وأنشدني لسان الحال قول من قال (١) :

إن العلي حدّثني وهي صادقة فيما تحدّث أن العزّ في النقل
لو أن في شرف المأوى بلوغ مني لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل (٢)

فاقتضى الأمر العزم على السفر ، واقتحام مهامه المشقة والخطر ، وقصد الأبواب
الشريفة السلطانية ، والتلمّي بروية الموالي والأركان بالدولة المنيفة الخاقانية ،
والوقوف على تلك المنازل والمناهل والاطلال ، وما أبرزته القدرة الالهية من القوة

(١) البيتان للطبرائي من قصيدته المشهورة المعروفة بـ « لامية العجم » ، والتي مطلعها :

أصالة الرأي صانتي عن الخطل وحلية الفضل زانتي لدى العطل

والطبرائي هو مؤيد الدين بن الحسين بن علي بن محمد الطبرائي المنشئ الدؤلي ، من ولد ابي
الاسود الدؤلي ، من اهل اصفهان ، وكان عالماً فاضلاً شاعراً كاتباً منشئاً ، وكان يميل الى عمل
الكيمياء ، خدم السلطان ملكشاه بن الب ارسلان وكان متولياً ديوان الطغراء — بذلك لقب — ثم
بقي على علو منزلته حتى استوزره السلطان مسعود ، وجرى بينه وبين أخيه محمود الحرب وانهزم
مسعود ، فأخذ الطبرائي أسيراً وقتل صبوراً ، وقد جاوز الستين من عمره ، وذلك سنة اربع عشرة
وخمسة على قول ابن الاثير او سنة خمس عشرة وخمسة على قول القاضي شهاب الدين .

(٢) فلك الشمس مقسم إلى اثني عشر قسماً يقال لكل منها برج . وهي : الحمل (او الكبش) والثور
والجوزاء (او التوأمان) والسرطان والاسد (او الليث) والسنبلة (او العذراء) والميزان والعقرب والقوس
(أو الرامي) والجدي (أو التيس) والدلو (او الساقى او ساكب الماء) والحوت (أو السمكة) . وقد
جمعها بعضهم بقوله :

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان

ورمي عقرب بقوس لجدي نزح الدلو بركة الحيطان

وبرج الحمل هو أعلى هذه البروج ، ومع هذا فالشمس حينما تحمله لا تبرح حتى ترتحل عنه ، لأن
شرف العمل — كما يقول — اعلى من شرف المنزلة .

الى الفعل ومن عالم المثال الى عالم الاشكال .

ومن قبل تركيب اهوى كنت ساكناً
وسلكني دهري على غير منهجي
ولكن برغمي حركتني العوامل
الا في سبيل الله ما الدهر فاعل

فامتطيت غارب الأمل الى الغربة ، وركبت مراكب المذلة والكربة ، قاصداً
استعتاب الدهر الكالج ، واستعطاف الزمان الغشوم الجامح ، اغتراراً بأن في الحركة
بركة ، وأن الاغتراب داعية الاكتساب .

على المرء ان يسعى لما فيه نفعه
فان نال بالسعي المني تمّ قصده
وليس عليه ان يساعده الدهر
وان خالف المقدور كان له عذر
وهيهات مع حرفة الأدب ، بلوغ وطر او إدراك أرب ، أو مع عبوس الحظ ،
ابتسام الدهر الفظ .

فما كل غاد نحو قصد يناله
وكنت مهما وقفت عليه من خبر لطيف سطرته ، وأيما شعر ظريف ظفرت به
قيّده وحبرته ، حتى وجدت الاديّ جملة من اللطائف والظرائف ، قد جمعتها أيدي
الأقلام ، وأوقعتني عليها الأيام

إن الغريب إذا ما كان ذا قلم
فيه يقيد ما يلتاد من نكت
فليس سلوته الا بقرطاس
ومن ظرائف يبيدها من الراس

فخطر لي ان أجعلها رحلة تعرب بحسن معانيها عن لطائف المعاني ، وتفصح عن
عذوبة السجع بما يفوق رنات المثاني ، وأودعها ما أقف عليه في سفري من لطائف
الأشعار ، وغرائب النكت التي هي لدى طالبها غالية الأسعار ، الى غير ذلك من
مشور ومنظوم ، الى حين قدومي من الروم . لتكون نزهة لي ولأصحابي ، وتحفة أخص
بها خلّص أحبائي ، بل عبرة لكل طامع في غير مطمع ، بل عبرة تعبر عن مكتوم سر
طالما تكلم وتوجع .

إن الفؤاد إذا تكدر لم يكن
يصفو بغير شكاية وعتاب

فاذ تحصل من ذلك ما تحصل ، وصح ما دار وتسلسل ، سميته :

« رحلة الشتاء والصيف »

وناسبت فيها مناسبة حلت من الخلل والحيف ، وما أشبهها بما قال :

رحلة لم يزل يفتدني الصي ف اذا ما نويتها والشتاء
يتقي حرّ وجهي الحرّ والبر د وقد عزّ من لظى الاتقاء
ضقت ذرعاً مما جنيت فيومي قمطّرير وليتي درعاء
كنت في نومة الشباب فما استيه قظت الا وليتي شمطاء

واذ أذن فجرها بالصباح ، وصاح داعيها بالفلاح ، جعلتها خدمة لجناب من
أناخت بفيناها^(١) ركائب الأفاضل ، ووضعت على عليّ اعتابه جباهها الأمثال^١ .

حافظ السنّة حفظاً لا ترى معه ان تعمل الناسُ الأسنّة
مركز الدائر من أهل النهي فالى ما قد حوى تشني الاعنّة

كيف وهو المولى الذي ارتفع مقداره على فرق الفرقدين^(٢) وعلا مقامه على
مقام النيرين^(٣) ، منهاج وصول الأحكام ، معراج حصول المرام ، مجموعة الكمالات
النفسانية ، خريدة السعادات الانسانية ، فاتحة احياء علوم الدين^(٤) ، ومحكم خاتمة
قلوب العارفين ، شيخ الاسلام الذي إذا أفنى أفنى المهج وأحيا الأرواح ، وإذا أفاد
أجاد وأظهر من الاحسان ما يروق في الغدو والرواح ، واذا فسر أحيا مآثراً القاضي أو
المفتي بحسن سيرته ، وحلّ من المشكلات ما يعجز كل ماهر عن ابداء خفاياه وموضع
نكته :

راض العلوم فسلكه عن دقائقها فعنده للخفايا أي إدراك
تدلي يا فروع الفقه ثمرة له ليدنو منه حلو مجناك

(١) فناء الدار - بكسر الفاء - ساحتها التي لا بناء بها .

(٢) فرق الرأس : مفرقة ، اي الطريق في شعره . والفرقدان : نجمان مضبان وهما النجمان
الاخيران من النجوم السبعة التي تؤلف كوكبة بنات نعش الصغرى - ويسميهما المحدثون الآن بـ « لدب
الاصغر » - ويضرب المثل باقتران الفرقدين وصحبتهما ، حتى قيل فيهما :

وكل أخ مفارقة أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

ويريد بفرق الفرقدين - على علوهما - أعلاهما .

(٣) النيران هما الشمس والقمر . (٤) إحياء علوم الدين هو الكتاب الجليل المعروف للإمام
أبي حامد الغزالي . وكذلك : حصول المرام ، ووصول الاحكام ، والخريدة . كلها كتب تضمنها كلامه .

في النظم والنثر مازالت فصاحته تقابل الدرّ اسلاكاً بأسلاك
وفاتح الباب في فنّ البيان فلا يحتاج يوماً الى مفتاح سكّاك

هو سيدنا الذي لا زال مقداره عليا ، مولانا شيخ الاسلام يحيى بن زكريا ، متع
الله المسلمين بطول بقاءه ودوام أيامه ، وعطر الأكوان من ذكره الشريف بمسك
ختامه ، ولا زالت ظلاله على الايام ممدودة الرواق ، وبدور سعاده وسيادته آمنة من
الأفول والمحاق (١) ومناقبه الجميلة سائرة الأمثال في الآفاق .

ولا برحت ترداد عزاً ورفعة بمنصبه العالي صدور المجالس
فقد قال الاسكندر في حق الحكيم الأوّل لما دوّن الحكمة وزين ديباجتها بألقابه :
(من ذكرني فيما يبقى فقد أبقاني أبداً) .

ما تنسج الأيدي بييد وانما يبقى لنا ما تنسج الأقلام
وعسى أن يلحظها حظ فتشرف بمطالعه ، ويصلي دهرى الخوون من بعد مقاطعته ،
واذا كان علو مقامه يمنع من ذلك ، وما بي من القصور يقول لست هنالك :

ان الملوك وإن جلّت مناصبها لها مع السوق الاسرار والسمر
فقصة الاعرابي بإهداء قرية ماء الى خليفة الزمان ، واهداء رجل جرادة الى حضرة
السيد سليمان ، معلومة عند سمو شأنه ، وعلو مكانه ، ولقد قيل :

لو ان كل يسير رُدّ محترماً لم يقبل الله يوماً للورى عملا
المرء يهدي على مقدار طاقته والنمل يعذر في القدر الذي حملا
على ان الهدية ما كانت أقل ، فهي أجمل للأجل ، كما أن العطية ما كانت أجل ،
فهي أفضل للأقل ، وإن كنت في ذلك كمن أهدى الزهر الى رياضه ، والقطر الى

(١) أفول النجم : غيابه . ومحاق القمر : زواله في آخر الشهر وامحازه ، وليالي المحاق ، هي
الليالي الاخيرة من الشهر - القمري طبعاً - وتكون مظلمة لاقمر فيها ، وتسمى ايضاً بـ « ليالي السرار » ،
بعكس الليالي البيض - التي يندب صياحها ايامها - التي هي اضواً ليلي الشهر (وهي ليالي الثالث عشر
والرابع عشر والخامس عشر) يقول الشاعر :

حياضه^(١) ، ولنا القول وهو أدرى بفحواه ، وأهدى فيه من القطاه^(٢) ، على أن الغرض من ذلك ، هو الالتجاء إلى ذلك الظلّ الظليل ، من جَوْر الزمان الظلوم ، وظلمة ليالي هذا الدهر الغشوم .

فالليالي من الزمان حبالٍ مثقلات تلدن^(٣) كلّ عجيبة
قال الامام زين العابدين نفع الله به : (هلك من ليس له كريم يعضده ، وضلّ من ليس له حكيم يرشده) .

تعدو الأعادي على من لاخفير له وتتقي مريض المستأسد الحامي^(٤)
هذا والمرجو من فتوة من وقف على ذلك ، ونظر رياض هذه المسالك ، ان ينظر بعين الرضا اليها ، ولا يتحامل لتفريط أو افراط عليها ، فإن السُخْط يقلب اعيان المحاسن بالقبايح ، ويفتح أبواب السيآت والفضايح ، وكان يقال : (من رضي عن شيء تنعم به ، ومن سخط على شيء تعذب به) .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما ان عين السخط تبدي المساويا^(٥)
يروى ، ان القاضي عبدالرحيم البيساني ، كتب الى العماد الأصفهاني يعتذر عن كلام استدركه عليه : وقد وقع لي شيء ولا أدري أوقع لك مثله أم لا ؟ وذلك اني رأيت ان لا يكتب انسان كتاباً في يومه الا قال في غد لو كان غير هذا لكان أحسن ،

(١) القطر : المطر . والحياض : جمع حوض وهو مجمع كبير للماء

(٢) القطاة : واحدة القطا ، الطائر المعروف الذي يضرب المثل باهتدائه لطريقه ، حتى قيل :

أهدى من القطا ! وهو الذي اشارت اليه حزام بقولها :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا
فلو ترك القطا ليلاً لياما

(٣) المشهور في البيت : يلدن كل عجيبة .

(٤) لم نعرف قائل البيت ولكنه محاكاة للبيت المشهور :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستوفز الحامي

ويتعلق به خبر طريف ينسب لأبي الاسود الدؤلي .

(٥) البيت في الاغانى « . . ولكن عين السخط . . » وهو لعبد الله بن معاوية بن عبد الله جعفر

ابن أبي طالب يقوله للحسين بن العباس . وبعده :

وأنت أخي مالم تكن لي حاجة فان عرضت ايقنت ان لا أخاليا

ولو زيد هذا لكان يستحسن ، ولو قدّم هذا لكان أجمل ، ولو ترك هذا لكان أفضل ، وهذا من أعظم العبر ، ودليل استيلاء النقص على جملة البشر .

ما خَطَّ كَفَّ امرئ شيئاً وراجعه الا وعنّ له تبديل ما فيه (١)
وقال ذاك كذا أولى وذاك كذا وان يكن هكذا تسمو قوافيه

والله تعالى المستول ، ان هبّ نسيمها بالقبول ، وان يسهل لنا القدرة على الاتمام ، ويجعل من مسك القبول حسن الختام .

ما زال هذا البين يسقي كأسه من رَقّ من بين البرية طبعه
والدهر يقضي في الكرام بَجْوره حتى خلا من كلّ حرّ ربعه

اول كأس تجرّعته من مرامر البين ، فراق المنازل الحرمية الذي كاد يكون من سكرات الحين (٢) بعد ان قضيت الحج بيت الله الحرام ، وتعلّيت بالمآثر المحترمة الكرام ، وذلك في سابع عشر محرم الحرام ، افتتاح عام غلط (٣) . من هجرة أشرف مرسل عدل وما قسط (٤) ، صلوات الله عليه وعلى آله الميامين ، وعلى من قال آمين . كان رحيلي عن طيبة (٥) عجبا وحادثاً من حوادث الزمن من قبل ان أعرض الفراق على قلبي وأن أستعد للمحن فبرزت من المدينة الشريفة ، والآثار الوريفة ، بروز من ضل رشده ، واحترق حشاه بفراقٍ قد بلغ أشده .

(١) في الاصل : « وما خط » وصحة الوزن بحذف الواو .

(٢) الحين : الموت ، والحرمية نسبة الى الحرمين الشريفين ، ويريد هنا المدينة المنورة . واطلاق الحرم على المدينة المنورة من باب التغليب كما يقال : القمران عن الشمس والقمر ، والعمران عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما .

(٣) يعني بذلك — في حساب الجمل — سنة ١٠٣٩ لأن الغين بألف ، واللام بثلاثين ، والطاء بتسع . والمؤلف مولع بهذا اللون من البيان ، وستجد له فيما يأتي نظائر .

(٤) يشير بذلك إلى الآية الكريمة : (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون ، فمن اسلم فأولئك تحروا رشداً ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) . سورة الجن — ١٥ ، ١٤ .
القاسط : الجائر ، والمصدر منه قسط وقسوط ، اما المقسط فهو العادل الذي يقوم بالقسط .
ومصدره : قسط

(٥) طيبة من اسماء مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وفارقت حى لا أراع من النوى وان غاب جيران علي كرام
وقد جعلت نفسي على اليأس^(١) تطوي وعيني على هجر الصديق تنام
فواهاً لزمنا الاجتماع ما كان أغضه ، وآها من انصداع الشمل فما أمضه ، فيا
لتلك المنازل التي سمت ان تسامى ، ويا لهاتيك المسامرة التي بها هواطل السرور تهامى
فارقتها لاعن رضى ، وهجرتها لا عن قلى ، ورحلت لا متخيرا
سعى لرزق في البلاد مشتت ومن العجائب ان يكون مقترا
وأصون وجه مدائحي متعففاً وأكف ذيل مطامعي متسترا
لا عيشتي تصفو ، ولا رسم الهوى يعفو ، ولا جفني يصفحه الكرى
فسرت مع بعض الاخوان ، من ذوي المروءة والاحسان ، صحبة الركب المصري ،
والعيون بالمدامع تدرى ، لبعاد تلك المنازل ، وفراق هاتيك المناهل .
فمنني إليها كل وقت تحية وساكنها في كل آن له السنا
ثم لم نزل سائرين في المنازل الحرمية الشريفة ، والمناهل السعيدة المنيفة ، والمقادير
تقودنا كيف جرى القلم ، وأنا المنقاد الى حيث المشقة والألم .
أمامي من الحرمان جيش عرمرم ومنه ورأي جحفل حين أركب
فلوتت في البيداء والليل مسبل علي جناحيه لما لاح كوكب
وماز لنا كذلك نجوم الفيافي والمسالك ، الى ان وصلنا ينبع النخل ، وروينا من
من مياهه التي هي كمجاج النحل ، ولكن بعد ان تجرعنا المرامر ، وكادت تنشق منا
المرائر ، مما قاسيناه في النقب من ضيق الطريق ، وازدحام القطر^(٢) الذي فرق بين
الرفيق ، الى غير ذلك من الأوعار ، ومصادمة الاحجار ، في ليل مظلم ، وهول مؤلم ،
ولسان الحال يتادي في تلك الشعوب والبوادي :

فاصبر لها غير محتال ولا ضجر في حادث الدهر ما يغني عن الحيل^(٣)
فائدة : ينسب بصيغة مضارع نبع الماء ، إذا ظهر ، من نواحي المدينة المنورة على

(١) في الاصل : اليأس ، والتصحيح عن « الفرج بعد الشدة » .

(٢) القطر : جمع القطار ، والقطار ، مجموعة الابل التي يربط فيها الجمل بسابقه
فتؤلف قطاراً من الابل .

(٣) البيت من لامية المعجم للطبراني ، التي مر منها بيتان آنفاً . وبعده :
ماكنت أوثر ان يمتدني زمي
حتى ارى دولة الأوغاد والسفل

١٠ أيام منها ، سميت بذلك لكثرة ينابيعها وعدتها مائة وسبعون عيناً ، ولما نظر الى جبالها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : لقد وضعت على نقب من الماء عظيم . وأقطعه النبي صلى الله عليه وسلم العشرة من الينبع ، ثم اشترى قطيعة أخرى ، وكانت بها أمواله عيوناً تصدق بها . ومن محاسن الفيومي :

ان كان قد قضي الفراق وصدتني عنكم حجاز من نوى لا يرفع
فأنا الذي دمعي العقيق وناظري يا بدر بعد البعد عنكم ينبع

والنقب مضيق كثير الأوعار ، يسلكه الركب المصري في أيامه ، وهو على نصف مرحلة من خيف بني عمرو ، وهذا الخيف يشتمل على عيون جارية ، ونخيل باسقة ، ومنازل عامرة بسكاكنها . (ولنرجع الى ما كنا بصدده) فأقمنا بينع المحروسة ، ومرابعا البهية المأنوسة ، ثلاثة أيام ، نهارنا تحت ظل النخيل ، وليلنا في مسامرة الصديق والحليل ، وكان ذلك آخر عهدي بالمنازل التي بها كل قصدي .

وكان عهد العين منذ نأت بالدمع آخر عهد القلب بالجلد^(١)

ولما كان وقت العصر من اليوم الثالث ، الذي هو آخر العهد بأيام الثالث^(٢) ، وأوله بالليالي العواث ، زعق نفير الحاج ، وأخذ الركب في الحركة والهياج ، فلحق العشاق من ألم النوى لمفارقة الحجاز ، ما أجرى دمعهم رملاً على ذلك الصعيد الطيب ، وأخرجهم من الحقيقة الى المجاز ، ثم في أقل من نظر محب الى حبيبه ، أو شكوى عليل الى طبيبه ، حمل الركب وسار ، ولم يبق له أثر في الدار .

كأنما حجل كانت بسفح ربي فرت كأنهم بالسفح ما كانوا

فارتحلنا في تلك الساعة البهية ، متوجهين الى نحو الديار المصرية ، فقاسينا في السفر ما لا يطاق ، واحتملنا من نخع النعم ما لزورته حمل المشتاق .

(١) البيت مكسور ، ولعل صوابه :

وكان آخر عهد العين منذ نأت

أوهو : وكان عهد ما في العين

والنأي : البعد .

(٢) كذا في الاصل . ولم ندر مراده من ايام الثالث .

بالدمع آخر عهد القلب بالجلد

ولما تناءت بالأحبة دارهم
تمكّن مني الشوق غير مسامح
وصرنا جميعاً من عيان الى وهم
كمعتزليّ قد تمكّن من خصم

ثم تهادى بنا السفر من بعد العصر الى أن اسفر الفجر ، ورق جلد ما معنا من الدواب ، وتفرق شمل رفاقنا بين تلك الروابي والشعاب ، ثم انخنا الركاب ، بقفر خلا من المياه والاعشاب ، فقلنا به (١) ذلك اليوم ، وقلنا نأخذ فيه راحة ما بالنوم ، ومن اين يجد الخاطر به القرار ، وهو المعروف بوادي النار .

ما طاب عيشي بروضٍ زاهرٍ خضريّ
حتى يبيت بقفر لا نبات به (٢)
ولما هبّت الطوارف ، نفر الركب متطائراً كالوجل الخائف ، فافتحمتنا تلك القفار ، وانطوى بنا في السير الليل والنهار ، حتى أسفر الفجر ولاح ، وتشعشع بضيائه الصباح ، فأنخنا بواد يقال له نبط ، خال من الأثل والحمط (٣) .

فائدة : في كتاب « برهان الاعجاز في منازل الحجاز » نَبَطُ بفتح النون وسكون الموحدة مفازة عرضها الميل وطولها (سو) (٤) ، وهي شرقي الجنوب ، بها الآبار عذبة المياه ، وفيها يقول أبو عبد الله الفيومي :

روّ من نبط لهيبي
واسقنا ثم توجه

(١) من القيلولة ، وهي نوم الظهيرة ، عندما يشتد الحر ، بعيد الظهر او قبله .
والعرب تسمي النوم في كل وقت من اوقات النهار باسم خاص : فالنوم بعد الفجر : غيلولة (لأنه يبعث العلة في الجسم) ، وفي اول النهار : فيلولة (لأنه يفيل القوى ويدعو الى الكسل) ، ونوم الظهيرة : قيلولة (وهو النوم الطيب الوحيد في النهار) ، ونوم بعد العصر : غيلولة (لأنه يعتال العقل : من نام بعد العصر فاغتيل عقله فلا يلومن إلا نفسه) .

(٢) كذا في الاصل . والأقرب ان يكون : حتى يطيب بقفر لانايات به .

(٣) وكأنه يشير الى الآية الكريمة : « وأبدلناهم بجهنم جنتين ذواتي أكل خط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور ؟ »
يريد ان ذلك الوادي كان قفراً خالياً من كل شيء حتى ذلك اليسير .

(٤) تقابل (سو) بحساب الجمل ستة وستين . أي ان طول المفازة ستة وستون ميلا .

ودع الحورا فاني صرت أشناها وأكره^(١)

ثم لم نزل كذلك ، نقطع هاتيك المسالك ، غوراً ونجداً ، ومفازة وورداً ، حتى أنخنا بالخوراء ، وهي ساحل خليج القلزم ، المعروف ببحر السويس ، ومبدؤه من باب المنذب الى أن يتصل بالبحر الهندي ، وطوله ألف وأربعمائة ميل ، كما في (الخريدة) ، وفي (الخطط) ألف وخمسمائة ميل ، وعرضه من أربعمائة الى ما دونها ، وهو بحر كرية المنظر والرائحة ، وفيه مصب الدجلة والفرات ، وعلى جوانبه السند واليمن^(٢) ، كأنها جزيرة أحاط بها الماء من جهاتها الثلاثة ، وهو يروع نهر مهران كروع البحر الرومي نهر النيل ، وسمي القلزم باسم مدينة كانت بساحله الغربي بشرقي مصر ، ويعرف موضعها اليوم بالسويس ، والقلزم بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي ، وكانت فرضة مصر والشام ، ومنها يحمل الى الحجاز واليمن ، وهذا البحر انما هو خليج يخرج من المحيط ، ويعرف ببحر الظلمات ، لتكاثف البخار الصاعد وضعف الشمس عن حله ، ولم يوقف من خبره الا على ما عرف من بعض سواحله ، وما قرب من جزائره طال الكلام ، وخرج عن سلك النظام :

ولربما ساق المحدث بعض ما ليس النديم اليه بالمحتاج

(١) الحورا تسهيل الخوراء ، ذات الحور ، وهو شدة سواد العين في شدة بياض . إلا ان المقصود هنا موضع على ساحل البحر الاحمر يدعى الخوراء . والحورا هذه جزء من تاريخ الصراع بين الحق والباطل ، وذلك ان البرنس صاحب الكرك - من زعماء الصليبيين الذين قذف بهم حقدهم على الاسلام من اوربا الى الشام - عمل اسطولا في بحر ايلة ، وساروا في البحر فرقتين ، فرقة اقامت على حصن ايلة يحصرونه ، وفرقة سارت نحو عيذاب يفسدون في السواحل ، وبعثوا المسلمين في تلك النواحي ، فإنهم لم يعهدوا بهذا البحر - اي البحر الاحمر - فربحوا قط ، وكان بمصر الملك العادل ابو بكر نائباً عن اخيه السلطان صلاح الدين - الايوبي - فعمر اسطولا في بحر عيذاب وارسله مع حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو متولي الاسطول بديار مصر ، وكان مظفراً فيه شجاعاً ، فسار لؤلؤ مجدداً في طلبهم ، ووقع بالذين يمحاصرون ايلة ، فقتلهم واسرهم ، ثم سار في طلب الفرقة الثانية ، وكانوا قد عزموا على الدخول الى الحجاز ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى ، وسار لؤلؤ يقفو اثرهم ، فبلغ رابع ، فأدركهم بساحل الحورا ، وتقاتلوا اشد قتال ، فظفره الله تعالى بهم ، وقتل لؤلؤ اكثرهم ، واخذ الباقيين اسرى ، وارسل بعضهم الى منى لينحروا بها ، وعاد بالباقيين الى مصر ، فقتلوا عن آخرهم .

وكان ذلك في سنة ثمان وسبعين وخمسة .

(٢) خلط جغرافي متشابك ، وسيراجع عن بعضه بعد نحو عشرين صفحة . وأشناها : ابغضها ،

من الشتان وهو البغض .

وبالحملة فان الحديث شجون ، والجنون قنون ، والأمر كما قال ، في تأليف القبيل
والقال :

لو لم أقل هذا وهذا وذا بأي شيء كنت أُملي (١) الكتاب ؟
والحوراء هذه تشتمل على اشجار ملتفة ، وبها شجر الأراك ، واطيار متنوعة ، الا
أن ماءه في غاية الكدورة ، مفرط في الاسهال ، وقلت لما ذكرت بها فضيلة العين
الزرقاء :

قد أتينا الحوراء في يوم حرّ
وشربنا مياهه وحمدنا
شمسه كالعقيقة الحمراء
اذ عرفنا فضيلة الزرقاء
ويعجبني قول القائل :

مدينة خير الخلق تحلو لناظري
يقولون في زرق العيون شامة
فلا تعذلوني إن فُتِنْتُ بها عشقا
وعندي أنّ اليُمْن في عينها الزرقا (٢)
فائدة : العين الزرقاء منسوبة الى الأزرق ، مروان بن الحكم ، لأنه أجراها وهو
وال على المدينة المنورة ، وأصلها من أغربي مسجد قبا ، تجري الى المصلى ، وعليها قبة ،
الماء منها في وجهين ، شرقي وشمالي ، كذا قيل ، ولعل الزرقاء صفة للعين ، لأنّ
جميع مياه ذلك الوادي ترى كالنيل الأزرق ، ولأنّ ذلك الماء قبل مروان وآبائه ،
وكانت بالمدينة عيون متنوّعة متعدّدة ، وقد صارت في خبر كان ، إلا أن ذيلها وآثارها
تشهد لها ، قيل : وكان يُجذ بالمدينة وأعراصها : مائة وخمسون ألف وسق بغير من
التمر ، ويحصده مائة ألف وسق من الخنطة .

ويروى أنّ المدينة من عيون النبع غير الجارية ستة عشر ألف سانية .
حكى السهودي في « الخلاصة » : أنه لما قدم المدينة تتبّع احصاءها ، فكانت
كذلك ، وهذه « الخلاصة » من أحسن تواريخ المدينة الشريفة ، وأنشدني في ذلك
اجازة لنفسه الشيخ ابراهيم أبو الحرم :

(١) لعلها أملا

(٢) كانوا يتشاءمون بذوي العيون الزرق - والعيون الزرق تكثر في الافرنج ، وما
اعظم ما جروه لنا من شؤم - واليمن ضد الشؤم . والعين الزرقاء : هي العين المباركة التي يقال ان
ان مروان بن الحكم جرها إلى المدينة ، ومنها كان يشرب اهل المدينة فيما مضى ، وهي شربهم الآن .

من رام يستقصي معالم طيبة
فعليه باستيفاء تاريخ الوفا
ابو عبدالله الفيومي المكي :

إني إذا نَزَحْتُ ديارُ المصطفى
طالعت في تاريخه السامي لكي
وبالجملة فإن في التاريخ مشاهدة ما ، فهو كما قيل (١) :

أملياي حديث من سكن الجز
فاتي أن أرى الديار بطرفي
وما أطيب قول النيسابوري :

يا عين إن بَعُدَ الحبيبُ ودارهُ
فلقد ظفرتِ من الحبيبِ بطائل
ونأتُ مرابعه وشطّ مزارهُ
إن لم تربه فهذه آثاره

عوداً الى ما كنا بصدده ، وانعطافاً على ما يستعان بمدده ، فأقمنا بها يومين لما قاسته الرحال والرجال ، ولم تكن دار اقامة ، ثم ارتحلنا قاصدين (اكره) ، متأملين بعين الفكرة ، ناظرين إلى الأنفس والآفاق ، وما فيها من سرّ تدبير الخلاق ، حتى وصلنا إليها ، لا أعادنا الله عليها ، وأكرهه بوزن جمرة ، مسيل قفر ، وماؤه مرّ زعاف لا تقبل عليه النفس الا بالكروه ، وقد توجد بتلاعه ديم . وفي (البرهان) أكرأ (٢) بألف مفردة من أعمال الحوراء ، وبينهما منزل للركب يعرف بالحُرَيْرَة ، مصغر الحرة ، وهي منتهى أحكام الحجاز الشريف .

ثم ارتحلنا سائرين في بواد وقفار ومفاوز وحرار (٣) ، إلى أن واجهنا (الوجه

(١) والقائل هو الشريف الرضي ، وهو المبرز المختص في هذا الضرب من استنطاق الجوارح وإثابة بعضها عن بعض .

(٢) أكرأ هذه في الحجاز ، وهي غير اكرأ الواقعة جنوب دهلي في الهند - وتلفظ بالجيم المصرية - منزل اباطرة الهند المسلمين ، التي بنى فيها السلطان شاهجهان تاج محل ، اجمل ابنة الدنيا .

(٣) المفاوز جمع مفازة ، وهي الصحراء المهلكة . والحرار جمع حرة ، وهي ارض ذات حجارة سود نخرة ، والحرار تكثر في جزيرة العرب ، « وقد جاء في صفة مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم ، يثرب ، انها ارض ذات نخل ، بين حرتين » .

المبارك) ، بعون الله تعالى وتبارك ، ولأقينا فيه الازالة بالمبرات ، واتصلت بنا أخبار مصر بالمسرات ، ويباع فيه العليق بأقل من سعره في مصر ، والوجه هذا شيعب فيه قلعة لطيفة فيها بئر وخارجها بئران ، وكلها مطوية ،^(١) وماؤها من السيول ، وربما لا يوجد بها أيام المحل ، وهي منتهى أحكام مصر ، وسمي^(٢) بذلك لأن به تكون مواجهة الركب ، وكانت أولاً بالأزم . أنشد الحافظ ابن حجر العسقلاني وقد مرّ به فوجده متسناً :

أتينا إلى الوجه المرجى نواله فشحّ ولم يسمح بطيب نداه
وأسفر عن وجهه وما فيه من حيا فقلت دعوه ما أقلّ حياه
ولما عاد إليه وجده ممطوراً قد صفت مشاربه ، واخضرت جوانبه ، وطاب به المقيل
فقال ، وذلك مقال المستظل في الكلال :

أرانا الجميلَ الوجهُ معتدراً لنا فأوليتُهُ شكراً وما زلتُ مُثنيّاً
وأطرقتُ نحو الأرضِ رأسيَ حَجَلَةً وما أسطعتُ رُفَعِ الرأسِ من كثرة الحيا
قلت : وإذا كان الحياء بمعنى ضد الوقاحة ممدوداً ، كما قيل في حديث (الحياء من الايمان) والحيا بمعنى المطر مقصوراً ، فما تمت التورية في النظم ، اللهم الا أن يقال ذلك على رأي من يرى قصر الممدود في الشعر ، وهو أكثر من مد المقصور ، فلا كلام .

وفي المعنى لأبي عبد الله الفيومي :

ولما وجدنا الوجهَ عند وروده خكياً من الماء القراحِ فناؤه
زمت مطيبيّ ثم قلتُ ترحلوا فلا خير في وجهٍ إذا قلّ ماؤه
وقال آخر :

أقول ووادي الوجه سال من الحيا وقد طاب فيه للحجيج مقامُ
على ذلك الوجهِ المنير تحية مباركة من ربنا وسلامُ

(١) اي مبنية ، فان البئر بعد ان تحفر تبني بالحجارة لثلاثين يوماً وترتدم .

يقول الشاعر :

وبشري ذو حفرت وذو طويت

فان الماء ماء ابي وجدي

(٢) اي الوجه .

وما أرجح قول القيراطي :

أتيتُ الى الحجاز فقلتُ لما
تبدى وجههُ لي وارتويتُ :
وكم في الأرض من وجهٍ مليحٍ
ولكن مثلَ وجهك ما رأيتُ

ثم ارتحلنا منه ونزحنا عنه ، حتى أتينا على (الأزم) وتحملنا المشقة والألم ، وهو واد فيه قلعة ، يودع فيها ودائع الحاج للرجعة ، وخان خراب كان قد بناه الناصر فهدمه الغوري ، والأمر دائر بين هدم وبناء ، لا الباني يكل ولا الهادم يمل ، يا حيرتي ما أعجب ما قال :

متى يبلغ البنيانُ يوماً تمامه
إذا كنتَ تبنيه وغيرُك يهدم؟

وماء هذا الوادي مرّ يكاد يفطر الأكباد ، وهو كثير السنن ، ونصف الطريق من مكة المشرفة ، ومنه الى ينبع ربع ثالث^(١) ، وبينه وبين الوجه فضاء بين جبال يقال له اصطبل عنتر ، وواد آخر يسمى السماق والدخاخين وهو كثير الشوك والخطب . ومما قيل في الأزم :

الأزم المشهور قبّح ذكره
لم تصفُ عيشةً من بواديه ألمّ
ما زال عن قلبٍ مرارةً مائه
إلا وأهدى من قساوته ألمّ

ثم لم نزل نجوب البوادي ، ونقطع الفدافد خلف الدليل والحادي ، حتى أتينا عبي (المؤبِّلِج) ، ولا أدري أهو مشتق من الملاحه أم الملوحة ، أم الحال كما قال : (ذات لها في نفسها وجهان) . وبالجمله فهو ساحل راقٍ ماؤه وصفا ، وطاب به العيش حتى كأنه ما ذاق طعمَ الجفاء ، قد اخضرتْ جوانب بقاعه ، وتحقق لدى روضه ما نسخته الورد الذكيّ برقاعه ، فأقمنا به ثلاثة أيام تحت البواسق^(٢) ، ونشرُ تلك الرياض العبيرية عابق ، نهارنا على الماء والخضرة والوجه الحسن ، وليلنا على ارتشاف كووس الآداب ونفي الوسن ، حتى انقضت تلك الليالي كأنها سنة^(٣) ، وقلنا في نفوسنا هذه أوّل مسرات هذه السنة ، فلله هاتيك الأيام ، وما اشتملت عليه من الجمع التام ، واتفق

(١) ان الأزم في نصف الطريق الى مكة المكرمة ، وينبع في نصف النصف الباقي ، فتكون في ثلاثة ارباع الطريق .

(٢) اي الأشجار البواسق ، وهي العالية .

(٣) السنة يفتح السين العام ، وبكسرهما الإغفاءة البسيرة « لاتأخذُه سنة ولا نوم »

في المويلح على الرخاء ما لا تصفه الأقلام ، ولا تحويه الأرقام ، وفيه السمك الطري ،
والفواكه المتنوعة ، والأراك الكثير ، ومما قيل فيه :

سألوا مديحَ مناهلٍ فأجبتهم هذي المناهلُ مدحُها لا يصلح
وأقول إن ألزمتَ بمديحها هذا المويلح في المناهل أملح

وبالجملة فإنه لم يكن في تلك المنازل ، أحسن من هذا الساحل ، مياهه بالنسبة الى
تلك المنازل مستعذبة ، وبساتينه مزهرة طيبة ، جوّه فسيح ، وهوأوه صحيح ، فلا
زال كذلك ، جنّة في تلك المسالك .

(قال في البرهان) المُوَيْلِحُ بالتصغير ساحل بالقلم ، يشتمل على أشجار متناسقة ،
ونخيل باسقة ، ومياه سائغة في الجملة ، وفيه قلعة حصينة ، ومنازل وعرب ، عرضه
(كح) ^(١) وطوله (عب) ^(١) .

ولما كان آخر اليوم الثالث ، وقد رق ثوب الأصيل ، رحلنا منه قاصدين (عيون
القصب) وهي مقصبة ينتهي اليها ماء من عين جارية من مسافة طويلة ، على نخيل
باسقة ، وأشجار متناسقة ، قد يوثق منها بأثمار فتباع على الركب ، وقد انقطع ذلك
لانقطاع عوائد العرب من صلات السلطنة ، فلذلك ارتفعت العرب ، وصار الوادي
مخيفاً ، وماؤه في غاية العذوبة ، يجري من بين القصب الفارسي ، بين نبت مختلف
طيب الطعم والرائحة ، ومما قيل فيه :

قصبُ الوادي هبوا لي ماءه ففؤادي فيه حرّ الوصبِ
أوقفوا بي برهة يا رفقتي أتروى من عيون القصبِ

وهذا الماء يجري من أعلى صخرة ثمة على ظهر الوادي بمقدار ميل ، ثم يغور في
الرمل . وزعم بعضهم أنه ثقيل ، سريع التعفن ، يكره الاكثار منه . قال الحافظ ابن حجر
في كتاب « انباء الغمر » : في سنة أربع وثلاثين وثمانمائة حفرت بعيون القصب برّ عظيمة ،
فعظم النفع بها ، وكانت عيون القصب تجري من واد عظيم ينبت فيه القصب الفارسي ،
ويجري الماء من بين تلك الغابات ، وكان للحجاج به رفق ، بحيث يبيتون به ليلة ، ثم

(١) كح = ٢٨ ميل . و : عب = ٧٢ ميل ، وذلك بحساب الجمل . اذ الكاف بعشرين ،
والحاء بثمان ، العين بسبعين ، والباء باثنتين .

غمرت تلك العيون ، وصاروا يقنعون بالحفائر ، فأشار ناظر الجيش لما حج بحفر البئر فخرج ماؤها عذباً فراتاً، إنتهى كلامه . قلت : وقد أجرى الله تعالى عوائد برّه وعاد الماء الى مجاريه .

ثم قمنا منه حتى أتينا على مغاير شعيب عليه السلام ، وهي حفائر حلوة تحكي النيل فيما قيل ، في واد فيه نخل وأثل ومقل ، بين جبال متضايقة ، كثيرة المخاوف ، وفيه بئر دارسة ، وأبنية متهدمة ورسوم ، يقال انها مدين .

قال صاحب « تقويم البلدان » : مدين على شاطئ بجر القلزم ، وهي خراب . وأما البئر التي استقى منها موسى عليه السلام ، فقد بني على أفنتها بيت من صخر ، فيه كهف يسمى كهف شعيب عليه السلام ، وكانت تأوي اليها غنمه ، وحولها قبور متقورة في الصخر فيها عظام بالية كأمثال عظام الابل . ولا أثر لذلك الآن غير تلك الساقية التي بيد بني عطيفة ، وحفر الماء العذب . وفيها يقول ابن أبي حجلة :

ولما وردنا ماء مَدِينِ بكرة
فأطرب حادي الراقصات مسامعي
وجدت عليه الناس يسقون بالقرب
كما أطرب التشيب من أعين القصب

ثم لم نزل نجوب الوهاد ، ونقطع هاتيك البواد ، حتى أشرفنا على شرفة بني عطيفة ، وهي في واد قفر كثير الحطب محل ، لا يكاد يمر به الطير ، اتفق انه لم يكن في الركب الا من اشتكى الظمأ ، الا من كان في حظيرة (إن هو إلا عبء أنعمنا عليه) ومما قيل فيه :

وقد حكلنا بواد لا أنيس به
فنالنا منه بعد العي أربعة

ذكرت هذه المشقة قول ابن الحاجب :

من ذا الذي تصفو له أوقاته
والمرء في سفر ، وأي مسافر
طراً وبلغ كل ما يختار ؟
لا يعتره من الطريق غبار ؟

ثم لم نزل في أسر المسير ومشاق الأسفار ، حتى مررنا بظهر الحمار ، وهو محجر صعب ، وحفائر الغم ، وفيها المياه الكدرة ، والنخل الكثير ، والدار الحمرا ، وما أدراك ما الحمرا !

ولقد أرى بين المسمى واسمه
نسباً قد استغنى عن التبيين

الى أن نزلنا تحت العقبة ، في شعب فيه نخل كثير للعرب الحويطات ، من بني عقبة ، نسبوا الى الحائط ، وقلعة محصنة على ساحل فصل من خليج القلزم ، ويحفر في ذلك الساحل على نحو ذراع (١) فأكثر ، فيظهر ماء حلو ، بل من موضع المدّ اذا كان الجزر ، فسبحان الذي أحسن كل شيء خلقه . والظاهر أنّ هذا الموضع مصب نهر غائر في الرمل ، داخل في البحر ، بدليل أنه يجلو ويملح ، كما يرى في النيل المتصل بالبحر أيام الملتن . (٢)

فائدة: عقبة أيلة نسبة الى مدينة عظيمة في ساحل البحر عفت معالمها ، وكانت تسمى أيلة ، قال صاحب «الروض المعطار في خبر الأقطار»: «أيلة أوّل حدّ الحجاز ، مدينة بها مجمع حاجّ مصر والمغرب ، وأهلها أخلاط الناس ، سميت بأيلة بنت مدين ابن إبراهيم عليه السلام ، ومنها الى بيت المقدس مراحل ، وإلى طور موسى عليه السلام يوم وليلة ، وقد جهل الآن موضعها . وثم قلعة بناها الغوري وبثر ماء عذب ونخيل للحويطات ، وهناك ملاقة غرة والكرك والقدس وأعمالها ، بأنواع الفواكه والمأكول والأغنام ، فأقمنا بذلك الوادي يومين من الأيام ، والشمل بالأحباب ملتام (٣) ، ونحن في جمع من الأصحاب ، نرشف كوؤس الآداب ، أنشدني المولى جمال الدين بن زويته :

(١) وقد رأيت هذا بنفسى لما نزلت ساحل العقبة في طريقي الى الحج عام أربع وسبعين وثلاثمئة بعد الالف «سنة ١٩٥٤» إذ كنا نحفر باصابعنا في رمال الشاطئ ، فيخرج الماء العذب من نحو شبر ، وقد مررت بهذا الموضع في العام الماضي سنة ١٣٨٣ فاذا بلدة كبيرة - العقبة - قد قامت هناك ، ولها مرفأ ضخم اقيم في الشاطئ الذي كنا قد نزلنا فيه .

والعقبة حجازية ، كما هو معروف قديماً وكما يظهر من الكلام الآتي . غير ان الذين كانوا يخططون لإقامة دولة الصهاينة في ارض فلسطين ، سلخواها عن الحجاز ، ثم قسموا هذا الشاطئ بين الاردن وفلسطين ، كما هو دأبهم في تمزيق اوصال العالم الاسلامي - إن بسكين الاستعمار ، او بإثارة القوميات ، او بنصب من ينادي بالنعرات وتيارات الضلالت - كما يقطع الأكلة اوصال الجزور تمهيداً لإكله وابتلاعه !

(٢) الملتن سيفسره المؤلف فيما يأتي - انظر صفحة (٣٧) - بانه ريح الشمال التي تهب - في ايام الملتن - على النيل من قبل البحر ، فيحلو ويرتفع ويزيد - لنقصان ما يصب منه في البحر ، فيكون ما يأتي من المنبع اكثر مما يذهب في البحر - فاذا هبت ريح الجنوب ، عاد النيل كما كان .

(٣) ملتام تسهيل ملثم اي مجتمع .

إنّ علم الحساب علم جليل
لم يَضِعْ قطّ درهم بحسابٍ
ومعين إذ تشتري وتبيع
وألوف بلا حساب تضيع
وعلى ذكر الحساب فما أوقع ما قال :

لقد قعدَ الزمان بكل حرّ
كآحاد الحساب على يمين
وأهدى فضله لذوي اليسار
وآلاف الحساب على اليسار

وهذا مبني على القلم الهندي ، وخرج عن ذلك حساب أبي جاد ، فإن الآحاد على اليسار والألوف على اليمين ، وعليه قول الفاضل عبدالمعين حيث كتب إلى بعض أصحابه يذكره بوعد وعده به ومطله ، وذلك قوله :

يا سيداً بالوعد أتخف عبده
قد كنت أحسب صدقه فإذا به
فضلاً ولكن وعده مثل السحاب
وعد به انخرمت قوائين الحساب

يريد أن لفظة وعد بطريق حساب أهل الفلك عود ، لأن العين بسبعين والواو بستة ، والأكثر يقدم على الأقل كما علمت ، وانظر الى المواطن و كذا أفإنك لا تجد غير مقتضاها ، ذكرت بالمطل والشيء بالشيء يذكر ، بالاستطراد وبالمناسبة قول الأمير أبي فراس :

يا ابن الكرام أعد في الدهر ذكر فتي
لا تعبت على عرقوب واحدة
له بشرطيه تحويل وتقلب
فكل من فوقها بالوعد عرقوب

ونعود الى ما كنا بصده . ولما كان السحر حمل الركب ليقطع العقبة مبكراً ، وهي عقبة أيلة ، بفتح الهمزة وسكون المثناة من تحت وفتح اللام بعدها . قال في « الخريدة » : وهي قرية صغيرة على جبل عال صعب المرتقى يكون ارتفاعه والانحدار منه في يوم كامل ، ولا يسلك طريقها الا الواحد بعد الواحد ، وعلى جانبيها أودية بعيدة المهوى إنتهى ، وهي مدن ^(١) التيه ، وهو أرض واسعة ، ليس بها تل ولا تلعة ولا وهدة ولا رابية ، وسعتها خمسة أيام في مثلها ، وحكى العبدري أن مسافة العقبة خمسة اميال ، ولا زالت الملوك قديماً وحديثاً يجهلون بها وتوعرها السيول ، ويسهلها التسخير الالهي . فلم نزل نسير في رمال وأحجار إلى أن اشرق النهار ، ثم ارتقيناً صراطاً كأننا نطلب

(١) كذا في الاصل ، ولعلها « من » .

منه السحاب ، ولم نزل من العناء والمشقة في وصب وا كتاب ، القائم منا قاعد ، والقاعد عن قطاره (١) متباعد ، والذي جماله ألفت رحلها ، ومدّت رجلها ، وقع في حيرة ، بين أن يترك متاعه ، أو يستغيث رباغه :

وأين الرفيق الشفيق الذي اذا أفعَدتْكَ الرزايا أقاما ؟

والذي تحرر وتقرر ، قضت به العقبة ، وحكمت به التجربة ، انه ليس لك من الصديق الا ما فضل عنه . وقد حكي عن جعفر البرمكي أنه لما أصيب قيل له : لو بعثت الى صديقك فلان ينظر في حال أهلك ، فقال : دعوه يكن صديقاً . ومن أراد تحقيق هذا الموقف ، فليمعن النظر في كتاب « الصدق والصدقة » لأبي حيان التوحيدي والله در القائل :

إذا عرضتُ فالأهلُ منِّي أجنبُ وإن أقبلتُ فالأجنبيُّ نسيبُ

وما زال الركب في كرب ، حتى قطع العقبة ، في يوم ذي مسغبة . ثم أقمنا على سطحها قصداً للراحة ، واستنطاب كل مراحه ، وقمنا نذك الفياضي من غور الى نجد ، ومن سهل إلى وهد ، مع ما لحقنا من البرد الشديد ، والجهد الجهد ، حتى وصلنا إلى قلعة نَخِر ، بفتح النون وكسر الخاء المعجمة بعدها راء ، كأنه مأخوذ من قولهم ما بالدارناخري أحد ، أو من العظام النخرة اذا دخل فيها الرياح لكثرة تهاها (٢) ، ووادي النخل ، ولا نخل فيه ولأنه لا يخلو من السافي الناعم الذي كأنه منحول ، وبه بئر وفسقية تملأ (٣) منها ، وحصار بناه الغوري وزادت فيه العثامنة (٤) .

(١) اي إبله ، والمعنى ان الجاد في الصعود يبدو لصعوبة المسلك ووعورة المتسلق كأنه في مكانه ، اما الذي يستبد به الاعياء فيقعد فان القافلة تتبعد عنه فيقطع .

(٢) كذا في الاصل ولعلها « تراها » .

(٣) في الاصل : يملأ ، ولا وجه لها .

(٤) العثامنة ، يريد بهم العثمانيين ، يعني الدولة العثمانية ، التي قامت - بالاسلام - في وجه دول اوربا ، متفرقين ومجتمعين ، فحطمت قواهم ، وهزمتهم ، ووصلت الى فيينا « عاصمة امبراطورية النمسا من اكبر دول اوربا حينذاك » فحاصرتها ، واضطرتها الى تأدية الجزية ، وذلك بعد ان وحدت - بالاسلام - بين معظم اقطار هذا العالم الاسلامي الواسع ، عربية كانت هذه الاقطار او غير عربية - فلم تكن ظهرت بعد نعمة هذا الوباء المفرق - وبقيت هذه الدولة الواحدة القوية قروناً يسودها الخير والامن والسلام ، بالاسلام ، حتى ظهرت في تركيا عصابة ضالة ، ابطرها نعيم الاسلام ، قامت تنادي بالترريك ، فجوابها من بلاد العرب بوق ابع =

ثم لم نزل في نزول وارتمال ، وقطع حِرَار ورمال ، في ذلك التيه الذي أعيا
الرحال^(١) والرجال ، وهو فضاء واسع عن يمينه جبل الطور وعن يساره العريش ،
وقدره اربعون فرسخاً في مثلها ، شديد البرد أيام الشتاء ، شديد الحرّ أيام الصيف ،
معدوم الماء ، ينتهي الى بحر فاران مغرق فرعون ، وفاران من مدن العمالقة ، وفيه
تاهت بنو اسرائيل اربعين سنة ينزلون حيث يرحلون ، وأكثر ما يرى فيه بصل العنصل
ويسمى روض الجمل ، ما أحسن ما قال :

رعى الله ظيباً بالأريمل إذ بدت حشاشةُ قَبِ المستهام رعاها
إذا ما بدا والتهى بيني وبينه تحجّب عني بالدلال وتاها

ثم انصرفنا (من المنصرف) على هضاب وجور ورمل كثير ، يقال إن الاسكندر
أراد ان يخلط بحر السويس ببحر الروم من هذا الطريق وهذه الحفر آثار ذلك ، وقيل
بل كان فيها خليج من النيل متصل ببحر السويس فاقتضى الحال أن يُطم فهو هذا.
ثم أتينا (عجروود) ذات الحفا والصدود ، متعطين الى الماء ، متألّمين من الظما ،
فشرّبنا من مائه الذي زاد على الملوحة بالمرار ، ومن فقّدت العين تعلّل بالآثار. وهو من
السويس ، على نصف مرحلة منها ، واد فيه قلعة فيها بئر ماؤها كاللحم ،
ربما أسهل ، ثم قمنا نقطع البوادي ، وهي تقطع الأكباد ، وقد أنفذ فينا البين أمره ،
وذاقنا من السفر حلوه ومره :

= مشؤوم ، من فئة هجينة ، يدعو إلى العصبية الجاهلية ، وانتصبت ، لالتأييد الإسلام ، بل للدفاع عن
« القومية » وتنفست دول الغرب آنئذ الصعداء ، ومدت اصابع الشيطان تنخس هؤلاء ، وتنفخ في
هؤلاء ، حتى استطاعت بأيديهما ان تثل عرش الخلافة ، الذي كان - بالإسلام - قد حجر دول اوربا
في مثل اقماع السمسم ، فلما قام غطارفة القومية - عرباً وأتراكاً - في ازاحة ظل الاسلام ، تمزقت الوحدة ،
واختل الميزان ، فظهر المارد الاوربي من القمم الذي كان قد اضطره اليه سيف الاسلام ، فوقف يهيب
بزيّره وجمبعته اشلاء عالم الاسلام ، ونبتت في ظل هذا الجو البغيض نابتة جديدة ، تنظر الى الماضي
المجيد نظرة المقت والازدراء ، والى العدو الاوربي المقيت ، نظرة الرهبة والاعجاب ، ويمجدون ربهم
اذ نشأوا - كما لقنوا - في عهد العروبة الزاهر لافى عهد الاستعمار العثماني الكالِح !!
ولله الامر من قبل ومن بعد .

(١) يقصد بالرحال هنا الجمال التي تحمل الرجال ، وهذا في كلام العرب كثير ، ففي سورة
الواقعة « وفرش مرفوعة » اي الحور التي على الفرش - على بعض الاقوال - . وكذلك الجنائزة انما يراد
بها الميت ، فان لم يكن وضع الميت فيها ، فهي النعش ، واعياه السير : اتعبه واضناه ، من الإعياء ،
وهو شدة التعب واقصاه .

وكذلك الانسان ما دام حيا فهو في لذة وفي آلام
ولما أقبل الليل ، وقد أوهى القوى والحَيْل ، انقطع كثير من الرجال ، وتفرق
شمل تلك الرجال ، حتى إن كثيراً من الناس ألقى أكثر أسبابه ، حيث لم يجد له
مسعداً في حملها من أصحابه ، وأخذ الفناء ينحر في الجمال ، والعبي يهدم قوى الرجال
ولم نزل في هذه الشدة شدة واحدة إلى ما بعد الزوال . فمررنا بصدقة (البويّب) ،
وهو مضيق بين جبلين صغيرين ، وله شرفة ، وبه تل رمل مستطيل ، وفيه يقول ابن
أبي حجلة :

ولما اعتنقنا للوداع عشية على بركة الحجّاج والدمع يُسكّب
فرحنا وقد جُزنا البويب لأنه إلى وصل من نهواه باب مجرّب

وعلى ذكر الاعتناق فما أحسن قول القائل :

ولما اعتنقنا للوداع عشيةً وفي القلب نيراناً لفرط غليله
بكيتُ وهل يغني البكاء لهأم إذا غاب عن عينيه وجهُ خليله ؟

ثم بتنا على شاطيء نيل البركة ، الذي أحاطت به البركة ، وأنحنا بها الركاب ، وراق
لنا الوقت والزمان وطاب ، وقد استقر خاطر من قلق السفر ، وتهلّل وجه الزمان
وأسفر ، وأنشد لسان التمنيّ في هذه المفاوضة ، لو سلم من المعارضة :
فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالاياب المسافرُ
وعلى ذكر البركة فما أبدع هذا التشبيه :

وبركة للعيون تبدو في غاية الحسن والبهاء
كأنها اذ صفت وراقت في الأرض جزء من السماء

وقال آخر :

وبركة ما تملك العين وصفها يحفّ بها نبت من الروض مزهرٌ (١)
ويسرح منها في الجمائل جدول كما سلّ من غمدٍ حسامٌ مجوهرُ
ولما أسفر الصباح ثامن عشر صفر الحير ، توجهنا الى مصر المحروسة ، وشاهدنا

(١) هكذا في الاصل ، والشطر الاول كما ترى غير مستقيم . ويحتمل ان يكون :

« وبركة ما ماتملك العين وصفها » .

فتكون ما الاولى - التي لعلها سقطت من الناسخ أو الطابع - تسهيل ماء .

منازلها البهية المأنوسة ، ولما دخلتها وجدتها بديعة الأوصاف ، مخضرة الجوانب والأكتاف ، بها الجوامع الجامعة للمحاسن ، والمدارس الحافلة بالمكانة والأماكن ، ورأيت أهلها أرقّ أخلاقاً من النسيم ، وألطف شمائلًا من السّمول والشميم ، إلا ما شاء من الأوغاد وجبابرة العباد ، ورأيت لهم الذكاء المتوقد ، والذوق المتجدد ، مع كمال الجَدِّ في الجَدِّ^(١) والاجتهاد ، وبذل النفوس النفيسة في تحصيل المراد ، فله دَرَّهم ، ولا زال يزداد ويزدّدان بهم برّهم وبرّهم ، فلقد تحقق بهم صدق القائل :

قل للذي سار بلاد الورى وأظهر القوّة والباسا^(٢)
من لا رأى مصر ولا أهلها فما رأى الدنيا ولا الناسا^(٣)

وما أصدق من قال :

ما مصر إلا بلدة ما مثلها غريبها يرتع في نعيمها
نسيمها ألطف شيء في الورى وأهلها ألطف من نسيمها
ثم أقمت بها برهة من الأيام ، صحبة الأخلاء الكرام ، أطوف بأكنافها البهية ، وألوي على أعكانها الشهية :

بالسّفح حيناً وبالبرقاء آونة وبالكتيب زماناً والاثيلات

ثم لم أزل أتعمّد الجامع الأزهر ، واطردد على كلّ درس فيه أوضح تقريراً من الشمس وأنور ، وأحاول النفس على أن استريد علماً ، فيعاجلني من مَضَض الأيام ما يربو على خَطْب الدهر همّاً وغمّاً ، وأجد الفهم لذلك قليلاً ، والقلب سقيماً عليلًا ، والشروط غير متوفرة ، والدواعي متعذرة او متعسرة ، كيف لا وقد قيل : لو كلّفت بصلة ، ما حفظت مسألة ، وأنّى يكون ذلك مع اشتغال البال ، واشتغال اللبالب .

(١) الجَدُّ - بالفتح - الحظ والنصيب ، والتوفيق ، والمنزلة . . وهو أيضاً «ابو الاب»
والجد - بالكسر - الدأب والتشمير « وهو أيضاً مايقابل الهزل »
يقول المتنبي :

أقلّ فعالي بله أكثره مجد وذا الجد فيه - نلت أم لم أنل - جد

(٢) سار تأتي لازمة ومتعدية ، وهي هنا متعدية .

والبأس : الشدة ، ويأتي أيضاً بمعنى العذاب ، وهو غير مراد هنا .

(٣) في الاصل : « من لا رأى مصرا ولا اهلها » ، ولا حاجة للالف هنا ، فحذفناها .

ألا لن تنال العلم إلا بسة
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة
ومن مجون بعض الفضلاء :

فرّق فرّق الدروس واجمع مالا
لا ينفعك القياس والعكس ولا

وقال آخر في جوابه :

بالعلم ينال كلّ عبد مالا
ما أسوأ رأي من ينادي سفهاً
فاجهد لتنال في الملا آمالا
فرّق فرق الدروس واجمع مالا (٢)

ومن محاسن أحمد الشهاب الرومي :

إلى المال ميل واجمعه إن كنت عارفاً
وفي قبضه عزّ النفوس وبسطها
وله أيضاً :

المال أحسن ما ادخرت فلا تكن
ما حصلوا جمع العلوم بأسرها
سمحاً به وتأنّ في تفصيله
إلا ليحتالوا على تحصيله

قلت : وإلى ذلك أشار الشعرا في كتاب الجواهر في معتقد الأكابر . وقال الفخر
الرازي : الذي تحرّر عندي ، أن قدر الانسان بالعلم وقدر العلم بالمال . ونظم في ذلك
من قال :

إنّ قدر المرء بالعلم كما
فجناحاك هما إن أسعدا
أنّ قدر العلم بالمال سما
طير كما تهوى إلى أعلى السّما

(١) يزعمون ان البيهقي لامام الحرمين عبد الملك بن الجويني ، الذي قيل فيه :

لم ترعيني أبداً
تحت أديم الفلك

مثل إمام الحرميه
ن الثبت عبد الملك

والبيهقي المذكوران يرويان بما يقرب من رواية المؤلف :

أخي لن تنال العلم إلا بسة

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة

(٢) في الاصل : (فرق فرق الدرس وجمع مالا) . في الموضوعين ، والتصحيح من نسخة الشيخ

محمد نصيف ، ولعله من تعليقه او تعليق ابيه . وهما ل « السعد التفتازاني » (٧٢٣ - ٧٩٢) .

حكى الشهاب النهرواني عن بعض الأكابر ، أنه كان اذا وقع الدينار في يده ،
يقبّله ويضعه على عينه ثم يقول له : مرحباً بجامع شملي ، وحافظ عقلي ، وحبيب قلبي ،
ولب لبي ، أنت مرادي وقوّتي وعمادي ، يا نور عيني ، يا ضيا جيني ، قد صرت
إلى من يعرف قدرك ، ويعظّم أمرك ، وكيف لا وأنت تعظّم الأقدار ، وتفتض
الأبكار ، وتؤمن من يخاف ، وتسمو على الاشراف ؟ ثم يطويه في كيسه وينشد :

بروحي محجوباً^(١) عن العين شخصه ومن ليس تخلو عن لساني ولا قلبي
ومن قربه قصدي من الكون كله وحتى من الخلائ والأهل والصحب

قلت : والله درّ ابن المعتز حيث يقول :

اذا كنت ذا ثروة في الملا فأنت المسود في العالم
وحسبك من نسب صورة تخبر أنك من آدم
الجامع الازهر : أول جامع أسس بالقاهرة ، أنشأه القائد جوهر الصقلي مولى
الغز سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وكان به طلسم فلا يسكنه الطير ، ثم جدّده الحاكم
وجعل عليه أوقافاً ، كذا في المحاضرة

هويت مصرياً غدا قاهري بصارم من لحظه يشهر
أزهر وجهاً وغدا جامعاً للحسن فهو الجامع الأزهر

فصل : في ذكر شيء من أخبار مصر المحروسة ، ونشر محاسنها البهية المأنوسة ، وليس
الغرض من ذلك الا ما اشتمل عليه من لطائف النكت ، أو من اعتبار واستبصار ، والا
فمن أراد أخبار تلك الديار ، فقد تكفل بها كتاب «حسن المحاضرة في أخبار مصر
والقاهرة» للسيوطي ، وكتاب «كوكب الروضة» ، وهو القائل فيه :

كتابي الكوكبُ الممدى دقت معان به عزيزه
ألفاظه المشتهاة تحكي من حسنها روضةً وجيزه

وعلى الخصوص قاموس القصص ، وهو الخطط ، للفاضل تقي الدين المقريري ،
وفيه قيل :

من كان يهوى أن يحيط بسمعه علماً بمصر كامل التمييز
فعليه بالخطط المحرّر نقله تأليف عالم عصره المقريري

(١) محجوباً منصوبة بفعل محذوف تقديره أفدي

قال الفاضل القزويني في كتاب « آثار البلاد . وأخبار العباد » : مصر ناحية مشهورة ، أرضها أربعون ليلة ، طولها من العريش إلى اسوان ، وعرضها من برقة الى أيلة ، وسميت بمصر بن مصر بن حام بن نوح عليه السلام ، وهي من أطيب الأرض تراباً ، وأبعدها خراباً ، ولا تزال البركة فيها ما دام عليها إنسان ، وفي « الخطط » : ديار مصر بعضها واقع في الأقليم الثاني وبعضها في الاقليم الثالث ، وبناء مصر طبقات بعضها فوق بعض ، إلى خمس وست وسبع ، وأحسنها القاهرة المعزية .

فائدة : مصر غير منصرف للعلمية والعجمة ، أو لها (١) وللتأنيث المعنوي باعتبار البقعة ، ومصروف لسكون وسطه ، وأسماء البلاد تذكر وتؤنث وتصرف وتمتع ، قاله السيوطي . وفي « الخريدة » : أرض مصر ، وهي غربي جبل طالوت ، إقليم العجائب ، ومعدن الغرائب ، وكانت خمساً وثمابين كورة ، منها أسفل الأرض خمس وأربعون ، وفوق الأرض أربعون (٢) ، ونهرها يشقها ، والمدن على جانبيه ، ومن أحسن مدنه الروضة ، وهي جزيرة يحيط بها النيل من جميع جهاتها ، بها المنتزهات والدور والقصور ، وتسمى دار القياس ، وفي « آثار البلاد » : أول من قاس النيل يوسف الصديق عليه السلام ، وبنى مقياسه بمنف ، وهي مدينة فرعون موسى ، قيل إنَّها أول مدينة عمرت بعد الطوفان ، وهي المراد بقوله تعالى : (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) وكان فيها أربعة أشهر تختلط مياهها في موضع سرير فرعون ، ولذا قال : (وهذه الأنهار تجري من تحتي) قال العصام نقلاً عن التفتازاني : فرعون علم لمن ملك العمالقة ، ويشبه أن يكون مثل كسرى وقيصصر من علم الجنس ، لكن جمعه باعتبار الأفراد ، مثل الفراغة والقياصرة والأكاسرة ، يدل على أنه علم شخص سمي به كل من ملك ذلك ابتداء ، وهو غير منصرف للعلمية والعجمة ، انتهى ، من « الأطول » . والذي ملك الدنيا بأسرها كافران ومسلمان ، فالمسلمان سليمان عليه السلام وذوالقرنين ، والكافران نمروذ بالدال المهملة ، وحكاه العصام بالمعجمة ، وبُخْتُ نُصَّر وهو من أسماء العجم من قبيل المركبات ، فبُخْتُ بضم الباء الموحدة وسكون المعجمة معناه ابن ، ونُصَّر بضم النون وفتح الصاد مشددة اسم للصنم ، قيل انه

(١) أي للعلمية

(٢) يريد ان الوجه القبلي يحوي خمساً واربعين ، والوجه البحري — اي الشمالي — يشمل اربعين .

وجد عنده فقيـل له ابن الصنم ، فانتشى وملك الدنيا . وفي « الخطط » : القياس (١)
عمود من الرخام الأبيض مثنى ، في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه اليه ، وهو
مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً ، كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسماً متساوية
تعرف بالأصابع ما عدا الاثني عشر ذراعاً الأولى فإنها مفصلة على ثمانية وعشرين
أصبعاً ، يعنى كل ذراع . وأما النيل وينبوعه من وراء خط الاستواء ، من
جبل هناك يعرف بجبل القمر فانه يتبدىء في المزيد في شهر ابيب (٢) ، وعند ذلك يفسد
ماؤه ، والسبب في ذلك مروره بنقائح يخالطها فتصحبه ، فاذا بلغ الماء خمسة عشر
ذراعاً ، وزاد السادس عشر أصبعاً واحداً ، كسر الخليج واستحق السلطان الخراج ،
واذا بلغ ثمانية عشر ، حدث بمصر وباء عظيم ، واذا بلغ العشرين مات ملك مصر ،
ولكسره يوم معدود ، ومقام مشهود ، ومجتمع غاص ، بحضرة العام والخاص وحكى
صاحب « مباحج الفكر » أن بعض المفسرين ذكر أنه يوم الزينة الذي وعد فرعون
موسى عليه السلام بالاجتماع فيه ، ومن محاسن الوزير أبي الحسن :

أرى أبدأ قليلاً من كثير	وبدراً في الحقيقة من هلال
زيادة أصبع في كل يوم	زيادة أذرع في حسن حال

وقال سبط ابن الفارض :

لقد بسطت في بحر جسمك بسطة	أثار اليها بالوفاء الأصابع
فيا مشتهاها أنت مقياسُ قدسها	وأنت الذي في روضة الحسن يانع

ولابن نباتة :

زادت أصابع نيلنا	وظفت وطافت في البلاد
وأنت بكل مسرة	ماذي أصابع ذي أيادي

(١) كذا ، وواضح انه المقياس .

(٢) من شهور القبط ، وهي :

توت ، بابه ، هتور ، كيهك ، طوبة ، امشير ، برمهات ، برمودة ، بشنس ، بؤنه ، ابيب ، مسري ،
النسي (وهو خمسة او ستة أيام تتراد آخر السنة لاتمامها ، لان كل شهرهم ثلاثون يوماً) فإذا كان
توت يقابل كانون الثاني ، فيكون ابيب على ذلك في تشرين الثاني الا أياماً في آخر تشرين الاول .

ولابن الصاحب :

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا
وللوفاء عمود من أصابعه
كالروض تطفو على نهر أزاهره
مُحَلَّق تملأ الدنيا بشائره
وللبدر البشتكي :

عابت هذا النيل في ترك الوفا
سأني وإن خانوا وأصلح بينهم
فأجاني حالاً بغير توقف
ما كدت أفسده ومثلي من يفي
وما أحسن ما قال :

رأيتُ النيلَ ذا عقلٍ ولبٍ
فيأتي عند حاجتهم إليه
وللناس في المقياس ، الأشعار الرائقة ، والمقاطع الفائقة ، فمن ذلك :
لما يبدو لعين الناس منه
ويذهب حين يستغنون عنه
إن مصراً لأحسن الأرض طراً
كل من قاسها بأرض سواها
وللفيومي :

سكان طيبة أبلَى الحبَّ صبكم
تالله لم يُنْسِه المقياسُ ساحتكم
والشوق باقٍ ليوم العرض في الطول^(١)
ولا تسلى عن الزرقاء بالنيل
لتاج الملك :

أنظرُ الى النيل الذي
فكانه في فيضه
ظهرت به آيات ربي
دمعي وفي الخفقان قلبي
ولبعضهم في مقدار النيل :

فائدة جليلة مستحسنة
فانظرُ إلى عيد النصرى كم حكم
إن شئت تعرف كم نيل السنة^(٢)
في شهرك القبطي يا حاوي الحكيم

(١) أي لعظيم طوله يبقى الى يوم العرض ، يعني يوم القيامة « يومئذ تعرضون لا تخفى منكم

خافية » الحاقة - ١٨

(٢) الظاهر أنه : ان شئت ان تعرف كم نيل السنة . وكان « ان » سقطت من الناسخ او الطابع .

وما مضى ضفه الى واو وقاف^(١) فالسندس منه النيل وقيت المخاف .
وما ألطف ما قال :

نيل همومي وما لقيت به انفرط وجدي وفيض بلوأي
وقفت أبكي على سواحله فمن دموعي زيادة الماء
حكى الجاحظ : أن عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة ، منها بسائر الأرض عشر ،
وباقها بمصر ، فمنها الهرمان ، بفتح اوليه ، وهما أطول بناء وأعجبه ، من رأهما
ظن أنهما جبلان بالجزيرة . قال ابن الوردي في « الخريدة » : الجزيرة مدينة على ضفة
النهر ، وهي أربعون قوساً على سطر واحد ، وبها الأهرام التي هي من عجائب الدنيا ،
ولم يبن مثلها ، بنيت بصفة الهندسة ، وكانوا يثقبون الصخر من طرفه ويجعلون فيه
قضيباً من الحديد ، ويثقبون الحجر الآخر وينزلونه فيه ، ويذيبون الرصاص ويجعلونه
في القطب . وهي ثلاثة اهرامات ، إرتفاع كل هرم في الهواء مائة ذراع بالملكي ، وهي
مهندمة الجوانب ، محدودة الاعالي من أواخرها ، طولها على ثلاثمائة ذراع ، يقال ان
داخل الهرم الغربي ثلاثون مخزناً من حجارة الصوان الملوثة ، مملوّة بالجواهر النفيسة ،
والأموال الحمة ، والأسلحة الفاخرة المدهونة بادهان الحكمة فلا تصدأ أبداً ، وفيه
الزجاج الذي ينطوي ولا ينكسر ، وفي الهرم الشرقي الهيئات الفلكية ، والكواكب
المنقوشة فيها ما كان وما يكون الى آخر الدهر^(١) ، يقال إن أحد الهرمين قبر هرمس عليه
السلام ، والآخر قبر امرأته ، وقيل قبر ابنه ، وهرمس بلسان الحكماء هو إدريس عليه
السلام ، وهو الجد الثالث لنوح عليه السلام ، وأبوصاب الذي تنسب اليه الصابئة التي
تعظم الكواكب ، ويقال ان أحد الهرمين بُني بيتاً لعطارد والآخر هيكلًا للجوزاء ،
وسطح الهرم مستو يسع نحو مائة رجل ، وقيل إن أرسطاليس مدفون في أحدهما
والاسكندر في الآخر ، وقيل بُني باسمه ولم يدفن فيه ، وقيل وقيل !

(١) الواو بستة والقاف بمئة . أي انظر كم يوم مضى من الشهر القبطي قبل عيد النصرى
- ولعله الفصح - فأضف اليه مئة وستة ، ثم قسم الناتج على ستة ، فيظهر لك كم ارتفاع النيل في ذلك
الوقت . ويبدو ان الحساب تقريبي بنوه على الاستقراء .

(٢) ما كان لا يعرف منه القليل الا القليل ، أما ماسيكون فقد استأثر الله عز وجل بعلمه ،
الا ما أطلع عليه رسوله صلى الله عليه وسلم فأخبر به ، ولا يستغرب ممن يعبد الاحجار والقطط والثيران
ان يدعى مثل هذه الدعاوي الفارغة ، وانما العجب ممن يتقل مثل هذا عنهم ويضعه في كتب لا يدري
في يد من تقع .

ولم نستفيد من علمنا طول عمرنا سوى أن حفظنا منه قيل وقالوا^(١)
أبو الوليد ترجمه السيوطي في كتابه (بغية الوعاة في طبقات النحويين واللغاة) بحيث
قال فيه :

وكان من العلوم بحيث يقضى له في كل فن بالجميع
وقد قال سبط ابن الفارض :

برح بي أن علوم الوري علمان ما إن لهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها وباطل تحصيله لا يفيد

قيل : وفي الهرم الثالث أخبار الكهنة في توابيت من صوان ، مع كل كاهن لوح من
ألواح الحكمة ، وفيه عجائب صناعاته وأعماله ، وفي الحيطان من كل جانب أشخاص
كالاصنام ، تعمل بأيديها جميع الصناعات على المراتب ، ولكل هرم منها خازن . قال ابن
الجوزي في « سلوان الأحران » : ومن عجائب الهرمين أن سمك كل واحد منهما
ذراع ، وهما من الرخام والمرمر ، ومكتوب فيهما : أنا بنتهما بملكي ، فمن
يدعي القوة في ملكه فليهدمهما ، فإن الهدم أيسر من البناء . عن سيدنا عليّ في ذم
الدنيا : أشرف لباس نبي آدم لعاب دود ، يعني الحرير ، وأشرف شراهم رجيع النحل ،
يعني العسل . ويحكى ان سليمان عليه السلام ، والاسكندر ، وأرسطاليس ، صنع كل
منهم بيوتاً من زجاج لينظر الى كيفية خروج العسل منها ، هل يخرج من فمها أو من
أسفلها ، فلم يصنع النحل من العسل شيئاً ، حتى لطخ باطن الزجاج بالطين بحيث لا يراها
أحد . قيل وسمي نحلاً لأن الله نحل العسل الذي يخرج من بطونها للناس ، نقله النووي
في « تهذيب الأسماء واللغات » .

قال المسعودي في كتاب « أخبار الزمان ومن أباده الحدثان » : وكان المأمون لما دخل
الديار المصرية أراد هدمها ، فلم يقدر على ذلك ، فاجتهد وأنفق أموالاً عظيمة ، حتى
فتح أحدهما طاقة صغيرة ، فوجد خلف الطاق من الأموال قدر الذي انفق ، وكتاباً
فيه : قد علمنا أنك تأتي في عصر كذا ولا تستطيع أكثر من ذلك ، فجعلنا لك ما

(١) البيت للفخر الرازي - على ما قيل - صاحب التفسير الكبير ، والذي نحفظه :
سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا . وأول الأبيات
نهاية إقدام العقول عقال
وغاية سمي العالمين ضلال

أنفقت فلا تتعب . فأنشد المأمون في ذلك :

انظرُ إلى الهرمين واسمعُ منهما
لو ينطقان تحبيرانا بالذي
ما يرويان عن الزمان الغابر
فَعَلَّ الزمانُ بأوّل وبآخِر

ومن ذلك ما يحكى أن المنصور لما أفضت الخلافة اليه ، همّ بتقضى إيوان المدائن^(١) فوافقه أصحابه على ذلك ، الا رجلاً من الفرس فإنه قال : تعلم يا أمير المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من تلك القرية ، وكان له فيها مثل ذلك المنزل وتلك الحجر ، فخرج أصحابه مع ضعفهم الى صاحب هذا الايوان مع عزته وصعوبة أمره ، فأخذوه من يده قهراً وقتلوه ، فمن نظر إليه علم قوّة صاحبه وأنّ الذي استولى عليه إنّما أخذه بمدد من الله تعالى ، فلا يشك في تأييده ، فاتهمه المنصور لقرابته^(٢) ثم أخذ في هدمه ، فخرج على نقض شيء يسير منه جملة من المال ، فعدل عما كان أراده .

وقد أكثر الشعراء من ذكر الأهرام فمن ذلك للمتنبي :

أين الذي الهرمان من بنيانه
ما قومُهُ ما يومُهُ ما المصرع
تتخلف الأيام عن أصحابها
حيناً ويدركها الفناء فتصرع^(٣)

الفقيه عمارة اليميني :

خليليّ ماتحت السماء بنية^(٤) تماثل في اتقانها هرمي مصر
بناء يخاف الدهرُ منه وكلّ ما
على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

(١) اي ايوان كسرى ، وما زالت منه بقية الى الآن .

(٢) يعني لانه فارسي ، فتوهم انه يود الإبقاء على آثار قوميه .

والرجل خالد بن برمك - ابو يحيى وجد جعفر والفضل . . ابنا يحيى ، فخالد جد البرامكة - وانما أراد المنصور هدم الايوان ليستعين بحجارته على اتمام عمارة بغداد ، فلما عدل عن متابعة هدمه قال له خالد : اني لا ارى لك ان تبطل ذلك ، لكلا يقال انك عجزت عن تحريب ما بناه غيرك . فلم يلتفت المنصور الى ذلك وترك هدمه .

(٣) من قصيدته بمصر في رثاء أبي شجاع فائك المتوفي سنة خمسين وثلاثمئة والتي اولها :

والدمع بينهما عصي طبع

الجزن يقلق والتجمل يردع

وفي البيت تحوير قليل ، اذ هو كما يلي :

حيناً ويدركها الفناء فتتبع

تتخلف الآثار عن اصحابها

(٤) بنية والبناء بمعنى .

تنزه طرفي في بديع بناؤها ولم ينتزه في المراد بها فكري
وقال :

تبيّن أنّ صدر الأرض مصر ونهداها من الهرمين شاهد
فيا عجباً وقد ولدت كثيراً على هرم وذاك النهدي ناهد^(١)
آخر :

قد علا نيل مصر في زيادته حتى لقد بلغ الأهرام حين طما
فقلت هذا عجيب في دياركم ان ابن ستة عشر يبلغ الهرما^(٢)
وقال آخر :

مصر التي لحسنها قد قيل فيها إرم^(٣)
لما جفت عشاقها بدا عليها الهرم
وقال سيف الدين بن جباره :

لله أي عجيبة وغريبة في صنعة الأهرام للألباب
أخفت عن الأسماع قصة أهلها ونضت على الأبداع كل نقاب
فكأنما هي كالحيام مقامة من غير ما عمد ولا أطناب

ومنها عين شمس ، وهي شمالي القاهرة ، وكانت في القديم دار المملكة ، بها الآثار الهائلة ، والبلسان الذي لا ينبت الا بها ، وهو بستان طوله ميل في ميل ، والسر في بئر أن المسيح عليه السلام اغتسل فيه ، كذا في « الحريدة ». وفي الآثار عين شمس مدينة كانت بمصر ، وهي محل سرير فرعون ، بالجانب الغربي من النيل ، والآن انطمست عمارات فرعون بالرمل ، وهي بقرب الفسطاط ، قيل بها قادت زليخا قميص يوسن . ومن عجائبها أن بها عمودين مثبتين على وجه الأرض من غير أساس ، طول كل

(١) شبه مصر بامرأة ، نهداها الهرمان . والهرم في البيت الشيخوخة وتقدم السن .
والهند الثدي (لبروزه وارتفاعه) وناهد ، مشرف منتبهر

(٢) البيت الاول صحيح الوزن ، لانهم يجيزون حذف سبب من اول البسيط - البيت الاول فقط - .
ولك اذا شئت ان تقول : وقد علا

(٣) إرم ذات العماد !

منهما خمسون ذراعاً فيهما صورة إنسان على دابة وعلى رأسها (١) شبه الصومعتين من نحاس ، فإذا جرى النيل رشحا و قطر الماء منهما ، ولا تجاوزهما الشمس الا في الانتهاء ، فإذا نزلت أول دقيقة من الجدي - وهو أقصر يوم في السنة - انتهت الى العمود الجنوبي ، و وقعت على قبة رأسه ، وإذا نزلت أول دقيقة من السرطان - وهو أطول يوم في السنة - انتهت الى العمود الشمالي و وقعت على قبة رأسه ، ثم تطرد بينهما ذاهبة وآية ساير السنة ، ويرشح منهما الماء و ينزل الى اسفلهما (٢) ، فينبت العوسج وغيره من الشجر .

قيل : و بها تماثيل عملتها الجن لسليمان عليه السلام .

ومن عجائب مصر ، بل من عجائب الدهر ، نهر النيل الذي ليس على وجه الأرض أطول منه (٣) ، لأن مسيره شهر في بلاد الاسلام ، و شهران في بلاد النوبة ، و أربعة أشهر في الخراب ، إلى أن يخرج ببلاد القمر خلف خط الاستواء ، و ليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب الى الشمال ، ويمد في شدة الحر عند انتقاص المياه ، ويزيد و ينقص بترتيب ، الا النيل ، و نهر مهران ، وهو بالسند ، عرضه عرض جيحون ، يجري من المشرق إلى المغرب ، و يقع في بحر فارس . كذا في (الخريدة) و سلف نقلاً من (الخطط) أن مصبه بحر القلزم .

فائدة : قال بطليموس إن بهذا الربع المسكون مائتي نهر ، كل نهر منها من خمسين فرسخاً إلى ألف فرسخ ، فمنها ما يجري إلى المشرق وإلى المغرب (٤) ، ومنها ما هو بالعكس ، ومنها ما هو من الشمال الى الجنوب ، ومنها ما هو بالعكس ، وكلها تبتدىء من الجبال و تصب في البحار بعد ارتفاع العالم بها ، وفي ضمن ممرها تتصور بطايح و بحيرات ، فإذا صبت في البحر المالح ، و أشرقت الشمس على البحار ، تصعد إلى الجوبخاراً ،

(١) في الاصل : فيها صورة إنسان على دابة وعل رأسها . .

(٢) في الاصل : أسفلها

(٣) لو قال : فيما أعلم ، أو : فيما بلغني ، لكان اجمل به ، فليس النيل ، كما تعلم ،

بأطول انهار الارض .

(٤) العبارة غير مستقيمة ، وكأنها يجب ان تكون :

فمنها ما يجري من المشرق الى المغرب . .

أ و تنعقد غيوماً ، ابدية كالدولاب الدائر ، فلا يزال الأمر كذلك حتى يبلغ الكتاب أجله ، إنتهى من (الخريدة) . وقال صاحب (مباهج الفكر) : مجموع ما في المعمور من الأنهار مائتان وثمانية وعشرون ، حكاها السيوطي .

وقد اختلف في ضبط جبل القمر ، فقيل هو بفتح القاف والميم ، بلفظ أحد النَيِّرَيْن^(١) ، وإنما سمِّي بذلك لأن العين تقمر منه اذا نظرت اليه لشدة بياضه ، وهو جبل مستطيل من الشرق الى الغرب ، كذا في (المحاضرة) . وفي (مختصر المسالك) أن اناساً انتهوا إلى الجبل وصعدوه ، فرأوا وراءه بحراً عجائماً ماؤه أسود كالليل المظلم ، يشقه نهر أبيض كالنهار ، يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من شماله ، ويتشعب على قبة هرمس التي بناها فيه لما بلغه . وقيل إن أناساً صعدوا الجبل ، فصار كل واحد يضحك ويصفق ويلقي نفسه الى ما وراء الجبل ، فرجع البقية خوفاً من أن يصيبهم مثل ذلك^(٢) . وقيل إن أولئك إنما رأوا حجر الباهت ، وهي أحجار براقية من رآها لا يزال يضحك ويلتصق بها حتى يموت . وقيل إن بعض الملوك جهّز قوماً للوقوف على أول الليل ، فانتهوا إلى جبال من نحاس ، فلما طلعت عليها الشمس انعكست

(١) اي القمر . والنيران هما الشمس والقمر .

(٢) الله أعلم بصحة هذا الخبر ، وأمثاله من الاخبار التي ترد دون دليل يستطاع الركون اليه . . . الا ان هذا الخبر - اذا صح - يمكن ان يكون وجهه كما يلي : يتألف الهواء ، المحيط بالارض ، والموجود في كل مكان منها ، من غازات أهمها غازا الاوكسجين والآزوت « النتروجين » واثنيهما اربعة امثال الاول تقريباً ، ويشكلان ٩٩٪ من الهواء . فاذا حدث في هذا الخليط شرارة كهربائية اتحد بعض الاكسجين ببعض الآزوت وشكل مركبات من الآزوت والاكسجين ، منها غاز لا لون له ولا رائحة يسمى الغاز المضحك ، لأن الذي يشمه يأخذ في الضحك ، لاسروراً وابتهاجاً ، وانما لان هذا الغاز يشل اعصاب القم بنوع من الفاليج ينتهي غالباً بالموت ، نسأل الله العفو والعافية .

فيحتمل ان يكون ذلك الجبل من المناطق التي يكثر فيها حدوث البرق الذي يؤدي الى تشكيل كيات من هذا الغاز ليست بالقليلة ، ولا سيما اذا صادف ذلك قبيل صعود القوم الجبل فاذا استنشقوا الغاز المضحك ، اخذوا - رغمًا عنهم - في الضحك حتى اذا وقع بهم الفاليج اذا بهم يقعون ، وهم على الجبل ، فيتندرجون ويهونون ، فيتهم من يراهم انهم يشبون فيساقطون .

ونعود فنقول ان هذا ليس اكثر من محاولة للتعليل وإلا فان العلم المادي الضئيل المحدود ، لا يملك تفسير الاحداث التي لانستطيع حصرها والتي يوج بها هذا الكون الضخم . . .

وعلم الله ، وقدرة الله ، لا يحيط بهما علم بشر ولا قدرة إنسان !

عليهم أشعتها الواقعة عليها فأحرقتهم، كذا في (المحاضرة) . وفي كتاب (كنز الأسرار) : جبل القمر، سمّي به لثلوثه بزيادة القمر في كل ليلة، ففي أوّل ليلة يعلوه نور ابيض، وفي الثانية يعلوه نور اصفر كضعا الشمس، فيتلون كل ليلة إلى ليلة البدر، فيكون كذنب الطاووس، ومنه يخرج النيل، وطوله إلى بحر الروم ألف فرسخ وأربعون فرسخاً، وفي (الخطط) جبل التّممر، بضم القاف وسكون الميم ثم راء مهملة، طوله أربعة أشهر، في عرض عشرين يوماً، إلى أقل من ذلك، ويحاذي جزيرة سرنديب، وفيه بلاد كثيرة، منها قمرية، واليها ينسب الطاووس القمري، وفي موضع آخر : جبل القمر، جبل عال، وإنما سمّي جبل القمر، لأن القمر لا يطلع عليه، لأنه خارج عن خط الاستواء باثنتي عشرة درجة، والنيل يخرج من تحته، انتهى. ولا خلاف في إقبال النيل من أرض الحبشة، وخبر حامد بن أبي شالوم ابن العيص بن إسحاق بن ابراهيم عليه السلام في ذلك مستفيض، حكاه السيوطي في (المحاضرة) بإسناده، ونقله في (الهيئة السنية)، ورواه ابن الوردي في (الخريدة). قال : في (آثار البلاد) : وسبب مدّ النيل، أن الله تعالى يبعث ريح الشمال، فتقلب عليه البحر المالح، فيحلو ويزيد حتى يعم الروابي والعوالي، ويجري في الخليجان والمساقى، فاذا بلغ الحد الذي هو تمام الريّ، بعث الله تعالى ريح الجنوب فأخرجته الى البحر المالح. قال السيوطي : وتسمّى هذه الريح التي تقلب عليه البحر المالح بالملكتن^(١) بفتح الميم وسكون اللام وفتح المثناة الفوقية بعدها نون، وفي ذلك يقول الشاعر :

إشفع فلكلشافع أعلى يداً عندي وأسنى من يد المحسن
فالنيل ذو فضلٍ ولكنّه الشكر في ذلك للملتن

فائدة: الرياح أربع كما أشار إليه الرئيس بقوله : درّستُ بتكرار الرياح

(١) شرح المؤلف الملتن بنفسه، وقد سبق أن تحدث عنه في صفحة (١٢) وقد علقنا هناك بكلام

يسير، شرحنا فيه شرح المؤلف بعض الشرح !

الأربع^(١) الشّمال : ومبدؤها من نقطة الشمال الى نقطة الغرب ، والدّبور بفتح الدّال ، ويقال لها الغربية ، منها الى نقطة الجنّوب بفتح الجيم ، والجنّوب تسمى القبليّة ، كما تسمّى الشّمال الشّامية ، منها الى نقطة المشرق ، والصّبّا يقال لها القبول والشرقية ، منها الى نقطة الشمال^(٢) وقد دار الدور وحرّ الدّاير .

وبي ظبية تحكي النسيمَ لطافة ولكن حظّي من محاسنها الهجر
إذا رُمّت أن أسلو هواها يهيجني نسيم الصبا من حيث يطّلع الفجر

وما بين هذه الامهات فهي نكباء ، وأسمائها كثيرة . ولا تدخل ربح على أخرى في حدّها ، وأشرفها الصّبّا ، ولما اشتملت عليه من اللطف والطيب ، اتخذها أهل المحبة رسولا الى الاحباب^(٣) ، ومن محاسن ما كتب به ابن عبد الظاهر إلى والده ، وكان حصل له ضعف ، وذلك قوله :

إن شئت تبصرني وتبصر حالتي قابل إذا هبّ النسيمُ قبولا
تلقاه مثلي رقة ونحافة ولا أجل قلبك لا أقول عليلا

(١) الرئيس ، او الشيخ الرئيس ، هو ابن سينا ، ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البخاري الذي ترأس في أكثر من فن ، لاسيا الطب والفلسفة ، وكتابه « القانون » بقي في اوربا المرجع الوحيد في الطب وفي تدريسه في جامعاتهم قروناً عديدة . .

والشطر الذي أورده المؤلف ، من قصيدته الرمزية الفلسفية المشهورة ، عن النفس ، والتي مطلعها :
هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تحجب وتمنع
مات ابن سينا سنة ثمان وعشرين وأربعمئة عن ثمان وخمسين سنة .

(٢) والعرب كانوا ، منذ القديم ، بارعين في استشمام هذه الرياح ، ومعرفة صفاتها وآثارها . .
وتنسب لعدى بن زبير العبادي — شاعر جاهلي حضري — قصيدة جميلة يتحدث فيها عن الملوك الغابرين فيقول :

أين كسرى ، كسرى الملوك انوشر وان أم أين قبله سابور ؟
ويذكر غير كسرى وغير سابور ذى الاكتاف من الملوك وأعمالهم وآثارهم . . ليقول أخيراً :
ثم صاروا كأنهم زهر جف ففألوت به الصبا والدبور
ترى اما من عدي آخر ، يذكر أهل هذا العصر ؟

(٣) معنى تحكي في البيت الاول من البيتين السابقين : تشابه . وللصبا موقع خاص من العشاق ومنزلة رفيعة لدى رقيقي الشعراء ، فيقول مهيار :

يانسيم الصبح من كاظمة شد ماهجت الجوى والبرجا
الصبا إن كان لا بد الصبا إنها كانت لقلبي أروحا

فهي الرسول اليك مني ليتني
قال ابن حجة :

قوله « ولأجل قلبك » فيه ما يفتت الاكباد ، ويحرك الجماد ، وإن من البيان لسحرا .
روت الصبا عنكم حديثاً طيباً
فلذلك أصبحت الصبا تُسْتَنْشَقُ
وتعطرت نفحاتها من نشرِكم
فلذلك أضحى الكونُ منه يَعْبَقُ

وقال :

قد سألتُ النسيمَ وهو خير
قلت : قل لي هل ورد خديك غض؟
بسؤالي إذ غاب وجهك عني
قال : قد ضاع نشره . قلت : مني (٢)

ابن نباته :

مسموعٌ لفظك في القلوب مُمَكَّن
حُفِظَتْ فوائدهُ وضاعَ نسيمه
في الحبِّ فوقَ تمكَّنِ الملاحظ
فاعجب له من ضائعٍ محفوظ

وقال :

يداوى أسي العشاق من نحو أروضكم
بروحي من ذاك النسيم إذا سرى
نسيمٌ صبأً أضحى عليه قبول
(طبيب يداوي الناس وهو عليل)

(١) هذا النوع من التضمين مما لا يستساغ بقياس الإسلام ، فالقرآن أشرف وأعظم وأجل من ان يستعمل امثال هذا الاستعمال ، ولا يجوز استعمال القرآن الا فيما جعل له وأنزل من اجله ، ولا يجوز تلاوته او كتابته الا في الموضوع الملائم والجو الملائم والشكل المناسب والأدب اللازم ، والفقهاء ما كانوا يمتنعوا استعمال الذكر في الاغراض العادية من مثل قول بائع الكمك : الله كريم ، ونداء بائع الخس : الله الدائم؟ . وتحذير من يرقى على سطحه بقوله : يا الله لتحتجب جاراته . .

ما كانوا يمتنعوا استعمال الذكر في الاغراض الدنيوية ثم يجوز استعمال القرآن في الاغراض الدنية ، واذا كنا نربأ بالقرآن ان يعلق على جدران الدور او نحور ذوات الحسور وما يدفع لهذا الا التعلق والتبجيل والاعتزاز ، فما أحرانا ان ننزه كتاب ربنا الذي انزله نذيراً لنا بين يدي عذاب شديد ، عن امثال هذه المواطنين التي يستهين بها كثير من الناس ، والتي هي مواطن عادية ، وإلا فلو كانت من اغراض المجون أو مواطن الاستهزاء ، فقد صرح العلماء بكفر من يفعل ذلك والعياذ بالله .

وانظر رسالة « الفاظ الكفر » من مطبوعات المكتب الاسلامي .

(٢) ضاع : انتشر . (ضاع يضيع ضوعاً) . والنشر : الريح الطيبة .

وقال آخر :

وكم لي اذا هبّ النسيم تحية
وعندي من الأشواق ما لا يزيله
إلى نحوكم لو أنّها تتكلم
سوى قربكم لا أوحش الله منكم

الحاجبي :

لا تبعثوا غير الصبا بتحية
حفظت أحاديث الهوى وتضوّعت
ما طاب في سمعي حديث سواها
نشرأ فيا لله ما أذ كاهها

وقال آخر :

يا طيب ما جاء النسيم بعرفكم
حمّته منّي السلام عليكم
وحدِيثه عنكم حديث مُرسل^(١)
فأطاعني لکنه يتعلل

الصفدي :

يا طيبَ نشرِ هبّ لي من أرضكم
أهدى تحيتكم وأشبّه لطفكم
فأثار كامنَ لوعتي وتهتكلي
وروى شذاكم إنّ ذا نشر ذكي

ابن أبي حجلة :

يا طيبريح سرى من نحوكم سحرا
كم ذا أعلل قلبي بالنسيم وما
لولا تلافيه قلبي في الهوى تلفا
أرى لداء غرامي في الهواء شفا

(لطيفة) حكى العلامة الزمخشري في الكشاف ، أن ریح الصبا ، هي التي تبلغ
الانباء للأنبياء عليهم السلام . وذكر الواحدي في تفسيره (الوسيط) أن ریح الصبا هي
التي أرسلت ریح يوسف إلى يعقوبَ عليهما السلام ، قاله عند قوله : «إني لأجد ریح
يوسف» . ولذلك تجد العشاق يستخدمون هذه الریح في حمل السلام ، كما قيل :

أستخدمُ الریحَ في حمل السلام لكم
كأنّ يعقوبَ أنباني بقصته
كأنّما أنا في عصري سليمانُ
فللصبا عند قلب الصبّ أشجانُ

(١) مرسل اسم مفعول من أرسل ، اي ان الحديث الذي جاء به النسيم ، مرسل من قبلكم ، إلا
ان الحديث المرسل ايضاً في مصطلح الحديث ، هو الحديث ، الذي لم يرفع الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانما بقي موقوفاً على الصحابي او التابعي . وفي الاخذ بالاحادِيث المرسله ، خلاف بين
الفقهاء معروف .

ما أطف ما قال :

إن كانت العشاقُ من أشواقهم
فأنا الذي أتلو عليهم ليتني
قيل وتليها الشمال في الفضيلة ، ولها ذكر في الأشعار ، فمن ذلك لأبي نُوَاس :
هَبَّتْ لَنَا رِيحٌ شَمَالِيَّةٌ
أَدَّتْ رَسَالَاتِ الْهَوَى بَيْنَنَا
عرفتها من بين اصحابي

فائدة : في تفسير الفخر الرازي : الرياح ثمان ، أربع منها عذاب ، وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم ، وأربع منها رحمة ، وهي النَّاشِرَات والمبشِّرَات والمُرْسَلَات والذاريات . ومن الآثار عندها : اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها وشرّ ما أرسلت به .

وقال : الموجود ، ينقسم الى واجب لذاته ، وإلى ممكن لذاته ، وهو ما سوى الباري تعالى ، وهو المسمّى بالعالم ، وينقسم الى ما هو متحيز وإلى ما هو صفة للمتحيز وإلى ما ليس بمتحيز ولا صفة له ، والقسم الأول إما ان يقبل القسمة وهو الجسم ، أو لا يقبلها وهو الجوهر ، والذي يقبل ينقسم الى الاجسام العلوية والاجسام السفلية ، وهي إما بسائط وهي العناصر الأربعة^(١) ، وإما مركبة وهي المواليذ التي هي المعادن

(١) العناصر الاربعة هي التي كانوا يزعمون ان جميع الاجسام تتألف منها ، وان الاجسام انما تختلف عن بعضها بحسب النسبة التي يدخل فيها كل من هذه العناصر فيها . وكان علماء اليونان — بعد ان كانوا يتبنون ان الماء هو اصل جميع الاجسام — يقولون ان هذه العناصر الاربعة هي : الماء والهواء والتراب والنار ، وانها تنتج الصفات الاصلية الاربع ، فالرطوبة من الماء والهواء ، والجفاف من التراب والنار ، والبرودة من الماء والتراب ، والحرارة من النار والهواء . . ثم وجد الكيميائيون المسلمون ان هذه العناصر لا تكفي ، لوجود صفات في الاجسام لا تعني العناصر الاربعة في تفسيرها كالبريق ، والاحترق ، والنوبان ، فاضافوا الى العناصر الاربعة ثلاثة اخرى وهي : الزئبق — الذي ينتج اللعان — ، والكبريت — الذي يسبب الاحتراق — ، والملح — الذي ينجم عن وجوده النوبان . فاصبحت العناصر الاصلية عندهم سبعة .

ثم مرت قرون ، فظهر قبل قرنين ان العناصر ستة وثلاثون ازدادت بعد ذلك الى خمس وستين ، ثم اصبحت قبل نصف قرن اثنين وتسعين اولها الهدرجين وآخرها الاورانيوم . ثم عادوا فوجدوا — مع الحرب العالمية الثانية — ان الأمر لا يقف عند حد فاكشفوا عناصر اخرى ، حتى اصبحت عدد العناصر الآن ثلاثة بعد المئة . واكتشفوا ايضاً ان هذه العناصر ليست اصلية بكل معنى الكلمة ، ولكنها تتألف جميعاً من لبنات « أبسط » منها ، أبرزها البروتون والنيوترون والكهرب . .

ووجدوا ان ماتوهموه من مخرهم لبحر العلم ليس الا غروراً اجوف ، وأنهم ما زالوا بعد على الشاطيء ! ولكنهم لم يفتنوا بعد الى ان العلم ليس بهذه الأمور ، وان العلم المادي كله — ما عرفوه منه وما لم يعرفوه — ليس إلا بركة صغيرة الى جانب بحر العلم العظيم .

والنبات والحيوان . والقسم الثاني وهو ما هو صفة للمتحيز وهي الأعراض . والقسم الثالث وهو ما ليس بمتحيز ولا صفة له وهو الأرواح ، وهي إما علوية وإما سفلية ، والعلوية إما متعلقة بالأجسام وهي الأرواح الفلكية ، وإما غير متعلقة بالأجسام وهي القديمة ، والسفلية صالحة ومرددة . كذا في (كثر الأسرار) .

ذكر فضل النيل

قيل : لم يسم في القرآن نهر سواه ، وذلك قوله تعالى : « فألقيه في اليم » أجمع المفسرون على أن المراد باليم هنا النيل بمصر^(١) . وعن كعب : أربعة أنهار من أنهر الجنة في الدنيا ، فالنيل نهر العسل في الجنة ، والفرات نهر الخمر في الجنة ، وسيحان نهر الماء في الجنة ، وجيحان نهر اللبن في الجنة . وعن ابن عباس رضي الله عنه : أنزل الله تعالى من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار^(٢) : سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل ، أنزلها من عين واحدة من الجنة ، من أسفل درجة من درجاتها ، على جناحي جبريل عليه السلام ، واستودعها الجبال ، وأجراها في الأرض بقدر ، فذلك قوله : « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الأرض » فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج ، أمر الله جبريل برفع من الأرض القرآن ، والعلم ، والحجر من البيت ، ومقام ابراهيم ، وتابوت موسى بما فيه ، وهذه الأنهار الخمسة ، يرفع كل ذلك الى السماء ، فذلك قوله : « وإنّا على ذهاب به لقادرون » .

(١) لعل الأولى ان يقال : لم يشر القرآن الى نهر سواه ، فان القرآن ذكر انهاراً كثيرة ولم يسم واحداً منها باسمه - من انهار الارض - لا النيل ولا غيره ، الا ان القرينة في « فألقيه في اليم » تبين انه النيل ، فليس في مصر ، حيث كانت ام موسى ، نهر كبير كاليم سواه . وبذلك يخرج نهر طالوت « فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر . . فييدو انه نهر في فلسطين ، ولكن اي نهر ؟

(٢) ورد ذكر الانهار النازلة من الجنة في احاديث صحيحة ، وان كان ما اذكره منها يذكر أنها اربعة انهار : دجلة والفرات وسيحون وجيحون - بدون ذكر النيل - ولعل الجنة التي تنزل منها هذه الانهار هي الجنة التي كان فيها آدم قبل ان يهبط الى الارض ، والخلاف في محل هذه الجنة ، أهي في الارض ، أم هي جنة الآخرة ، خلاف قديم ، ولكل أدلته ، وان كانت أدلة من يقول انها في الأوض تبدو ارجح واقرب .

فاذا كان ذلك كذلك ، فينتج عن ذلك ان اواسط آسيا الى هضبة ارمينيا ، كان من جنة الارض . والله تعالى أعلم .

ذكر ما قيل في النيل من الأشعار البديعة والمعاني المنيعه .

فمن ذلك للصفدي :

رأيتُ في أرض مصر إذ حللت بها عجائباً ما رآها النَّاسُ في جيل
تسودّ في عيني الدنيا فلم أرها تبيضّ إلا إذا ما كنتُ في النيل
ابن أبي حجلة :

النيلُ زاد زيادة قد آدنتُ من كل باسقة النخيل بطلعها
ولكم به من مركب في الجوّ قد أضحى عمود الصبح صاري قلعها
الوراق :

هجم النيل في البيوت على النَّا س وثنى فيهم بقطع الطريق
ثقب الدور والبساتين لمّا جاء يسعى من كل فجٍّ عميق
ابن اللبان :

مررت بشاطى النيل والماء مولع بلثم ثناياه ييوس ويصدر
فخلت فضول الموج في الشط بردة بحاشية بيضاء تطوى وتنشر^(١)

غيره :

أما ترى البحرَ ما أحلى شمائله والموج يضرب برا ثمّ ينحرف
كأنّه ملك تأتي الجيوش له تقبل الأرض طوعاً ثمّ تنصرف

(١) شاطيء النيل - تلفظها شاط النيل - اصلها شاطيء ، وحذفت الهمزة ليستوي وزن البيت فلا يكسر ، وللشعر ضرورات .

ومولع : من الولع بالشيء وهو حبه والتعلق الشديد به . والثنايا : اسنان مقدم الفم وتليها الانياب ثم النواجذ . ثم الاضراس . .

واليوس : التقبيل (معرب بوش بالفارسية) . والصدر يقابل الورود ، فورود الماء إتيانه ، والصدر الانصراف عنه .

الفضول البقايا .

والبردة ضرب من الثياب والجمع برود .

والطى والنشر معروفان .

ابن تميم :
يومٌ لنا بالنيل مختصر
فكأتما أواجه عكّن
ولكلّ يوم مسرةٍ قصر
وكأتما داراته سرر^(١)
التقى السبكي :

لعمرك ما مصر بمصر وإنّما
وأبناؤها الولدان والخور عينها
هي الجنة العليا لمن يتفكر
وروضتها الفردوس والنيل كوثر^(٢)
علي المغربي :

أيا ساكني مصر غدا النيل جاركم
وكان بتلك الأرض سحرو ما بقي
فألبسكم تلك الحلاوة في الشعر
سوى أثر يبدو على النظم والنثر
البدر البشتكي :

رعى الله مصر كم بها من مسرةٍ
رويتُ الهنا عن سدّها يوم كسرّها
ومنزّل أنسٍ لاح كالطالع السعد
فها أنا مهما عشتُ أروي عن السدّ^(٣)
وقال :

شرب على مقياس مصر وغنّ لي
وافخر بمصر على البلاد فنيّلها
من روضة المعشوق في عشاق
يلو على الأوصاف باستغراق

لطيفة : ركب الأمير تميم بن المعز ليلة في النيل ، فمر ببعض الطاقات المشرفة
على النيل ، فسمع جارية تغني وتشد :

نبّهتُ ندماني بدجلة موهنا
والبدر يضحك وجهه في وجهها
والنجم في أفق السماء معلق
والماء يرقص حولها ويصفق

فطرب عليها ، ولم يزل يشرب حتى انصرف وهو لا يعقل ، فلما أصبح قابل
ذلك النظم بقوله :

(١) عكن البطن طياته . وسرر جمع سرّة . وتشبيه صدر النهر بالبطن واضح .

(٢) الخور جمع أحور وحوراء ، وقد مر . والعين ، بكسر العين ، جمع أعين وعيناء : الذي
عظم سواد عينه في سعة وفي سورة الواقعة « وخور عين » وهذه الصفة مستحبة في البشر والبقر ،
يمدحان بها ، وللشماخ :

إذا الارطى توسد أبرديه
خسود جوازىء بالرمل عين

والروضة حي في القاهرة بين فرعين للنيل ، لذا تسمى أيضاً جزيرة الروضة ، وفيها كانت دار الجلال
السيوطي التي فيها اعتكف وألف .

بموج يزيد ولا ينقص
معاطف غانية ترقص

شربنا على النيل في مدّه
كأنّ تكائف أمواجه

ابن أبي حجلة :

فراق بنيل مصر ما تكدر
فشارب روضها بالعشب أخضر^(١)

قدمت على السلامة من دمشق
إذا ما احمرّ ماءُ النيل فيها

ابن الصاحب :

بالنيل مذولّي خلت
فبعده ترملت^(٢)

كانت لمصر بهجة
كأنّه زوج لها

قصة ظريفة :

أخرج البيهقي في (شعب الايمان) : عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : غار النيل على عهد فرعون ، فأثاه أهل مملكته فقالوا : أيها الملك أجز لنا النيل ، قال : إنّي لم أرض عنكم ، فذهبوا ، ثم أتوه فقالوا : يا أيها الملك ، ماتت البهائم ، وهلك الأبقار ، إن لم تجر لنا النيل لتتخذنّ إلها غيرك ، قال اخرجوا الى الصعيد ، فخرجوا ، ففتحني عنهم بحيث لا يرونه ، فألصق خده بالأرض وأشار بالسبابة^(٣) ثم قال : اللهم إنّي خرجت اليك مخرج العبد الذليل ، إنّي أعلم أنك تعلم أنّي أعلم أنه لا يقدر على إجرائه غيرك فاجره ، قال فجرى النيل ، فخرّوا له سجداً ، وعرض جبريل عليه السلام فقال : أيها الملك أعني على عبدي ، قال : وما قصته ؟ قال : عبد لي ملكته على عبيدي وخولته مفاتيحي فعاداني ، فأحب من عاديت ، وعادى من أحببت ، قال بثس العبد عبدك ، لو كان لي عليه سبيل لغرقته في بحر

(١) اهمه واغمه وكدر مزاجه فراق دمشق ، فلما رأى النيل - الكدر بالطمي - راق ببهجة منظره ماتكدر من مزاجه .

ثم يقابل بين ماء النيل الاحمر - بالطين والطمي - والرياض المعشوشبة الخضر . فاستعمل « شارب » التي تعني ان الروض شارب من ماء النيل فمخضر بسبب ذلك . وتعني ايضاً ان شارب الروض ولحيته ايضاً قد ظهرا أخضرين .

والعشب الحشيش اي الكاذ الرطب .

المعنى البعيد المراد من قوله « ترملت » انها اصيحت قفراء ، والمعنى القريب : انها اصيحت ارملة .

(٢) اي اصيحت ارملة فصارت مرملة .

(٣) هي عند فرعون ومن هم بسبيله اشبه (السبابة) ، اما عندنا فتدعى (المسبحة) .

القلزم ، فقال : أيها الملك أكتب لي كتاباً ، فدعا بكتاب وكتب : ما جزاء العبد الذي خالف سيده فأحبّ من عادى وعادى من أحبّ إلا أن يُغرق في بحر القلزم ، فقال : أيها الملك اختمه ، فختمه ثم دفعه إليه ، فلما كان يوم البحر ، أتاه جبريل بالكتاب وقال له : خذ ، هذا ما حكمت به على نفسك ، انتهى . من (المحاضرة) وفي ذلك قيل :

ولمّا طغى فرعونُ جهلاً وقومهُ
أتى نحوهم موسى وفي يده العصا
وجاء إلى مصر ليفسد في الأرض
فأغرقهم في اليمّ بعضاً على بعض
حكاية لطيفة :

فرعون موسى عليه السلام هو مصعب بن الريان ، قيل من بقايا عاد ، وقيل كان عطارا أصفهانياً ركبته الديون ، فخرج الى الشام فلم يتيسر له المقام بها ، فدخل مصر فرأى أهلها متروكين سدى ، وكان وقع بها وباء عظيم ، فتوجه نحو المقابر فرأى ميتاً يدفن ، فتعرّض لأوليائه . وقال : أنا أمين المقابر فلا يدفن إلا بخمسة دراهم ، فدفعوها إليه ، ومضى لآخر وآخر ، حتى جمع مالا عظيماً ، إلى أن تعرّض يوماً لأولياء ميت ، فمنعوه ورفعوه الى فرعون مصر ، فقال : من أنت ومن أقامك ؟ فقال : لم يقمني أحد ، وإنما فعلت ذلك لأنبّهك على اختلال مملكتك ، وإني جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال ، فأحضره ودفعه إليه وقال له : ولستى أمورك ترني أميناً ، فولاه ، فسار بهم سيرة حسنة ، فاستقامت أحوالهم ، فلما مات فرعون أقامه مقامه ، فكان من أمره ما كان . وبينه وبين فرعون يوسف عليه السلام - وهو الريان - أكثر من أربعمائة سنة . وحكى ابن أبي حجلة : أن مدة ملك فرعون كانت أربعمائة سنة ، وعاش نيّفاً وستمائة سنة لم ير في حياته مكروها ، ولم يزل مخولاً في نعم الله تعالى ، حتى أخذه الله « نكال الآخرة والأولى » وكان قصيرا وطول لحيته سبعة أشبار ، كذا في (السكردان) .

ومن محاسن مصر :

الروضة ، قال المقرئزي : وتطلق في زماننا على الجزيرة التي هي بين مدينة مصر ومدينة الجيزة ، والجزيرة كلّ بقعة في وسط البحر ، سميت بذلك لأنها جزرت ، أي قطعت عن معظم الاعظم ، والنيل دائر عليها ، وفيها من الثمار

والبساتين ما ليس في غيرها ، وهي متتزه أهل مصر ، وفيها قيل :

أرى سوح الجزيرة من بعيد
كأحداق تغازل بالمغازل
كأن مجرة الجوزاء حطت
وأثبت المنازل في المنازل^(١)
وللأسعد بن ممتي :

جزيرة مصر لاعدتك مسرة
ولا زالت اللذات فيك اتصاها
فكم لك من شمس على غصن بانه
يميت ويحيي هجرها ووصاها
ومنها خليج مصر ، وهو بظاهر القسوطا ، ويمر من غربي القاهرة ، وهو أقدم
خلجان مصر الثمانية ، احتفر أيام هاجر ، وكان مصبه القلزم الى أن قدم^(٢) محمد

(١) سوح — وكذلك ساح وساحات — : جمع ساحة . واحداق العيون جمع حدقة .
والحجرة — وتسمى درب التبان — مجموعة هائلة من النجوم ترى لبعدها كالغبار في السماء ، اذ
يزيد بعدها على مئات الالوف من السنين الضوئية — والسنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء خلال
سنة من الزمن ، مع العلم ان سرعة الضوء ثلاثمئة الف كيلو متر في الثانية الواحدة — وفيها ملايين
الملايين من النجوم التي يفوق معظمها الشمس في العظم .
والجوزاء : احد البروج ، وهو ايضاً نجم في السماء ، كثير اللعان ، يضرب المثل بارتقاعه ،
يقول المتنبى في وصف جيش سيف الدولة :

خميس بشرق الارض والغرب زحفه
وفي أذن الجوزاء منه زمازم
والمنازل بالنسبة الى القمر كالبروج بالنسبة الى الشمس .
اي ان كل قسم من اقسام فلك الشمس — اي مدارها — يسمى برجاً . وكل قسم من اقسام مدار
القمر يسمى منزلة .

(٢) كذا في الاصل : (قدم) والتحريف فيها جلي والمتسق مع السياق والسباق ان تكون:
قام ، وذلك ان محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى قام على المنصور — اي خرج عليه — بالمدينة ، وارسل
اخاه ابراهيم بن عبد الله فخرج في البصرة ، وكانت هذه الثورة من اهم ما اقض جانب المنصور قبل
ان يحمدها بدهائه وحزمه وأسه .

وأما هاجر ، التي يذكر ان الخليج احتفر في أيامها ، فهي رضي الله عنها جارية ابراهيم وام ولده
اسماعيل صلوات الله وسلامه عليهما وعلى انبياء الله اجمعين . وهي التي تركها وولدها اسماعيل بواد
غير ذي زرع ، فأصبحت تلك البقعة المباركة مكة ، وظهرت — عند قومي الوليد — زمزم ، وشرع
السعي بين الصفا والمروة — التي سعت هاجر بينهما — وبني البيت المعظم .

وهذا الخليج ، الذي احتفر منذ آلاف السنين^٣ ، كان يصل البحر الابيض بالبحر الاحمر ، اي نفس
الفكرة التي قاموا لأجلها باحتفار قناة السويس ، وطلبوا وزمروا للذكاء الكبير والفتنة الدقيقة والعمل
الواسع لدى السادة الغربيين ، ولم يريدوا من القنساء ، ما اريد من الخليج من خير ونفع ،
ولكنها — حتى قبل ان يشرف فرديناند دولسيس على احتفارها — انما قامت وسيلة للشر ، ومطية *

بن عبد الله بن الحسن العلوي بالمدينة ، فكتب الخليفة المنصور إلى عامله بمصر ، أن يطم هذا الخليج ، حتى لا يحمل الميرة من مصر إلى المدينة ، فطمّ وانقطع اتصاله بالقنزم ، ولما بنيت القاهرة بشرقيه صار يعرف بخليج القاهرة ، وتسميه العامة بالخليج الحاكمي ، وقال فيه الشعراء فاكثروا ، قال ابن الساعاتي :

وعلى السدّ عزة قبل أن تمه
كسروا جبره هناك فحاكي

لكه ذلّة المحبّ الخضوع
كسر قلب يتلوه فيض دموع

سبط الملك :

سدّ الخليج بكسره جبّر الورى
الماء سلطان فكيف تواترت

طُراً فكلّ قد غدا مسرورا
عنه البشائر إذ غدا مكسورا ؟

قال آخر :

لله درّ الخليج إن له
حسبك منه بأنّ عادته

تفضّلا لا يزال نشكره
يجبّر من لا يزال يكسره

وقال آخر :

كُسِرِ الخليج وكان ذلك نعمة
ومن العجائب والغرائب أنّه

سرّت قلوب العالمين بنشره
جبّرت قلوب العالمين بكسره

ابن تميم :

خليج كالحسام له صقال
ترى فيه الملاح تجيد عوماً

ولكنّ فيه للرائي مسرّه
كأنّهم نجوم في المجره

* للاستعمار ، وكان مهر مصر منها ، مقابل هذا الخير الذي قدمته للعالم الويلات والنكبات التي زاقتها على يد التاج البريطاني ، خدين السفاح للقناة .
والقاهرة التي يذكر بناءها شرقي الخليج ، بناها المعز لدين الله الفاطمي ، على يد قائده جوهر ، الذي فتح له مصر ، ولذا تسمى بالقاهرة المعزية ، وهي عاصمة مصر الآن .
أما الفسطاط ، الذي ذكره اولا ، فقد بناه - والبلدان تذكر وتؤنث - فاتح مصر العظيم ، الصحابي عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، الذي كان سبب هذا الخير الكبير ووسيلته الى مصر ، حينما حمل اليها الاسلام

ومن محاسنها: بركة الفيل ، التي كأنّها داره الهلال ، أو سماء تزينت مجرّتها بنجوم من الجمال ، ونحوها بركة الرطلي ، فإنّها لا تزال تبدي محاسنها وتملي ، انشد لنفسه التقي المقريري :

انظر الى بركة الفيل التي اكتنفت
كأنّما هي والأبصار ترمقها
وقال حسن التميمي :

بها المناظر كالأهداب للبصر
كأنّما ريحها قد أداروها على القمر
وأقيم بالبركة الفيحاء مدهقة
إذا النسيم جرى في مأها اضطربت

ومن محاسن مصر : المدرسة المنصورية ، قال السيوطي : أنشأها واليهمارستان الملك المنصور قلاوون ، وكان على عمارتها الأمير علم الدين سنجر الشجاعي ، فلما تمت ، دخل عليه الشرف البوصيري فمدحه بقصيدة أوّلها :

أنشأت مدرسة ومارستاناً
لتصحح الأديان والأبداناً

فأعجبه ذلك وأجزل عطائه . ورتّب في هذه المدرسة دروس فقه على المذاهب الأربعة ، ودرس تفسير ، ودرس حديث ، ودرس طب .

ومدرسة السلطان حسن بن ناصر محمد بن قلاوون ، شرع في بنائها سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، قال المقريري : لا يعرف ببلد الإسلام معبد يحكي هذه المدرسة في كبر قلبها أو حسن هندامها ، أقامت العمارة فيها مدة ثلاثين سنة ، لا تبطل يوماً واحداً ، ورُصد لمصروفها كلّ يوم عشرون ألف درهم ، عنها ألف مثقال ذهباً ، حتى قال السلطان : لولا أن يقال سلطان عجز عن إتمام ما بناه لتركت بناءها . وذرع إيوانها الكبير خمسة وستون ذراعاً في مثلها ، ويقال إنّه أكبر من إيوان كسرى بخمسة أذرع . وبها أربع مدارس للمذاهب الأربعة ، قال الحافظ ابن حجر في (أنباء الغمر) : وكان السلطان حسن أراد أن يعمل في مدرسته درس فرائض ، فقال له البهاء السبكي : هو باب من أبواب الفقه ، فأعرض عنه ، فاتفق وقوع قضية في الفرائض مشكلة فستل عنها البهاء السبكي فلم يجب ، فأرسلوا إلى الشيخ شمس الدين الكلاي ، فقال : إن كان الفرائض من أبواب الفقه فما له لا يجيب عنها ؟ فشقّ ذلك على البهاء وندم على

ما قال . وكان السلطان عزم على أن يبني أربع منائر ، فتمت ثلاثة ، إلى أن كان يوم السبت سادس ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، سقطت المنارة التي على الباب ، فهلك تحتها نحو ثلاثمائة نفس من الأيتام الذين كانوا قد رتبوا بمكتب السبيل ومن غيرهم ، فلهج الناس بأن ذلك ينذر بزوال الدولة ، فاتفق قتل السلطان بعد ذلك بثلاثة وثلاثين يوماً :

وقلما قيل ن شيء لمسألة إلا ويبدو لها في الناس من خبر
وفي هذه التواريخ ومدة العمارة تنظير .

ومن محاسن مصر : المدرسة المؤيدية ، قال السيوطي : انتهت عمارتها سنة تسع عشرة وثمانمائة ، وبلغت النفقة عليها أربعين ألف دينار ، واتفق بعد ذلك بسنة ، ميل المنارة التي بنيت لها على البرج الشمالي بباب زويلة ، فأكثر الشعراء من القول في ذلك ، قال الحافظ ابن حجر : وكنت قلت وانشدت بمجلس المؤيد :

لجامع مولانا المؤيد رونق منارته بالحسن تزهو وبالزین
تقول وقد مالت على البرج أمهلوا فليس على جسمي أضرم من العين

فأراد بعض الجلساء ، العبث بالشيخ بدرالدين العيني ، فقال إن فلاناً قد عرض بك ، فغضب واستعان بمن نظم له نقيضهما ونسبهما لنفسه ، وعرف كل من يذوق الأدب أنهما ليسا له ، لأنه لم يقع له قريب من ذلك :

منارة كعروس الحسن إذ جليت وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط ما أوجب الهدم إلا خسة الحجر

قلت : هما للتواحي الابرص لا بارك الله فيه ، انتهى . من (انباء الغمر) . وكان يقال ما أتى المرء إلا من نفسه ، وقال ابن النبية :

بجامع مولانا المؤيد أنشئت عروس سمت ما خلئت قطّ مثالها
وقد علمت أن لانظير لها انثنت وأعجبها والعجب عنا أمالها

ذكر بعض الحوادث الغريبة بمصر لما اشتملت عليه من الحكم :

حكى السيوطي في (المحاضرة) إن في سنة ست وستين من الهجرة ، وقع الطاعون بمصر ، وفي سنة سبعين كان الوباء ، وحكى ان بعض الزهاد قال : بلغني ما وقع ببغداد

من القتل الذريع ، فقلت يا رب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له ؟ قرأيت في النوم رجلاً في يده كتاب فأخذته منه فاذا فيه :

دع الاعتراض فما الأمر لك ولا الحكم في حركات الفلك^(١)
ولا تسأل الله عن فعله فمن خاض لجة بحر هلك

« ثم قال »^(٢) قلت^(٢) : أجرى الله عادته أن العامة اذا زاد فسادها وانتهكت الحرمات بينهم ، أرسل الله عليهم آية في اثر آية ، فإن لم ينبج ذلك فيهم ، أتاهم بعذاب من عنده ، وسلط عليهم من لا يستطيعون له ردّاً ولا دفاعاً ، انتهى . وأصل ذلك سرّ قوله تعالى : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) وما أحسن ما قال :

(١) الفلك هو فلك النجوم الذي فيه تدور ، والمقصد هنا بحركات الفلك ، حركات الكون وأحداثه ، التي قد لاتأتي على مرام الانسان ومراد الخلق ، ولكن حسبما قضى الله وقدر :
تقفون والفلك المحرك دائر وتقدرون فتضحك الاقدار

أما ما عجب منه وانكره الزاهد — من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ولعالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد — فقد أتى فيه — إن صح الخبر — من قلة علمه وفقهه ، وإلا لعلم جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة حينما قال — فيما رواه مسلم عن السيدة عائشة — : « يغزو جيش الكعبة ، فاذا كانوا بببءاء من الارض ، خسف بأولهم وآخرهم . فقالت عائشة رضي الله عنها : كيف يخسف بأولهم وآخرهم . وفيهم اسواقهم ومن ليس فيهم ؟ قال يا عائشة ، يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم » . والخطأ الذي وقع فيه الزاهد — ويقع فيه كثير من الناس الآن — انه توهم ان هذه الامور بلاء وعذاب ، مع ان المصائب الحققة ، هي ما يصيب ظالمي انفسهم في الآخرة من وبال ، وإلا فما ينزل بالناس في الدنيا ، قد يكون عذاباً وقد يكون اختباراً وقد يكون رحمة . وهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه حينما جاءه المسلمون ، لما وقع طاعون عمواس في الشام وقضى فيه كثير من الناس وفيهم ابو عبيدة رضي الله عنه ، جاؤوا اليه يسألونه ان يدعو الله عز وجل ليرفع عنهم هذا الرجز ، فقال : انكم تدعون رجزاً ، وليس برجز ، إنه رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم ، وشهادة يخص الله بها من يشاء من عباده ، يا أيها الناس ، خافوا ما هو أشد من ذلك ، ان يصبح أحدكم لا يدرى أمؤمن هو أو منافق ! ولو كان الابتلاء عذاباً من الله ، لما كان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل . وكيف ، واذا احب الله عبداً ابتلاه ؟ ولو كان المرض والجوع والمحن مصائب حقاً ، لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما جاع .

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن إذن لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الانبياء كرامة وقد شبت فيها بطون البهائم

ولكن التفاضل والسعادة والشقاء ، انما يكون في الآخرة .

(٢) اي السوطي .

سَلِّمَ لَهُ الْأَمْرَ تَعَشُّوْ سَالِمًا وَارْضَ بِأَحْكَامِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ
وَلَا تَقْلُ عِلْمِي وَلَا حِكْمَتِي فَالْحَكْمَ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

وفي سنة خمس وأربعين ومائة ، انثرت الكواكب من أول الليل الى الصباح ،
ففرع الناس لذلك . وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ظهر في السماء شيء مستطيل دقيق
الطرفين عريض الوسط من ناحية الغرب ، فأقام من وقت المغرب الى العشاء الآخرة ، ثم
انقضى ، حكاه السيوطي عن صاحب « المرآة » .

وفي سنة ثمان وسبعين ومائتين ، قال ابن الجوزي : طلع نجم ذو جمّة . ثم
صارت الجمّة ذؤابة . وفي تلك السنة غار النيل فلم يبق منه شيء ، وهذا شيء لم يعهد
مثله .

وفي أيام أحمد بن طولون تساقطت النجوم ، فراع ذلك ، فسأل العلماء والمنجمين
عن ذلك فما اجابوا ، وللجمل في ذلك :

قالوا تساقطت النجوم	م لحادث خطب عسير
فأجبت عند مقالهم	بجواب محتتك خبير
هذي النجوم الساقطا	ت رجوم أعداء الأمير ^(١)

وفي سنة أربع وثمانين ومائتين ، ظهرت بمصر ظلمة شديدة ، وحمرة في الأفق ،
من وقت العصر الى الليل .

وفي سنة ثلاث عشرة وثلثمائة ، انقض كوكب من ناحية الجنوب الى الشمال ،
قبل مغرب الشمس ، فأضاءت الدنيا منه ، وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد .
وفي سنة ثلاثين ، ظهر كوكب رأسه الى المغرب وذنبه الى المشرق ، وكان عظيماً
جداً منتشراً ، وبقي ثلاثة عشر يوماً الى أن اضمحل .

(١) هذا قديم في مصر - ويقع في غير مصر - كلما ظهرت نذر سخط او بؤادر عذاب ،
بادر علماء السوء وغواة الشعراء لطماننة اولي الامر ، فيجعلون - في سبيل ارضائهم واستجداء تافه
فتاتهم - الحق باطلا والضلالة خيراً ..

منذ ان جاءهم موسى بالحق فصدوا ، (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
آيات مفصلات ..) فلم يراعوا !

واذا رأوا الشهب والرجوم ، والهزات والزلازل ، قالوا : رجوم اعداء الامير ، وان الزلزلة
ان هي الارض فرحاً بعدل الحاكم المختل .. وما فتاوى بعض الأزهريين منا ببعيد !

وفي سنة أربع وأربعين زلزلت مصر زلزلة شديدة ، هدمت البيوت ، ودامت ثلاث ساعات .

وفي سنة تسع وأربعين ، رجع حج مصر من مكة ، فزلوا وادياً أخذهم فيه السيل عن آخرهم .

وفي سنة ستين سار رجل من مصر الى بغداد وله قرنان ، فقطعهما وكواهما ، وكانا يضربان عليه ، حكاه صاحب « المرأة » .

وفي سنة أربع وثمانين وخمس وثمانين ، انفرد بالحج أهل مصر ، ولم يحج ركب العراق ولا الشام لفساد الطريق بالاعراب .

وفي سنة سبع وتسعين كسا الحاكم الكعبة القباطي البيض .

وفي سنة سبع وأربعمائة ، تشعب الركن اليماني من المسجد الحرام ، وسقط جدار من قبر النبي عليه السلام ، وسقطت القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس . وفي أيام الحاكم زلزلت مصر زلزلة شديدة ، حتى رجفت ارجاؤها وضجت الأمة ، فقال محمد بن قاسم بن عاصم شاعر الحاكم :

بالحاكم العدل أضحى الدين معتلياً وكيف لا وهو نجل السادة النجبا

ما زلزلت مصر من سوء يراد بها واتما رقصت من عدله طرباً (١)

وفي سنة ثلاثين لم يحج أحد من الأقاليم بأسرها .

وفي سنة إحدى وأربعين ، ارتفعت سحابة سوداء ليلاً وزادت على ظلمة الليل ، فظهرت جوانب السماء كالنار المضيئة ، واستمرت ساعة والناس يتضرعون .

وفي سنة ثلاث وأربعين قال في « المرأة » : عمّ الوباء والقحط مصر والشام وبغداد والدنيا ، وانقطع ماء النيل ، وفيها ظهر نجم له ذؤابة بيضاء طولها في رأي العين نحو عشرة أذرع في عرض ذراع ، واستمرت كذلك شهراً كاملاً ثم اضمحل .

وفي سنة ستين وقع بمصر غلاء لم يسمع بمثله من عهد يوسف الصديق عليه السلام ، وأقام سبع سنين متوالية ، بحيث أكلت الميتة ، وبيع الكلب بخمسة دنانير ، ولم يبق للخليفة سوى ثلاثة أفراس بعد العدد الكثير ، ونزل الوزير يوماً عن بغلته ، فأخذت من غلمانها فذبحت وأكلت ، فأخذ الذين أكلوها وصلبهم ، فأصبحوا وقد أكلهم

(١) ارجع إلى الحاشية رقم (١) في الصفحة (٥٢) .

الناس ولم يبق الا عظامهم . وبلغت البيضة ديناراً ، وأردب الفصح مائة دينار ، ثم انعدم ، حتى حكى صاحب « المرأة » أن امرأة خرجت من القاهرة ومعها مدّ جوهر فقالت : من يأخذه بمثله من البرّ؟ فلم يلتفت إليها أحد .

وفي سنة سبع وتسعين هبط النيل ، فاشتد الغلاء والوباء ، وتفرق الناس وتمزقوا كل ممزّق ، وكان الرجل يذبح ولده ، فتساعده أمه على طبعه ، وكان الرجل يدعو صديقه ليضيفه ، فيذبحه ويأكله ، وفعل ذلك بالاطباء ، وكثر الفناء ، قال الذهبي في « العبر » : فلو قال القائل مات ثلاثة أرباع الأقليم لما أبعد .

وقال العماد الاصفهاني : في سنة كذا اشتد الغلاء ، وامتدّ البلاء ، وحدثت المجاعة وتفرقت الجماعة ، وهلك القوي فكيف بالضعيف ، وتساوى المتبدل والضعيف ، وخرج الناس حذر الموت من الديار المصرية ، وتفرقوا في الأقطار الحجازية والشامية ، ولقد رأيت الأرامل على الرمال ، والجمال باركة تحت الأحمال .

وفي سنة اربع وسبعمائة ، ولدت كلبة أربعين جرواً ، وأحضرت بين يدي السلطان ، فتعجب من ذلك ، وسأل المنجمين فلم يجيبوا عن ذلك .

وفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، رسم للأشراف بالديار المصرية والشامية ، أن يسموا عمائمهم بعلامة خضراء ، تمييزاً لهم عن الناس ، ففعل ذلك ، وفيه يقول ابن جابر الاندلسي صاحب « البديعية » وشارح « الألفية » في النحو :

جعلوا لأبناء الرسول علامة
نور النبوة في جمال وجوههم

وقال الشمس الدمشقي :

أطراف تيجان أتت من سندس
والأشرف السلطان خصصهم بها

وقال طاهر الحلبي :

ألا قل لمن يبغي ظهور سيادة
لئن نصبوا للفخر أعلام خضرة

وفي سنة عشر وثمانمائة ، ولدت جاموسة ببليس^(١) ، مولوداً برأسين وعنقين وأربع

(١) في الاصل « ببليس » ولا نعرف بلدة بهذا الاسم نحن ولا ياقوت ، والكلام عن مصر ،

وببليس فيها معروفة مشهورة .

أيدي وسلسلة ظهر واحدة ورجلين اثنين وفرج اثني والذنب مفروق باثنين ، وكانت من بديع صنعة الله تعالى ، ولا تزال النفوس تعجب من الغريب وفيها ما يكفيها ، كما قال : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) .

في الأرض آيات فلا تك منكرآ وعجائب الأشياء من آياته

وفي سنة إحدى وعشرين ، بعد كسر الخليج ، غرق لبعض السوقة ولد ، فأراد دفنه فمنعه أعوان الوالي حتى يستأذنه ، فمضى ليستأذنه فأمر بحجسه ، ثم قيل له إنك لا تطلق حتى تعطي الوالي خمسة دنانير ، فالتزم بها ، وخرج فباع موجوده وموجود زوجته أم الغريق ، فبلغ أربعة دنانير ، واقترض ديناراً آخر ، وأخذ ولده فدفنه ، وترك المرأة وهرب من القاهرة ليلاً ، فبلغ ذلك السلطان ، فسأه ، وطلب الوالي فضرب بحضرته ، ولم يعزله . حكى الحافظ ابن حجر : فإن شئت فقل عدم عزله سياسة ، وإن شئت فقل إثارة للمنافع ، أو لأنه لم يجد عمالاً لأن الملائكة ولا من أهل العصمة ، وإن شئت فقل ما في الامكان أبدع مما كان ، فلا تطلب من شيء غير ما تشاهد منه .

وفي « الطبقات » نقل الشيخ أحمد زروق ، عن الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي ، انه قال له أو لرفيقه : أخرجوا من هذه البلاد - يعني مصر - فإنها تذهب نور الايمان هكذا قال عن زروق ، وقال : يتعين على كل من دخل هذه البلاد أن يجدد إيمانه ، يعني بما يشاهده من المنكر ، وإنه لصحيح لمن نظر بعين الانصاف .

وفي سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، ذبح جمل بغزة فأضاء لحمه كما يضيء الشمع ، وشاع ذلك حتى بلغ حد التواتر ، ورمي من لحمه لكلب فلم يأكله .

وفي سنة اربع وعشرين ، شق بعض العوام نفسه قهراً من زوجته ، وكان طلقها وهو يحبها ، فاتصلت بغيره ووكلته فيه ، فقتل نفسه . وكان يقال :

إذا رأيت أموراً منها القلوب تفتت
فتش عليها تجدها من النساء تأتت
وما أصدق ما قال :

إن النساء وإن نُسبن لعفة
رِمَ تَقَلَّبَها النُور الحوم
اليوم عندك سرها وحديثها
وغداً لغيرك ساقها والمعصم

وفي سنة ست وأربعين ، وصل الشريف علي بن حسن بن عجلان أمير مكة المشرفة

من الطور ، وكان السلطان أرسل بالقبض عليه ، فجهّز في البحر إلى الطور ومعه أخوه
ابراهيم مقيدين ، فحبسا ببرج القلعة ، وأخوهما أبو القاسم قد استقر في الإمرة ،
وتوجه صحبة الركاب ، وشرط عليه أن يبطل النزلة ، ويعاقب من فعلها .

وقد خرجنا عن المقصود ، ولكن بحسب ما قيل :

إذا عرّف الإنسان أخبار من مضى توهّمته قد عاش من أول الدهر

وتحسبه قد عاش آخر عمره إلى الحشر إن أبقى الجميل من الذكر

ومن العجائب بصعيد مصر : شجرة العباس ، وهي شجرة متوسطة ، وأوراقها
قصيرة منبسطة فإذا قيل لها : يا شجرة العباس ، حال الناس ، إجمعت أوراقها ،
واحترقت لوقتها (١) ، كذا في « المحاضرة » .

ومن محاسن مصر قصب السكر الذي لا يوجد مثله في غيرها ، وعن الشافعي :
ثلاثة أشياء دواء للداء الذي لا دواء له : العنب ولبن اللقاح وقصب السكر ، ولولاه ما
أقمت بمصر ، وعلى ذلك فما أحلى قول القائل :

نزلنا على القصب السكريّ نزول رجال يريدون نهبه
بجزّ كجزّ رقاب العدا ومصّ كمصّ شفاه الأحبّه

وقال آخر :

تحكيه سمر القنا ولكن يزيد في جسمه طلاوه (٢)
وكلّما زدته عذاباً زادك من ريقه حلاوه

وقال آخر :

مهفهف قدّ ، ريقه الشهد ان بدا يحاكي القنا لكن بغير سنان

(١) في هامش الطبعة الاولى : قوله واحترقت لعله وذبلت .

(٢) القنا : الرماح ، جمع قنّاة ، وهي الرمح قبل ان يركب فيه السنان :

كلّما أنتت الزمان قنّاة ركب المرء في القنّاة سنانا

وسمر القنا كثيراً ما يشبهون بها الفتيان . إن في الخنوثة :

هزوا القدود فأخجلوا سمر القنا وتقلدوا بدل السهام الاعينا

او في الصلادة والبأس :

نبهتهم مثل عوالي الرماح الى الوغى قبل نوم الصباح
فوارس نالوا المنى بالقنا وصافحوا أغراضهم بالصفاح

ويرجى لكل الناس منه منافع
وفي المعنى :

وذي هَيْف كالمرحزحة الصبا
له ولد كل البرايا تحبه
وأعجب ما فيه يرى الناس أكله
فوق القننا طولاً بغير سنان
وتشاقه إن عزّ منه تداني
حلالاً بَعِيد العصر في رمضان

قال البصير في « التذكرة » : والقصب أجوده المصري والمهندي ، الغليظ ، الكثير الماء ، الصادق الحلاوة ، الطويل العقد ، وهو حار في الأولى ، رطب في الثانية ، يهضم ، ويلطف الدم ، وهو أشدّ ملائمة من السكر ، وإن شرب عليه الماء الحار وأخرج بالقيء ، نقّى البدن من الأخلاط اللزجة .

ومن محاسن مصر : السبع زهرات التي تجتمع في صعيد واحد ، وهي الرجس والأقاح والشقيق والياسمين والبنفسج والآس والورد . ومن محاسن ما قيل في هذه الأزهار :

أنت يا نرجسة الرو
ودليل القول عندي
وعلى ذلك فما أبهى قول البها زهير :
بروحِي من أسميها بستّي
يروّن بأنني قد جئت لحناً

ض لما في الروض سيّت
أنّ أوراقك سيّت (٢)

فتنظرنني الذّحاة بعين مقت
وكيف وإنني لزهير وقتي ؟

(١) الشهد : العسل ، ويحاكي : يشابه .

وبعد العصر واضح أنه لا يريد بعد صلاة العصر ، وإن أحب أن يوهم ذلك ، وإنما أراد أن قصب السكر لا يؤكل بقشره ، وإنما يعصر فيشرب عصيره بعد العصر ، وفي البيت تورية .

(٢) ست في البيت الثاني هي العدد ستة ، أما في البيت الأول فتعني سيدة ، أي إميرة ، وكون الرجس أمير الأزهار لا يسلم به صفي الدين الحلي ، بل ويزعم أنه لا يطعم في المنزلة الثانية بينها ، اذ يقول :

قد نشر الزنيق اعلامه
لو لم أكن في الحسن سلطانه
فقهقه الورد الى جنبه
وقال للسوسن ماذا الذي
فامتعض الزنيق من قوله
يكون هذا الجيش بي محققاً

وقال كل الزهر في خدتي
مارفعت ، من دونه ، رايتي
وقال ماتحذر من سطوتي ؟
يقوله الأشيب في حضرتي ؟
وقال للازهار : يارفتي
ويضحك الورد على شيبتي ؟

إذا ملكتُ جهاتي الستَ حقاً
ولا بن الساعاتي :

ونرجس كالثغور مبتسم
أبكاه قطر الندى وأضحكه
الفارقي :

إنّ في عينيه معني
ليت لي من غصنه سه
آخر :

وأحسن ما في الوجوه العيون
يظلّ يلاحظ وجه النديم
التلعفري :

وأكثر الناس في تشبيههم أبداً
وما أشبهه بالعين إذ نظرتُ
الاهوازي :

لنرجس الغض بالأجفان والحدق
لكنّ أشبهه بالعين والورق^(٢)

ودوام منظره على الأوقات
كنصول نبل جنّ مختلفات

للأس فضل بقائه ووفائه
قامت على أغصانه ورقاته

(١) يقال في الست - في الشطر الاول - وستي - في الشطر الثاني - ما قيل فيهما آنفاً .
اما زهير - في قوله : وانتي لزهير وقتي - فهو زهير بن أبي سلمى المزني ، الشاعر الجاهلي
الحكيم ، احد اصحاب المعلقات ، يكاد يختص بمدح هرم بن سنان المري ، وكمب بن زهير واخوه
بجبر رضي الله عنهما ، ابناه . وروى ان عمر رضي الله عنه قال : أشعر الناس الذي يقول
ومن ، ومن ، ومن اي زهير فهو يقول في معلقته :

ومن لا يصانع في امور كثيرة
ومن يغترب يحسب عدواً صديقه
ومن يعص اطراف الزجاج فانه
ومن يوف لا يذم ومن يهد قلبه

الخ

(٢) للعين في العربية معان عدة . ومن معانيها العين المبصرة « في الشطر الاول » والذهب « في الشطر
الثاني » اما الورق فهي الفضة . وفي سورة الكهف : (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة
فلينظر ايها ازكى طعاماً فليأتكم برزق منه) .

قيل :

الآس أول شيء غرسه نوح عليه السلام ، حين خرج من السفينة ، ويكره السواك بعوده وعود الرمان ، لأنهما يحركان عرق الجذام ، وفي «مناهج العبر» اليونان تسمي الآس مرسينا ، وهو أنواع : أخضر وهو المشهور ، وأصفر وهو ما فسد منه ، وأزرق يسمي الخسرواني . وثمره قدر الحمص ، وله ذكر في الأشعار ، وكثيراً ما يشبه به العذار ، فمن ذلك في هذه المسالك :

ومهفهف ألحاظه وعذاره
سفك الدماء بصارم من نرجس
يتعاضدان على قتال الناس
كانت حمائل غمده من آس
ومما قيل في المنثور - ولا تعبق رائحته إلا ليلاً - :

أنظر إلى المنثور ما بيننا
كأتما صاغته أيدي الحيا
وقد كساه الطل قمصانا
من أحمر الياقوت مرجانا (١)

ولابن أبي حجلة :

زهر الوعود ذوى من طول مطلكم
والعبد قد جهز المنظوم ممتدحاً
لأنه من نداكم غير ممطور
فطابقوه إذا وافى بمنثور
وقال آخر وفيه الجناس التام :

ولم أنس قول الورد: لا تركنوا إلى
ألم تنظروا منه بناناً مخضبا
معاودة المنثور فهو يمين
وليس لمخضوب البنان يمين (٢)

وقال :

كأن الياسمين الغض لماً
أدرت عليه وسط الروض عيني

(١) المنثور : نبات من فصيلة الصليبيات ذو زهر متعدد اللون ذكي الرائحة . والطل : المطر الخفيف ، وفي سورة البقرة : (فان لم يصبها وابل فطل) .
والصياغة : عمل الذهب والحلي والجواهر .
والحيا : المطر .

والياقوت والمرجان : من الجواهر .

(٢) يمين في البيت الاول : مضارع مان يمين مينا ، اي يكذب ويخلف العهد ، أما يمين في البيت الثاني فهو القسم المعروف . واليمين تجمع على أيمن وايمان . ؟ ومعاودة المنثور : عهده .
ومخضوب البنان في الشطر الاول هو الورد ، لاحمرار اوراقه ، اذ البنان الاصابع ، اما في الشطر الثاني فهو من يصبغ من الناس اصابعه بالحناء او الكتم او نحو ذلك . وركن إلى المرء او الشيء : اطمأن اليه .

سما للزبرجد قد تبدت
وقال :

يامهديا لي بنفسجاً عطراً
بشرنى عاجلا مصحفه

ابن تميم :

عابت ورد الروض يلطم خده
لا تشربوه وإن توضع نشره

وقال آخر :

للورد فضل على زهر الربيع سوى
كأنه وعيون الناس ترمقه

وقد أفرد الناس التصانيف ، في محاسن مصر وما اشتملت عليه من العجائب ، قال الجلال السيوطي في كتابه «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» : قال بعض من صنّف في فضائلها : بمصر الحمير المرسة ، والبقر الحسنة .

نكتة : حكى العبدري عن أبي عبيدة في كتابه « المسالك » أن أبا دلامة ، جاء إلى مصر مرة ، ثم رجع ، فستل عنها فقال : ثلثها تراب ، وثلثها كلاب ، وثلثها دواب ، قيل : فأين الناس ؟ قال : في الثلث الأول . وعلى ذلك أقول : ولقد أتيت ديار مصر مرة شوقاً لثوم هيمت في اسعافهم

(١) الزبرجد من الأحجار الكريمة ، وتتركب كيميائياً من الالومين اللامائي Al_2O_3 الشديد القساوة . وهو شفاف ، بلا لون ، إلا إنه اذا شابه آثار من أكاسيد معدنية ، تلون ، ويختلف اللون حينئذ بحسب نوع الاكسيد الذي يشوبه ، فالزمرد أخضر ، والزبرجد أزرق « ومنه اخضر أيضاً » والياقوت احمر ، والفيروزج . . وذلك لوجود آثار من اكسيد الكروم في الاول ، واكسيد الكوبلت في الثاني ، واكسيد النحاس في الثالث ، وهكذا . . واللجين : الفضة .

تأمل في نبات الأرض وانظر
عيون من لجين شاخصات
على قضب الزبرجد شاهدات

إلى آثار ما صنع المليك
بأبصار هي الذهب السيك
بأن الله ليس له شريك

اما الغض فهو الطري الفتي الناعم .

(٢) التصحيف - وكثيراً ما كان يقع فيه النساخ ، وما زالوا - هو لحوق بعض التغيير ببنية اللفظ ولا سيما في نقطه ، مثل : يمين مصحف ثمين ، و : غبن مصحف عين ، و : ينفسح مصحف بنفسح والغالب ان تبقى البنية سليمة ويقع التغيير على النقط فقط .

وسألت ذاك السفح عنهم قال لي ذهب الذين يعاش في أكنافهم^(١)
استغفر الله ، وليس هذا من باب التبرم بأهل مصر ، على ما قال :
لا ترم في برّ شربت زلّالها آجرةً فيقال أنّك غادرٌ
غيره :

وعمّاتك النخلُ كن مثلها لرامي الحجارة ترمي الرطب^(٢)
فليت شعري ، أي فضيلة للنخل الذي لا يرمي حتى يُرمى؟ وهل ذلك إلا من
باب المطاوعة ، رميته فارتى؟ فالطاعة هنا ضرورية ، لا يعلّق المدح بها ، وربّما
تعلّق بها الذمّ من وجه ، كما قال قائل - وقد قيل له مالك تقع في الامراء وأنت
تستميرهم؟ - : نأخذ بعض مالنا ونطالبهم عند الله في الباقي والحيلة عليهم خير من
الحاجة اليهم .

وإنك رأيتُ منهم مقاماً شرحه في الكتاب ممّا يطول
قال أبو عبيدة: وأما أهلها فقيل : أعقل الناس صغاراً ، وأحمقهم كباراً .
والعجب من نسبة الحمق اليهم ، فانه ينافي ما اشتملوا عليه من المكر والخديعة
وأصناف الخيل المنقلب لديها بصر اللياقة خاسئاً وهو حسير ، وأما أدوات المعروف
فيهم ، فلا يُشكّ في أنّها لازمة لا متعدية ، وإن كانت آراؤهم على سنن المكارم
متعدية ، اللهم إلا ما اقتضته الأدوار الفلكية ، من الأوامر الملكية .
قال الفاضل البغدادي في رحلته : وكان وصولنا إلى هذه المدينة - يعني مصر - في
أخريات رمضان المعظم ، فأتمناه بها ، وصلينا معهم العيد ، فلم أر يوماً من أولئك
الناس ، من صدر منه الايناس ، فقلت :

تذكرتُ يوم الفطر في مصر إذ أتى وقوس النوى ترمي الحشأ أسهم الخطب

(١) أكنافهم : أي ظلمهم وجوارهم وحمائيتهم ، جمع كنف ، وهو الجانب والناحية والحرز .
وهذا الشطر تضمنين - وكثيراً ما يرد التضمنين في هذا الكتاب - ، والتضمنين ايراد الشاعر بيتاً مشهوراً او
شطراً من بيت ضمن ابياته .

وأصل الشطر المضمن هنا :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وهو للبيد بن ربيعة .
وبقيت في خلف كجلد الأجر

(٢) ستأتي في اواخر الكتاب - قبل نهايته بنحو ١٤ صفحة - معزوة للهلول .

وصحباً كراماً ضمّهم أفق الغرب
شغلتها يومي عن الأكل والشرب

عن بسطها بالنوال منقبضه
أكلتُ كتبي كأنّي أرضه

لم لا الوضع ولا المعظم
جبالاً فسمّوه المَقَطَّم

أستغفر الله إنّ القلم إذا جال ، قال في سرحة القيل والقال (١) ، وإلا فاذا كانت
المنّة من الاسترقاق ، فأيّ حرّ يرضى بالقيّد بعد الاطلاق ؟ فكيف بمن يأنف من رق
الحسنة ولو في المنام ، وينشد في هذا المقام :

أو كديني ولا أقول كحالي
قلت هذا في معرّضٍ لسوّالي

اسقني خمرة كركة عقلي
حذراً من توهمّ السمع أي

وعلى الجملة فإنّي أقول بمقتضى الحال :

قد زانها وهو الأمير الأوحّد
تسعى الكرام لبيته وتوحد

كلّ البلاد فداء مصر لأجل من
مولاي اسماعيل ذوالحسب الذي

نكتة : الشيخ أثير الدين أبو حيان في تفسير قوله تعالى ، حكاية عن عزيز مصر
(يُؤَسِّفُ أَعْرَضُ عَنْ هَذَا) : وتربة مصر تقتضي ذلك ، يعني قلّة الغيرة ، وفي
المعنى يقول أبو مفلح :

سوءاً كما في محكم الذكر حكي
لا ترجعي واستغفري لذنبك

في مصر من إذا رأى في أهله
يقول إن كان له مروعة

(١) السرحة : الشجرة الطويلة التي لاشوك فيها :

أما اليك طريق غير مسدود ؟
محلاً عن حياض الماء مطرود

ياسرحة الماء قد سدّت موارده
لحائم حام حتى لاحيام به

وقال « الأولى » من القيلولة ، أي نام في الظهرية تحت السرحة .

أما البيتان التاليان ، فنعوذ بالله من أن تهون على المرء نفسه فيهجوها كاذباً ، أو يفضحها صادقاً .

قال أبو حبان : وأين هذا مما جرى لبعض ملوك بلادنا ، وهو أنه كان بمجلس ندمائه ، وجارية تغني من وراء السر ، فاستعاد بعض الندماء من الجارية بيتاً ، وكانت غنت به ، فما لبث أن جيء برأس الجارية في طشت ، وقال له الملك : استعد هذا البيت من هذا الرأس ، فسقط الكأس من يد النديم ، ومرض مدّة حياة الملك (١) .

قلت : وهذا من ذاك ، والا فما الحامل على التعريض بالاسماع ؟

تناقض ما نرى إلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار
وقد أراح نفسه من ذلك عبد المحسن الصوري حيث يقول :

تعشّفته سكران من خمرة الصبا على غيرة من لوعتي ونحبي
وشاركني في حبه كل ماجد يقاسمني في مهجتي بنصيب
فلا تلزموني غيرة ما ألفتها فإن حبيبي من أحب حبيبي
ومن آيات الوأواء الدمشقي :

ومحتجب بين الأسنّة والظبا وفي القلب من إعراضه مثل حجبه
أغار إذا آنت في الحبي أنه حذاراً وخوفاً أن تكون لحيه (٢)

وفي المعنى للبهاء زهير :

أغار على حرف يكون من اسمها إذا ما رأته العين في خطّ كاتب
ومالي منها نائل غير أنني أعلل نفسي بالأماني الكواذب

حكى الصفدي في « تذكّرتة » عن الشيخ تاج الدين الفزاري ، أنه كان يقول : إن الحكماء وأهل التجارب ، يزعمون أن من أقام ببغداد سنة ، وجد في عمله زيادة ، ومن أقام بالموصل سنة ، وجد في عقله زيادة ، ومن أقام بحلب سنة ، وجد في نفسه

(١) من أمثال العامة في الشام : كالأرباب من الدلف ليقف تحت المزاب « اي الميزاب » .
ففقدان الذيرة امر ذمّ بلا شك ، ولكن قتل الناس بهذا الشكل أشر وأخبت ، ولا ينجم عن التفلت من حكم الله إلا الضلال والفساد .
(٢) الاسنة جمع سنان وهو الذي يوضع في رأس الرمح . وعقب الرمح : زج ، والجمع زجاج .
فالرمح قناة وسنان وزج :

ياسالكأ بين الاسنة والظبا اني اشم عليك رائحة الدم
والظبي : السيوف ، اوشفارها وحدها ، واحدها ظبة .
والبهاء زهير ، في ما مضى وما سيأتي ، هو البهاء زهير ، الشاعر المعروف .

شحاً ، ومن أقام في دمشق سنة ، وجد في طباعه غلظاً ، ومن أقام بمصر سنة ، وجد في أخلاقه رقة ، والذي يظهر أن ذلك بحسب الخلطة ، مع مساعدة البقعة والاستعداد ، فقد رأيت من أقام بمصر ، فظهر بالتجبر وآخر بالمذلة ، وكان يقال :

عدوى البليد إلى الجليد سريعة والنار تطرح بالرماد فتخمد^(١)
رُوي أن الله تعالى لما خلق الاشياء ، قال القتل أنا لاحق بالشام ، فقالت الفتنة وأنا معك ، وقال الخصب أنا لاحق بمصر ، فقال الذلّ وأنا معك ، وقال الشقاء أنا لاحق بالبادية ، فقالت الصحة وأنا معك ، وقال الايمان أنا لاحق باليمن ، فقال الحياء وأنا معك ، وقال الكبر أنا لاحق بالعراق ، فقال النفاق وأنا معك .

ورُوي أن الله تعالى جعل البركة عشرة أجزاء ، تسعة منها في قريش ، وواحد في سائر الناس ، وجعل الكرم عشرة أجزاء ، فتسعة منها في القبط ، وواحد في سائر الناس ، وجعل النجابة عشرة أجزاء ، تسعة منها في الروم ، وواحد في سائر الناس .
وحكي أن الحجاج سأل ابن القريّة عن طباع أهل الأرض فقال : أهل الحجاز أسرع الناس إلى الفتنة ، وأعجزهم عنها ، رجالها حفاة ، ونساؤها عراة ، وأهل اليمن أهل سمع وطاعة ، ولزوم جماعة ، وأهل البحرين قبط استعربوا ، وأهل اليمامة أهل حق وائتلاف ، وأهل فارس أهل بأس شديد ، وعزّ عتيد ، وأهل العراق أبجث الناس عن الصغيرة وأضيعهم للكبيرة ، وأهل الشام أطوع الناس للمخلوق وأعصاهم للخالق ، وأهل مصر عبيد لمن غلب .

دع الأتراك والعربا وكن في حزب من غلبا
قال الجاحظ في كتاب « الأمصار » الصناعة بالبصرة ، والفصاحة بالكوفة ، والحسن بهراة ، والمروءة ببلخ ، والبخل بمرّو ، والعجائب بمصر ؛ قلت وكلّ ذلك في كلّ أحد ، غاية ما في الباب ، أن ذلك في هند أظهر منه في دعد ، ومن أكثر من شيء نسب اليه .

فائدة : قيل : ليس في الدنيا شجرة إلا وهي توجد بمصر ، عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها . ويوجد في مصر كل وقت من الزمان ، كثير من المأكول والمأدوم والمشموم ، وسائر البقول ، والخضر ، صيفاً وشتاء ، لا ينقطع منه شيء لبرد ولا حر .

(١) الجليد : القوي الصبور « ضد البليد » .

أقول : وكلّ ذلك لا يقوم بساعة من منادمة بعوضها وبرغوثها الذي لا سبيل إلى السلامة منه . وعلى ذكر البرغوث لا جمع الله به :

ثلاث باءات بلينا بها
البقّ والبرغوث والبرغش
ثلاثة أوحش ما في الوري
ولست أدري أيها أوحش

الفيومي :

وخليل يقول لما رأي
أبدا أوسع البراغيث ذمّا
ان في اسم البرغوث برّاً وغوثاً
قلت لكنّ : الإسم غير المسمّى

وقال آخر :

لا تكره البرغوث إنّ اسمه
برّ وغوث لك لو تدري
فبرّه مصّ دمٍ فاسدٍ
والغوثُ ايقاظك للفجر

وقال آخر :

لا بارك الله في البعوض ولا
بُورك في البقّ والبراغيث
تناهونا كأنّهم عرب
أو أمناء الحكم في المواريث^(١)

وقال آخر :

رقصت براغيث الشتا فأجابها الـ
ناموس فيه بالغناء المُعلم
وتواجد البقّ الكثيف بطبعه
طرباً على شرب المدامة من دمي

وقال آخر :

بعوض جعلن دمي قهوة
وغينني بضروب الأغاني
كأنّ عروقي أوتارهن
وجسمي الرباب وهن المغاني^(٢)

وقال :

لقد قسم الله البراغيث في الوري
فوقّر منها عند قسمتها قسمي^(٣)

(١) الشطر الثاني من البيت الثاني فيه خلل بين ويمكن ان يستقيم امره على الشكل التالي :
او أمناء على المواريث .

ويمكن ان يكون : او امناء الحكم في المواريث ، اي بخذف الهزمة فقط .

(٢) الرباب : من الآلات الموسيقية ، أثيرة لدى اهل الطرب .

(٣) وفر : اكثر ، اي جعل نصيبه من البراغيث وافرا .

أنوح لما ألقى فترعهم أنني أغنيي فما تنفك ترقص في جسمي
وقال :

لاسقى الله بلدة كنت فيها البراغيث كلهم أكلوني
قرصوني حتى تنمّر جلدي لوخلعت الثياب لم تعرفوني
وقال :

أنزلنا الدهر على معشر تغرّ بالناس أحاديثهم
فما أكلنا من ضيافاتهم ما أكلت منا براغيثهم
فائدة لدفع البرغوث : يؤخذ عود نخل أو رمان ويكتب عليه : أيها البراغيث
السود ، إنّما أنتم جند من الجنود ، أقسمت عليكم بعهد عادوثمود ، إلاّ ما طلعتم
على هذا العود ، ولا أقتل منكم والدا ولا مولود ، (والله من ورائهم محيط بل هو
قرآن مجيد في لوح محفوظ) ويوضع في أحد أركان البيت ، فإنّه تجتمع عليه ،
على ما جرت به عادة هذه العزيمة ، ومن شرطها المهمة وهي العزم الجازم (١) .
إذا تخلّفت أمراً كنت تعهده يجري الزمان على مجرى عوائده
فإنّما أنت لم تكمّل شرائطه وإنّ ذلك التواني من فوائده
ذكر الطريق المسلك إلى مكة المشرفة :

المحامل السلطانية وجماهير الركبان ، لا تخرج إلا من أربع جهات : مصر ،
ودمشق ، وبغداد ، واليمن ، فيخرج الركب المصري ، بالمحمل السلطاني ، والسبيل
المسبل للفقراء بالماء والزاد ، والأدوية والكحاليين ، والائمة والمؤذنين ، والامراء
والجنود ، والقاضي والشهود والامناء ، وإذا نزلوا منزلاً أو رحلوا منه ، تدق

(١) هذه الكتابة لا تجوز ، وكتاب الله عزوجل اكرم وأجل من أن يستعمل هذا الاستعمال الخل ،
والله تعالى لم ينزل هذا ، وما كتب عليه شيء من القرآن يشرف عن ان يلقي في احد الاركان كالتوافه
والمهملات . كما ان الاسلام أعظم من ان يتحول الى أمثال هذه المهازل والخزعلات .. فالبراغيث
السود ، لم يعرف عنها الحفاظ على اليهود ، ولا المعرفة بأخبار عاد وثمود ، ولو كانت البراغيث تقرأ
الكتابات ، لراحت شبابنا « وقتياتنا » على الشهادات والجامعات ، وليس الامر كتابة للبراغيث ، ولكنه
وسوس مما يلقيه الشيطان الخبيث !

ومع ذلك ، فقد تجد الامر صحيحاً ، لالكتابة هذه الاوهام ، وانما لخاصة جعلها الله تعالى في العود
كسبت عليه أم لم تكتب ، ولعلها تنقاد الى رائحته او نحو ذلك .
واذكر أنني قرأت شيئاً من ذلك عن أغصان شجرة معينة ، الصفصاف او الحور ، لا ادري أيتهما ،
فقد نسيت . والله تعالى اعلم والمؤلف نفسه سيذكر في اواخر الكتاب ان التدخين باغصان السرو يطرد البق .

الكوسات وينفر النفر ، ليؤذن بالتزول والرحيل ، فإذا خرج الركب من القاهرة ، نزل البركة ، وهي على عشرة أميال من القاهرة ، فيقيم عليها ثلاثة أيام أو أربعة ، ثم يرحل الى السويس في خمس مراحل ، ثم إلى نخل في مثلها ، وفيه برك من عمل أمراء المشورة في الدولة الناصرية ، ثم يرحل الى أيلة في خمس مراحل ، وبها العقبة العظمى ، فينزل منها حجز بحر القلزم ، ويمشي على حجزه حتى يقطع من الجانب الشمالي إلى الجانب الجنوبي ، ويطبق به أربعة أيام ، وبه سوق عظيم ، ثم يرحل الى بئر مدين ، وبه مغاير شعيب عليه السلام ، وعلى مائها سقى موسى عليه السلام غم بنات شعيب ، ثم يرحل إلى عيون القصب في مرحلتين ، ثم إلى المويح في ثلاث مراحل ، ثم إلى الأزلم في أربع مراحل ، وماؤه من أقبح المياه ، ثم إلى الوجه في خمس مراحل ، وماؤه من أعذب المياه ، ثم إلى اكره في مرحلتين ، وماؤه من صعب المياه في هذا الطريق ، ثم إلى الحوراء ، وهي ساحل بحر القلزم ، في أربع مراحل ، وماؤه يشبه ماء البحر لا يكاد يشرب ، ثم إلى نبط في مرحلتين ، وماؤه من أعذب المياه ، ثم إلى ينبع في خمس مراحل ، ويطبق بها ثلاثة أيام ، ثم إلى الدهناء في مرحلة ، ثم إلى بدر في ثلاث مراحل ، وهي مدينة حجازية بها عيون وجداول وحدائق ، ثم إلى رابع في خمس مراحل ، وهي ناحية الجحفة ، التي هي الميقات^(١) ثم إلى خليص في ثلاث مراحل ، وفي طريقه بئر عسفان ، ثم يرحل من بطن مرّ إلى مكة المشرفة ، مرحلة واحدة ، ثم يرجع إلى منازلها إلى بدر ، فيعطف إلى المدينة النبوية ، فيدخل إلى الصفراء ، مرحلة ، ثم إلى ذي الحليفة في ثلاث مراحل ، ثم إلى المدينة في مرحلة ، ثم يرجع إلى الصفراء ، ويأخذ بين جبلين في فجوة تعرف بنقب علي ، حتى يأتي ينبع في ثلاث مراحل ، ثم يستقيم على طريقه إلى مصر .

وأما قدوم المبشرّ بسلامة الحاجّ فله حكمة لطيفة ، وهي أن الدابة تخرج

(١) المواقيت: مواضع على اطراف بقعة حول مكة - أوسع من الحرم بكثير ، فتقع كلها في الحل - لا يجوز لمن يقصد مكة تجاوزها الا محرماً بأحد النسكين : الحج والعمرة ، فميقات اهل المدينة ذو الحليفة ، والميقات لمن جاء من جهة الشام - بحراً - رابع ، والعراق ذو قرن ، واليمن يللم . .

ثم يذكر بعد سطر : بطن مر ، وهنا يعلق الشيخ محمد نصيف تعليقاً قيماً بقوله : بطن مر هو مر الظهران المسمى وادي فاطمة .

من جبل جياذ ، في أيام التشريق والناس بمنى ، على ما روي ، فذلك سابق الحاجّ
ينخر بسلامة الحاج ، كذا في «المحاضرة» .

وأما القاهرة المعزية : فالأصل في بنائها جوهر الصقفي ، قائد المعزّ صاحب
المغرب ومصر ، وهو أوّل من ملكها من الفاطميين ، وذلك لما مات كافور
الأخشيدي صاحب مصر ، جهّز المعزّ القائد جوهر إليها بعسكر عظيم ، ومعه
ألف حمل من السلاح ، ومن الخيل ما لا يوصف ، فلما انتظم حاله وملك مصر ،
ضاق بالهند والرعية ، فاخترت سور القاهرة ، وبني بها القصور ، وسماها
المنصورة ، وذلك في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ، فلما قدم المعزّ من القيروان ،
سمّاها القاهرة ، والسبب في ذلك أن القائد جوهر لما قصد إقامة السور ، جمع
المنجمين ، وأمرهم أن يختاروا طالعاً لحفر الأساس ، وطالعاً لرمي الحجارة ،
فجعلوا قوائم من خشب وبين القائمتين حبل فيه أجراس ، وأفهموا العمّال أنه
ساعة تحريك الأجراس ، يرمون ما بأيديهم من الطين والحجارة ، ووقف المنجمون
لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع ، فاتفق وقوع غراب على خشبة ، فتحرّكت
الأجراس ، فألقى العمّال ما بأيديهم ، فصاح المنجمون : لا ، القاهر في الطالع ،
وخانهم ما قصدوه ، وكان قصدهم أن يختاروا طالعاً فلا يخرج الملك عن نسلهم ،
فوقع أن المريخ كان في الطالع ، ويسمّى عندهم القاهر ، فعلموا أن الأتراك
لا تزال هذه البلدة في أيديهم ، وأنهم لا بد أن يملكوا هذه الأقاليم ، فلما قدم
المعزّ أخبروه بذلك ، فوافقهم على أنها تؤوّل للأتراك ، وسمّاها القاهرة ،
فكان كما قيل (١) ، وملكها الترك إلى يومنا هذا ، انتهى من «السكردان» .
وفي ذلك يقول :

(١) هذا هو علم النجوم المذموم ، الذي يدعي أصحابه ، تفسير الوقائع الجارية ، ومعرفة
الاحداث الآتية ، من حركات النجوم في الفلك والمطالع في البروج ، وما هي الامزاع كاذبة وتحرّصات
واهية ، وتحكم بدون دليل ، واستنتاج بغير نتاج . وهو غير علم الهيئة «علم الفلك» الذي يقتصر على
مراقبة الكواكب والنجوم ومعرفة سيرها واحوالها ، ومراتبها ومجموعاتها ، دون التطرق لمحاولة ربط
احداث الارض بها — ونسبة علم النجوم الى علم الفلك كنسبة السيمياء الى الكيمياء — .

ولكن وافقت بعض اقوالهم — كما يحصل لغيرهم — ما حصل ، فان ماخالف اكثر ، الا ان الناس
ينسون ما تخلف وخالف ، ويتعلقون بما وقوعه صادف ، وكلما كان تبجح المنجم اكبر ، ودعواه —

نبكي على مصر وسكانها مذ خربت أركانها العامرة
وأصبحت للروم مقهورة من بعدما كانت هي القاهرة
حكى المقرئزي : أن قاهرة المعز ، رابع موضع انتقل إليه سرير السلطنة من
أرض مصر في الدولة الاسلامية ، ويشتمل على القصرين ، داري الخلافة ،
وهما القصر الكبير الشرقي ، وهو منزل سكني الخليفة ومحل حريمه ، والآخر
الغربي ، ويتحول إليه الخليفة أيام النيل للنزهة على الخليج والمنزهات الغربية ،
وهما متقابلان .

وللفقيه عمارة يرثي العاضد وهو آخر الفواطم :

يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة لك الملامة إن قصرت في عذلي
تالله زر ساحة القصرين وابك معي عليهما لا على صفين والجمل^(١)

— أعرض ، كان السنج الى الاغترار به اسرع . ولو زعمت لانسان انه ستهب غداً عواصف وتلبد غيوم ،
فلم يصل ذلك ، ثم عدت في يوم آخر فزعمت ذلك لانسان آخر ، فلم يصل ، وتكرر ذلك تسع
مرات ، ثم اتفق في العاشرة ، ان هبت رياح وجاءت بعض السحب ، لنسي الناس كذباتك التسع
وتركوها ، تمسكوا بالواحدة ونشروها ، وزادوا فيها ونفخوها ، وجعلوك رغباً عنك ، ممن يعلم
الغيب ويزيل الهم ويكشف الضنك . وكذب المنجمون ولو صدقوا . وابو تمام يسخر في قصيدته الفخمة :

السيف أصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

من دجلهم حينما زعموا للمعصم ان عمورية لا تفتح الا حين نضج التين والعنب ، وانه اذا سار
قبل ذلك نكب وانكسر ، فخالقهم وسار بجيشه وشيكا ، وصدم الروم فحطمهم ومزق جيوشهم . وفتح
عموريه ، وترك في ميدان الوقعة ستين الف قتيل من الروم ، لذا يقول ابو تمام :

ستون الفاً كآساد الشرى نضجت جلودهم قبل نضج التين والعنب

والعلم في شهب الأرماع لامة بين الحميسين لافي السبعة الشهب

والقصيدة جميلة ، فاقراها ، واطلع على شرحها ، لتسخر معه منهم ، وتعلم انهم أعجز من ان يعلموا
الغيب . وصدق الله العظيم إذ يقول لرسوله الكريم ان يقول : (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير
وما مسني السوء) . وليس بعد كلام الله كلام !

(١) عذله عن الشيء : لامة وحاول صرفه عنه .

والبيت الثاني يبدأ بـ : تالله .. وكأني بالشاعر قالها : بالله .. فصحتها النساخ !

كم من كتاب قد تصفحته وقلت في نفسي صححته

حتى اذا عدت له ثانياً وجدت تصحيحاً فأصلحته

وصفين والجمل وقمتان بين الصحابة ، الأولى بين علي ومعاوية رضي الله عنها سنة أربعين ، والثانية
بين علي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم سنة ثمان وثلاثين .

وأما معاملة مصر فقال في «المسالك» : الدراهم ثلثاها فضة وثلثها نحاس ،
والدرهم ثمانية عشر حبة خروب (١) ، وهي ثلاث قمحات ، والمثقال أربعة
وعشرون خروبة ، والدرهم قيمته ثمانية وأربعون فلساً ، والدينار الحبشي ثلاث
وعشرون درهماً .

وأما الكيل فالأردب ست وبيات ، والويبة أربعة أرباع ، والربع أربعة
أقداح ، والقدح مائتان واثنان وثلثون درهماً ، ويختلف الكيل في أريافها ،
والرطل اثنا عشر أوقية ، وهي اثنا عشر درهماً . كذا في «المحاضرة» ولله در القائل :
لا تشرق النجم في أمر تحاوله فإله يفعل لا جدّي ولا حمّل
مع السعادة ما للنجم من أثر ولا يضرك مريخ ولا زحل (٢)

— وقد تقاتلوا فيها لالدنيا ولا للآل والسلطان والجاه ، وإنما قياماً بحق الاسلام ، حسب اجتهادهم ،
وكلهم مجتهد ، ومن يكتنه إن لم يكونوه ؟ والمجتهد مأجور على كل حال ، إن أخطأه أجر ، وإن أصاب
فأجران . وكثير من الأحكام ولا سيما قتال أهل البني ، أخذت عنهم في هذه الوقائع (وعسى أن تكرهوا
شيئاً وهو خير لكم) وأخسر الناس من قام — في سبيل الشيطان — في هدم تراثه ، والاساءة الى ماضيه
وأمته ، والنيل من أمجاده وأعلام اسلافه ، والتعرض لخصومة نبيه صلى الله عليه وسلم الذي سيكون خصيماً
لمن يطعن في أصحابه ويقع فيهم ، بعد ان حذره بقوله : «الله في أصحابي» ورحم الله ذلك الإمام
الذي قال : اولئك قوم عصم الله سيوفنا من دمائهم ، أفلا ننزه سنتنا عن الخوض فيهم ؟ وبارك الله في
الاعمش الذي كتب لهشام لما سأله ان يكتب اليه بمحاسن عثمان ومساوىء علي :

.. ولو كان لعثمان ملء الارض محاسن لم تنفك ، ولو كان لعلي ملء الارض مساوىء لم
تنضرك . فعليك بخويصة نفسك والسلام .

(١) المعاملة : النقد ، أي العملة التي يتعامل بها . والخروب والخرنوب : شجر دائم الورق ،
من فصيلة القرنيات ، ثماره سكرية ، طويلة وعريضة ، على شكل قرني ، يستخرج منه نوع من الدبس ،
ويستعمل ايضاً كعلف للحيوان .

وكون النحاس مع الفضة في ضرب الدراهم — وضربها صنعها وصنها وشغلها — لأن الذهب
والفضة معدنان لنيان ، لا يصلحان لوحدهما في ضرب الدراهم والدينار ، وصنع الحلي والآنية ، فيضاف
اليها نصيب معين من النحاس ، يكسبها قساوة يقوى الناس بها على استعمالها .

(٢) مر ذكر الجدي والحمل فيما مضى ، وانها من البروج الاثني عشر للشمس .

و : ما ، في البيت الثاني ، هي ما النافية التي بمعنى ليس ، لا ما الموصولة التي بمعنى الذي .

والنجم أي النجوم ، والنجوم الثوابت اكثر من ان تحصى أو تعد .

أما مريخ وزحل : فهما من الكواكب السيارة ، التي كانوا يزعمون انها تدور حول الارض ،
ويحسبون انها سبعة ، وإياها عنى أبو تمام في البيت الذي مر آنفاً :

والعلم في شهب الارماح لامة بين الخميسين ، لا في السبعة الشهب —

وعلى ذكر الدراهم لبعضهم :

ألم يشقّ على الكرام
والحبس في أيدي اللئام

إنّ الدراهم شأنها
الضرب أول أمرها
وقال يزيد بن حاتم :

ظلتّ إلى طرق المعروف تستبق
لكن يمرّ عليها وهو منطلق

إنّا إذا اجتمعت يوماً دراھمنا
لا يألف الدرهم المضروب صرّتنا
وقال آخر ماغزاه فيه :

وهو بأحكامها خبير
أصابه نصفه الأخير ؟

يا فاضلاً فاق في المعاني
ما اسم إذا المرء لم يصبه
وحكى الواقع من قال :

والهمّ آخر هذا الدرهم الجاري
مكبّل القلب بين الهمّ والنار

النار آخر دينار نطقت به
والمرء ما دام مشغولاً بجهما
وعارضه من قال :

والدرءُ للهمّ في الدرهم الساري^(١)
كم يصلحان أمور الدين والدار

الدين أول دينار نطقت به
كالقلب ذا وضياء العين ذا وهما
حكى المقرئزي : أنّ مصر ذكرت في القرآن ، بضعاً وعشرين موضعاً ،
كناية وتصريحاً .

— وهذه الكواكب السبعة كانت عندهم كما يلي :

الشمس ، والقمر ، والزهرة ، والمريخ ، وعطارد ، وزحل ، والمشتري . فكانوا يخرجون
منها الارض ويدخلون الشمس والقمر .

والمعروف الآن أنها تسعة تدور حول الشمس وهي — حسب قرنها من الشمس — عطارد
والزهرة والارض والمريخ والمشتري وزحل وأورانوس « اكتشف سنة ١٧٨١م » ونبتون « اكتشف سنة
١٨٤٦م » وبلوتو « اكتشف سنة ١٩٣٠ » .

أما القمر فسيار خاص بالارض يدور حولها ، كما لبعض الكواكب الاخرى اقمار .

(١) الدرء : الدفع .

والشطر الثاني ، وان كان متسقاً معنى إلا أنه مختل عروضاً ، ويصلح شأنه ويستقيم وزنه بإضافة
« ذا » على الوجه التالي :

والدرء للهمّ في ذا الدرهم الساري .

قال السيوطي : بل أكثر من ثلاثين موضعاً ، وقال : عدة من دخلها من الأنبياء وفاقاً وخلافاً ، اثنان وثلاثون ، غير النسوة الأربع ، وهنّ : مريم وسارة وآسية وأمّ موسى واسمها يوحانذ ، - وأسماء أمّ موسى ألقاب يتصرف بتلاوتها - وقد نظمتُ في ذلك أبياتاً مشهورة ، فقلت :

قد دخلتُ مصر فيما قد روي زمر من النبيّين زادوا مصر تأنيسا
فهاك بوسف والأسباط إخوته يوحانذا وخليل الله إدريسا
اوظا وأيوب ذا القرنين خضر سلي مان أرميا يوشعاً هارون مع موسى (١)
شيئا ونوحا وإسماعيل قد ذكروا لازال من أجلهم ذا المصر مأنوساً
وبعده سارة نقيمان آسية ودانيال وشعيا مريمياً عيسى

وحُكيَ : أنّ يوسف الصديق عليه السلام ، لما دخل مصر وأقام بها قال : اللهم إنّي غريب فحببها إليّ وإلى كلّ غريب . فلا يدخلها غريب إلا أحبّ المقام بها .

نكتة : قال الكندي : قال تعالى حكاية عن يوسف الصديق (وَقَدْ أَحْسَنَ بي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) فجعل الشام بدوا ، وسمّى مصر مدينة ، حكاها في « المحاضرة » . وفي قوله : (وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) إشارة إلى تفضيل المدن على البادية . ومنه : اللهم اجعلني حضرياً تقيّاً ، ولا تجعلني بدويّاً شقيّاً .

وإنّسي على ما في من حضرية ليعجبني ظلّ الخباء المطنّب
لطيفة : قيل خلقت الدنيا على خمس صور الطير برأسه وصدرة وجناحيه
وذنبه ، فالرأس مكة والمدينة واليمن ، والصدر الشام ومصر ، والجناح الأيمن
العراق ، والجناح الأيسر الهند والسند ، والذنب من ذوات الحمام إلى مغرب
الشمس .

فائدة : حكى المقرئزي أنّ مطلع الشمس ، سهيل في سمت قبلة مصر .

(١) كذا البيت ، ولا يستقيم على هذا الشكل ، ويمكن ان يكون شرطه الثاني :

« مان أرميا يشع هارون مع موسى »

بإسكان عين يوشع ، واستبدال الواو بضمة على الياء .

وأما عرض مصر فثلاثون درجة ، وطولها خمس وخمسون ، على ما تحرر من الازياج (١) .

تتميم : أول من ملك الحرمين من آل عثمان : السلطان سليم بن بايزيد بن محمد بن مراد، وذلك لما افتتح مصر وحلب والشام ، في سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، وفيها قتل الغوري بمرج دابق ، وله قصة طويلة يطول شرحها ، والسبب المعنوي في خراب مملكته ، بتحقيق خبر « ما عادانا بيت إلاّ خرب ، ولا عوانا كلب إلاّ جرب » أنه قتل طائفة من بني إبراهيم ، من أشرف ينبع ، وبني من رؤوسهم مسطبة جلس عليها أمراء عساكره .

قال القطبي : وكان السلطان سليم شهماً عزيزاً ، اشتهر عنه بيتان من الشعر ، تناقلتهما الركبان ، ورأيتهما بخطه الشريف ، في علو المقياس ، على الكشك الذي بناه لما فتح مصر وسكن الروضة ، وهما قوله :

الملك لله من يظفر بنيل مني يتركه قهراً ويضمن بعده الدركا
لو كان لي أو لغيري قدر أملة فوق التراب لكان الأمر مشتركاً

وتحته ما صورته : وكتبه سليم . إلا أنه قد أمحى لطول الزمان مداده ، ومال الى لون البياض سواده ، وتوفي بعد ذلك بثلاث سنين ، وشريف مكة إذ ذاك السيد بركات وولده أبو نبي محمد ، قاله في الاعلام .

الكون عندي كالخيال حقيقتة في شكله وعمومه وخصوصه
يبدى الخيال إلى الشخصوس تواضعا والناطق الفعال غير شخصوسه

ذكر ما قبل في مصر من الأشعار الراققة والنكت الفائقة :

فمن ذلك قول الشهاب الرومي :

إذا رمتُ صبراً عند فقري ببلدتي يتمول الحيا « لن تستطيع معي صبراً »

(١) الازياج - جمع زيج - هي الجداول التي يحصلون عليها من رصد النجوم والكواكب ، في بقعة ما من الارض ، وتسجيل أوقات مرورها .

ومن فرق زمني مرور نجم معين بالبلدين - على نفس الميل طبعاً - يمكن معرفة الاختلاف بين خطي طوليهما ، أي يمكن معرفة خط الطول لاحدهما ، إذا عرف ذلك للاخر .
أما خط العرض لبلد ، فيعرف من ميل نجم القطب في ذلك البلد .

وإن قلت إنَّ الشامَ أشرفَ منزلٍ سمعتُ أسألَ الحالَ «قالَ اهبطوا مصراً»
وقالَ مقتبساً :

ما مصرُ إلا منزلٌ مستحسنٌ فاستوطنوه مشرقاً ومغرباً
هذا وإن كنتم على سفرٍ به «فتمموا» منه «صعيداً طيباً»
وقالَ آخرُ :

رعى الله مصراً كم بها من مسرةٍ ومنزل أنسٍ لاح كالطالع السعد
رويتُ هنا عن سدّها يوم كسرّها فهما أنامهما عشت أروي عن السديّ (١)
وقالَ آخرُ :

اشرب على مقياس مصرٍ وغنّ لي من روضة المعشوق في عشاقِي
وأفخر بمصر على البلاد فليلها يعلو على الأوصاف باستغراق
وقالَ الفيومي :

تعلمَ هذا النيلُ من خلقتي الوفا لسكان مصر لطف قلبي على مصر
وحاكاه دمي حمرة وصبابة كما قد حكاني في احتراقي وفي كسري
وقال :

إذا سلسلوا من مصر رأس خليجها فما ذاك من نقص يلوح لفاضل
وما قصدوا إلا ليصدّق أنّه يُقَاد إلى جنّاتها بالسلاسل
وقال :

البدر فوق النيل قد ألقى شعاعاً يأتاق

(١) أي طيلة إقامتي بمصر اشرب عن طريق السد . ولكن «أروي» — بالالف المقصورة — إذا كانت تعني الشرب حتى الارتواء . فإن «أروي» — بالياء — معناها نقل الأحاديث والأخبار رواية عن سمعها منه .

وإذا كان للسد معناه المعروف ، فإن السدي من الرواة المشهورين للحديث والتفسير والتاريخ ، وإن شئت فقل لها اثنان : السدي الكبير ، والسدي الصغير .

ففي قوله : ما عشت أروي عن السدي ما لا يحتاج إلى إشارة . وبسبب السبين تركنا الياء الأولى بلا نقط ، واثبتنا الياء الثانية ، كما وجدنا في الأصل .

فحكى مِسْنًا أزرقا وعليه حكّ من ورق^(١)
وقال :

الشمس فوق النيل قد ألقّت شعاعاً كالذهب
فحكى مسناً أخضرا وعليه حك من ذهب
ابن أبي حجلة :

سقى السفع من ذيل المقطم عارض تعارضه من دمع عيني مواظره
فكم فيه من صبّ قضي وغرامه أوائله لا تنقضي وأواخره
وقال البدر :

عابتُ هذا النيل في ترك الوفا فأجابني حالاً بغير توقف
سأني وإن خانوا وأصلح بينهم ما كدت أفسده ومثلي من يفي^(٢)
وقال آخر :

أطلبُ من زمانك ذا وفاء وترجو ذاك جهلاً من بنيه
وقد عدم الوفاء به وإنني لأعجب من وفاء النيل فيه
وقال الدماميني :

رعى الله مصراً إننا في ظلالها نروح ونغدو سالمين من الجهد

(١) سبق ان أشرنا إلى ان الورق : الفضة .

والورق والورق والورق - والجمع في الجميع أوراق ووراق - الدراهم المضروبة .
وكلا من البيتين المذكورين ، وما يليهما من البيتين : الشمس فوق النيل قد . . سيعود المؤلف
فيذكرهما في صفحة ٥٨ .

والتشبيهان في وقوع اشعة الشمس والبدر على الماء ، يعتمدان على ظاهرة الانعكاس ، وناموسها
ان كل سطح امس ، كسطح المعدن الصقيل ، وسطح الزجاج ، وسطح الماء . . يفصل بين وسطين شفافين
متجانسين مختلفين ، اذا سقطت عليه اشعة ما ، انعكست الى الوسط نفسه الذي وردت فيه ، وبميل على
السطح العاكس يائل « يساوي » ميل الاشعة الواردة عليه .

(٢) البيتان للبدر البشتكي ، وقد أوردهما المؤلف سابقاً في صفحة ١٨ .

والعارض - في بيتي ابن أبي حجلة السابقين لبيتي البدر - هو السحاب المعترض في الافق :

(فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم قالوا هذا عارض مطرنا) .

والصب هو الحب العاشق ذو الولع الشديد ، الذي صباه جمال المحبوب ، فصبا إلى قربه ووصله .

ونشرب ماء النيل فيها براحة
وقال الفيومي :

إنّ مصرًا نزهة الدنيا
مذ رأى الباري محاسنها
وقال ابن الوردي :

ديار مصر هي الدنيا وساكنها
يا من يباهي ببغداد ودجلتها
وقال الفيومي :

أنظر إلى النيل وجرم السما
وصبغة الله التي أظهرت
وله أيضاً :

جميع الأرض فيها طيب عيش
ولكن كلّ ذا في غير مصر
وقال :

عدلت أيادي النيل في تسميها
أكرم بهذا النيل من ملك غدا
وقال :

تأمل البحرَ والبدَرَ المنيرَ وقسلُ
كأنّما الريح فوق الماء قد نسجتُ
وقال :

ولمّا رأيت الشمس عند طلوعها
ونحن بوسط البحر في النيل من مصر

(١) زبيد اسم مدينة ، واسم قبيلة ايضاً .

ففتح الزاي (زبيد) : اسم بلدة في اليمن على طريق عدن - مكة ، تبعد ٢٥ كم عن البحر الأحمر .
والها ينسب المرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس وشارح احياء علوم الدين .
وعلى صيغة التصغير (زبيد) : القبيلة اليمنية - من مذحج ثم من سعد العشير - المعروف ، التي
انجبت الفارس الشاعر المخضرم البطل عمرو بن ممد يكرّب الزبيدي وواضح ان المقصود في البيت هو البلدة .

تَحَيَّاتِ هَاتِيكَ الْقُلُوعِ وَسَفْنَهَا
وقال ابن نباتة :

آها لمصر أين مصر وكيف لي
والدهر سلّم كيفما حاولتُه
أنشد المصري :

أرى أهل الشام يفاخرونا
وكيف يفاخروا بالشام مصرا
وقال الشامي :

يا أهل مصر بوادينا المقدس من
أتم زعمتم بأنّ النخل شهوتنا
وقال الفيومي :

ينازع في تفضيليّ الشام مغرّض
وليس احتراق البحر إلا لأنّه
وقال :

مصر منايّ ومنتهى أربي
والشام في أيام ربوتها
وقال آخر يصف مصر :

بها ما يلذّ العيش من حسن منظر
زُمرّدَة خضراء قد زين قرطها
وأصل هذا النظم ، ما قيل في وصفها أنّها ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة
أشهر سبيكة حمراء ، كذا في كتاب « النوادر والأخبار » وقال الصنفدي :
في أهل مصر معان من لطفهم تُستفاد

(١) النضار : الذهب . وقولع السفينة : اشترتها .

(٢) أزمردة : جوهرة من الاحجار الكريمة شفاقة شديدة الخضرة . والقرط : ما تعلقه المرأة في اذنها

من الخلي وهو المسمى بـ « الخلق » .

ورقة في طباع بها على الناس سادوا

وقال :

لا تغالي بمسح مصر وقصر
إنّ مصرًا وإنّ تغاليت فيها

فهي دار سراتها الأوغاد
جمعت في صفاتها الاضداد

وقال ابن أبي حجلة :

دع عنك مصر فأهلها بعد الوفا
قلبت بها الأعيان حتى أتني

ألفوا الجفا وتحجبوا في الأبنية
شاهدت سعد الدين سعد الأخبية^(١)

وأصل هذا الشعر ، ما يحكى ان شهاب الدين القوصي ، كان يوماً عند الملك الأشرف ، فدخل عليه سعد الدين الحكيم ، وكان بينهما وحشة ، فقال له الأشرف : يا شهاب الدين ما تقول في سعد الدين ؟ فقال : هو عندك سعد السعود ، وعلى السمّاط سعد بلع ، وعند المرضى سعد الذابح ، وعند الضيف سعد الأخبية ، فضحك الملك لذلك ، وأصلح بينهما ، وأمر نكلّ منهما بتشريف ، وقيل في باب زويلة :

يا صاح لو أبصرت باب زويلة لعلمت قدر حله بنيانا

لو أنّ فرعون رآه لم يرد صرحاً ولا أوصى به هامانا

وأجل فضيلة سمح بها الزمان لكلام البين ، زيارة مشهد سيدنا الحسين ، نفعنا الله تعالى بأنفاسه الطيبة ، ووالى على ضريحه شآبيب رحمته الصبية ، والحسين هذا هو أبو عبد الله بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واند سنة أربع ، وقتل سنة إحدى وستين من الهجرة ، بكربلاد من أرض العراق ، بناحية الكوفة ، وإلى ذلك ينظر أبو عبد الله الفيومي حيث يقول :

(١) السعود اربعة : سعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد السعود ، وسعد الخبايا . تؤلف بمجموعها خمسينة الشتاء ، من أول شباط إلى الثاني والعشرين من آذار ، اي ٢٨ يوماً وشهر شباط و ٢٢ يوماً من آذار ، فالجموع خمسون يوماً ، تقسم بالتساوي بين السعود الأربعة .
والاخبية جمع خباء ، وهي المضارب والخيم ويقصد بها الابنية ، وفي البيتين تورية ظاهرة .

تركت جفني واصلاً والكرى راء فجُدد بالوصل فالوصل زَيْن (١)
ولا تجبني يا حياتي بلا فالقلب يحشى كرب لا يا حسين
واختلاف في قاتله لاجتماعهم على قتله ، فتميل سنان بن أنس النخعي ، وقيل
رجل من مذحج ، وقيل شمر بن ذي الجوشن ، وقيل عمر بن سعد .
ومن تفكّر في الدنيا وغايتها أقامه الفكر بين العجز والتعب
وكان الأمير على إخراج الخيل لقتاله عبيد الله بن زياد بأمر يزيد ، كما حكاه
السيوطي في «التاريخ» ولقد تجاوز الحد ، من قال إنَّما قتل الحسن بسيف جدّه ،
(سَتَكْتَبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ) .

تنام النصارى واليهودُ بأمرهم ونوم بني الزهراء نوم مشرد
وما هي إلا ردة مستحيلة وكفر قديم بالحديث يجدد
وكان الأمير على السرية عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وكان السبب في
ذلك غرور أهل العراق ، وكان يقال :

بلوت النَّاسُ قرناً بعد قرن فلم أر غير ختالٍ وقالي (٢)
ولم أر في الخطوب أشدّ وقعا وأصعب من معاداة الرّجال
وذقتُ مرارة الأشياء جميعاً فما شيء أمرّ من السؤال
ولما تبين له الغدر ، أراد الرجوع ، فمنع من ذلك ، فلما كان يوم الجمعة ،
الثالث من المحرم ، قدم عمر في أربعة آلاف ، وبعث بخمسمائة فارس فترلوا

(١) في البيت تورية بواصل بن عطاء ، ورائه .
وهو أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال المعتزلي ولد سنة ثمانين للهجرة ، ولازم في مبدأ أمره الحسن
البيصري ثم اعتزل عنه وخالفه في أصحاب الكبراء من المسلمين ، فقُتِلَ واصل انهم ليسوا مؤمنين ولا
كافرين بل لهم منزلة بين المنزلتين ، فسمي واصحابه معتزلة .
وكان واصل يُلغ بالراء ، فكان لذلك يتحاشى الراء في كلامه ، حتى انه ليرتجل الخطبة الطويلة ،
لا يأتي فيها بأي راء . وكان يتجنب اللفظ بالراء في كلامه كله ، حتى ذكر ذلك في الاشعار ، مثل :
نعم تجنب لا يوم العطاء كما تجنب ابن عطاء لثقة الراء
ولم يكن واصل بن عطاء غزاليا ، وانما كان يلازم الغزاليين ليعرف المتعطفات من النساء فيحمل
صدقته هن .

والتورية في البيت الثاني بين كرب لا وكربلا لا تحتاج الى شرح .
(٢) الختال : هو الخداع المراءوغ . والقالي : المبغض الهاجر .

على الماء، وحالوا بينه وبين الحسين ، ونادى منادياً^(١) يا حسين لا ترى الماء حتى تموت عطشاً ، ثم إن عمر كتب الى ابن زياد : أما بعد فإن الله تعالى قد أطفأ النائرة ، وجمع الكلمة ، وقد أعطاني الحسين عهداً أن يرجع الى المكان الذي أتى منه ، أو أن يسير إلى أي ثغر شئنا ، أو أن يأتي يزيد فيضع يده في يده . فكتب إليه ، أما بعد : فإنني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ، ولا لتمنيه ولا لتعقد له عندي شافعاً ، اعرض عليهم التزول على حكمي ، فإن أبوا فقاتلهم ومثل بهم ، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قُتل الحسين، فأوطيء الخيل صدره وظهره ، فإنته عاق شاق ظلوم . فلما أتاه الكتاب ، ركب إلى الحسين وقال له : جاء الأمر بكذا ، ثم إن عمر خرج فيمن معه ، والحسين في أصحابه

في موقف وقف الحمام عليهم في ضنكه واستحوذ استحوذاً^(٢)

فأخذ عمر سهماً ورمى به وقال : اشهدوا أنني أول من رمى . وحمل أصحابه فصرعوا رجالا ، وأحاطوا بالحسين وقاتلوه ، فادماه رجل من كندة يقال له مالك ، فأخذ دمه بيده وقال : اللهم إن كنت حبست عنا النصر من السماء ، فاجعل ذلك لما هو خير منه ، واشتد عطشه ، فدنا ليشرب ، فرماه ابن تميم بسهم فوقع في فمه ، فتلقي الدم بيده ، ورمى به إلى السماء ، وقال بعد حمد الله والثناء عليه : اللهم إنني أشكو إليك ما يصنع يا بن بنت نبيك ، اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدءاً ، ولا تبق منهم أحداً ، فأقبل شمر في نحو عشرة الى منزل الحسين ، وحالوا بينه وبين رحله ، وأقدم عليه وهو يحمل عليهم ، وقد بقي في ثلاثة ، ومكث طويلاً من النهار ، ولو شاؤوا قتله لقتلوه ، ولكن كان يتقي بعضهم ببعض ، ويحبّ هؤلاء أن يكفهم هؤلاء ، فنادى شمر في الناس : ويحكم ما تنتظرون بالرجل ؟ فحملوا عليه من كل جانب ، فضرب كفته اليسرى وعاتقه ابن شريك التميمي ، فحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوقع ، وقال لخولة الأصبحي احتز رأسه ، فأرعد وضعف ، فنزل اليه وذبحه ، وأخذ رأسه فدفعه إلى خولة ، وسلب الحسين ما كان عليه حتى سراويله ، وانتهبوا متاعه وما على النساء ، وصنعوا ما صنعوا وما عسى أن نقول ؟

(١) كذا في الاصل ، وحققا أن تكون : مناد ، إلا اذ كانت بمعنى : وارسل عمر منادياً ينادي .

(٢) الحمام : الموت . والضنك : الضيق والشدة .

وقست منهم قلوب علي من بكت الأرض فقدم السماء
فابكهم ما استطعت إن قليلاً في عظيم من المصاب البكاء
ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة ، وأربع وأربعون ضربة ، ثم نادى عمر (١)
من يتدب للحسين فيوطئه فرسه ؟ فانتدب عشرة فداسوه بخيولهم ، حتى رضوا ظهره
وصدره .

مصائب شتى جمعت في مصيبة ولم يكفها حتى قفتها مصائب
وكان عدة من قتل معه اثنين وسبعين رجلاً ، ومن أصحاب عمر ثمانية وثمانين
غير الجرحى ، ثم دفن في اليوم الثاني بالطف حيث قتل وفي ذلك قيل :
بالطف لي أسوة في كل حادثة فهات يا دهر ما أعددت من محن
ما كنت أدري الليالي في غوائلها تسقي الحسين الردى والسم للحسن
ثم بعث عمر بن سعد برأس الحسين وروؤس أصحابه إلى ابن زياد ، ودخل خولة بن
يزيد الأصبحي على ابن زياد برأس الحسين وهو ينشد :
املاً ركابي فضةً وذهباً إني قتلت السيد المحجّباً
قتلت خير الناس أمماً وأباً وخيرهم إذ ينسبون نسباً
فوضع الرأس بين يدي ابن زياد ، فكان ينكت ثنايا الحسين بقضيب كان في يده ،
وزيد بن أرقم حاضر وهو يقول له : اكفف ، فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
يقبل هذه الثنايا .

وإذا البيئات لم تغن شيئاً فالتماس المسدى بهنّ عناء
ثم بعد يومين دخل الكوفة عمر ، ومعه ثياب الحسين واخواته ، وفيهم علي بن

(١) ولم يطل الأمر بقتلة الحسين : فقد قام المختار بن ابي عبيد الثقفي بالكوفة طالباً بثأر الحسين سنة
ست وستين ، اي بعد خمس سنوات من مقتل الحسين - قتل الحسين في العاشر من محرم سنة احدى وستين -
فتجرد لقتال قتلة الحسين ، وطلب شمر بن ذي الجوشن حتى ظفر به وقتله ، وبعث الى خولى الأصبحي وهو
صاحب رأس الحسين فاحتاط بداره وقتله واحرقه بالنار ، ثم قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص صاحب الجيش
الذين قتلوا الحسين ، وقتل مع عمر ابنه حفصاً . وفي المحرم من سنة سبع وستين ارسل الجنود لقتال
عبيدالله بن زياد وقدم عليهم ابراهيم بن الاشر النخعي ، فانهم اصحاب ابن زياد ، وقتل هو ، قتله ابراهيم بن
الاشر ، وأخذ رأسه واحرق جثته .
فانتقم الله للحسين بالمختار ، وان لم تكن نية المختار جميلة .

الحسين ، وهو مريض ، فأدخلهم على ابن زياد ، وطيف برأس الحسين على خشبة في الكوفة ، ثم بعث به الى يزيد بن معاوية
خرجوا به واكلوا بك خلفه
والشمس في كبد السماء مريضة
صعقات موسى يوم ذلك الطور
والأرض واجفة تكاد تمور
وأرسل معه النساء والصبيان على الاقتاب ، والأغلال في عتق علي بن الحسين وفي يديه ، إلى أن جيء برأس الحسين ، فوضع بين يدي يزيد في طست ، فأمر الغلام فرقع الثوب الذي كان عليه ، فلما رآه ستر وجهه بكمه كأنه اشم منه رائحة ، وجعل يقرع ثناياه بقضيب كان في يده ، وهو يقول : الحمد لله الذي كفانا المؤنة ، (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله) ومكث الرأس مصلوباً بدمشق ثلاثة أيام ، ثم ترك في خزائن السلاح ، والقصة أشهر من نار على علم ، وقد أفردت بالتأليف^(١) وإنما ذكرت هذه النبذة ، ردعاً للنفس عند تطورها وتهورها ، وإلا فما ثمرة الأسف ؟ والنعتب على الماضي عبث .

ودع عنك أمراً قد مضى لسبيله
ولكن على ما نالك اليوم فاقبيل
ما أوقع ما قال :
يقدهح الدهر في شماريخ رضوى
ويحطّ الصخور من هبّود
يحكم الله ما يشاء ويمضي
وقال وما يجدي المقال :
بعض الذي نالنا يا دهر يكفيننا
فأمن ببقيا وأودعها يدأ فينا
إن كان قصدك إرضاء العدو بنا
فدون هذا به يرضى معاديننا

(١) الكتب المؤلفة في هذا وفي غيره كثيرة ، ولكن الموثوق المقبول منها الخالي من التحامل والتحوير والتحرير قليل ، ومقتل الحسين ثابت لا يخالف فيه أحد ، إلا أن التفاصيل تختلف قليلا او كثيراً بين كتاب وآخر ، والدخيل فيها ليس بالقليل ، لاسيما في كتب الشيعة والمثيعة .
وإذا أردت ان ترى امثلة من الاختلاق والكذب والتحرير ، والرد عليها ، فانظر في « منهاج السنة » لابن تيمية ، أو على الاقل « العواصم من القواصم » لأبي بكر بن العربي .
والتاريخ علم ، والعلم اعز من ان ينال من اقرب مورد ، فلا بد من البحث والمناقشة والاستيثاق .
وانظر من رسائل مسجد جامعة دمشق : « تاريخ مجيد ينتظر من يكتبه » .

وقال آخر :

آل حرب أوقدتم نارَ حرب ليس يخبو لها الزمانَ وقود
فإن حرب للمصطفى وابن هند لعليّ وللحسين يزيد
وما أحسن ما قال :

طالع تواريخ من في الدهر قد وجدوا تجد هموماً تُسليّ عنك ما تجد
تجد أكابرهم قد جرّعوا غُصصاً من الرزايا بها كم فتتت كبد

رؤيَ عن ابن عباس أنه قال : رأيتُ النبيّ صلوات الله عليه ، فيما يرى النائم نصف النهار ، وهو قائمٌ أشعثٌ أغبر ، ويده قارورة فيها دم ، فقالت : بأبي أنت وأمي ما هذا ؟ قال : هذا دم الحسين ، لم أزل ألتقطه منذ اليوم . فكان قتله في ذلك اليوم . وكذلك رأت أمّ سلمة وقالت : سمعتُ الجنّ تبكي على الحسين وتنوح عليه . وأخرج ثعلب في « أماليه » عن أبي حباب الكلبي قال : أتيتُ كربلاء ، فقلت لرجل من أشرف العرب بها : بلغني أنكم تسمعون نواح الجنّ ، فقال : ما تلقي أحداً إلا أخبرك أنه سمع ذلك ، قلت : فأخبرني ما سمعت أنت ، قال سمعتهم يقولون :

مسح الرسولُ جبينه فله بريق في الحدود
أبواه من عليا قریش وجدّه خير الحدود

وقال السديّ : لما قتل الحسين ، بكت السماء عليه ، وبكاؤها حمرتها . وعن عطاء في قوله تعالى : (فما بكت عليهم السماء) قال : بكاؤها حمرة أطرافها . وقيل : مكثت السماء حمرةً الجوانب ستة أشهر ، ثمّ لا زالت الحمرة فيها بعد ذلك ، ولم تكن تُرى فيها قبله ، حكاه ابن حجر .

وعلى الأفق من دماء الشهداء وعليّ ونجله شاهدان
فهما في أواخر الليل فجع ران وفي أولياته شفقان

قصة : حكّي أنّ الإمام زين العابدين لما أتى به إلى يزيد قال له : أنت ابن الذي قتله الله ؟ فقال : أنا ابن الذي قتله الناس ، فقرأ يزيد (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فتلا الإمام زين العابدين : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) فلم يُحِرْ يزيدُ جواباً . وهذا من أعظم مواقف الحيرة ، وإن تشعب فيه طرق التأويل .

وأما المشهد، فقال المقرئزي: إن الأفضل (١) ابن أمير الجيوش ، خرج في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة الى البيت المقدس ، ولما دخل عسقلان (٢) ، أخرج رأس الحسين من مكان دارس ، فعطّره وحمله الى القاهرة ، سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وبني بها ذلك المشهد الذي يشهد له بالاحسان ، وكان الذي نقله إلى عسقلان من دار السلاح ، سليمان بن عبد الملك ، ولما تكامل البناء ، حمل الرأس على صدره ، وسعى به ماشياً إلى أن أحلّه في مقره . فكان كما قيل :

وضعوه في جدّث كأنّ ضريحه في قلب كلّ موحدٍ مخفور
فيه السماحة والفصاحة والتقى وتراب تربة قبره الكافور
وفي هذا المجال قال من قال :

عجباً لهذا الدهر في أفعاله رأسُ بمصر وجثّة في كربلا
يا قلب إن لم تعتبر ممّا ترى في الكون من تصريفه كرّ البلا

وقد اعتنيت الدهر بهذا المشهد ، وصار والله المنّة من أحسن عمارات مصر ، وعلى التربة رباط في غاية المحاسن ، ومرتببات يؤدّي واجبها . ولهذا المشهد يوم من السنة ، وهو يوم عاشوراء ، وفيه يقول البوصيري :

كلّ يوم وكلّ أرض لكربي منهم كربلا وعاشوراء

وهو يوم تجديد الاحزان ، وتغيير وجه الزمان ، ولو لم يكن فيه إلا إحياء سنة « أكثروا من ذكر هاذم اللذات » وإن أعرضت عن ذلك نفوس هممتها قتل المذكور بقتل الذكر ، إذ ليس في يدها غير ذلك . ولقد قيل :

(١) هو الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي ، تولى الأمور بمصر حين وفاة أبيه أمير الجيوش سنة سبع وثمانين وأربعمئة ، وبقي هو الحاكم في مصر والمرجوع اليه في عهد ثلاثة من خلفاء الفاطميين : المستنصر والمستعلي والأمير ، إلى ان اغتيل سنة عشرة وخمسمئة .

(٢) عسقلان مدينة على الساحل الجنوبي من فلسطين وكان لها ذكر وشهرة منذ أول الاسلام ، الى أن خربها السلطان صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٧ بعد أن استنقذها مع ما استنقذ من البلاد بعد وقعة حطين ، وذلك لثلا يعتصم بها الصليبيون ثانية ، ومع ذلك فقد تداولها المسلمون والصليبيون مرات بعد صلاح الدين ، وتوالى عليها العمران والتخريب ، الى أن خربت نهائياً في نهاية الحروب الصليبية لما طرد الصليبيون نهائياً في عهد الملك الاشرف خليل .

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب؟!
وللشيعة في هذا اليوم سنن ، منها عدم الاكتحال ، وتلطف في ذلك من قال :
ولائم لأمّ في اكتحالي يوم أراقوا دم الحسين
فقلتُ دعني أحق عضو فيه بلبس السواد عيني
ومنها الندب والنياحة ، وإلى الصبر مصير الجزع ، وما أحسن ما قال المتنبي :
علينا لك الإسعاد لو كان نافعاً بشقّ قلوب لا بشقّ جيوب
وقد فارق الناس الأحبة قبلنا وأعياء دواء الموت كلّ طيب

ومن المزارات التي بمصر ، مشهد السيدة نفيسة طيب الله ثراها ، وهي بنت الحسن ابن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أمها أم ولد ، ولدت بمكة سنة أربع وخمسين ومائة ، وقدمت مصر سنة إحدى وسبعين ، وبها نشأت ، وتزوجت بإسحاق المؤمن ابن الإمام جعفر الصادق ، فولدت منه القاسم وأم كلثوم ، ولم يعقبا ، وكانت من الزهد والصلاح على ما لا مزيد عليه ، وحبّت ثلاثين حجة ، وكانت تحفظ القرآن وتفسره ، ولا تأكل إلا في ثلاثة أيام أكلة واحدة ، ويحكى أن النيل توقف مرّة ، فرُفِعَ إليها خبره ، وما حصل بسببه من القحط ، فأمرت أن يُلقَى قناعها في النيل ، فلما ألقى زاد النيل . كذا في « الحطط » .

ومن المزارات بمصر تربة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ، وفي ذلك قيل :
لما خشيت من الجحيم وحرّها خوفاً وقد ضاقت عليّ مسالكي
زرّت الإمام الشافعيّ لعليّ أجد الرضى بالشافعي من مالكي

بتّ بها ليلة تجاه ذلك القبر المعطرّ ، والقراء حوله يتلون الكتاب المطهرّ ، بأحسن أداء ، يتحرك له الجماد ، ويصفوله الفؤاد ، فبتنا تلك الليلة نحيتها ونميت النوم ، ونعصي بالسهر أمره ، فما له من سلطان على أعين القوم ، وكانت ليلة سبت مبارك ، جاد بها الدهر من فضل الله تعالى وتبارك .

يا ليلة مرّت لنا حلوة بها انتصفنا من صروف الزمان
كانت عليّ وفق المني ايلة كم جهد قولي كان فيها وكان

قال في « إمتاع الاسماع » : ولم يزل قبر الشافعي مزاراً يتبرك به ، إلى سنة ثمان وستمائة ، انتهى بناء هذه القبة التي هي على ضريحه ، وقد أنشأها الملك العادل بن

أيوب^(١) ، وبلغت النفقة عليها خمسين ألف دينار ، وقال الشعراء في شأن هذه القبة وأكثروا ، فمن ذلك :

أتيت لقبر الشافعيّ أزوره فعارضني فُلُكُ وما عنده بحرٌ
فقلتُ تعالى الله تلك إشارة تشير بأن البحر قد ضمّه قبرٌ

وقال النابلسي :

لقد أصبح الشافعيّ الإمام وفينا له مذهب مذهب
ولو لم يكن بحر علم لما غدا وعلى قبره مركب

والقرافة على نحو ميلين من القاهرة ، قال في « المعرّب في أخبار المعرّب » :
وبت ليالي بقرافة الفسطاط ، وهي في شرقها ، وبها قبور عليها مباني معني بها ، وفيها القبة المزخرفة التي فيها قبر الامام الشافعي ، وبها مسجد وجامع ، ومدرسة كبيرة للشافعية ، وترب كثيرة ، ولا تكاد تخلو من الطرب ، ولا سيما الليالي المقمرة ، وهي معظم مجتمعات أهل مصر ، وفوق القرافة من شرقها جبل المقطم ، وليس له علو ولا عليه اخضرار ، وإنما يقصد للبركة ، والإجماع على أنه ليس في الدنيا مقبرة أعجب منها ، ولا أسهى من أبنيتها ، ولا أحسن تربة منها ، كأنها الكافور والزعفران ، مقدّسة في جميع الكتب ، من أشرف عليها رآها كأنها مدينة بيضاء ، والمقطّم عليها كأنه حائط من ورائها ،

وقال شافع بن علي :

تعجّبت من أمر القرافة إذ غدتُ على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو
فألفيتها مأوى الأحبة كلهم ومستوطن الأحباب يصبوله القلب

(١) الملك العادل ابوبكر بن أيوب أخو صلاح الدين الايوبي ولد سنة اربعين وخمسة وتوفي سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمئة ، ولما وقع الخلاف بين اولاد صلاح الدين ويش من التوفيق بينهم . اخذ منهم البلاد شيئاً فشيئاً حتى صفت له جميعاً ، فكانت مدة ملكه لدمشق ثلاثاً وعشرين سنة ولمصر نحو تسع عشرة سنة . وكان الملك العادل حازماً متيقظاً غزير العقل ذارأي ودهاء صبوراً حليماً موفقاً ، اتسع ملكه وكثرة اولاده حتى خلف ستة عشر ولداً ذكراً غير البنات ، ورأى فيهم ما يحب ، ولم ير أحد من الملوك الذين اشتهرت اخبارهم في أولاده من الملك والظفر مارآه الملك العادل في اولاده .

وقال آخر :

إذا ما ضاق صدري لم أجد لي مقرّ نزاها إلا القرافه
لئن لم يرحم المولى افتقاري وقلّة نصري لم ألقَ رافه
وفيها تربة الليث بن سعد الحنفي ، ويكون عنده سُرج وخيرات وجمّع ، بحيث
لا يوجد في مكانه قدر شبر خالٍ من القراء والفقراء والزوّار ، وهو مجرب لتفريج
المضايق ، وفيه قيل :

الليث قدّس سرّه وزكا أريجاً نشره
ما أمّه ذو كربة إلا وآذن بشره

قال ابن خلكان : إنّ الليث كان حنفي المذهب ، وإنه وليّ القضاء بمصر ، وإنّ
مالكاً أهدى إليه صينية تمر فأعادها مملوءة ذهباً ، توفي سنة خمس وسبعين ومائة ،
وسمع من الهاتف عند دفنه :

دُفن الليث فلا ليث لكم ومضى العلم غريباً وقبير

وهناك تربة الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدس الله سره ، وهي تحت العارض ،
وهو مفازة بجبل المقطم ، وفيه يقول أبو الحسين القصاب :

لم يبقَ صيّب مُزنة إلاّ وقد وجبت عليه زيارة ابن الفارض^(١)
لا غرو أن يروي الصديّ وخذّه أبداً ليوم العرض تحت العارض

ولابن أبي حجلة :

سقى السفح من ذيل المقطم عارض تعارضه من دمع عيني مواطره

(١) الصيب : السحاب ذو المطر .

والمزنة : القطعة من المزن ، وهو السحاب ذو الماء .

والصدي : من أصابه الصدى ، وهو العطش الشديد .

واللحد : القبر .

ويوم العرض : يوم القيامة .

والعارض : السحاب المعترض في الافق . وفيه التورية بالسحاب عن الموضع المدفون فيه ابن
الفارض .

والمفازة : الفلاة المهلكة التي لا ماء فيها .

وبيتا ابن أبي حجلة التاليان سبق ان اوردهما المؤلف في صفحة ٧٥ .

فكم فيه من صَبِّ قضي وغرامه أوائله لا تنقضي وأواخره
وهذه التربة تجلو عن القلب الصدا ، وترشده إلى سبيل الهدى ، وفيها يجد
الفؤاد من السرور ما يملأ ألف واد . قال في «البرق الوامض» : ولد ابن الفارض
لست وأربعين وخمسمائة ، وحدث عن القاسم ابن عساكر ، وسَمِع منه الحافظ
المنذري ، وروى شعره ، قال : وكان قد جمع بين الجدالة والحلاوة في شعره .
وكان أبوه يتولى الفروض بالقاهرة ، قال ابن خَلِيكان : كان على قدم
التجريد ، كثير الخير ، جاور بمكة زمانا ، وكان محمود العشرة . وفي «تذكرة
الكندي» قال : حدث شيخنا شهاب الدين محمود ، أن ابن الفارض كان قاضيا ،
فلما كان في بعض الأيام من يوم الجمعة ، دخل المسجد للصلاة وقت الخطبة ،
فوجد شخصاً يغني ، فنوى تأديبه ، فلما انقضت الصلاة وانتشر الناس ، برز ،
فناداه المذكور أن أقبل ، فلما أقبل أنشده :

قَسَمَ الإله الأمر بين عباده فالصَّبَّ يَنشِدُ والخَلِيَّ يُسَبِّحُ
ولعمري التسبيح خير عبادة للناسكين ، وذا لقوم يصلح

فكان ذلك سبب زهده ، وفراق رسوم تهامته ونجده ^(١) وفي «تذكرة»
الصلاح الصفدي أنه لما اجتمع بالشيخ شهاب الدين السَهْرَوَرْدِي ، بمكة المشرفة ،
أنشده ^(٢) :

(١) رأس الأمر وباب الاسلام شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله . والشهادة الاولى
تعني ان ينخلع الانسان عن عبادة غير الله ويجعل حياته جميعها واعماله كلها لله عز وجل خضوعاً له
وعبادة ، وسعياً لنيل رضاه ، والدعوة اليه ، والجهاد في سبيله ، اما معنى شهادة ان محمداً رسول
الله فهو التصميم على جعل هذه العبادة كلها على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبيله ، لاهوى
نفس ولا عادات مجتمع ولا اي شيء غير ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم نجد في هديه ان
يعمد الانسان اذا احب الى الغناء وقت خطبة الجمعة ولو توهم ان ذلك أصلح له ، وكيف ، ورد
السلام في هذا الوقت محظور ، وأمر صاحبه بالانصات لغو ، ومن لغا فلا جمعة له ، أفتراه ينهاه ان
يقول لجاره انصت ويبيح له التغني ؟ ولا يفتح مثل هذا الباب للشيطان من كان ذافقه وايمان (فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ماشجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا
تسليماً) .

(٢) المشهور بين الناس ان قائل البيتين هو الشيخ الرفاعي انشدهما امام قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم . ويأتون للقصة بذيول يرويها بعض الناس .

في حالة البعد روجي كنت أرسلها
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت
وتوقف النيل في أيامه ، فأرسل إليه الملك الكامل وهو بالروضة ، فكتب رقعة
وأمرهم أن يلقوها في النيل ، فلما ألقوها فيه زاد وغمر البلاد ، وهي هذه الأبيات :

يا أيّها النيل المبارك إن تكنُ
أو إن تكن من عند نفسك آتياً
كم من بلاد لست تسلك أرضها
قال الصليبيّ اللعين بكفره
مسرى سرى والنيل أضحي واقفا
ومضى النسيء وليس فيه زيادة
نحن الذي فزنا بجاه محمد
فغنيّنا يرجوه ذُخْرَ غنائه
يا بَرَّ إنَّ البَرَّ أصبح غالياً
وأفض على السدّ المبارك ماءه
من عند ربك تأتٍ فاجرٍ بأمره
فالله يسُطُّ بره في بره
ملاً الإلهُ بيوتها من بره
والكفر يركض في جوانب صدره:
والدمع يجري من توقف بحره
إنّ النسيء زيادة في كفره^(١)
وبدينه وبفضله وبفخره
وفقيرنا يرجو نداء لفقره
فارخصْ بحقِّك ما غلا من سعره
واكسره ربّ فجبرنا في كسره

ومن أحسن ما رأيت بمصر المحروسة : خان الخليلي ، فإنّه كثر جمع من
المحاسن أسناها ، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ومن سعته وتشعب
طرقه ، يكاد يكون مدينة مستقلة ، وفيه قيل :

كلّ أرض قد تسامت
فعليتها مصر جلت
باقتضا أمر جليل
إذ حوت خان الخليل

(١) مسرى من اشهر القبط ، وهي : توت ، بابه ، هتور ، كيهك ، طوبه ، امشير ، برمها ،
برمودة ، بشنس ، بؤنة ، ايبب ، مسرى ، النسي . ويغلب ان زيادة النيل تكون في هذا الشهر .
والنسيء في اللغة : التأخير ، واصطلاحاً تلاعب كان اهل الجاهلية يقومون به حين يستثقلون توالي
ثلاثة اشهر محرمة (ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم) فينسؤون - اى يؤخرون - حرمة محرم مثلاً الى
صفر ، فيحلون المحرم ويحرمون صفر ، وليس ذلك دائماً ، وإنما يملونه عاماً ويحرمونه عاماً ،
ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، لذلك قال الله عزّ وجل (إنما النسيء زيادة في الكفر) .
والنسيء عند القبط الخمسة اوالسته ايام التي تبقى من السنة بعد انقضاء اشهرهم الاثني عشر ، وكل
منها ثلاثون يوماً .

ورأيتُ بها محلاً يسمّى الماوردين ، يحويه ثمانية أبواب ، وهو مرتب الوضع متشعب ، يكاد يضل فيه من لم يعرفه ، بل ويقول بلسان الحال :
لا تسلكنّ طريقاً لست تعرفها بلا دليل فتهوي في مغاوبها
وقد جمع أنواع العطر وأصناف الثياب ، إلى غير ذلك من المحاسن واللطائف ،
وبقره صاغة اليهود ، ولها سبعة أبواب ، فلهما مناسبة بالجنة والنار ، من حيث
عدد الأبواب ، والكفر والاسلام .

ومن محاسن مصر بولاق ، وما أدراك ما بولاق ، ساحل ساح له السواح ،
وسحّ له سحاب الغدوّ والرواح ، ودارت أفلاكه بالدراري ، وجرت فلكه
بخزائن الأرض في ذلك البحر الجاري ، وغنى في رياضه الشحرور والهزّار ،
وترنّم الشادي في محاسنه ببديع الأشعار :

سقى الله هاتيك المعاهد من مصر
وخودُ تراءت من خلال قصورها
إذا احتجبت عنا بفاضل بُردها
أعاذل في أهواء بولاق إن تكن
إذا كنت في مصر ولم تك نازلاً
سقى الجيزة الريا سحاب مقطب
رحلتُ إلى تحصيل لذاتها التي
نهار قصير فاق عمري كلّه
تبّاكرني يا صاح بالراح عصابة
ومُنيتها قد أصبحت لي مُنية
وقال :

لم لا أهِم بمصر
ولم تر العين أحلى
وقد طال حديث مصر وزاد ، ولكن بحسب ما قيل :
أخبار مصر حديثها من حسنه
وأشتهيها وأعشق
من مائها إن تملق
يحلو لأنّ اللفظ منه سكر

يحلوا إذا كررتموه وحسبكم
وأقول كما قيل :

أعدّ ذكر من حلّ العَضَا يا مُعَدِّبِي
ولا تنس سكّان العقيق وإن هُمُ
وإن أضرّموه بالأضالع والصدر
على وجنتي أجرّوه في مدّة الهجر^(١)

وهذه قطعة من المقاطيع الحسنة ، والنوادر المستحسنة ، حسبما تيسر جمعها من تلك الديار المصرية ، نقاية ونقلا ، ورواية وإملا ، لئلا تخلو هذه الورقات من فائدة ، ولتكون صلة تلك الأبيات الأبيات عليها عائدة ، فمن ذلك للفاضل أبي الفتح البستي ، ولقد أفاد وأجاد :

إذا لم يزد علمُ الفتى قلبه هدىً
فبشره أنّ الله أولاه فتنّة
وسيرته عدلاً وأخلاقه حسنا
تُغشّيه حرماناً وتوسّعه حزناً

وقال آخر :

أفد العلم ولا تبخل به
من يفده يجزه الله به
وإلى علمك علماً فاستزد
وسيفي الله عمّن لم يفد

وقال :

لا تمنعنّ العلم طالبه
كم من رياض لا أنيس بها
فسواك أيضاً عنده خبير
هجرت لأنّ طريقها وعبر

وقال :

اجعلْ ندعك دفرا في ضمنه
اننال آداباً وتكسب عزة
حكّم العلوم وطبها في نشره
يغنيك عن زيد الزمان وعمره

وقال :

العلم يأتي كلّ ذي
كالماء ينزل في الوها
د وليس يصعد في الروابي
د خفّض ويأبى كلّ آبي

(١) الغضا جمع غضاة وهو شجر من الأثل شديد الصلابة وجمره يبقى طويلا قبل أن يخذل .
والمقصود في الشطر الأول مكان يكثر فيه الغضا .
والعقيق واد قرب المدينة وهو منزه أهلها .

وقال :

ألا لن تنال العلم إلا بستّة
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغّة
وقال

بعشر تنال العلم قوت وصحّة
ودرس وحرص واغتراب وهمّة
وحفظ وفهم ثاقب في التعلّم
وشرّخ شباب واجتهاد معلّم
قال :

علم الحديث فضيلةٌ تحصيلها
فاذا أردت حصوله بإجازة
بالسعي والتطواف في الأمصار
فقد استعضت الصّفر بالدينار^(٢)

فائدة : قال الجلال السيوطي في «الإتقان» ، في النوع الرابع والثلاثين ، في كيفية تحمّل القرآن : الإجازة من الشيخ ، غير شرط في جواز التصدي للإقراء والإفادة ، فمن علم من نفسه الأهلية ، جاز له ذلك وإن لم يجزه أحد ، وعلى ذلك السلف الأوّلون والصدر الصالح ، وكذلك في كلّ علم في الإقراء والإفناء ، خلافا لما يتوهمه الأغبياء ، من اعتقاد كونها شرطاً ، وإنّما اصطلاح الناس على الإجازة ، لأنّ أهليّة الشخص لا يعلمها غالباً ممن يريد الأخذ عنه ، من المبتدئين ونحوهم ، لقصور مقامهم عن ذلك والبحث عن الأهلية ، ولا تجب الإجازة على الشيخ ، ولا يجوز أخذ الأجرة عليها .

ومليحة شهدت لها ضرّاتها
والفضل ما شهدت به الأضداد
الشاطبي :

قلّ للأمير نصيحة
إنّ الفقيه إذا أتى
من حاذق فطِن نبيه
أبوابكم لا خير فيه

(١) هذان البيتان قد مرّا سابقاً صفحة ٢٦ . إلا ان المؤلف قد ذكر هناك في الشطر الثاني من البيت الثاني : وإسعاد استاذ ، وهناك قال : وهمّة استاذ . والذي نحفظه : وصحبة استاذ .

(٢) الصفر هو النحاس ، يقول ابو فراس :

سيدكرني قومي إذا جد جدّهم
أما كيميائيا فخليطة - لها عدة اشكال - يتألف معظمها من النحاس ، والى جانبه القصدير .

وما أحسن ما قال :

إذا الفتى فاته مال يجمّله ففي التأدّب ما فاته خلّف
هو اللباس الذي لا شيء يعدّله والمفخر الزين فيه الفضل والشرف

وقال :

كفى شرفاً بالعلم دعواه جاهل ويفرح أن يدعى إليه وينسب
ويكفي خمولا بالجهالة أنه يُراع متى يُعزى إليه ويغضب

وقال :

إذا ما اعتز ذو علم بعلم فعلم الفقه أولى باعتزاز
فكم عرف يفوح ولا كمسك وكم طير يطير ولا كباز

وقال :

وقد يدعي علم القراءات معشر وباعهم في النحو أقصر من شبر
فإن قيل ما إعراب هذا ووزنه ؟ رأيت طويل الباع أقصر من فتر

وقال :

من تحلّى بغير ما هو فيه فضحّته شواهد الإمتحان
وجرى في العلوم جري سكيت خلّفته الجياد يوم الرهان^(١)

وما أصدق ما قال :

كلّ من يطلب العلوم وحيداً دون شيخ فإنّه في ضلال
ليس في الكتب والدفاتر علم إنّما العلم في صدور الرجال^(٢)

(١) السكيت : هو الذي يأتي آخرأ في سباق الخيل ، فأول الجياد المجلي وآخرها السكيت .
(٢) هذا صحيح الى حد ، فإن العلم الحق يتعدّر غالباً على من يقتصر على الكتب فقط ، فهي لا تجيب
سائلا ، ولا تشرح له مارآه فيها غامضاً ، وقد يسيء الفهم دون ان يشعر ، أما التعميم ونسبة كل من
يسير في هذا الطريق الى الضلال فغلو وشطط ، واشد منه واشنع من يدعو إلى عبادة الشيخ - لو نفى هذه
العبادة بلسانه - بتقديسه وتزييه عن اي خطأ . واتباعه في كل شيء ، ومناداته بأن يكون . . . مام
الشيخ كالميت بين يدي الغاسل ، ولعمري اي خير يرجى من ميت ؟ واي ثناء على الشيخ حين يوصف بأنه
مفسل اموات ، اللهم أحيينا من موت الضلال وأيقظنا من غفلة الجهل ، ودلنا بك عليك ، ووفقنا لاتباع
نيك ، والاستعانة بالعلماء المخلصين ، والاستفادة منهم ، وعلّمنا اللهم ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا
علماً يا كريم .

وقال :

اليوم حَرَفٌ وغدًا مثله
يَحْصِلُ المرءُ بها حكمة
وقال :

قيدَ بخرطك ما يبيده فكرك من
فما نتائج فكر المرء بارزة
وقال :

جئنا إلى العلم في زمان
ويرتقي فيه للمعالي
وقال :

لو أن لقمان الحكيم الذي
يُبلى بفقر وعيال لما
وقال :

فصاحة حسن وخط ابن مقلته
لو اجتمعت في المرء والمرء مفلس
وقال :

إذا ما مات جارك ذات يوم
فأنت بأن يُعزّوك اليتامى
ولست بواجد حبّ العشاء
أحقّ من اليتامى بالعزاء

(١) حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقمان الحكيم الذي نتلو في كتاب الله وصاياها لابنه ، وعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ، معروفون .

اما ابن مقلته فهو ابو علي محمد بن مقلته ، ولد سنة ٢٧٠ وولي الوزارة ثلاث مرات سنة ٣١٦ وسنة ٣٢٠ وسنة ٣٢٢ ، وغرق في السياسة ومؤامراتها إلى أذنيه ، فكانت نهايته ان قبض عليه وقطعت يده ثم لسانه وضيق عليه في الحبس الى أن مات في شوال سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة ودفن بدار الخليفة ، ثم إن أهله سألوا فيه فنبش وسلم إليهم فدفنوه في داره ثم نبش ونقل الى دار أخرى ، ومن العجب انه ولي الوزارة ثلاثة دفعات ووزر لثلاثة خلفاء المقتدر والقاهر والراضي ، وسافر ثلاث سفرات اثنتين الى شيراز وواحدة الى الموصل ودفن بعد موته ثلاث مرات .

وكان على درجة عالية من جمال الخط ، حتى كان يضرب المثل بجمال خطه - الذي نقله من الكوفي - وكان صاحب مدرسة في الخط .

وقال :

تتل المراد وقد سموت إلى السما
لما استقام على الحروف تقدما

إن كنت تسعى للزيادة فاستقم
ألف الكتابة وهو بعض حروفها
ابن زيادة في النقصان :

يختص بالإسعاف والتمكين
نقط وفاز به اعوجاج النون

من يستقم يحرم مناه ومن يزيغ
انظر الى الألف استقام ففاته
وقال آخر :

بين الأنام ودوحه لم يثمر
لوبيع عندالنجم غاب المشتري^(١)

ما للقريض غدت تعاف بحوره
غلب الكساد عليه حتى إنّه
وقال :

صبراً على ما نلت من خطب عسير
فيه وإلا فالضمير المستتر

با من يحاول راحة في دهره
وكن اسم فعل لا يؤثر عامل
وقال :

فاعلم بأن قد آن أن يفشيّه
إفراد تستخرجه الثنيه

سرك إن أودعته ثانياً
لأن ما أضمر في حالة ال
وقال :

أو فتية من بني الأيام تألفها
فإن ثنية الأسماء تكشفها

إيتك من صاحب ترجو معونته
ولا تقل أبتغي ثانٍ أضاف به
وقال :

وكان وفاقه وفق المراد
فإن القرض مقرض الوداد

إذا نلت المنى بصديق ود
فحاذر أن تعامله بقرض
قال :

إن رمّت أن تقتني وداده

لا تقرضن الصديق شيئاً

(١) في المشتري تورية بالنجم المعروف الذي هو أحد الكواكب السيارة التي تدور حول الشمس مؤلفة المجموعة الشمسية ، وهي - ابتداء من أقربها الى الشمس - : عطارد ، الزهرة ، الارض ، المريخ ، المشتري ، زحل ، اورانوس ، نبتون ، بلوتو .

والردّ أنكى من الولاده
وقال :

فمنها جليّ ومُسْتَعْمَض
ورأي الجماعة لا يُنْقَض
وقال :

وخالفهم في الرضى واحد
على عقله أنّه فاسد
وقال :

ولست على قَدَر السُّلافِ تُصَاب
لصاقت بك الأكوان وهي رِحَاب
وقال :

على ما تَجَلّى يومه لا ابن أمسه
فخار الذي يبغى الفخار بنفسه
وقال :

فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
وقد حطّ بالجهل الشريف أبو لهب^(١)
وقال :

فيما يحدث كعب وابن مسعود
يموت منّا ولم نفرح بمولود
وقال :

أصبحتُ أرجو أن أموت لأعتقا
عُرِفَتْ لكان سبيله أن يعشقا
وقال :

(١) المحفوظ في البيت :

وقد وضع الشرك النسب أبالهب

فقد رفع الاسلام سلمان فارس

والبيت الثاني من البيتين التاليين له :

لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

إن دام هذا ولم يحدث له بدل

وقال :

قد قلتُ إذ مدحوا الحياة فأسرفوا
منها أمانُ لِقائه بِلِقائه

وقال :

جزى الله عنا الموتَ خيراً فإنّه
يعجل تخلص النفوس من الردى

وقال :

جزى الله الشدائد كلَّ خير
وما شكري لها إلا لأتني

وقال :

يمثل ذو اللبّ في نفسه
فإن نزلتْ بَغْتَةً لم يُرَعْ

وقال :

إذا المرء من أعدائه لم يَشْفِ نفسه
ومن لم يَطِبْ منه الثنا في حياته

وقال :

لا تستدلّ على تغيير صاحب
يوماً بأوضح من تجشّم وجهه

وقال :

ما دمتَ حياً فدارِ الناسَ كلّهم
من يَدْرُ دارى ومن لم يدْر سوف يَرى

وقال :

عودٌ لسانك حسنَ القولِ تَنجُ به
واحذرَ زمانك من خلّ تنادمه

(١) الذمام : الحق والحرمة ، وخفر ذمامه : نقض عهده . والتجشم : التكلف على مشقة ، والسخط

والسخط ، والسخط - ضد الرضى .

وقال :

لا تحقرنَّ امرءاً أن كان ذا ضعة
ورُبَّ قوم حقرناهم ولم نرهم

وقال :

وكنْتُ أظنُّ أنَّ جبال رضوى
ولكنَّ القلوب لها انقلاب

وقال :

إنَّ الصفا في شرب كلِّ مودة
فإذا صفا لك من زمانك واحد

وقال :

قوِّض خيامك عن أرض تضامُ بها
وارحل إذا كان في الأوطان منقصة

وقال :

تفقدُ السادات خدامهم
هذا سليمان على ملكه

وقال :

ترى الفتي يُنكر فضل الفتي
لجَّ به الحرص على نكتة

قال :

يا سادتي هل يخطرُنَّ ببالكم
حاشاكمُ أنْ تغفلوا عن حال من

وقال :

نظرتُ فأقصدت الفوادِ بسهمها
ويلاه إنْ نظرتُ وإنْ هيَ أعرضتُ

فكم وضع من الأقوام قد رآسا
أهلاً لخدمتنا صاروا همُّ الرؤسا

تزول وأنَّ ودك لا يزول
وأحوال ابنِ آدم تستحيل

لم يخل من كدر لمن هو وارد
فهو المراد ! وأين ذاك الواحد ؟

وجانبِ الذلِّ إنَّ الذلُّ مُجتنب
فالمندك الرطب في أوطانه خشب^(١)

مكرمة لا تُنقص السودا
قد قال : ما لي لا أرى الهددا

ما دام حياً فإذا ما ذهب
يكتبها عنه بماء الذهب

من ليس يخطر غيركم في باله
هو غافل في حككم عن حاله

ثم انثت عنه فكاد يهيمُ
وقعُ السهامِ ونزعهنَّ أليمُ

(١) المنديل - وجمعه منادل - : العود الطيب الرائحة .

وقال ابن الرومي :

إذا سرّها أمر وفيه مآثم
وما مرّ يوم أرتجي فيه راحة
قال :

أعانقها والنفس بعدُ مشوقة
وألّمّ فاها كي تزول صبابتي
كأن فؤادي ليس يشفي غليله
وقال ابن مكناس :

ثلاثٌ تجمّعن في ريقها
فإن قيل ما هي تلك الثلاث
وقال آخر :

زارت معطرة الشذى ملفوفةً
يا معشر الأديباء هذا وقتكم
وفي حركات البناء لابن الحنبلي :

ضممتُ إلى صدري فتاة صغيرة
ومذ كسرتُ أجفانها قلت هذه
وفي المعنى :

شاقبي	ردف	مليح	لحروف	النحو	يجمع
يفتح	الجزم	لنصب	ولأجل	الجرّ	يرفع

وقال آخر :

تأخّرتُ	عن	موقفي	فقلتُ	ياخود	قفي
ثم	عديني	موعداً	ختامه	مسك	وفي

وقال آخر :

العيش : دار رَحْبَة وحليّة حسناً ومهراً فاره

(١) الشطر الثاني غير موزون ، ويستقيم الامر اذا استبدلنا « خلا » بـ « تخلى » أو « تعالى » أو

ماكان على هذا الوزن .

فاظفر بهنّ ولا تبالي فالورى
وقال مهيار الديلمي :

وكنْتُ أَلومَ العاشقين ولا أرى
فأعدى إليّ الحبّ صحبة أهله
وقال آخر :

أملتُ أن يتعطفوا بوصلكم
وعلمتُ أن جفاكم لا بد أن
وقال الصفدي :

يا من تناسى ودادي بعد معرفة
ما أنت أول محبوب ظفرتُ به
وقال :

تعشقتُ بدرأ ليس فيه مطمع
رأيتُ مُحَيّا البدر من أين يُسْفِر
وقال :

سارفته نظرة أطل بها
يا جورَ حكم الهوى ويا عجباً
وقال :

يا أيّها الناس من رأى قمرأ
لو كلّف العالمين قاطبة
وقال :

مداده في الطرس لما بدا
قبّله الصبّ ومن يزهد

(١) الشطر الثاني به نقص أدى إلى خلل في الوزن ، ويستقيم البيت بأن نقول مثلاً :

حسنا ومهر للمعاصم فاره

(٢) التورية هنا بين جرى بمعنى سال وجرى بمعنى حصل .

(٣) الشطر الاول بين الخلل ، والنقص فيه واضح ولعل صوابه :

« تعشقت بدرأ ليس لي فيه مطمع »

كأنّما قد حلّ فيه اللّمي أو ذاب فيه الحجر الأسود^(١)

وقال :

واقعد أقول لمن تعشّق أغيدا ما مذهبي عشق الجمال مقيداً
قد كان في ذكر الذين أحبّهم فاخلع محبة من يموت وخدّ بنا
أو غادة وغدا أسير وثاق^(٢) بل عشقه ديني على الإطلاق
ذكرى اللبيب وعبرة الأشواق يا قلب في عشق الجمال الباقي

وقال :

يا قلب إنّ خان الخليل فخلّه ولربّ حادثة تخلى عندها
فلكم فتي ذاق العنا من خلّه من كنت أرخص مهجتي من أجله

وقال :

لا غرو من حزني لبينهم فالقوس من خشب تن إذا
يوم النوى وأنا أخو الهمّ ما كلّفوها فرقة السهم

وقال :

سامح أذاك إذا أتاك بمنكر ولكلّ شيء آفة من جنسه
فخلّوص شيء قلّما يتمكّن إنّ السراج على سناه يدخن^(٣)

ما أنصح ما قال :

مع العلم فاسلك حيث ماسلك العلم وفيه جلي للقلوب من العمى
وعنه فكاشف كلّ من عنده فهمّ وعون على الدين الذي أمره حتم^(٤)
فإني رأيت الجهل يُزري بأهله وذنو العلم في الأقوام يرفعه العلم
يعدّ صغير القوم وهو كبيرهم وينفد منه القول والحلم

(١) اللّمي : سمرة أو سواد في الشفة يعدونة من صفات الحسن .

(٢) الاغيد - ومؤنثه غيداء - : ذو الغيد ، والغيد : النعومة وميل العنق، ولين الاعطاف .

(٣) وأيضاً :

ولكلّ شيء آفة من جنسه حتى الحديد عدا عليه المبرد

(٤) لكي يصح وزن البيت يجب أن تكون تهجئة جلي بتشديد الياء ، أي : جلي ولا نرى لها هنا

موضماً . ونظن أنها : تجل ، والاحسن منها : جلاء .

فأي رجاء في امرئ شاب رأسه
يروح ويغدو الدهرَ صاحبَ بطنه
إذا سئل المحروم عن حال أمره
فهل أبصرت عينك أقبَحَ منظر
ومن مُدْمَنٍ شرب المدَام وما درى
هي الحالة الشنعاء فاحذر عقوبة
وخالط رُواة العلم واصحب خيارهم
ولا تَعُدْ عينك عنهم فإنتهم
فوالله لولا الله ما اتضح الهدى
ما أسلم ما قال :

تجاوزتُ حدَّ الأكثرين إلى السَّها
وخضتُ بحاراً ليس يدرك غورُها
ولَجَجْتُ في الأفكار ثم تراجع اخ
ما أرجى ما قال :

إلهي أنتَ تعلم أنَّ عجزِي
وأنتي يا غنيّاً عن عذابي
وإنما حَبَّرتُ هذه الأوراق ، من محاسن هذا الشعر بما رَقَّ وراق ، لميل القلوب
إليها ، وما في النفس من الإقبال عليها ، كما قيل :

(١) القدم : العيي البليد الاحمق .

(٢) الرخصاء : العرق لاسيما في أثر الحمى .

والعي : الاحصار في المنطق والعجز في الكلام .

(٣) الشطر الاول غير مستو ، ويمكن أن يكون :

«ولا تعد عين منك عنهم فإنهم»

(٤) مر سابقاً أن السها نجم صغير قرب النجم الثاني - ويسمى العناق - من بنات نعش ، وسيحدث

المصنف عن السها عندما يتحدث عن مروره بفرط كلال في عودته من استامبول . والسها لا يراه الا احد

البصر ، ولذا يقولون : أريه السها ويريني القمر . والمفازة الصحراء المهلكة التي لاماء فيها ولا نبات .

أما دين العجائز فيعني به الرضا والتسليم والاطمئنان مع بعد عن الشكوك والشبهات .

لا شيء أحلى في مسامع مُغرَم يلهو به أبداً سوى الأشعار
فَطَرُوسِهَا تَحْكِي الرِّياضَ وَإِنِّهَا لِذَوِي المعاني لَذَّةَ الأبصار

قال ابن منير الثعالبي : وما زال السلف يحفظون الشعر حديثاً وقديماً ، ويتخذونه في الحوادث تديماً ، ويُنشدونه حالَ المجالسة ، ويوردون دقائقه في أوقات المُخَالَسة ، والآثار المسندة ، والأخبار الممهدة ، في شأنه حجج قوية ، ومحجة ضوئية ، ويكفي في فضله أن النبي صلى الله عليه وسلم ، استنشدَ بعضَ أصحابه من شعر أمية بن الصلت (١) فأنشدته مائة قافية ، وأنَّ عمرَ مرَّ بحسَّان وهو ينشد الشعر في المسجد ، فنظر إليه شزراً ، فقال له : كنت أنشدته فيه ، وفيه من هو خير منك ، وهذا الخبر رواه البخاري وغيره ؛ وما نَقِلَ من استحباب الوضوء بعد انشاد الشعر ، فمحمول على الشعر الهجو ، وأمَّا ما يَرتب عليه من الثواب والعقاب ، فليس من جهة الشعرية ، وإنَّما هو من حيث المضمون ، وقد قيل في قوله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) إنَّ المراد به قبيحه .

هو الشعر لا شيء سواه وإنَّه لأحسنُ ما قد قال قَسَّ وسَحْبَانُ (٢)
يُعَنِّي به صَبَّ وَيُمدِّحُ محسن وَيُرثِي به مَيِّتٌ وَيُعْطَفُ غضبانُ

ونعود إلى ما نحن بصددِده ، وننتدرج فيما نحن من عدده :

ولمَّا طاب زمن الربيع وأوانه ، واخضرت رياضه واخضلت أغصانه ، تصمَّم العزم على السفر ، وركوب البحر وإن كان فيه الخطر ، وقد أزهروا جوانب تلك البقاع ، وغردت على دَوْح أفنانها في الاسحار بلابل الأطيَّار فلذَّ السماع ، وكنتُ

(١) ليس «ابن الصلت» بل هو : أمية بن أبي الصلت — واسم أبي الصلت عبدالله بن ربيعة — شاعر ثقفى فصيح ، من المتألهين الموحدين الذين نبذوا في الجاهلية عبادة الاوثان ، وأدرك الاسلام فأبى أن يسلم حسداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ومات في السنة الثانية للهجرة ، عقب بدر ، كافراً .

(٢) قس بن ساعدة الايادي ، الحكيم المشهور ، من فصحاء العرب وخطبائهم ، ومن الموحدين في الجاهلية ، في كتب الادب والتاريخ أخبار كثيرة عنه ، يصعب التمييز فيها بين الأصيل والدخيل . مات قبل الاسلام أو قبيله .

أما سحبان ، فهو سحبان وائل ، كان على درجة من الفصاحة ، ويضرب بخطابته المثل فيقال أخطب من سحبان ، أدرك معاوية رضي الله عنه وقد شهد له بأنه أخطب العرب .

لا أبغي الرحلة عن تلك المدينة ، أو أشهد بها يوم الزينة ، ولكنّ ليس للإنسان ما تمنى ، وربّما سعى المرءُ إلى ما لم ينل وتعنّى :

ما كلّ ما يتمنى المرءُ يُدركهُ تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فبرزت من تلك الروضة ، وفارقت محاسن هاتيك الغيضة ، ولي طبيعة تسمو إلى زمن الربيع ، وتشوّف إلى نشوؤ النبات المريع ، أجيدُ من النفس نشاطاً في أيامه ، وبهيجني نشر رنده وخزامه ، وكان يقال : من لم تطربه نغمات الأوتار ، ولم يتحرك لتغريد الأطيّار ، ولم يعجب لبديع الأزهار ، ولم يهتزّ لنسمات الأسحار ، فهو فاسد المزاج ، محتاج إلى العلاج . والله درّ القائل :

ما مثل مصر في زمان ربيعها ما بين ماء واعتلال نسيم
أقسمت لا تحوي البلادُ نظيرها لما نظرتُ إلى جمال وسيم

وقال :

استنشقوا الهوى الربيع فإنّه نعم الصديق وعنده ألطاف
يغذي الجسمَ نسيمة فكأنّه رُوح حواها جوهر شفاف

فكان البروز من مصر المحروسة إلى بحر بولاق ، ذات البها والإشراق ، في يوم الجمعة المبارك ، بعون الله تعالى وتبارك ، في تاسع ربيع الأوّل :

وخلفتُ مصر من ورأي وخاطري بمصر ولكن أين من ناصري مصر
بلاد بها ما يشتهي متيسّر على جيدها يا حبذا للّف والنشر

فأكملت ذلك النهار ، مع الأخيلاء الأخيّار ، من أهل الحرمين الشريفين ممن نقلتهم يد الأقدار إلى هاتيك الديار ، ونحن نشاكي البعاد ، ونجدد عهدود الوداد ، إلى أن آذنت الشمس للغروب ، وأشرقت كواكب الكروب ، فوقفت لهم موقف من ضلّ الرشاد ، وتقرّحت لفراقهم الأكباد ، واستودعتهم الله تعالى ، والمدامع تترادف وتتوالى ، وقد عزمت على الذهاب ، وأخذت في الإياب

ذهبت وقد سدّ الغرام مذهبي وقلبي إلى نحو الأحبة يُجبدُ (١)
ذُهِلتُ فما أدري إلى أين قاذني قضاء على الإنسان يجري وينفدُ

(١) يجبد : يجذب .

ثم نزلت ذلك النيل في معاش صحبة رجل من الروم ، لا يجد لديه المومل من الوفاء ما يروم ، وكنت أتوختي فيه مكارم الأخلاق ، وأزعم أنه من أحسن الرفاق ، فوجدته بضد ما أملتة :

وما كلّ وجه أبيض بمبارك ولا كلّ جفن ضيقّ بنجيب
أو هو كما قال :

أملتُه ثم تأملتُه فلاح لي أن ليس فيه فلاح
وأنّ من ينزل آماله بحدث السعد قليل النجاح^(١)

ولما أرخى الليل قناعه ، ومدّ علينا شِراعه ، سرّينا وقد ألقى البدر نُوره ،
ونشر الرّوض بالتعريف نُوره ، فسرنا والليل يسري ، والكواكب تسير والنهر
يجري ، وكأثما النيل بحر لجّين في تموجه ، أو خدّ ذي دلال في تضرّجه^(٢) ، وقد
قلبتنا أصابعه ، وتكسّرت بتلك الأمواج أضالعه ، حتى أسفر الصباح ، وشعّشع
ضياؤه ولاح ، فإذا نحن في سيران ما بين جنان .

والماء تلعب أطراف النسيم به ما بين ماض وآت أيّ تلعب
كأنه زرد الدرع المضاعف أو نقش المبارد أو تفريك أثواب
أو كما قيل :

النهر مولى والنسيم خديمه هذا كلام ليس فيه تشكك
لو لم يكن في خدمة النهر انبرى ما كان يصقل ثوبه ويفرك

فائدة قال السيوطي عند قوله تعالى (فأخرجناهم من جنّات وعيون) : كانت
الجنان بحافتي النيل من أسوان إلى رشيد ، وكلّها كانت تروى من ستة عشر ذراعاً ،
فسبحان الحكيم الذي لم يزل .

(١) ما كان أجمله لو قال :

بساحة العبد قليل النجاح

« وأن من ينزل آماله

(٢) سرينا : من السرى وهو السير ليلاً .

واللجين : الفضة

وتضرّج الخد : احمراره .

ولما ارتفعت الشمس اكتسى الجوّ بالغمام ، فاعتقدنا ذلك من تمام الإنعام ، ولم نزل كذلك ، نسلك هاتيك المسالك ، وأنا في ألدّ نعيم ، ما خلا النديم ، وفي ذلك أقول :
ليستْ على الحرّ الليب مشقة بأشقّ من أن لا يرى أمثاله
ذاك الغريب وإنْ يكن في أهله وارحمتاه له لما قد ناله
ما أصدق ما قال الحسن بن شذقم :

وليس غريباً من نأى عن دياره إذا كان ذا مال وينسب للفضل
وإنّي غريب بين سكّان طيبة وإن كنتُ ذا مال وعلم وفي أهلي
وليس ذهاب الروح يوماً مَنِيّة ولكن ذهاب الروح في عدم الشكل

يُحكى أنّ سليمان عليه السلام ، لما أراد بالهدهد أشدّ العذاب ، أشار عليه وزيره آصف بن برخيا بحبسه في غير جنسه ، وما أعجب ما قال :

قد سمعت الصدا وذاك جماد كلّ شيء تقول ردّ عليكاً^(١)
وعلى ذكر الهدهد ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ، أنّ الهدهد يرى الماء من تحت الأرض ، قيل له : فلم لا يرى الفخ إذا انقض عليه ؟ فقال : إذا نزل القضاء عمي البصر .

هي المقادير فلمني أو فذر إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأ القدر
ومن محاسن النواجي :

اركب النيلَ ما استطعتَ ففيه راحة للفقى وغاية بُغْيَه
كم تترهتُ حين سافرتُ فيه في بلاد وكم ظفرتُ بمَنِيَه
ابن تميم :

أنظر الى سير المراكب إذ بدتُ والماء يعلو حولها ويدور

(١) الصدى - وجمعه أصداء - ما يرده الجبل أو غيره إلى المصوت مثل صوته .

نادى احبته ، وأصنى للصدى كيما يجيب ، فقال مثل مقاله
ناداه اين ترى محط رحاله فأجاب : اين ترى محط رحاله

وهو في الفيزياء : انعكاس الصوت على حاجز كجبل أو جدار أو صف من الاشجار وارتداده إلى المصوت ، ولا يحدث إلا إذا كان البعد بينهما ١٧ متراً على الأقل ، لأن الصوت يقطع هذه المسافة ذهاباً واياباً - اي ٣٤ متراً - في عشر الثانية ، ودون هذه الفترة تختلط الاصوات وتتصل فلا تميز الاذن البشرية بينها .

مثل السحاب لا يفرق بينها نظر وكلّ بالرياح يسير
الفيومي :

في النيل أعلام بدت بيض كأيدي المحسّينا
وإذا خفقتن من الهوى تحكي قلوب العاشقين
ابن قلاقس :

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة وانظر لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وألقت شعاعاً منه يخلّفها كأنما احترقت بالماء في الغرق
وقال آخر :

الشمس فوق النيل قد ألت شعاعاً كاللهب
فحكي مسنّاً أخضرا وعليه حكّ من ذهب
وقال :

البدر فوق النيل قد ألقى شعاعاً يأتلق
فحكي مسنّاً أزرقا وعليه حكّ من ورق^(١)

ولما كان الفجر من اليوم الثالث ، نزلنا بمرسى رشيد ، المحفوفة بعناية الله وفيضه
المديد ، فقلت إن كان سفر البحر كذلك ، فما هو إلا راحة من المشاقّ والمهالك ، ولم
أدرِ أنه قياس مع الفارق ، وأنّ تشبيه الحميّا بماء المِحْيَا غير مطابق .

يا بارقاً بأعالي الرقمتين بدا لقدحكيت ولكن فاتك الشنب^(٢)

ولما أشرفت بها الغزاة ، قصدنا من روضها ظلاله ، فنزلنا من ساحتها بوكالة
الوزير محمد باشا ، فاذا هي بناء محكم الأساس ، وبها وجوه من الناس ، مأمونة
الخيانة ، أمينة على الأمانة ، مع كثرة ما يردّها من غمار البشر ، وبني الرذالة
والأشر ، فوضعت بها الأسباب ، وأقمت بها في ظل ذلك الجنب ، أقلب الطرف
فيما رقّ وراق ، وأطوف بأكنافها البهية مع الرفاق .

حشاي على جمر ذكيّ من النوى وعيني في روضٍ من الحسن ترتع

(١) هذان البيتان ، واللذان قبلها ، مرا في صفحة «٤٠» .

(٢) الحميا : الخمر . والرقمتان : موضع ، والرقمة في اللغة : جانب الوادي . وحكيت -
حكاية - : شابهت . والشنب : البرد ، وأكثر ما يستعمل في الريق .
أما الغزاة فهي الشمس عند ارتفاعها .

ثم نزلت بدار صادق الأخوة والاعتقاد ، وكامل الفتوة نور الدين العقاد ، جزاه الله خير الجزاء ، وأولاه عواطفه المتنوعة الأجزاء ، فلقد رأيت منه كما لا لأحصيه ، وإفضالا لا أستقصيه ، ثم لا زلت اتقياً ظلال هاتيك البلاد ، وأسعى فيها لجوامع العباد ، وانتزه في قصورها الموقفة ، وبساتينها المورقة .

فيا حسنَ هاتيك الديار وتربها
ولا سيّما تلك النواعير إنها
أطارحها شجوي وصارت كأنّما
وفي شاطيء النيل المقدّس نزهة
سما من البلّور فيها كواكب
ومِن مَرَج البحرين أيّ عجائب
فكم قد نعمنا في ظلال رياضها
فمن لي بها لو أنّ صحبي بجنبها
فكم قد حوتُ حسناً مجلّ عن العدّ
تجدد حزن الوالهِ المدنّف الفرد
تطرح شجواها بمثل الذي أبدي^(١)
تجدد ما قد فات من سالف العهد
عجبية صنع اللون مصقولة الخد
تلوح وتبدو من قريب ومن بعد
بعيش هنيء في أمان وفي سعد
ومن لي بها في غير بلوى ولا جهد

غريبة : دخلتُ يوماً الى الجامع الكبير ، فرأيت متكلماً وقد طال به البحث في مسألة الجوهر الفرد ، إلى أن انجرّ الكلام إلى القول بوحدة الوجود ، وقد كثر الهذيان ، فإذا بأشعث في هيئة المجانين ، وقد تناول كراساً من بين يدي الشيخ ، وكتب على حاشيته شيئاً ونهض كالغضب ، فإذا المكتوب :

وتكفيك من ذلك المسمّى إشارة
وبالجملة فإنّ ههنا تتطاير الرؤوس من اجسادها ، والنفوس من موادّها ،
أو كما قيل :

مرّامٌ شطّ مرمى العقل فيه
ودون مداه بيد لا تبيد
أو كما قيل :

أبيت بيوتاً لم تُنل من ظهورها
وأبوابها عن قرعٍ مثلك سدّت

(١) الواله : الشديد الحزن البالغ الوجد .

والمدنّف : الثقيل المرض .

والمطارحة : المناظرة والمجاوبة وعرض الامر .

والشجو : الهم والحزن .

مسئلة ، والحديث شجون : قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في رسالته (كشف الحجاب) : وسألوني عن الاتحاد ، الذي تشير إليه أهل الإلحاد ، هل المراد أن ترجع صورة العبد هي عين الحق ، أم المراد غير ذلك ؟ فأجبتهم : المراد بالاتحاد في لسان القوم : فناء مراد العبد في مراد الحق فلا يصير للعبد مراد مع الحق إلا بحكم التَّبَعِيَّة^(١) ، وهذا الحق ليس به خفاء ، فدعني عن ثنَيَّات الطريق . وفي هذا الكلام كلام ، قلّما يخلو من الملام ، أنشد لنفسه ابن ابي الحديد المعتزلي :

أفنيْتُ خمسِينَ عاماً مُعْمَلاً نظري فيه فلم أدْرِ ما آتي وما أذر
من كان فوق عقول القايسين فما ذا يدرك الفِكر أو ما يَبْلُغ النظر
وأحسن منه :

وما البحث في الآثار الا مبعّد عن المقصد الأسنى إلى الغاية القصوى
فلا تَقْتَنِعْ بالقشر دون لُبّابه ولا تحتجِبْ بالباب عن حضرة النجوى
وما أحسن قول المتأدب :

تعشّقتُ ربّ الحسن لما رأيته عيانا فجاهدت الهوى في سبيله
ومن حُجِبَتْ عنه محاسنُ وجهه فغايته أن يهتدي برسوله

وقال : سئلت : إذا كان لا حلول ولا اتحاد ، فما القوّة الحاملة للعبد ، هل هي عين أم غير ، فإن قلنا هي غير ، فقد قام العبد بنفسه وهو محال ، وإن قلنا هي عين ، فهو عين القول بالحلول ، وما معنى « كنتُ سمعته الذي يسمع به » ؟ فأجبت : هذه المسألة لا ترتفع الشبهة فيها بالكلية إلا بالكشف ، فاعملوا على جلاء مرآة قلوبكم بالأعمال السنية ، وإلا فالعقل في حيرة من ذلك ، ومعنى الحديث « وما رميت إذ رميت » وأكثر من ذلك لا يقال . كما قال :

فما كلّ معلوم يُباح مَصُونُهُ ولا كلّ ما أمَلَّتْ عيونُ الظبائرُ وى
وعلى ذكر الحلول ، فما أحلى قول أبي البركات الحاتمي :

لي حبيب لو قيل ما تتمنى ما تعدّيته ولو بالنون

(١) ان كان مراده كثرة المجاهدة وطول المكابدة وملازمة التقرب الى الله تعالى بالنوافل حتى يحبه الله ، وشدة السعي حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فنعم ، وان كان غير ذلك ففيه أكثر من كلام .

اشتهي أن أحلّ في كلّ طرف فأراه بلحظ كلّ العيون
قال : وسئلت : هل وصل أحد إلى التنزيه المطلق الذي لا يشوبه تقييد ؟ فأجبت :
لم يصل أحد إلى ذوقه ، وإنّما يصل الناس إلى العلم به ، لأنّه سمع في الشرع
ولم يجد في العقل ، وغاية الإطلاق تقييد ، لأنك لا تطلق الحقّ إلا بعد تعقله تقابله من
التقييد فافهم . والعجب من الذي وسع الأوّل كيف لا يسع الآخر (١) .

إذا لام فيها الشيخ طفلَ غرامها على سكره فالشيخ كالطفل يلعب
ورأيت برشيد قبلياً قد جمع شتات الأدب ، وطبّع على محاسن الفصاحة
ودأب ، يقول من يراه يمس في برد آدابه الجميلة ، تعالى فضل الله ان يؤخذ
بالحيلة ، سمعت منه للعتبي :

يا جاهلاً قدر المحبة ساءني
سيان عندك مغرم بك وآله
لو كنت أعلم أن طبعك هكذا
ما كان في عزمي السلو وإنّما
وأنشدني للصفدي :

أنا والحبيب ومن يلوم ثلاثة
ففي الجناس لأن دمعي عن دمى
وله مطابقة التواصل بالحنفا
ومن كلامه :

هذي رشيد وكم حوت من روضة
من لم يقل بصفاء بهجة نيلها
ولم يكن في رشيد مما يعاب به ، إلا ما فيها من مظاهر الاسم القاهر ، وهم

(١) أي يسعنا ما وسع السلف من التسليم وترك الخوض .

(٢) العندم : شجر نبات يصنع به ، وهو من فصيلة القطنيات ، ورقه كورق اللوز ، وساقه
حمراء ، يكثر في أمريكا الوسطى . وخشبه يحتوي على مادة ملونة تستعمل في الصباغة .
والعاذل - وجمعه عذال وعذل وعاذلون وعذلة - : اللائم .

الجند المستعبدون ، والعبيد المعتقون ، والقبط المستعربون ، والأحداث المستغربون ،
ومن حِكْمِهِ : ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك : المرأة والملوك والقبطي من أهل مصر .
إنّ العبيد إذا ذللتهم صأحوا على الهوان وإنّ أكرمتهم فسأدوا
وفي ذلك سرّ التسخير ، إذ لا تكون الطاعة إلا عنه . ومن كلامه : ثلاثة
يُعدّون من المجازين وإن كانوا عقلاء : السلطان والسكران والغضبان . والعبرة بعموم
اللفظ عند العقلاء .

سكّرات خمسُ إن رُمي المرء بها صار ضحكة الشيطان
سكرة المال والحدّائة والجاه وسكر الشراب والسلطان

ومن أمثاله : لا يخلو المرء من ودود يمدح ، وحسود بقَدَح ، فلا تبذل
رِقْكَ ، إن لا يعرف حَقْكَ ، وممن تشرّفنا بحضرتة ، وتملّينا بجمال طلعته ،
مشيد أركان الشرع الشريف ، المورق غصن مجده الوريث ، مولانا مؤمن
زاده ، لا زال يُفتح له من مكارم الأخلاق باب الزيادة ، فلقد أمدّني بجأه
الوجيه ، وحقق لي ما كنت ارتجيه .

سِم سِمَةٌ تُحْمَدُ آثَارَهَا واشكر لمن أعطى ولو سِمِسِمَةً (١)

ومما أنشدنيه المولى نور الدين سلمه الله تعالى :

أما والذي أصفاك منّي مودةً فأضحى لها في ساحة القلب مغرّس
لئن ظلت بي من فقد وجهك موحش لقد بات لي من فكري فيك مؤنس
أناجيك بالاضمار حتى كأنني أراك بعيني فكري حين أجلس

ومن أملاه دام علاه :

يا ويح قلبي وكم جهدي أحمله ما لا يطاق وقد رثت علائقه
في كلّ يوم لنا خلّ نودعه على الدوام ومعشوق نفارقه (٢)
ثم ركب النيل في نقيرة متوجهاً نحو الاسكندرية ، فأقمنا بالبرج نتحرى الرياح ،

(١) سم : فعل الامر من : وسم يسم سمه ووسماً : جعل له علامة يعرف بها .

(٢) رثت - رثائة ورثوثة - : بليت .

والخل : الصديق الودود . أما بكسر الخاء فهي المصادقة .

المؤذنة بالنجاح ، والبرج هذا على الساحل بين النخيل ، التي آخرها يتصل به النيل
بالبحر الرومي وفيه قيل :

كأنّ التقاء النيل بالبحر إذ هما مليكان سارا في جحافل من جند
وقد نزلا للحرب واصطدم اللقا فلا طعن الا بالمشقة المُلد (١)

وعلى ذكر البحر : قال رجل لرجل : ما اسمك ؟ قال : بحر . قال : من أبوك ؟
قال : أبو الفيض . قال : ابن من ؟ قال : ابن الفرات . قال : ينبغي لصديقك
أن لا يلقاك إلا في زورق . انتهى .

فلما ارتفعت الشمس هبت الرياح الشرقية ، فما سرنا يسيرا حتى دخلنا البحر
العجاج ، فإذا هو متلاطم الأمواج ، كثير الفزع والانزعاج (٢) ، وكيف لا والداخل
فيه مفقود ، والخارج منه مولود ؟

لا أركبُ البحرَ أخشى عليّ منه المعاطبُ
طينٌ أنا وهو ماء والطين في الماء ذائب
وقال :

خلقتُ طيناً وماء البحر يُتلفني
البحر غير رفيق بالرفيق له
وقال :

البحرُ مرّ المذاق صعب لا رجعتُ حاجتي اليه
أليس ماء ونحن طين فما عسى صبرنا عليه؟
وقال :

البحر : أهونٌ من مرارة مائه أن تستقرّ بأضلعي الرمضاء
فعليه يومٌ سرورنا بفراقه من كل قلع رايةً بيضاء
فما زالت تفسّر لنا معاني الرفع والخفض أمواجه ، والريح يجزم بأن ينالنا من

(١) الجحفل : الجيش الكثير .

والمشقة : الرماح « ثقف الرمح : قومه وسواه » والملد - جمع أملد - : الناعم اللين المرن .

(٢) ليته قال : كثير الافزاع والازعاج .

نصب الشراع إزعاجه ، والمهوم على الجوانح جَوَانِح ، والجوارح لتلك الأحوال جوارح ، وكأنَّما جَمَعُ الخاطر بالشتات تَلَقَّب ، والقلب في هيب الوحل^(١) يتقلب .

وقلما أبصرت عيناك من رجل إلاَّ ومعناه إنْ فكرت في لقبه ولما غربت الشمس أرسينا على ساحل الاسكندرية ، والمزاج متكدر لتلك الأحوال والأحوال الرديئة ، فبتنا تلك الليلة على ذلك الساحل ، إلى أن أصبحنا والضباب يمنع من رؤية تلك المنازل .

وطال عليّ الليل حتى كأنَّه من الطول موصول به الدهر أجمع فلما أضحى النار ، نزلنا بساحة تلك الديار ، فأقمت بها لا أملك فتيلًا ، ولا أهتدي سبيلا ، وأنا أطوف بجوانبها ، فلا أرى إلاَّ غمار مغاربها ، فرحت أجوس خلالها ، وأنفياً ظلّالها ، وقد أولتني مزيد الجفا ، وغلقت أبواب الصفا .

وقد بخلت عليّ بكلّ شيء من المعروف حتى بالسلام وما أَلطف قول من قال :

سلام على مصر ويا قلب إنني لقد كنت عن إسكندرية في شغل
وما شاقني يا مصر ثغر ملثم سوى من غزال فيك أعدمني عقلي
ولقد كنت أسمع من أولي التجاريب ، أنّ السفر مرآة الأعاجيب ، حتى رأيت الزمان بأسره عجائب ، ولم يبق لي في الغرائب من رغائب .

من الغرائب فيما شاهدتْ مُقَلِّي أنّ الرغائب عنها الناس قد رغبوا وما زلتُ في الاسكندرية بلا نديم ، ولا صديق حميم ، مقيماً على الوحشة والأسى ، متفكراً في حكم الباري صباحاً ومساءً ، لا أجد بها من ذوي الكمال جليسا ، ولا ألتقي ممّن تحلّى بمحاسن الجمال أنيساً .

(١) لعلها الوجل ، وهو الخوف .
والجوانح - واحدها جانحة - الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر .
وجوانح : موائل .
والشتات : التفرق .

فلا صديق إليه مشتكى حزني ولا أنيس إليه منتهى جذلي^(١)
فكنت اعتكف تارة لمنادمة الوسواس ، وتارة أبرز فيما بين الناس ، فلا أجد
على الساحل غير النصارى واليهود ، ولا أبصر غير الهمج والأتراك الوفود ، فأعود
إلى تلك الخلوة ، وأستعيد أسباب السلوه .

والبقّ والناموس حوليَ عسكر يتنادمون على مُدام دِمائي
فلم أزل كذلك مدةً مديدة ، وعدة من الأيام عديدة ، وحيد المقام ، شديد
الأوام ، أنجرع كوؤس النوى ، وأشتاق العقيقَ واللّوى ، وقد تكامل الشوق
وتضاعف ، وتواصل الشغف وترادف .

أبكي إذا ذكر العقيق بمثله لعهود جبرته وحُسن المعهد
فسقى الحيا تلك البقاع فتربُّها لجلاء عين القلب مثلُ الإثميد^(٢)
غيره :

وقال ليّ البين لمّا رأى لديّ الخطوب وعندي العويل
ترفقْ بدمعك لا تُفنه فبين يديك بكاء طويل
فكنتُ كثيراً ما أتسلّى بالجامع المختوم ، وأعلّل النفس بالسلامة من هذا الأمر
المختوم ، وأقول إنّ الصُّروف تتصرّف وتنصرف وتكفّ ثم تنكفّ وتنحرف .
والدهر لا شكّ ذو ضيق وذو سعة ولو أردتَ دوام الهمّ لم يدم
فأنا في تلك الأيام ، أتحاشى تداني الأنام ، فأتمشى بين تلك الأشجار ،
وأتسلّى بتغريد هاتيك الأطيّار :

وربّ حمامة في الدّوّح صارتُ تُجيد النّوح فنّاً بعد فنّ
أقسامها الهوى مهما اجتمعنا فمنها النوح والعبّرات مني

(١) الجذل : الفرح . والبيت مر فيها سبق ، وذكرنا انه من لامية العجم للطغرائي .

(٢) العقيق : قرب المدينة وهو منزه أهلها .

والحيا : المطر ، والخصب ايضاً .

والإثميد - الأثميد ايضاً - : حجر يكتحل به ، اما في الكيمياء فهو احد العناصر الكيميائية من رفاق الازوت والفلورفور والزرنيخ والبزموت ، وكلها ثلاثية في القيمة الاتحادية وخاسية ، ورمز

الاثمد : Sle وعدده الذري : «٥١» اما وزنه الذري فـ : «١٢١ و٧٦» .

وكنْتُ في تلك الحال بحيث يقول الصلاح وإن كان نظميّ الدمع المنثور :
توقّد جَمْرُ القلب عند تَغْرَبِي فمَنْ أجله دمعي أتى جيّد السبّك
وما حفظت عيناّي من سوء حظها على كثرة الأشعار لإقفانبك (١)
وأما هذه المدينة ، فهي آخر مدن المغرب ، وهي على ضفة البحر الشامي ،
بها الآثار العجيبة ، والرسوم التي تشهد لبانيها بالقوة والحكمة ، وهي منيعة الأسوار ،
كثيرة الأشجار ، ليس في معمور الأرض كمثلها ، ولا في أقطار الأقاليم كشكلها
وهي مقصد التجار ، من القفار والبحار ، يُحمل منها إلى سائر الأقاليم ، كما يحمل إليها
في الزمن الحادث والقديم ، والنيل يدخل إليها من تحت أقبية إلى معمورها ، ويدور بها
فينقسم في دورها ، بصنعة عجيبة ، وحكمة غريبة ، يتصل بعضها ببعض أحسن اتصال
لأن عمارتها تشبه رقعة الشطرنج في المثال ، وناهيك بمدينة جميع ما فيها عجب ، ولكم
ستر حسنها محاسن غيرها وحجب ، وأحد عجائب الدنيا بها المنار ، الذي لم يَرَ مثله
في الأقطار ، وهي على ميل من المدينة ، كذا في « الخريدة » قلت : واعجب من هذه
المدينة مدينة الهيكل الانساني .

فيا عطشي والماء الزلال أخوضه ويا وحشتي والمؤنسون حضور
وحكى السيوطي في « المحاضرة » نقلاً عن « مباحج الفكر » أن من عجائب المباني
منارة اسكندرية ، وهي مبنية بحجارة مهدمة مُصبّبة بالرصاص ، على قناطر من زجاج ،
والقناطر على ظهر سرطان من نحاس ، وفيها نحو ثلثمائة بيت بعضها على بعض ، تصعد
الدابة بحملها الى سائر البيوت ، ولليوت طاقات ينظر منها إلى البحر ، واختلف فيمن
بناها ، ويقال إن طولها الف ذراع ، وكان في أعلاها تماثيل من نحاس ، منها تمثال
يشير بسبابته اليمنى نحو الشمس ، أينما كانت من الفلك ، يدور معها حيث دارت .
ومنها : تمثال وجهه إلى البحر ، متى صار مركب منه على نحو ليلة ، سمع له صوت هائل ،
يعلم منه أهل المدينة طروق العدو . ومنها : تمثال كلما مضت ساعة من الليل ، صوت

(١) يعني بقفانبك :

« قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل»

وهو مطلع معلقة امرئ القيس بن حجر الكندي .

والدوح في البتين السابقين جمع دوحه ، وهي الشجرة العظيمة المتسعة . وجمع الدوح : أدواح .

صوتاً مطرباً ، بأعلاه مرآة ترى منها القسطنطينية^(١) ، وبينهما عرض البحر ، فكلما جهز الروم جيشاً رؤي . وفي « المرآة » حكى المسعودي : أتتها لم تنزل كذلك إلى أن ملكها المسلمون ، فاحتمل ملك الروم في هدمها على الوليد بن عبد الملك ، بأن أنفذ أحد خواصه ومعه جماعة ، إلى بعض ثغور الشام ، وأظهر الرغبة في الإسلام ، وأظهر كنوزاً كانت بالشام ومن الدفائن ما حمل الوليد على أن صدقه بأن تحت المنارة أموالاً ودفائن واسلحة دفنها الاسكندر ، فجهزه مع جماعة من خاصته الى الاسكندرية ، فهدم ثلث المنارة وأزال المرآة ، فعلم الناس أنها مكيدة ، فاستشعر ذلك فهرب في مركب كان له هنالك ، والله غالب على أمره ، وقد صارت أثراً بلا عين ، بل خبراً عن ذلك الأثر فله در الليالي .

لنا ملك ينادي كل يوم
ومما قيل في المنار :

كما أقولُ وصفها مثلما أصف
إن كنت تحسن تشبيه المنار فقل
تأتي الجواري إليها ثم تنصرف (٣)
كأنها عادة قامت على شرف
وقال :

ضياء إذا ما حنّس الليل أظلما
وسامية الأرجاء تهدي أخوا السمرى
فكان بتذكار الأجابة معلماً
لبست بها برداً من الأنس صافياً

(١) المرآة تظهر فيها صور الاجسام الموجودة امامها بالانعكاس ويقدر ارتفاع المرآة يكون إتساع رقعة الارض التي ترسل الاجسام الموجودة فيها اشعتها اليها ، ويمكن أن يصل هذا المدى إلى عشرات الكيلومترات . فإن كان قصده برؤية القسطنطينية في المرآة رؤية السفن من بعد كبير فمعقول ، وان كان القصد رؤية القسطنطينية ذاتها فسطح قبيح ودجل و جهل ، فإن البعد الهائل بين الاسكندرية و قسطنطينية يجعل انحناء الارض يـمـول تماماً دون وصول الاشعة - وهي في الجو مستقيمة دائماً - من احدها إلى الاخرى ، عدا امتصاص الجو للاشعة على أبعاد أقل بكثير .

(٢) أنشد هذا البيت أمام أحد الظرفاء فقال : اسم هذا الملك أبو العتاهية - وهو صاحب أبيات اولها : «لدوا للموت وابنوا للخراب» - .

(٣) الجواري هي الإماء ، والسفن ايضاً .
وفي الابيات التي تليها :

الأرجاء : النواحي ، واحدها : الرجا والرعاء .

والحنّس - وجمعها حنادس - : الليل الشديد الظلمة .

والثوب او البرد المعلم : ما كان له علم وهو رسم الثوب ورقمه .

وقد ظللتني من ذراها بقبة الأاحظ فيها من صحابي أنجما
أخيّل أن البحر تحتي غمامة وأني قد خيّم في كبد السما

ومن عجائب الاسكندرية عمود السواري ، قال المقرئزي : هو حجر أحمر منقط من الصوّان المانع ، وكان حوله نحو أربعمائة عامود ، وكانت كلّها سماقية ، كسرها فراجا والي الاسكندرية أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ورماها بشاطيء البحر لتؤعر على العدو سلوكه . ويحكى أنّ هذا العامود أحد الأعمدة التي كان عليها رواق أرسطاليس ، وأنّه كان يدرّس به الحكمة ، وكان دار العلم ، ويقال أنّ ارتفاع هذا العمود سبعون ذراعاً ، وقطره خمسة أذرع ، وقيل طوله بقاعدته اثنان وستون ذراعاً وسدس ذراع ، وطول قاعدته السفلى اثنا عشر ذراعاً ، والعليا سبعة أذرع ونصف ، كذا في « الخطط » وهذا العمود باق إلى يوم تخطيط هذه الاسطر ، وهو على نصف ميل من باب السدرة خارج السور ، وكثير من العمود السماقية في أكناف البلدة ، بعضها قائم وبعضها مطروح . وللحافظ الخزرجي :

نزير سكندرية ليس بُقْرِى بغير الماء أو نَعَتِ السواري
ويُتَحَف حين يُكرم بالهواء الـ ملايين والإشارة للمنار
وذكر البحر والأمواج فيه ونعتِ مراكب الروم الكبار
وإنّ يَطْلُبُ هنالك حرفَ خبز فما فيها لذلك الحرف قاري

وقال :

يا ساكني إسكندرية فيكم بات السنزير بليلة المتسوّع
تقرّونه بهوائها وبمائها والنّار في أحشائه بالجوع

نكتة لطيفة: قال السيوطي : وقد رأيتُ هذا العمود لما دخلت الإسكندرية في رحلتي ، ودور قاعدته ثمانية وثمانون شبراً ، ومن المتواتر عند أهلها ، أنّ من حاذاه من قريب وغمض عينيه ثمّ قصده ، لا يصيبه بل يميل عنه ، وذكروا أنّه لم تحصل

إصابته لأحد قطّ ، مع كثرة تجربتهم لذلك^(١) ، وقد جربت ذلك مراراً فلم أصبه ، قال في «المحاضرة» :

وأما خليجها فاختلف في بانيه ، فلا حاجة إلى خلاف لا ثمر له ، فهاك يسيراً من خبره : قال الأسعد في «قوانين الدواوين» : خليج الإسكندرية عليه عدة ترع ، وطوله من فم الخليج ثلاثون ألف قصبة وستمائة قصبة ، وعرضه قصبتان ونصف إلى ثلاث قصبات ونصف ، ومقام الماء فيه بالنسبة إلى النيل فإن كان عالياً أقام فيه ما يزيد على شهرين كذا في «الخطط» . وحكى ابنُ الوردي أن الإسكندرية كانت سبع قصبات وإنّما أكلها البحر ولم يبق منها إلا قصبة واحدة ، وأنّ مساجدها حصرت مرّة فكانت عشرين ألف مسجد . قيل بانيها الذي بنى الاهرام ، وقيل يعمر بن شدّاد ، وقيل الاسكندر الأوّل ، وهو ذو القرنين اليوناني ، الذي جال الأرض ، وبلغ الظلمات ومغرب الشمس ومطلعها ، وسدّ على يأجوج ومأجوج ، وقيل بناها الاسكندر الثاني ابن دارا الرومي ، وإنّما شبّه بالاسكندر الأوّل ، لأنّه ذهب إلى الصين والمغرب ، ومات وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ، والأوّل كان مؤمناً ، والثاني كان على مذهب أستاذه أرسطو ليس ، وبين الأوّل والثاني دهر طويل ، وقيل بنتها الجن لسليمان عليه السلام ، وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا عجباً عدّوه من صنعة الجن . قيل : وكان فيها اثنا عشر ألف حانوت يبيع البقل ، قال الكندي : أجمع الناس على أنّه لم يكن في الدنيا مدينة على مدينة ثلاث طبقات غير الاسكندرية ، قيل بناها الاسكندر اليوناني في ثلثمائة سنة ، وهل هو نبيّ أو ملك بفتح اللام أو بكسرهما ؟ خلاف ، والأصحّ الأخير . وكان أهلها لا يمشون فيها نهراً إلا بخرق سود في أيديهم ، خوفاً على أبصارهم من شدة بياضها ، وأقاموا على ذلك سبعين سنة ، وكان يقال إنّها (إرّم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد) . وقد أخلقت تلك الجديّة ، وأسرعت في الذهاب إلى الدمار مجدّة :

فمن اعين ترى ما حلّ ساحتها من التلاف وكانت فوق ماتصف

(١) وليس ذلك لذلك العمود — وقد جاء في الصفحة السابقة عامود وعمود والاول خطأ من اصل الكتاب — بالذات ، وانما يصل لأغلب الناس إذا وقف احدهم على بعد عشرة امتار مثلا من شيء ، ثم اقبل عليه مغض العينين ، فيصعب عليه ان يصيبه ، ويرى نفسه قد مال عنه ، وما ذلك إلا لالغلبة الاوهام على الناس .

ولله در القائل :

بني الدنيا أفلتوا ألهمّ فيها فما فيها يؤول إلى الفوات
بناء للخراب ، وجمّع مال ليفنى ، والتوالد للممات
قيل : وهبوب الصبا في اهلها ، ممّا يُصلح أمرهم ، ويرق طباعهم ، ويرفع
همّتهم ، إلاّ أنّهم على ذلك موصوفون بالشحّ . وهذا فيما كان ، وأمّا الآن فلا
نقص في معايهم ، قال من لا قال في ساحتهم :

رأيت في النوم أبي آدمآ صلىّ عليه الله ذو الفضل
والناس يشكون بأنواعهم من حمق أهل الغرب والبخل
فقال حوا أمكم طالق إن كان أهل الغرب من نسلي

وقال :

لا تعتبن على بخل مغاربةً طباع أنفسهم تبدي الذي فيها
فالشمس تبدو وفي الدنيا أشعتها حتى إذا وصلت للغرب تخفيها

وقال آخر يهجوهم :

يقولون أهل الغرب أهل فضيلة وكلّ امرئ قد قال حسب مقاله
وما الغرب إلاّ مطّلع كلّ ناقص وبرهان ما قلنا طلوع هلاله

أبو حبان الاندلسي :

وأوصاني الوصيّ وصاة نصح وكان مهذباً شهماً أيّآ
بأنّ لا تحسّن ظناً بشخص ولا تصحب حياتك مغربياً

قصة : وليست من باب المعاتبه ، ولكنّ الشيء بالشيء يذكر بالاستطراد
وبالمناسبة : وبرزت يوماً من باب السدرة متزهاً ، فرأيت جماعة من الناس حول
عمود السواري ، فدنوت منهم ، فإذا بهلوان من أروام حلب ، رطب القوام ، عذب
الكلام ، فوه ماء الحياة ، شاربه أخضر لم يصل إلى الظلام ، قد نصب الحبال إلى رأس
العمود وارتقاها ، وأظهر من فنون الصنعة وأعاجيبها ما أدهش به العقول وحرر
الأنفكار ، ثم قال يا أهل الاسكندرية أعينوني على السفر وأنا أريكم عجائب هذه
الصنعة ، فلما نزل اليهم ليجمع منهم شيئاً من الدنيا ، فرّوا كالغرب المأخوذة . فتذكّرتُ
قول القائل :

يا كحيل العيون إنك ظبي
كل شيء يهون عندي إلا
بلقاهُ قد تُسَعِفُ الأقدار
درهم تَرْتَجِيهِ أو دينار
هذا وكان فيهم الرؤساء والتجار والعدد الذي لا يحصى ولكنه بلا مدد ، على أنها
كانت دار الكرام ، ومدار بلوغ المرام :

فتغيرت تلك البلاد وأهلها
وغدت حديثاً مثل أمس قد مضى

أستغفر الله الستار ، وإن نقل مثل هذا الكلام يدل على سخافة الناقل ، ويقضي على أنه ليس بعاقل ، ولكن ذلك دأب أهل القيل والقال ، ورواج آداب هذا المجال . وكان البهلوان يلقي شيئاً من الموايات الرائقة وهو يمشي على الحبال ، فكتبت منه هذا البيت لما اشتمل عليه من حسن الصنعة ، ويسمى بالمنطق المردوف وذا الاشتقاق :

قَطَعْتَ كَمْ بِيَدٍ أَطْلُبُ مَنْ وَصَالُهُ بَادٌ
وَبِالْحَفَا بَادٌ مَالِي مَنْ أَخَذَ لِي بِيَدٍ
وَالْقَلْبُ قَدْ صِيدَ مَعَ مَحْبُوبٍ لِحِظُهُ صَادٌ
كَمْ مِنْ أَسَدٍ صَادَ مَالُ مَنْ أَسُودَ وَصِيدٌ
قُلْتُ الْوَقَا عِيدٌ أَمْرَضَنِي وَلي مَاعَادٌ
وَالْحُزْنَ لِي عَادَ مِنْ هَجْرِهِ وَقُرْبُهُ عِيدٌ
أَحْوَى حَوَى جِيدٌ لِلْمُحْسِنِ الْمَفْدَى جَادٌ
بِالْوَصْلِ مَا جَادَ نَكِنَ كُلُّ فَعْلُهُ جِيدٌ
وفي هذا الوزن الراجح :

أَنفَقْتُ كَمْ عَيْنٍ وَالْمَحْبُوبُ مَا لِي عَانَ
وَالْحَبُّ مَا بَيْنَ غَزْلَانِ النَّقَا وَالْبَانَ
مَحَبٌّ لَوْ حِينَ وَجَنَاتُهُ طَلَا فِي حَانَ
لَا مَسَّهُ شَيْنٌ إِلَّا دَائِماً نَشْوَانٌ
وَأَنَا الشَّجِييَ الْعَانَ أَضْحَى دَمْعُ عَيْنِي عَيْنٌ
عنه العنَا بانٌ وانزاحتُ صروفُ البَيْنِ
وَالصَّبَّ قَدْ حَانَ فِيهَا شَرِبُ كَأْسِ الْحَيْنِ
قَدْ أَمْنَحُو شَانَ مَا قَارَنَ بَسْعَدُهُ شَيْنٌ

وقد علمت أن هذا الوزن مبني على التسامح ، واللحن يعذب فيه إذا كان به ، أحسن من أن يكون معرباً ، بل قال السيوطي في « شرح الموشح النحوي » : أنه يجب فيه اللحن . وفي كتاب « منتهى الآمال من مشتهى الموالم » شيء من أحكامه . قيل وإليه وقعت الإشارة على وفق (ما فرطنا في الكتاب من شيء) بقوله تعالى (والاطر محشورة كل له أو اب) (لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا) كما قيل في استخراج اسم هود عليه السلام من قوله تعالى (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) بطريق التعمية . وأصل هذا الوزن من بحر البسيط ، وسبب تسميته بالموااليا ، ما يحكى أن الرشيد لما قتل جعفر البرمكي ، أمر أن لا يرثي بشعر ، فرثته جارية له بهذا الوزن ، حيث لم يكن

شعراً ، وهي تندب وتقول : يا مواليا . فسُمِّيَ بذلك ، قيل وأول بيت قالته في هذا الوزن قولها :

يا دار أين ملوك الأرض أين الفرس °
أين الذي قد حمّو كي بالقنا والترس °
قالت تراهم رمم تحت الأراضي دُرس °
سكوت بعد الفصاحة ألسنتهم خرس °

فائدة : قال المقرئزي : أهل الاسكندرية يستقبلون من الكعبة ما بين الركن الغربي إلى الميزاب ، فيجعلون الدب الأكبر خلف كتفهم الايسر وقت طلوعه ، ويكون الجدي (١) على الأذن اليسرى ، انتهى بمعناه .

فوائد : عن الامام الحافظ الشيخ أحمد المقرئ ، وكان يدرّس بجامع فراجا على الساحل خارج السور ، لأن البلدة تحوّل أكثرها إلى ذلك الموضع ولم يزل يتجدد بها البيان (ومنها) : أن سورة الكوثر لم تشتمل على ميم ، وفي ذلك اشارة إلى أن هذا العطاء غير مرجوع فيه ، إذ الميم يرجع منتهاها إلى مبتدائها من حيث أنها دائرة . (ومنها) : أنه قيل في تفسير قوله تعالى (ولقد نصركم الله بيدر) أن المراد به محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه من أسمائه ، وإليه الاشارة بقوله تعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) وذلك أن لظه من العدد أربعة عشر ، وهو كمال البدر . (ومنها) : ما وقع في الحديث القدسي «كنت كثيراً مخفياً فأحبيت أن أعرف ، فخلقت خلقاً في عرفوني» وذلك أن لفظ : في له من العدد اثنان وتسعون وهو عدد لفظ محمد . (ومنها) : أن بعض الأدباء استخرج عدد الرسل عليهم السلام ، من اسم محمد صلوات الله عليه ، بحساب الحمل ، وذلك بتحليل الاسم الى ثلاث ميمات ، لكل ميم من العدد تسعون ، وعلى ذلك للحاء تسعة ، وللدال خمسة وثلاثون ، فالمجموع ثلاثمائة وأربعة عشر ، قال : وضمت ذلك منظومتي السنوسية حيث قلت :

وعدّة الرسل الكرام الكمّل
في اسم محمد بدت بالحمل
ميم وحاء ثم ميم كررت
وبعدها دال كما قد قررت

(ومنها) : أن بعض الأدباء استخرج مدة عمره عليه الصلاة والسلام ، من

(١) الدب الاكبر مجموعة من النجوم أظهرها سبعة ، كانت العرب تسميها بنات نعش الكبرى ، تشابه مجموعة الدب الاصغر ، وتفوقها في سعة الرقعة ، وتعاكسها في الوضع .
أما الجدي فمجموعة أخرى من النجوم ، اطلق اسمها على احد بروج الشمس

لفظة نبيء بالهمزة ، لأنّ لها على ذلك من العدد ثلاث وستون^(١) . (ومنها) : أنّ ابن رشد كان يقول : ما من مسألة وإن كانت جليةً في ظاهرها ، إلاّ وهي مفتقرة إلى الكلام على ما يخفى من باطنها ، وقد يتكلم المرء على ما يظنه مشكلاً وليس بمشكّل ، وبخلافه . (ومنها) : أنّ نسبة الفائدة إلى مفيدها ، من الصدق في العلم وشكره ، والسكوت عن ذلك ، من الكذب في العلم وكفره ، ولا ينافيه خبر « أنظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال » :

إذا أفادك إنسان بفائدة من العلوم فجدّد ذكرها أبداً
وقل فلان جزاه الله صالحة أفادنيها وخلّ الكبر والحسد

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الرعونة ، وفيه كلام يحسن السكوت عنه . (ومنها) : أنّ كلاً من البسمة والحمدلة أمر ذو بال ، فيحتاج إلى سبق مثله ، ويتسلسل ، وأجاب بأن المراد ما يقصد في ذاته وليس وسيلة لغيره ، وبأنّ كلاً منهما كما يحصل البركة لغيره ويمنع نقصه ، يحصل ذلك لنفسه ، كالشاة تذكّي نفسها وغيرها ، من الأربعين : (ومنها) : انّ ابن جنّي حكى أن سيبويه روّي في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال خيراً ، وذكر كرامة عظيمة ، فقيل له : بم ؟ قال : بقولي إنّ اسم الله تعالى أعرف المعارف . (ومنها) : أنّ ثعلباً قال في الرحمن إنّه اسم أعجمي بالخاء المعجمة عرّب بالمهملة وهو غريب . ومن املائه :

الحدّ والموضوع ثمّ الواضع والإسم الاستمداد حكم الشارع
تصوّر المسائل الفضيله ونسبة فائدة جليّة
حقّ على طالب علم أن يحيط بفهم ذي العشرة منبها ينيط
تخصّه قبل الشروع في الطلب كيما يكون عارفاً فيما طلب

(١) طه = ٥ + ٩ = ١٤ ، في = ١٠ + ٢ + ٨٠ = ٩٢ ، محمد = ٤ + ٤٠ + ٨ + ٤٠ = ٩٢ ، محمد = ميم + حا + ميم + ميم + دال = (٤٠ + ١٠ + ٤٠) (١ + ٨) (٤٠ + ١٠ + ٤٠) + (٤٠ + ٤٠) = ١٠ + ١٠ + (٤٠ + ١٠ + ٤٠) + (٣٠ + ١ + ٤) = ٣١٤ = ٣٥ + ٩٠ + ٩٠ + ٩ + ٩٠ = ١٠ + ٢ + ٥٠ = ٦٣ = ١ +

وهذا إذا أريد به ترويض الذهن ، وتمارين الفكر ، والتسرية عن النفس ، فلا بأس به فيما يبدو .
واما أن يدرّس ويدرس على انه علم ، ويورد على انه معارف وحقائق ، فذلك جهل وهذر ودجل .

غيره :

وسمع وابصار كلام مع البقا
لدي الاشعري الجبرذي العلم والتقى

حياة وعلم قدرة وإرادة
صفات لذات الله جلّ قديمة

غيره :

يُدانُ بها ربّ العباد ويُعبَد
وموسى وعيسى ثم جاء محمد

أولو العزم خمس والشرائع خمسة
فَنوح وإبراهيم ذو الحلم والتقى

غيره :

لمن نسل إبراهيم ذي العلم والتقى
ونوح وإدريس الذي فاز وارتقى^(١)

وكلّ نبيّ في القرآن فإنّسه
سوى خمسة لوط وهود وصالح

غيره :

بهم يهتدي في الذكر كلّ كبير
ونافعُ عبدُ الله وابنُ كثير

ألا إنّ قرآء الأئمة سبعة
عليّ أبو عمرو وحمزة عاصم

ولبعضهم :

تطوى وتنشر دونها الآجال
وقصارهنّ مع الهموم طِوال

إنّ الليالي للأنام مناهل
فظوالهنّ مع السرور قصيرة

ومنه :

بغير الماء أو نَظَرَ السّوّاري
فليس اضيفها المحتاج قاري^(٢)

نزيلُ سكندريّة ليس يُقرى
فلا تطمع برويّة قرص خبز

وفي عاشر شهر ربيع الأوّل ، جاء كتاب يشتمل على قتل المرحوم السيد أحمد بن عبدالمطلب أمير مكة المشرفة ، وبما وقع تحدث عامة أهل مكة قبل الوقوع ، وإرجاف العوامّ مقدّمات لأمر واقع لا شك فيه ، فلنذكر طرفاً من خبر هذا السيد الشهيد ، لما في ذلك من الفائدة التي تعود صلتها على أهل الاعتبار .

وكن ذا اعتبار واغتم أطيب العمر

كن عالماً أخبار من عاش وانقضى

(١) فأين آدم وشيت عليها الصلاة والسلام ؟

(٢) سبقت بأكل من هذا في صفحة ١١٧ .

ولنبداً أولاً بنسبه الشريف ، فإن أنساب بني هاشم ، يقصر عنها طمع الطامع ،
أو هم كما قال :

وما دخولهم في الناس أو مضر
فأقصر فإنك لا تحصي فضائلهم
إلا دخول كلام الله في الكليم
لو كان في كل عضوٍ منك ألف فم

هو السيد المقدس المبرور ، أحمد بن عبدالمطلب بن حسن ، ذي المآثر المشهورة
والنوادير المسطورة ، ابن ابي نمي محمد بن بركات ، وله الأخلاق الحسنة والشمائل
المستحسنة ، قبض عليه التركي عام تسع وتسعمائة وذهب به الى القاهرة ، فتألم لذلك
أهل مكة المشرفة ، وفي ذلك يقول ابن العليف :

عزير على بيت النبوة والملك
وأعظم ما يلقي الكريم من الأسى
برغم العلي والمجد والسيف والندی
وتلك لعمر الله أدهى مصيبة
فيا لك من دهر تناهت خطوبه
عدم الليلي ما أمر صروفها
رحلتم فربع الأنس ما زال موحشا
وأسلمتم كل القلوب إلى الأسى
وغادرتم في الكرب جيرة طيبة
ولما استقلت بالمسير خيولكم
وسرتم وسار الجود يمشي أمامكم
رأينا الجبال الشم والمجد والعلی

مقام على ذل المهانة والفتك
على النفس ما يلقي من الضيم والظلم^(١)
حصلت أبا عجلان في قبضة الترك
أصم بها الحاكبي عن الحادث المحكي
نظمت حصاة القلب والهيم في سلك
وأخلقها باللوم في الفعل والترك
خلياً وسير العز أصبح في هتك
فهذا الوری ما بين باك ومستبكي
كذا جيرة البطحاء والحرم المكّي
وحادي النوى يشكو إليه كما نشكي
وظلت بنو الآمال من خلفكم تبكي
تسير بها بزل الجمال على وشك

وفي أيامه وأيام أبيه أبي نمي محمد ، استولى على الديار المصرية ملك الروم السلطان
سليم ، وجهز إليهما قاصدا بالاستقرار والاستمرار ، وذلك في سنة تسع وعشرين
وتسعمائة .

فلا عدمتهم نعمة خلقت لهم
ودنيا بهم فيها الحياة تطيب

(١) الضيم : الظلم . والضنك : الضيق .

وبركات المذكور ، هو ابن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ، الذي يقول في بنيه الشاعر :

لو لم يكن في بني عجلان نافلة إلا سماحتهم في العزّ بالباس
لكان ذلك كاف في محبتهم وكيف لا وهم من أشرف الناس

وعجلان هذا ، هو ابن رميثة ابن أبي نمي بن حسن بن علي بن أبي عزيز قتادة ، الذي دخل مكة بالسيف ، ودعا إليها الضيف ، وطردها عنها الهواشم لأمر اقتضاه ، وحكم به الباري تعالى وقضاه .

ومن تكن الأسد الضواري جدوده يكن ليلته صباحاً ومطعمه غصاً^(١)

وذلك في سنة سبع أوتسع وخمسمائة^(٢) ، ويقالُ لِعَقْبِهِ الْقِتَادَاتُ ، فلا خلا الله منهم الوجود ، ولا زالت منازلهم مأوى المكارم والوجود ، وكانت مملكته ممتدة من الينبوع إلى حلي ، وعدله فيها ظاهر جلي ، وكان بطلاً شجاعاً مهاباً مطاعاً .

ملك أبوه وأمه من دوحاة منها سراج الأمة الوهاج
شربوا بمكة في ذرى بطحائها ماء النبوة ليس فيه مزاج

كتب إليه الناصر يستدعيه ، ويعدّه ويمنيه ، فأجابه لذلك فسار من مكة إلى

(١) البيت من قصيدة للمعتمد أحمد بن الحسين ، والذي نحفظه في ضبطه غصباً بدل غصاً .

(٢) هكذا ، وهو عجيب ، ويبدو انه وهل من المؤلف او تحريف من الناسخ او الطابع ، فإن قتادة ابن ادريس العلوي اغتاله ابنه ، في جمادى الآخرة سنة ٦١٨ وعمره نحو ٩٠ سنة ، فيكون مولده نحو سنة ٥٢٨ .

وأعجب من هذا وأطرف ، ما في المنجد إذ يقول : « قتادة بن ادريس . أخذ مكة (نحو ١٨٠٦) وحكم البلاد بين ينبع وحدود المدينة ونجد واليمن ، أسس سلالة الأشراف أمراء مكة . » سنة ١٨٠٦ الميلادية تقابل ١٢٢١ هجرية : فتأمل !

والخبر الذي أورده عقب ذلك ، ذكره الملك المؤيد مختصراً باختلاف قليل كما يلي : « . . . وقيل أن قتادة كان يقول الشعر ، وطولب أن يخصر إلى أمير الحاج العراقي فامتنع ، وعوتب من بغداد ، فأجاب بأبيات منها :

ولي كف ضرغام أصول ببطشها	واشري بها بين الورى وابع
تظل ملوك الارض تلثم ظهرها	وفي بطتها للمجدين ربيع
أجعلها تحت الرحي ثم ابتغي	خلاصاً لها إني إذن لرقيع
وما أنا إلا المسك في كل بلدة	يضوع وأما عندكم فيضيع

العراق ، فلما وصل إلى المشهد الفروي ، خرج لملاقاته الأعيان ، وكان في جملة من خرج من غمار الناس شخص معه أسد مسلسل ، فتطير منه الشريف قتادة وقال : مالي وبلدة تذلّ فيها الأسود ؟ فرجع لوقته إلى الحجاز . فكتب إليه الناصر يعاتبه على قدومه عليه ورجوعه قبل وصوله إليه ، فكتب اليه الشريف قتادة :

بلادي وإن جارتُ عليّ عزيمة ولو أنني أعري بها وأجوع
ولي كفّ ضيرغامٍ إذا ما بسطتها بها أشترى يوم الوغا وأبيع
مُعَوّدة لثمّ الملوك لظهرها وفي بطنها للمجدبين ربيع
أتركها تحت الرهان وأبتغي لها مخرجاً ؟ إنني إذاً لرّبيع
وما أنا إلاّ المسكُ في غير أرضكم يَبْضوع وأما عندكم فيضيع^(١)

فكتب إليه الناصر : أما بعد فإذا نزع الشتاء جليابه ، ولبس الربيع أثوابه ، قابلناكم بجنود لا قبيل لكم بها ، ولنخرجنكم منها أذلةً وأنتم صاغرون . فلما أحسّ بالشرّ ، كتب إلى بني عمّه أبناء الحسين من أهل المدينة ، يستنجدهم ، وكتب إليهم أبياتاً منها قوله :

بني عمّنا من آل موسى وجعفر وآل حسين كيف صبركم عنّا
بني عمّنا إنّا كأفنان دوحه فلا تركونا تتخذنا العدى قنّا^(٢)
إذا ما أخ خلتى أخاه لآكل بدا بأخيه الأكلُ ثمّ به ثنّى

فلما أقبلت الكتبية الناصريّة ، وقد أتته رجال النجدة من بني الحسين ، بدّد شمل تلك الكتبية وكسرهما ، واستأصل ساقتها^(٣) وقهرها ، وضاعت عليهم الأرض ، حتّى إنّ هاربهم (إذا رأى غير شخص ظنّه رجلاً) . فلما رأى الناصر شدّة بأسه ،

(١) ضاع المسك يَضوع ضوعاً : انتشرت رائحته .

وضاع الشيء يضيّع ضيعاً وضيعاً وضياعا : فقد وهلك وتلف وصار مهملًا .

(٢) أفنان مفردا فن ، وهو الغصن المستقيم ، وجمع أفنان : أفانين .

والقن : عبد ملك هو وأبواه . وهو بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع . وقد يجمع على

أقنان وأقنة .

(٣) الساقة : مؤخر الجيش ، وإذا وصل إلى الساقة حتى استؤصلت فما دونها بالأول .

إلا أن التعبير المألوف : استأصل شأفتها — ولعل الناسخ أو الطابع صحفها عنها — والشأفة الأصل ،

وأيضاً القرحة في أسفل القدم ، يقال : استأصل شأفته ، أي أزاله من أصله .

وعدة لباسه ، مدحه على سيرته ، وأولاه صفاء سيرته ، وأقطعه قرى متعددة ، وأكرمه بصلات متجددة ، فلم يزل أميراً على الحجاز ، وملكاً لها على الحقيقة لا المجاز . والله درّ علي بن المقرب حيث يقول :

من° سالم الناس لم تسلّم مقاتلُهُ
ما كلّ ساعٍ إلى الهيجاء يدركها
منهم ومن عاش فيهم بالأذى سلّما
من حكّم السيف في أعدائه احتكما
وهكذا فلتكن الهمم العلية ، والشمائل العلوية ، وبالجملة فإنهم المعنيون بقول القائل :

فتية لم تليدٌ سواها المعالي
وفيهم يقول مادحهم :

ويكاد من كرم الطبايع وليدُهُم
وإذا امتطى مهداً فليس يُنيمُهُ
يَهَبُ التَّمَائِمَ لَيْلَةَ المِيلادِ
إلاّ نشيدُ مدائح الأجدادِ
أوهم كما قال :

وكم فيهم محاسنٌ وهي شتّى
فلا زالت على الأيام تبقى
وأوصاف ألدّ من المدامه
محاسنُهُم إلى يوم القيامة

وقتادة المذكور هو ابن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين ابن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن محمد بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن أمير المؤمنين الحسن بن أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . وفيه قيل :

كانت قريشٌ بيضة فتفألقت
الرائشون وليس يوجد رائشٌ
فالمحّ خالصه لعبد مناف
والقائلون هاشمٌ للأضياف (٢)
وما أصدق ما قال :

أولئك الناس إن عدّوا وإن ذكروا
لو خلد الدهر ذا عزٍّ لعزّته
ومن سواهم فلغّوا غير معدود
كانوا أحق بتعمير وتخليد

(١) القائل من شعراء الاندلس والمغرب ، لا اذكر اسمه الآن . وقبل هذا البيت :

من بني الاكرمين وهو انتساب زاد في مجدهم بني عباد

(٢) الرائشون : المطعمون المعنيون المغنون .

وأما سيرته ^(١) ، فإنه كان شريف النسبين ، كامل الحسين .
فيا نسباً كالشمس أبيض واضحاً ويا شرفاً من هامة النجم أرفع
وكان عزيز النفس ، صدوق الحدس .

تعرف من عينه نجابته كأنه بالذكاء مكتحل

حجياً للفقراء ، ومستنزل الضيف للقرى ، متنزلاً لأهل الأدب ، مولعاً بالمنادمة
والطرب ، تأدب بالأشعار والسير ، ومشى في التصوف على طريقة الشيخ الأكبر ^(٢) ،
وكانت في خدمته كثير من المشايخ الكبار ، وسافر إلى اليمن فاجتمع برجالها ،
وبشر بولاية مكة المشرفة فكان لا يزال يتشوفها ، ويكنى عنها بطلوع الشمس ،
سمعت منه عام اثنين وثلاثين وألف :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمسرح غزلان ودير لرهبان
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

وكان من أموره أنه لما قدم الوزير أحمد باشا متوجهاً إلى اليمن ، انكسر مركبه
بشجر جده ، فلما دخل البندر ، طلب من يغوص البحر لإخراج ماله منه ، فأخرجوا
له البعض واعتذروا عن الباقي ، فاتهمهم ، وقتل حاكم البلدة وأمين قلعتهما ، وذلك
في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وألف ، وشريف مكة إذ ذاك السيد محسن بن
حسين بن حسن بن أبي محمد ، وقد توجه السيد أحمد المذكور إلى الوزير ،
فأغراه على الشريف محسن ، وما زال به حتى وسمه بإمرة مكة المشرفة ، وكان
لا يملك شيئاً في تلك الحالة ، فلله در من قال :

إذا اصطفاك لأمر هيأتك له يد العناية حتى تبلغ الأربا
لوم ترد نيل ما أرجو وأطلبه من باب فضلك ما علمتني الطلب

(١) أي أحمد بن عبد المطلب .

وهامة الشيء : رأسه .

(٢) الشيخ الأكبر هو محي الدين بن عربي الاندلسي ، ولد في مدينة مرسية في الاندلس ٥٦١ هـ -
١١٦٥ م وتوفي في دمشق ٦٣٨ هـ - ١٢٤٠ م . أقام ثلاثين سنة في إشبيلية ثم رحل إلى الشرق . كان من
كبار الفلاسفة وعظماء المفكرين ، وأنت كثير من الكتب كالوصايا والفتوحات المكية . . وجد فيها
عبارات وأشعار لا يفتق ظاهرها مع العقيدة السليمة ، أولها بعض محبيه ، وكفره بها كثير من العلماء . .
وما لم تثبت نسبتها إليه بالتأكيد فالأولى أن نقول : ان الكلام كفر والله أعلم بقائله !

ولما قضى على الوزير ، نادى باسمه في تلك الجهات ، وأخذ العهود على أولئك الجند ، فأقبل عليه الشريف محسن ، وحاصره إلى سلخ شعبان ، ثم رجع إلى مكة وقد قتل جماعة ممن معه ، وثلاثة من بني عمه ، وكان في عسكر لا يظن انكساره .

وما يمنعُ الجيشُ الكثيرُ التفافهُ على غير منصورٍ وغيرِ مُعان فلما كان سابع عشر شهر رمضان ، قدم السيد أحمد في عسكره إلى مكة المشرفة ، وخرج إليه الشريف محسن في جمع عظيم الى ما وراء الحجون ، فوقع ما وقع ، ورجع الشريف محسن إلى الحسينية ، وكان لا يتوهم رجوعه ، والله غالب على أمره ، متصرف في ملكه ، يفعل ما يشاء وهو العليم الخبير .

ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في فلكك
إلا لينتقل السلطان من ملك قد زال سلطانه إلى ملك
ومالك العرش لم يزل أبدا ليس بفان ولا بمشترك

ثم إن السيد أحمد دخل مكة المشرفة في ذلك الموكب الذي لم يسمع بمثله ، في قومه وأهله ، فاستقر به سلطانه ، وعظم مكانه وإمكانه ، وقد خلّت منازل الأشراف من سكانها ، ونعق غراب البين في أركانها ، وأصبحت تلك القصور ، كالمحوّة من السطور ، ومكة مستوحش فيها الأنيس ، ويرثي لمصابها إبليس .

كأن لم يكن فيها أوانس كالدُمى وأقيالُ مكة في بسالتهم أسد^(١)
تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا لنا عبرة تدمي الحشا ولمن بعد

فلم يزل بمكة أميراً متغلباً على الأشراف ، منصوراً بالرعب في سائر أقطار الحجاز ، حتى إن كثيراً من الناس توهّم أنه القائم من أهل البيت ، وأسعد الله به من شاء من عباده ، وأمدّه بسنا إمداده ، وكان من أمره ما تناقله الركبان .

وكان ما كان مما لست أذكره فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

ولم يزل على ذلك الحال ، وملوك مكة في أكناف الجبال .

ولقد وقفتُ على منازلهم وطلّوها بيد البلي نهب
وبكيت حتى ضجّ من لعبٍ نضوي ولجّ بعذلي الركب

(١) تقرأ مكة بالهاء الساكنة ليستقيم الوزن . والأقيال مفردا قيل وهو الرئيس المطاع ، وكان

علماً على ملوك حمير .

وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلفت القلب^(١) ،
ولما كان العشرون من المحرم ، افتتح سنة تسع وثلاثين ، قدم الوزير قانصوه ،
فاختلى بالسيد أحمد ، وخنقه غدرًا ، ودفنه في طاقة ، فكثرت اللعظ بين
الجنود ، حتى أدّى إلى نبش قبره ليعلم حاله ، وبقي مطروحاً على أعين الناس ،
من الصبح إلى وقت الزوال ، ولسان الحال يقول :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ
ثم دفن ثانياً في تربة آل جدّه الحسن عليه الرحمة .
فإن دفنوا تحت التراب جماله فما دُفنت أوصافه وشمائله
فيا عين سحّي لا تشحّي بوابلٍ على ماجد لا يعرف النهر سائله
ثم انعقد الرأي على ولاية الكبير الخطير السيد مسعود بن إدريس بن حسن ،
حفظ الله تعالى أيامه من الأكدار ، ولا زالت داره أشرف دار ، وذلك في الخامس
من صفر الخير من السنة القائل لسان حالها :

هذا حباه الله ملكَ جدوده ولذاك جنّات النعيم تزخر
وفيه يقول الشيخ الفرغوري :
أميرنا السيد المفضل مسعود من وصفه العدل والانصاف والجد
توارث المجد عن إدريس والده أكرم به والداً أحياء مولود
وما أقرب ما قال :

قل للمقيم بغير دار إقامة أن الرحيل فودّع الأحبابا
إنّ الذين صحبتهم ولقيتهم صاروا جميعاً في التراب ترابا
ولما كان سادس عشر ربيع الثاني هبّت الرياح الشرقية ، واعتدل حال البحر ،

(١) طول جمع طلال وهو الموضع المرتفع البارز من الآثار .

وضح : صاح وجلب .

واللقب : شدة الإعياء والتعب .

والنضو : النحيل المهزول البالي .

والايبات الثلاثة للشريف الرضي (٣٥٩ - ٤٠٦) هـ (٩٧٠ - ١٠١٦) م . وكذلك البيت

السابق : وكان ما كان ما . . أما البيت التالي : لايسلم الشرف الرفيع . . فهو للمنتهي (٣٠٣ - ٣٥٤) هـ

(٩١٥ - ٩٦٥) م .

فجزمتُ على ركوبه ، والنفس عندها إباء وامتناع ، لما شاع من قولهم : ما خفق
الشراع ، ولكن أيّ عقل لمعقول ، وقد ورد في النقول : (لو كشف لأحدكم لرأى
قائدا يقوده) فألجأتها إلى ركوبه وألزمته ، واقتحمت بها لجّته وأنشدتها :

لقد خضت يا نفس بحرَ الهوى وأحرقت قلبي بنار النوى^(١)
عَلامَ نِفارك من مركب سرى في أمان شديد القوى ؟
فنزلت لإحدى المراكب المتوجهة نحو الروم ، منشداً بيتي المقتي أبي السعود
وحبر العلوم :

خلّ الديار بما فيها لأهليها وقلّ سلامٌ على الدنيا وما فيها
وألقِ معتصماً تلك العزيمة في بحر التوكل بسم الله مجريها
فسرنا تلك الليلة والليلة الثانية على أحسن حال وأنعم بال ، ثم اضطرب البحر
وقامت فيه العناصل بحيث كادت لا تبقي شيئاً على وجه الماء ، وكان المدفع إذ ذاك
ما يناهز الثلاثين سفينة ، فتفرقتُ بجمعها حتى لا ترى واحدة منها واحدة ، ولا
تظفر عنها نبأ ، وقد عقد الغيم غمام غمّه ، وأمطرنا الوجل سحاب همّه ،
وأرسل الغمام علينا الأمطار كأفواه القُرب ، ولقد شاهدت الأحوال من تلك
الأحوال ولا عجب :

على أنّها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائبُ
وامتدّ الحال ، وقلّ النوال ، وقد نفذ ما كان معنا من الماء ، واستولى
علينا الظما .

ومن العجائب أتني في لَج بحر صرت راكب
وأموت من ظمأ ول كن عادة البحر العجائب
غيره :

وكم مات في البحر المحيط أخو ظما بغلّته والماء جار وراكد

(١) النوى : البعد ووجه السفر .

فلا تحسبن كلّ المياه شريعةً يُبَلّ الصدا منها وتوَكّي المزود^(١)
كتب الحصري إلى المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ، وكان بعث إليه بخمسمائة
دينار يتجهز بها إليه :

أمرني بركوب البحر أقطعته غيري لك فاخصُصه بذا الرأء^(٢)
ما أنت نوح فتنجيني سفينته ولا المسيح إذا أمشى على الماء

وكتب إليه أبو العرب الزبيري حين بعث له بمثل ذلك :

لا تعجبن لرأسي كيف شاب أسيّ وأعجب لأسود عيني كيف لم يشب
البحر للروم لا تجري السفين به إلا على غرر والبر للعرب

لطيفة : دخل الشيخ عبد الرزاق فاتح البيت المعظم على السيد الحسن بن أبي
نمي شريف مكة شرفها الله تعالى ، ليستأذنه في ركوب البحر لضيق حاله ، فأنشده
الشريف :

فيم اقتحامك لبحّ البحر تركبه وأنت يكفيك منه مصّة الوشلِ؟
فأنشده على البديهة من القصيدة :

أريدُ بسطة كفّ أستعين بها على قضاء حقوق للعلی قبلي^(٣)

فأمر له الشريف بألف دينار . وعلى ذلك في «التحفة السنية في الدولة الحسينية»
أن السيد شكر بن الحسن الملقب بتاج المعالي ، رأى فرساً مع شخص من العربان ،
فأعجبه ولم يمكنه طلبها منه ، فلما قضى مناسكه ، بعث وصيفاً بألف دينار يسأله

(١) الغلة : العطش الشديد . والشريعة : المورد لمن يريد الشرب . والصدى : شدة العطش .
والمزود : جمع مزود وهو ما يوضع فيه الزاد ، وجمع مزادة ، يغلب أن يوضع فيها الماء . ووكي المزايدة :
شد عنقها بالوكاء ، أي الرباط .

وكان البيت في الاصل : وتوَكّي المراد ، بالراء بدل الزاي وهو تصحيف ، فصحناه حسبما
ظهر لنا .

(٢) البيت غير مستقيم لاني وزنه ولا في معناه ، وكأنه قد أصابه نقص وتصحيف . أما التصحيف
فبالراء الذي يبدو انها تصحيف الداء . وأما النقص فلم نتهتد إليه ، غير أن الوزن اللازم كما يلي :
« غيري لك اليوم فاخصه بذا الداء » .

ويبدو أن البيت الثاني لم يسلم كذلك من التصحيف ، فالأجمل ؛ : « إذا » أن تكون : « أنا » .

(٣) كلا البيتين للطغرائي من «لامية العجم» .

والوشل وجمعه أوशल : الماء القليل في الفلاة .

قبولها في مقابلة الفرس ، فأسمى الوصيف على العربي فأضافه بالفرس ، فلما أصبح كلمه في ذلك ، فقال : إنك لما أمسيت علينا لم يكن عندنا ما نضيفك به فذبحنا لك الفرس ، فبهت الوصيف ، ثم إنّه دفع الألف إليه فامتنع من قبولها ، فبالغه الوصيف حتى قبلها ، فلما رجع إلى سيده قصّ عليه الخبر ، فقال له : ما فعلت بالألف ؟ قال : أعطيتها العربي بالمبالغة ، قال : نعم ما فعلت ولو لم تفعل ذلك لرأيت ما تكره ، وحيث فعلت ذلك فأنت حرّ . توفي السيد تاج المعالي سنة أربع وستين وأربعمائة (١) ، وكان أميراً جليلاً جواداً جميلاً ، سارت بذكره الركب ، وشهدت بفضلها العربان ، وهو رابع من ملك مكة من الدولة الحسينية ، فإنه ملكها عن أبيه الحسن بن جعفر ، وملكها عيسى عن أبيه جعفر بن محمد الحسيني ، المستولي عليها بالسيف ، فإنه دخلها وقتل من طوائف العرب الهذيلية والطلحية وغيرهم ، وأخلى الترك عنها ، وبقيت في يده إلى أن دعاه واجب الاجابة فلباه ، وذلك في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، أيام العزيز بالله الفاطمي (٢) .

وما هذه الأيام إلا صحائف نورخ فيها ثم تمنحى وتمنح
وأعجب شيء أن دائرة المني توسعها الآمال والعمر ضيق

(١) لعل هذا وهل من المؤلف ، أو تحريف ممن بعده ، فقد ذكر أبو الفداء في حوادث سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة : وفي هذه السنة توفي شكر العلوي الحسيني أمير مكة ، وله شعر حسن ، فنه :

قوض خيامك عن أرض تضام بها وجانب الذل ان الذل مجتنب
وارحل اذا كان في الاوطان منقصة فالمندل الرطب في اوطانه حطب

(٢) وكان المؤلف وهم في هذا أيضاً فسنة ثمان وخمسين وثلثمئة ليست في أيام العزيز بالله ، بل في عهد أبيه المعز لدين الله الفاطمي الذي ولد بالمهديّة في إفريقية حادي عشر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمئة ، وتولى الامر بإفريقية سلخ شوال من سنة احدى واربعين وثلثمئة ، واستولى على مصر في شوال سنة ثمان وخمسين وثلثمئة ، وتوفي بمصر في سابع عشر ربيع الاول سنة خمس وستين وثلثمئة . أما ابنه العزيز بالله الذي ذكر المؤلف أن سنة ثمان وخمسين وثلثمئة كانت في عهده ، فقد تولى يوم موت أبيه سنة خمس وستين وثلثمئة ، وتوفي لليلتين بقيتا من رمضان سنة ست وثمانين وثلثمئة وعمره اثنتان واربعون سنة وثمانية أشهر .

اما امراء مكة من الحسينيين في هذه الفترة فهم : جعفر بن محمد ، الذي خطب للفاطميين سنة ٣٥٨ . وبعده ابنه عيسى بن جعفر ، نحر سنة ٣٨٠ . وعلى اثر وفاة عيسى سنة ٣٨٤ تولى اخوه ابو الفتح الحسن بن جعفر ، الذي توفي عام ٤٣٠ ، فخلفه ابنه شكر بن ابي الفتح ، وكانت وفاة شكر - آخر الأمراء الحسينيين - في سنة ٤٥٣ . وتجدر تفصيل ذلك في تاريخ مكة ، والجزء الرابع من سمط النجوم العوالي .

مجير الدين بن تميم :

تلك الصواري وقد أربّت على الحُبُك
حمل الرسائل بين الفلك والفلَك^(١)

عجبتُ للبحر لما أن رأيت به
أظنّها لم تَطُلْ إلا وقد وكيّت

وقال :

وهاج علينا موجه يتلاطم
كما يتمشى في الصعيد الأراقِم^(٢)

ولما ركبْتُ البحر والبحرُ قد طَمَا
تمشّت بنا في لجة يبطنها

وقال :

والموج تحسّبه جواداً يركض
فيه يطير له جناح أبيض^(٣)

وركبْتُ بحر الروم وهو كحلبّة
كم من غرابٍ للقطيعة أسودٍ

وقال آخر :

ليس لي في البحار من أوطارٍ
طمعاً في غنائم الأخطار

سفر البرّ كيف كان جميل
است ممن يلقي الهلاك بنفس

حكى الشيخ الأكبر^(٤) : أنّ رجلاً من علماء المغرب قصد الحجّ ، ثم تردّد بين أن يسافر برّاً أو بحراً ، فعقد النية على مشورة من يلقاه ، فلما برز من داره

(١) الصواري جمع صاري وهو عمود يركز وسط السفينة يعلق به الشراع . والحبك جمع حبيكة وهي الطرق في السماء ، ومدارات النجوم . والفلك السفينة « تذكر وتؤنث » . والفلك جمع فلك وفلك . وافلاك - مدار النجوم .

(٢) طها يطمو طموأ : ارتفع وامتلأ . واللجة - واللج - معظم السماء . والاراقم - جمع ارقم - اغبت الحيات .

(٣) سيمود في صفحة ١٤٢ فيذكر هذا البيت على الوجه التالي :

كم من غرابٍ للقطيعة اسود فيه يطير به جناح ابيض

والحلبة : الخيل تجتمع للسباق . اما القطيعة فهي الهجران .

(٤) سبق ان ذكرنا انه يعني بالشيخ الاكبر ابن عربي . ولا ندري ما الذي يريد بما حكاه - ان صح - عن استشارة اليهودي ، وقد جاء الحث على الإستشارة في الكتاب العزيز والهدى النبوي الكريم ، ولكن لمن هم اهل للإشارة « وشاورهم » . فهل اذا اختلط الامر على المسلمين يجدون الهدى عند المغضوب عليهم والضالين؟ وقد وجدنا تعليقا على النسخة بغير خط الشيخ محمد نصيف مايلى : ولا يستغرب هذا عن اصحاب وحدة الوجود ، فإن مما يدعون اليه ، وحدة الوجود ، ومدح الذين ذمهم القرآن ، كفرعون وامثاله ، وان الكثير من هذه العقائد الفاسدة قد دسها اليهود بين المسلمين عن طريق اتباعهم من الباطنيين .

لم يلقه إلا يهودي ، فاعتمّ لذلك ، ثم عزّم على أن لا يحلّ ما عقده مع الله تعالى ، فاستشار اليهودي فقال له : إنّ الله تعالى يقول (هو الذي يسيّركم في البر والبحر) فلولا أنّ البرّ أفضل من البحر لما قدمه عليه ، فرجع الشيخ مسروراً بذلك ، والله وليّ التوفيق . الشيخ الفرفوري :

أبا خالد أحسنت لا زلت محسناً
رفيقاً بمن يهوى جواريك هادياً
ثنيتُ عنان الفلدك عنك مودعاً
وداع امرئ لا يرجع الدهر ثانياً

وقال آخر :

ولقد ركب البحر أرجو راحة
فشهدتُ فيه مواقع الأهوال
وعزمتُ أن لا عدتُ فيه ثانياً
وهجرته في سائر الأحوال

فائدة . - يقال : من خواصّ الفيروزج أنّه ما رؤي في أصبع غريق قط ، قال بعض فقهاء اليمن : وكان في نفسي شيء من ذلك ، فاتفق أنا وجدنا غريقاً في نهر ، وقد بقي فيه رمق ، فحملناه الى اليبس ، فلما سكن جأشهُ قال : ما هذا الموضع ؟ فسميتناه له ، فقال : إنّي وقعت بأرض كذا ، فإذا بين الموضعين سفر خمسة أيام ، ثم إنه طلب مأكولاً ، فذهبنا لاحضاره ، فانقضّ عليه الجدار الذي كان تحته ففضى عليه ، فعجبنا من مساحة البحر وتعديّ الجدار ، فلما أخذنا في تجهيزه ، رأينا في يده خاتم فضة فيروزج ، فعلمنا صحة خاصيته^(١) ، ثم بعناه وجهازناه به ، انتهى بمعناه من كتاب «عقود النحر في نوادر البحر» ولا يخفى عليك أنّ الخاصية قد تتخلف ، وهي طبيعة مجهولة ، والله درّ القائل :

لي مدة لا بدّ أبلغها
محتومة فإذا انقضت مت
لو ساورتني الأسد ضارية
لغلبتها إن لم يجيء وقت^(٢)

(١) ذكرنا سابقاً أن الفيروزج من الاحجار الكريمة .

أما انه يمنع الفرق ويؤجل الاجل ، فواضح انه من الترهات ، والعاقل يعلم ان البحر ليس بعاقل، وان الجدار ليس بظالم ، فلا يسامح بحجر ولا يتعدى جدار . فكل المخلوقات تخضع لله وتعمل بأمره ، وكل شيء بقضاء وقدر . وليس من التوحيد أن يعدل الإنسان عن الخالق الى المخلوق ، ويرى ان له ضرراً ونفعاً ، ويجعل توكله واعتاده - او بعضه - عليه ، وهذا الشطط الى اليسار ، هو الذي ادى الى شطط بعض جهلة الصوفية شططاً تجاوزوا به اليمين ، حتى تعدوا الحدود ووقموا في وحدة الوجود .

(٢) اورده القاضي التنوخي : لغلبتها ان لم يجي الوقت . وهو احسن .

ومن كتاب «البحر» : ينبغي لراكبه أن يكون ممتلئاً من الطعام عند ركوبه ،
فإذا حصل له القيء كان في معدته ما يستخرجه ، ويستحب له مسح ظاهر الأنف
وباطنه بالإسفيداج ، وشمّ الصندل والماورد ، واستعمال شراب الحصرم^(١) .
ثم لم نزل كذلك ، نجوب فيافي المهالك ، حتى نظر الباري تعالى إلينا بعين الرحمة ،
وكشف عنا بمنه غمام الغمة ، ونحن في موج يرفع ويخفض ، ويَجْرَجِرنا إلى
ما يُسْقِم ويُمْرِض ، والريح تضرب الشراع ، وتمزق القيلاع .

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المراجع
فأقمنا على الماء تجاه جبال رودس أياماً لوقوف الريح .
ونحن في مركب كالتون يُذَكِرنا موسى بن عمران في يَمّ بتابوت
ما كان أغناك عن بحر وعن خطر وبعُد أهل وتغريب وتشتيت
قد شابت رؤوس الجبال ، واكتست عمائم الثلج ، وخاضت آراء الرجال في
الهرج والمرج ، وتمزقت بالأهوية القلوب والأستار ، والبارق يكاد سنا برقه
يذهب بالأبصار .

هذي خُفوق البرق والقلب الذي ضُمَّتْ عليه جوانحي خَمَقَان
ولما أمسينا ذات ليلة ، هبت علينا نسمة سارت بها الركبان ، فوصلنا إلى رودس
أقل ما كان يتوقع ، بل وربما كان ذلك في الواقع .

كعرش بكتقيس لما جاء مُحْتَطَفًا إلى سليمان يسعى من رسوم سبأ
فترلنا من تلك المينا الأمينه ، إلى هاتيك المدينة ، وقد أسفر الصباح عن اليوم
الرابع والعشرين من شهر ربيع الأوّل ، فإذا هي بلدة لطيفة الشمائل ، وريفة المنازل ،
ذات أسوار مانعه ، وأشجار يانعه ، وطيور مختلفه ، وقصور مؤتلفه ، إلا أن ماءها
أثقل من الرصاص ، والإقامة بها تقوم مقام القصاص ، وقد قامت بها سوق الفسوق

(١) الحصرم : العنب قبل ان ينضج اذ يكون حامضاً . والماورد : ماء الورد الحاصل بتقطيره .
والصندل : شجر هندي ابيض الزهر ، خشبه طيب الرائحة ، يمل ثمرأ في عناقيد ، وله حب اخضر . وخشب
الصندل من الادوية القلبية ، احمر الاحمر ثم الاصفر ، وابرده الابيض . اما الإسفيداج او ابيض الرصاص ،
فهو ملح ابيض اللون غير منحل من املاح الرصاص يدعى : فحمات الرصاص ، صيغته الكيميائية : CO^3Ple
وزنه الجزيئي : ٢٦٧ .

على ساق ، وتجاهر بالمعاصي فيها الفسّاق ، فلم يُفَرِّقَ فيها بين الراح ، والماء القراح ، والله غالب على أمره ، وهو المسؤول في السلامة من كيد الزمان وقهره .
فائدة في معرفة ثقل الماء وخفيفه : تبلّ قطنتان متساويتان ، وتجفان في الظل ، والماء الذي قطنته أخفّ ، فهو أخفّ^(١) ، كذا في « تذكرة » الشيخ جمال الدين العصامي .

ثم إنّي دخلتُ خاوي الوفاض ، بادي الإنفاض ، لا أملك بلُغَه ، ولا أجد في جرابي مُضغَه ، فطَقِقتُ أجوب طرقاتها كالهائم ، وأجول في حوماتها جَوْلان الحائِم ، أروود في مسارح لَمَحاتي ، ومسارح غَدَواتي وروّحاتي ، كريماً أُخْلِيق له ديباجتي ، وأبوح إليه بحاجتي ، وأديباً تُفَرِّج رويته غُمّي وتُروي روايته غلّتي ، فانصرفت من حيث أتيت ، وقضيت العجب مما رأيت ، وهكذا شأن من لَقَطْتَه معاول الأرفاق ، إلى مفاوز الآفاق ، ومن اقتعد غارب الاغتراب ، وأتأنته المتربّة عن الأتراب^(٢) ، رأى من تقلب حاله ، مالا يجري في خياله .

وإنّ اغتراب المرء من غير فاقّة ولا حاجة يسمو لها لعجيب
وحسب الفتى ذُلّاً وإن أدرك الغنى وإن نال مجدداً أن يقال غريب

فأقمت بها مدة تناهز مدّة الهلال ، وعدّة لم تُسْفِرَ فيها وجوه الآمال ، فلا مُسامر في تلك المُسامر ، ولا منادم بوجه سافر .

مدادِي مدامي والكؤوس محابري نَدَامايَ أَقلامِي وفاكهي شعري
ومُسمعتي ورّقاء ضنّت بحسنها فأسدلتِ الأستار من ورّق خضر

(١) وذلك ان الماء توجد فيه أملاح ذائبة متعددة ، كما ينحل فيه بعض الهواء ، فإن خلا منها ، لم يستغ طعمه ولم يتم نفعه ، وكذلك إذا زاد مافيه من الاملاح أدى إلى صعوبة في استعماله ، فتعسر نضج الخضار فيه ، وتمذر أن يرغوفيه الصابون ، كماء البحر ، وهو الماء الثقيل ، أما الماء المستساغ الملائم ، فهو الماء الخفيف ، الذي يحوي قدراً معتدلاً من الأملاح .

فإذا بلت قطنة بماء ثقيل ، وأخرى تماثلها بماء خفيف ، وتركنا حتى جفتا ، كانت الأولى أثقل ، لأن الاملاح التي ترسبت فيها بعد تبخر الماء أكثر ، إذ أن قسيمي الماء متساويان .

(٢) الإنفاض : الحاجة والحاجة . والبُلغة - والبلاغ والتبليغ - : ما يَكفي من العيش ولا يفضل . والحائِم : العطشان . وأرود : أطلب وأبحث . والغدوات تكون صباحاً في أول النهار ، أما الروحات ففي العشي . واخلاق له ديباجتي : أطلعه على دخيلة أمري الذي استكتف من كشفه . والمترّبة الفاقّة والفقر . والاتراب : المتساوون بالعمر .

وأنا من سكّانها ما بين خلق في صورة البشر ، وأعيان جمعوا بين الحماسة والأشّر ، فما أولاني في تلك الحال ، بقول من قال :

يا ضيعة العمر في قوم تخالهم ناساً ولا غير أثواب على صور
لو أنّ ذا الحلم قساً^(١) حلّ بينهم لودّ فيهم ذهابَ السمع والبصر
لهم كلام تقشعرّ منه الآذان ، بأصوات مقلوبة ، ما دقت باب الدخول ،
ولا فرقت بين الفروع والأصول ، فكم أطربت ولا أطربت ، وكم أغربت ولا
أغربت .

وكم حوت رودس مع حسن بهجتها من كل فدمٍ بليدٍ الطبع فاسده
فكنتُ كما قال :

أصبحتُ في بلدة غرّاء تجهلني وكلّ ناوٍ بدار الجهل مجهول
في معشر ما لأهل الفضل عندهم قدرٌ ولا لبني الآداب تفضيل
دار مزخرفة الأركان ليس بها إذا سلكت الهدى إلاّ التماثيل
فحق أن أذكر الزورا و جيرتها وروضة الطهرفهي القصد والسؤل
لا أبعد الله هاتيك الرياض ولا زالت لها من سحاب الخير تظليل

فلا غرّو^(٢) أن أذكر معاهد الفضل ومواطنه ، وأمتدح موارد الأدب ومعادنه ،
وأبوح بهوى تلك البقاع البهية ، وأنوح متشوقاً إلى هاتيك الرباع الحرمية .

بلاد بها نيّطتُ عليّ تماثلي وأول أرض مَسّ جلدي ترايبها
فلا برحت تزهو على الأفق بالبيها ولا زال يهمني في الرياض سحابها^(٣)
ورودس هذه جزيرة في البحر الرومي ، ساحتها ثلاثة فراسخ ، وعمارتها فرسخ ،
وعليها ثلاثة أسوار منيعة ، وثلاثة من الخنادق ، وتمشي في عرض السور ثلاث
عربات ، وهو مُخرّق من أعلاه إلى أسفاه ، في كلّ كوة مدفع يضرب ما
يحاذيه ، ولا يؤثر في هذا الحصار شيء من المدافع ، وفي بابه سلسلة عظيمة في وسط

(١) قس بن ساعدة الايادي الحكيم المعروف ، كان حكيماً . الا أن المشهور بالحلم هو قيس بن
عاصم ، فلعله تصحيف .

(٢) لاغرو - وكذلك لاغروى من كذا - اي لا عجب .

(٣) نيّطت : علقنت . تماثم : جمع تميمة وهي ما يعلق على الوليد لدفع الاذى عنه ، والدجل فيه اكثر

من له اصل . تزهو : تتهب وتتكبر وتعجب بنفسها . يهمي : يسقط وينصب .

البحر ، تمنع وصول شيء من المراكب إلى الباب ، وهو قديم البناء ، محيط به البحر من جانب وبر الجزيرة من جانبيين ، وفيها بساتين ، وكنائس عظيمة صارت مساجد ، وحمام ، وسوق كبيرة ، وهي الآن في ثوب البهاء ، وخارج العمارة بساتين مختلفة الثمار والأزهار ، ولها خبر طويل في الفتوحات السلیمانية ، افتتحها السلطان سليم سنة تسع وعشرين وتسعمائة ، فحصل بذلك لأهل الاسلام كمال المسرة ، وعملوا تواريخ منها (يفرح المؤمنون بنصر الله) ^(١) قاله القطبي ، في «الاعلام» .

وأما البحر الرومي ، وهو بحر الشام والقسطنطينية ، فهو يخرج في الاقليم الرابع من المحيط ، فيمرّ مشرقاً بشمال الاندلس إلى القسطنطينية ، ويمتدّ ببلاد الجنوب إلى سبتة إلى طرابلس الغرب إلى الاسكندرية ثم إلى سواحل الشام وإلى انطاكية ، قال المقرئزي : وطول هذا البحر خمسة آلاف ميل ، وعرضه من سبعمائة إلى ثلثمائة ، وفيه مائة وسبعون جزيرة عامرة ، فيها أمم كثيرة معروفة ، وحكى بعض الفلاسفة أنه كان ما بين الاسكندرية والقسطنطينية في قديم الزمان ، أرض تنبت الجُمُيز ، وكانت وخيمة ، وسكانها من اليونان ، الى أن حرق الاسكندر إليها البحر ، فغلب على تلك الارض .

ولما كان آخر جمادى الأولى ، ركبت البحر صحبة أمير لواء البحر السكندري جمال الأمراء محمد بن سويدان ، لا زال في كلاءة الملك الديان ، فظفرت منه بما شغلني عن السكن ، والاهل والوطن ، ولم أزل من مسامرته ، مدة مسابرة ، فيما أنساني باحسانه شتات الليالي ، وأولاني من منثور فوائده ما هو أشرف من عقود اللآلي ، فيا له من بحر يسير على بحر ، وواسطة عقد محله من جيد المعالي ما بين السحر والتحر ، وقد اختصرت فيما سطررت ، واقتصرت على ما ذكرت ، فاقنعن من صفات مجد طويل بمقالي ، فان الكتاب قصير . ولما رأني وجهت إليه آمالي ، وعولت فيما قصدت عليه ، حقق لي أملي ، ولم ينظر الى عملي ، وأذكرني ما حكى المدائني ، أن رجلا

(١) يفرح = ١٠ + ٨٠ + ٢٠٠ + ٨ = ٢٩٨ المؤمنون = ١ + ٣٠ + ٤٠ + ٦ + ٤٠ + ٥٠ + ٦ + ٥٠ = ٢٢٣

بنصر = ٢ + ٥٠ + ٩٠ + ٢٠٠ = ٣٤٢ الله = ١ + ٣٠ + ٣٠ + ٥٠ = ١١٦ «٢٩٨ + ٢٢٣ + ٣٤٢ + ٦٦ = ٩٢٩»

دخل على الملك المعظم عيسى^(١) ، فأراد ان يعاقبه ، وكان عنده ابن شبرمة ، فقال له الملك : أتعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم إنَّ له بيتا وشرفا وقدماء ، فأمر باطلاقه واحسن اليه ، فقيل لابن شبرمة : هل عرفته قبل ذلك ؟ قال : ما رأيته قبل هذا الوقت ، ولكن لما نظر إلي فأمل في الخير ، كرهت أن أخذله . قيل : فكيف نعته ؟ قال : أعلم أن له بيتا يأوي اليه ، وشرفه أذناه ومنكباه ، وقدمه الذي يمشي عليه . فله هذا الاشتراك الذي لولاه ما تهبأ لمستمر مراد . ما أحسن ما قال :

إنَّ لله غير أرضك مرعى نرّعيه وغير مائك ماء
إنَّ لله في الخلائق لطفاً سبق الامهات والآباء

ثمَّ إنَّي سرت في صحبة هذا العزيز ، محفوظاً بجانبه الحريز ، وقد طار بنا ذلك الغراب ، الرحب الجَناب ، وقد أقبل الشتاء وجنوده ، وزجرت رعوده ، وأشهر لوامع البرق ، ورَمى بسهام أمطاره ما بين الغرب والشرق :

بسحاب إذا همى الماء منه ألهب الرعدُ في هواه البروقا
مثل ماء العيون لم يجر إلا ظلَّ يُذكي على القلوب حريقا

ونحن نسأل الله تعالى السلامه ، وأن يخرجنا من هذا البحر وقد شملتنا منه كل منة وكرامه ، وعلى ذكر الشتاء فما ألطف قول القطب مورياً بالبرد :

تَوَقَّ من الشتاء ولا تُخاطر بنفسك قائلاً إنَّي جليد
فرضنا أن جسمك من حديد فهل يقوى على البرد الحديد^(٢) ؟

(١) كانت وفاة عبدالله بن شبرمة سنة ١٤٤ هـ . والملك المعظم عيسى ، ابن اخي صلاح الدين الايوبي ، ملك دمشق في جمادى الاخرة سنة ٦١٥ وتوفي في ذي القعدة سنة ٦٢٤ ، ومعنى ذلك ان ابن شبرمة لم يدرك الملك المعظم عيسى الذي توفي عن تسع واربعين سنة . وانما ادرك امير الكوفة زمن السفاح والمنصور الامير عيسى بن موسى ابن اخي السفاح والمنصور ، ولاء عمه السفاح على الكوفة سنة ١٣٢ . وتوفي في خلافة المهدي سنة ١٦٧ عن خمس وستين سنة .

(٢) ورى بالبرد الذي ييري الحديد عن البرد الذي تقشعر له الابدان :

لكل شيء آفة من جنسه حتى الحديد عدداً عليه المبرد

وفي السطر التالي : العود أحمد . وهو من أمثال العرب ، يتمثلون به في النثر والشعر :
وأحسن عمرو في الذي كان بيننا وإن عاد بالإحسان فالعود أحمد

ثم لم أزل كذلك على ظهر ذلك البحر الأسود ، وأنا أتمنى فراقه ولا أقول : العود
أحمد ، ولولا ما حصل للخاطر في ذلك المقام ، من الجمع التام ، لدى ذلك المقام
العالي ، الأعزّ المتلالي ، فإنّي وجدت في خزائنه من الكتب المفتخرة ، والدفاتر
المعتبرة ، ما وقعت به على ضالتي المنشودة ، وبقية روجي المفقودة ، فكنت أسرّح
طرفي في طرفيها ، وأسرّح في رياضها فأجنتني اللطائف من مبسوطها ومنتفها :

إذا ما خلوتُ من المونسين طلبتُ الموانسَ في الدفتر
فلم أخلُ من شاعر محسن ومن فاضلٍ ناصح منذر
ومن حكّم بين أثنائها فوائدُ للناظر المُفكّر
فلست أرى موثراً ما حيت نديماً عليها إلى المحشرِ

ومن إملاه دام علاه :

لا تَفْعُدَنَّ على ضيّم ومَسْعَبَة وانظرُ بعينك هل أرض مُعْطَلَة
فَعَدَّ عما يشير الأغياء به وانقل ركابك عن ربع ظمّنت به
واستترل الريّ من درّ السحاب فإنّ وإن رُدِدَتْ فما في الرد منقصة
لكي يقال عزيز النفس مُصْطَبِر من النبات كأرض حَفَّها الشجر
فأيّ فضل لعود ما له ثمر إلى الجَنَاب الذي يهمني به المطر
بُلَّت يداك به فَلَئِيَهَنكَ الظفر عليك، قد رُدَّ موسى قبل والخضر^(١)

ولمّا كان اليوم الثاني عشر من جمادى الآخرة ، وصلنا إلى صاقص ، وهو
بالتركية اسم للمصطكي ، سمّيت به تلك الجزيرة ، لأنّه لا يوجد إلّا بها ،
قيل : نخرج منها مائة صندوق في كلّ عام ، فتوزع على سائر البلاد ، في كل صندوق
مائة أقة بوزن تلك البلاد ، وما زاد على ذلك رُمِيَ في البحر كيلا يرخص

(١) كان يمكن أن يقول : « . . قد رد موسى قبلك الخضر » إشارة للآية الكريمة (قال إنك لن
تستطيع معي صبراً) إلا أن ما ذكره الشاعر أحسن وفيه إشارة إلى الآية الكريمة (حتى إذا أتيا أهل قرية
استطعا أهلها فأبوا أن يضيفوهما) والضميم - وجمعه ضيوم - : الظلم . والمسغبة : الجوع .
والجناب : الناحية .

وموسى عليه الصلاة والسلام من الرسل أولي العزم . والخضر عليه السلام اختلف فيه أهو نبي أو ولي
والاشهر الأول ، كما اختلف في وفاته ، أهو حي أم مات ، واكثر العلماء على انه توفي .

عن قيمته ، وهو عجيب . «قال البصير» في «التذكرة» : المصطكي وهو العليلُ الرومي ، ولا يوجد إلا بصاقص من أعمال رودس في الخامس ، وقيل: يوجد بإشبيلية من الاندلس ، إلا أنه غير جيد ، وشجره في البساطة ولطف العود والورق كشجر الأراك ، يؤخذ صمغه في شمس الجوزاء ، فتبقى قوته نحو عشرين سنة ، وهو حارّ في الثانية يابس في الثالثة ، أجوده الأحمر البراق والأبيض المُفْطَر في اليبس الهين الانفراط ، ومن خواصّه تسهيلُ البلغم مضغاً وإذهاب الصداع وحديث النفس ، وإذا بُخِرَ به قطن بلّ بماء ورد وجعل على العين سكن الرمد والوجع ، قال : وهو محرب .

ثمّ قمنا منها ، وقد أغرقتنا الأنواء بالغمام ، فتوقّعنا قبل الوصول للحمى وصال الحمام ، وبُلينا من خفق الغراب ، بألم العذاب ، وقد اسودّ السحاب فشابت منه ناصية البحر ، وبات الثلج منا ما بين السحر والنحر ، وقد تطايرت القلوب من ليل هو أشد سوادا من الغراب ، وغراب هو أعظم في قلبه من الطائر النعاب ، فكنت كما قال :

وركبتُ بحرَ الروم وهو كحلبنة والموج تحسبُه جواداً يركض

كم من غراب للقطيعة أسود فيه يطير به جناح أبيض (١)

فلم نزل كذلك حتى نزلنا على مرمرة ، وهي قرية لطيفة ، يُحْمَل منها أحجار المرمر إلى تلك البلدان ، ثمّ أتينا إلى البُغَاز ، وهو في اللغة التركية بمعنى المأزمين في العربية ، وهو مضيق بين جبلين ، تحت كلّ منهما قصبه وقاص ، وفيهما عمّال السلطنة ، فلا يخرج عنهما مركب إلا بتمسك .

ولمّا كان يوم الثلاثاء الثاني والعشرون من جمادى الآخرة ، اقبلنا على القسطنطينية المحمية ، ولاحت لنا بهجة تلك الأراضي السنيّة ، وارتفعت أعلام تلك الديار العثمانية ، وأضاءت أنوار القباب الخاقانية ، فإذا هي بلدة تعطرت أرجاؤها عبّهرها وعبّيرا (٢) ، وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيما وملكا كبيرا ، قد تفردت بالكبر

(١) مر هذا البيتان في صفحة ١٣٤ ببعض التحريف ، وتوجه لنا أن هذا الوجه أوجه . وسيدكر بعد قليل المأزمين ، مثنى مأزم - بكسر الزاي - وهو المضيق وجمعه مأزم . ويغلب على من ينجح أن يمر بالمأزمين .

(٢) العبير : النرجس والياسمين . والعبير : أخلاط من الطيب .

وحسن العمارة وسعة المكان ، وقال لسان النظر لما شاهد جماها الباهر وجلالها القاهر :
ما في الامكان أبدع مما كان ، وكيف لا وقد تزينت بحلول من رتّع العالم في
ظلّ عدله بالامان ، صاحب البند والعلم ، والسيف والقلم ، سرّ الله تعالى في
الوجود ، المشرق بدره في أفق السعود ، الملك الموفق للسداد ، السلطان مراد ، علا
على كل سلطان بسطوته ، وقدمته ملوك الأرض بصولته ، وكيف لا وهو الخليفة
على الخليفة ، وصاحب السلطنة العظمى في الحقيقة ، فلا زالت أصول دوحته الشريفة
ثابتة ، وفروعها بأنواع ثمار اللطائف المنيفة نابثة ، وأفلاك زهر العدل بدولته القاهرة
مشرقة الأنوار ، ورياض زهر الامن بآياته الباهرة مونقة النوار ، ولا برحت اركان
البيوت العلوية بشرت همته العلية قائمة ، وله من مسك الثناء على مكارم أخلاقه
حسن الخاتمة :

ملك إذا ما رمت ذكر مدحه يقول لسان الحال وهو صواب
تجاوز قدر المدح حتى كأنه بأحسن ما يثنى عليه يعاب (١)
ولما أحلّنيها الحظ ، وسرّحت فيها اللحظ :

رأيتُ بها ما يملأ العينَ قرة ويُسلي عن الأوطان كلَّ غريب
غير أنني أقول كما قيل :
كيف يلذّ العيش في بلدة سكان قلبي غير سكاّنها
لو أنّها الجنة قد أزلّفتْ لم أرضها إلاّ برضوانها
فأولّ مولى تشرّفتُ بالمثل بين يديه ، وتحققت أنّ السيادة قد طنبتُ لديه ،
المولى الذي تطرّزتْ دياجة هذه الرسالة ، ببعض ألقابه التي هي لبدر محاسنه هالة :
أثيتُهُ فرأيت الناسَ في رجل والدهرَ في ساعة والأرضَ في دار
فلا زال سعيه الطالع مسعود الجناب ، ولا برح يحيا في سعد ممدود الأطناب ،
فقابلني بالقبول التام ، وعاملني بالبرِّ والاكرام :
بشاشة وجه المرء خير من القرى فكيف الذي يأتي به وهو ضاحك؟

(١) ويشرح هذا قول المتنبي :

وكان من عدد إحصائه كان كن أفرط في سبه

ولقد كنت أسمع بمحاسنه التي سارت بها الركبان ، وشمائله التي تعطر بها شميم البان :
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري
وبالجملة فإنه المولى الذي حاز من الفضل منبع صفاته ، وكأنه المعنوي بقول
القائل في بديع أبياته :

لو كَفَرَ العالمون نعمته لما عَدَّتْ نفسه سجاياها
كالشمس لا تبغي بما صنعت منزلة عندهم ولا جاها
أو هو كما قال :

ولقد سألتُ الناس عن أخلاقه وكماله وعلا نباهة قدره
فوجدتهم صنفين فيه فقاصِرٌ عن مدحه ومُقَصِّرٌ عن شكره
فله جماله الذي به قد تفرّد ، وكماله الذي انفرد به وتوحّد ، فلقد رأيت منه
الأحنف وأبا حنيفة ، وما عسى أن أودعه هذه الصحيفة ؟

ولم أرَ أمثال الرجال تفاوتت لدى المجد حتى عدّ ألف بواحد
وقال :

وإني وإن أعطيتُ في القول بسطة وطاوعني فيه الكلام المُحَبَّرُ
لأعلمُ أني في الثناء مقصِّرٌ وأنّ الذي قد نال أوفى وأوفر
ولكنني ما دمتُ حيّاً لشاكر ويشكره بعدي كتابي المسطر
وقال :

فيا كتابي اذا ما جئت منزله وزرت ذلك المقام المرتضى الخفي
فحيّه وانتشِقْ من عرفه أرجا واشرحْ لديه اشتياقي نحوه وصف
ورأيت في مجلسه الشريف من الأفاضل والأعيان ما ذكرت به قول أبي الطيب :
مَنْ نَجَرَ الأكوان أني في الوري لاقيتُ رَسْطاً ليسَ والإسكندرا
ورأيت كلّ الفاضلين كأنما ردّ الإله زمانهم والأعصرا
وكت استأذنتُ في الدخول على حضرة المولى المأمول بهذين البيتين :

أيها الماجد المعظم يحيى بك يحيا بيت الحيا والمعالي
إنّ عبداً بالباب يطلب إذنا لينال المنى برؤيا الموالي

ثم إنني اجتمعت بفخر الأغاوات ، وسردار السلطنة ، المولى إدريس آغا ،
وكان لي إليه مطلب ركبت له المهالك ، فامتنع من ذلك ، وكنت أعتقد أن الله تعالى
سيجري على يديه أنواع المبرّات ، ويُسدي إليّ من جميل لطفه أصناف المسرات :

وما كلّ ما يحكي التوهّمُ صادقاً ولا كلّ ما تحوي الظنون محصّلاً
مع أن أوّلِي من لُحظ من الصدقات السلطانية ، دام نصرها بعين اللطف
والإقبال ، وأحق من شملته العواطفُ الخاقانية ، لا انقضى خيرها على كلّ حال ،
وفي كلّ حال ، العصابةُ العلوية التي اختصت من الزمان بالحرمان ، والعترة النبوية التي
لم تظفر من نواب الحدّثان (١) بالأمان .

وإنّ لم أفزُ حقاً إليك بنسبة لعزّتها حسبي افتخاراً بهمّتي
هذا وهو النفس الناطقة للسلطنة ، والعين الناظرة لأهل الحرمين ، وذلك بعد
المعرفة والتعريف ، والوقوف على ذلك الباب الشريف ، وكان يقال : من أمّ الماء
وجد الماء ، وما وقع العتاب إلاّ على الشراب :

لنا عتّب على سلّمات سلّع وحاشا العامرية من عتاب

وقال :

وقد صدرت ولكنّ بعد مهلكة
وهذه الشمس تلقى عكس مقصديها
كما وردت لأمر خُطّ في الكتب
في كلّ يوم ولولا ذاك لم تغيب

وقال :

وما هو إلاّ الحظّ يعترض المنى
وكم في البرايا بن عانٍ ومُطلّق
ولولاه كان الدهر أطوعَ مأمور
وسالٍ ومحزونٍ ودانٍ ومهجور

وقال :

فاذا سمعت بأنّ محروماً أتى ماءً ليشربه فغاض فصدّق (٢)

(١) العترة : ولد الرجل وذريته أو عشيرته من مضي . حدثان الدهر وحدثانه : نوابه ومصائبه .

(٢) في الأصل فغاض بدل فغاض ، والخطأ فيه بين . والبيتان من أبيات تنسب للشافعي . وروايتها لها .

وإذا علمت بأنّ مجدوداً حوى عوداً فأتمر في يديه فصدّق

وإذا سمعت بأنّ محروماً أتى ماءً ليشربه فغاض فحقّق

وبعده :

عوداً فأثمر في يديه فحقق

أو أن محظوظاً حوى في كفه

وقال :

لكن حظوظاً وأرزاقاً بأقسامٍ
يرمي ويرزقه من ليس بالرامي

وليس رزق الفتي من حسن حيلته
كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد

وقال :

لما أروى مع النخل القتادا

فلو أن السحاب همى بعقل

سقى الهضبات واجتنب الوهادا (١)

ولو أعطى على قدر المعالي

وقال :

حرمت ومالي غيرهن ذرائع
فلا صدرت بالواردن شرائع

وأعظم ما بي أتني بفضائي
إذا لم يردي مؤردي غير غلة

وقال :

صبري وصمتي فلم أحرص ولم أسل
ويا الكليم وكان الحظ للجبل
جهالة عندحكم الرزق والأجل

علمي بسابقة المقدور ألزمني
لو نيل بالسعي مطلوب لما حرم الر
وحكمة العقل إن عزت وإن شرفت

وقال :

حتماً ولكن شقاء المرء مكتوب
وكل ما يملك الإنسان مسلوب

الرزق يأتي ولو لم يسع صاحبه
وفي القناعة كنز لا يفاد له

وقال :

والحظ واللحظ طول الدهر في عتب

مالي وللمجد والأيام عابسة

بنجوم أقطار السماء تعلق
ضدان مفترقان أي تفرق
بؤس اللبب وطيب عيش الأحمق

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني
لكن من رزق الحجي حرم الغنى
ومن الدليل على القضاء وكونه

(١) القتاد : شجيرات صلبة صحراوية ذات شوك قاس كالابر . والوهاد - وكذلك الوهد - جمع
وهدة وهي الارض المنخفضة . والذرائع : جمع ذريعة، وهي الوسيلة . والغلة : العطش الشديد . والشرائع :
جمع شريعة وهي المورد إلى الماء . أما الكليم فهو موسى عليه الصلاة والسلام الذي كلمه ربه .

ما أصعب الشيء ترجوه فتُحَرِّمَهُ لا سيّما بعد طول الجهد والتعب

وقال :

يا بانه الوادي التي سفكتُ دمي بلِحَاطِهَا بل يا فتاة الأجرعِ
لي أنْ أبُثَّ إليك ما ألقاه من ألم النوى وعليك أنْ لا تسمعي

حكى القاضي شهاب التبريزي في كتاب « الفوائد السنية ، في محاسن القسطنطينية »

وهو القائل فيه :

فوائدي في معاني الروم وافية وحسنها يجتليه من تأمله
سنية جمعتُ منها محاسنها إنَّ الفوائدَ جمع لا نظير له

قال : قصد بعض أهل الأدب الوزيرَ علي باشا ، وكان من وزراء السلطان بايزيد ابن السلطان محمد ، في سنة سبعين وثمانمائة ، فلم ينل منه طائلاً ، فهجاه هجواً بالغا ، فلما بلغه الهجاء بعث إليه بعباءة لم يتوقع منه ، فقيل له في ذلك فقال : إن الحسنات يذهبن السيئات . وأنشدوا :

إنَّ العداوة تستحيلُ مودةً بتدارك الهفوات بالحسنات

ثم قال : روي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال : مَنْ عظمت نعمة الله عليه ، كثرت حوائج الناس إليه . فمن شكر الله تعالى تحمّل تلك المونَ عنهم ، وزاد الله في نعمته ، ومن لم يتحملها فقد عرض النعمة للزوال في الدنيا وللنكال في الآخرة (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور) .

ما أحسن ما قال :

إذا كنت في أمر فكن فيه محسناً فعمّا قريب أنت ماضٍ وتاركه
فكم زاحت الأيامُ أربابَ دولة وقد ملكوا أضعافَ ما أنت مالكة

وقال :

إنَّ الولاية لا تدوم لواحد إن كنت تنكر ذا فأين الأول ؟
فاغرس من الفعل الجميل كراماً فإذا عزّلتَ فإنّها لا تعزل

ومما تدون في محاسن الملك الكامل بن العادل ايوب ، أنه كتب إليه بعض عماله رُقعة ، يخبره أن المرتب على بيت المال في كل سنة ، مائة ألف دينار وسبعون ألف

دينار صدقة ، وذلك خلكل في بيت المال ، فكتب على ظهر الرقعة ، الغربة تذلل الأعناق ، والفاقة مرّة المذاق ، والمال مال الله وهو الرزاق ، فأجر الناس على عادتهم في الاستحقاق (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وإنا لا نحب أن يورّخ عنا المنع وعن غرنا الإطلاق ، والآثار الحسنة من مكارم الأخلاق . وإليكم هذا الحديث يساق ، وكان كثيراً ما يتمثل بيبي حاتم :

شربنا بكاس الفقر يوماً وبالغنى وما منهما إلا سقانا به الدهر
فما زادنا بغياً على ذي قرابة غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر
ونظير ذلك ، لما كثرت إنعامات الحاكم بأمر الله ، توقّف في إمضائها أمين الأمناء حسين بن ظاهر الوزان ، فكتب إليه الحاكم بخطه : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله كما هو أهله :

أصبحت لا أرجو ولا أتقي إلا إلهي وله الفضل
جدّي نبيّ وإمامي أبي ودينيّ التوحيد والعدل^(١)
المال مال الله ، والحلق عيال الله ، ونحن أمناؤه في الأرض ، أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام .

كلّ الأمور تبيد عنك وتنقضي إلاّ الشناء فإنّه لك باقي
لو أتيت خيّر كلّ فضيلة ما اخترت غير مكارم الأخلاق
حكى المقرئ في أنّ المرتبات في أيام كافور الاخشيدي بلغت خمسمائة ألف دينار في السنة ، لأرباب النعم والمسترفدين وأجناس الناس ، ليس فيهم أحد من الجيش ولا من الحاشية ، فحسن له ابن الصلاح الكاتب أن يوفّر من مال الرواتب ، فلما جلس لذلك حكّه جبينه ، فحكّه بقلمه ، والحكاك يزيد ، إلى أن قطع العمل لما به وقام ، فعولج بالحديد ، حتى مات ، في سنة سبع وأربعين وثلاثمائة^(٢) ، وفي ذلك

(١) القائل هو الحاكم بأمر الله ، من الفاطميين ، الذين يزعمون انتهاء نسبهم إلى فاطمة رضي الله عنها ، ولذلك قال: جدي نبي . كما يقولون بالإمام المعصوم ، وهذا معنى : وإمامي أبي ، يعني به أباه القريب العزيز بالله الفاطمي ، أو البعيد — حسب زعمهم — الإمام علي كرم الله وجهه . ويروى البيتان في « النجوم الزاهرة » للآمر حفيد حفيد الحاكم إلا أنه قال : « ومذهبي » بدل : « وديني » .

(٢) وهذا أيضاً من أوهام المؤلف أو تحريفات النساخ ، فإن كافورا توفي يوم الثلاثاء لعشربقين من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلاثمئة ، وقيل كانت وفاته سنة سبع وخمسين وثلاثمئة ، وكان تقدير عمره خساً وستين سنة . إلا إذا كان المقصود ابن الصلاح الكاتب .

موعظة لمن توسّط للناس بالسوء ، كما قال تعالى : (ولا يحق المكر السوء إلا بأهله)
وما أحسن ما قيل على لسان حال المحبّرة :

حلقتُ من يكتب بي بالواحد الفرد الصمدُ
أنّ لا يمدّ مدّة في قطع رزق لأحد

حكى الشيخ عبدالرحمن البسطامي في كتاب « مباحج التوسّل في مناهج الترسّل »
أنّ شخصاً كتب إلى الصاحب (١) يخبره أنّ رجلاً مات عن ولد ومال له صورة ،
فكتب إليه الصاحب : النميمة قبيحة ، وإن كانت صحيحة ، والمال ثمره (٢) الله ، والساعي
لعنه الله .

قيل : وُجد مكتوب في خزانة الإسكندر ، بالذهب الأحمر على الحرير الأخضر ،
ما نصه : حركات الأفلاك أجلّ من أن تُبقي على أحد نعمة ، أو تديم عليه نقمة ،
فمن وليّ منكم الأمر ، فلتكن همّته تقليد المنيّن أعناق الرجال ، فإنّ الدولة تزول
إما بشكر جميل ، أو بدمّ طويل . والأيام صحائف الدهر (فاعتبروا يا أولي الأبصار)

فإن كنت لم تسمع بأخبار من مضى ولم ترّ في الباقي ما يصنع الدهر
فلا بدّ تصحو حين ينكشف الغطا وتذكر قولي حين لا ينفع الذكر

ورأيت بدار السعادة من الأغوات خلقاً جعلهم الله تعالى سبباً للرحمة على من
سلف ، وخدماء لو أراد اليراع أن يصفهم لكلّ متنه ووقف :

ولكلّ رأيت منهم مقاماً شرحه في الكتاب ممّا يطول

(١) الصاحب هو ابو القاسم اسمعيل بن عباد ، أول من لقب بالصاحب من الوزراء ، لأنه كان
يصحب أبا الفضل بن العميد ، فقيل له صاحب ابن العميد ، ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة ، وبقي علماً
عليه ، ثم سمي به كل من ولي الوزارة ، وكان أولاً وزيراً لمؤيد الدولة بن ركن الدولة ، فلما مات مؤيد
الدولة واستولى أخوه فخر الدولة على مملكته ، أقر الصاحب بن عباد على وزارته ، وعظمت منزلته عنده . وكان
الصاحب ذا علم ونفضل وتدبير وكرم ، وجمع من الكتب ما لم يجمعه غيره ، وصنف عدة كتب ، منها : المحيظ
في اللغة ، والكافي في الرسائل ، وكتاب الامامة يتضمن فضائل علي رضي الله عنه وصحة إمامة من تقدمه ، وكتاب
الوزارة ، وله نظم جيد . ولد بأصطخر وقيل بالطالقان في ذي القعدة سنة ست وعشرين وثلاثمئة ، وتوفي
سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة . وكان ابوه عباد وزير ركن الدولة ، وتوفي عباد سنة أربع أو خمس
وثلاثين وثلاثمئة .

(٢) في الأصل : « ثمره » .

وقال :

وقد يتقارب الوصفان جداً وموصوفاهما متباعدان

وقال :

وقد ساقني دهري المليمُ لفتية فتاهم ومن فيهم عزيز مكرم
تحلى بأسماء الشهور فكفّه جمادى وما ضمت عليه المحرم

وفي يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة ، برز صاحب الوقت في موكبه
لأداء صلاة الجمعة ، في جامع أبيه المرحوم السلطان أحمد ، فإذا هو كما قيل :

ملك إذا عاينت نورَ جبينه فارقته والنور فوق جيني
ولو التثمتُ يمينه وبرزت من أبوابه ثم الأنام يميني

فلا زالت سيوف الشريعة في أيامه الشريفة مسلولة ، وبقاع الأرض بندي عدله
مطلولة (١) ، ولا برح في سيادة يخدمها الملوان ، وسعادة يثني على حسن حالها
الأطيان ، والله تعالى يحسن ختام أموره ، ويديم إشراق سعوده وبدوره .

ذكر نسب المولى المذكور

هو الملك المنصور السلطان مراد بن السلطان أحمد بن محمد بن مراد بن سليم الثاني
ابن سليمان بن سليم بن بايزيد بن محمد بن مراد بن محمد خان بن بايزيد يلدزم خان بن
مراد الغازي بن أورخان بن عثمان (٢) ملك الروم الغازي ، الذي يُنسبون إليه .

(١) البقاع المطلولة هي التي أصابها الطل، وهو الندى او المطر الضعيف . والملوان - مثنى ملا - :
الليل والنهار .

(٢) سلاطين آل عثمان امتد حكمهم ستة قرون ونصف وهم :

عثمان (٦٩٩-٧٢٧) أورخان (٧٢٧-٧٦١) مراد الاول (٧٦١-٧٩٢) بايزيد الاول
يلدرم - أي الصاعقة - (٧٩٢-٨٠٨) محمد الاول (؟-٨٢٥) مراد الثاني (٨٢٥-٨٥٦)
محمد الثاني (٨٥٦-٨٨٧) بايزيد الثاني (٨٨٧-٩١٩) سليم الاول (٩١٩-٩٢٧) سليمان القانوني
(٩٢٧-٩٧٤) سليم الثاني (٩٧٤-٩٨٣) مراد الثالث (٩٨٣-١٠٠٤) محمد الثالث (١٠٠٤-
١٠١٣) أحمد الاول (١٠١٣-١٠٢٦) مصطفى الاول (١٠٢٦-١٠٢٨) (١٠٣٢-١٠٣٣)
عثمان الثاني (١٠٢٨-١٠٣٢) مراد الرابع (١٠٣٣-١٠٥١) إبراهيم (١٠٥١-١٠٥٩) محمد
الرابع (١٠٥٩-١٠٩٩) سليمان الثاني (١٠٩٩-١١٠٣) أحمد الثاني (١١٠٣-١١٠٨) مصطفى
الثاني (١١٠٨-١١١٦) أحمد الثالث (١١١٦-١١٤٣) محمود الاول (١١٤٣-١١٦٨) عثمان ←

قال القطبي : وهم من الترك التراكمة الرحالة النزّالة ، من طائفة التتار ، ويتّصل نسبه بيافت بن نوح ، وهو الجدّ الأربعون لسليم ، وأنشد فيهم لغيره :

ملوك بني عثمان إذ كان أصلهم كريماً لهم في المكرّمات مفاخر
إذا وُلد المولود منهم تهلّت له الأرض واهتزت إليه المناير

تولى السلطان مراد ، الموفّق للسداد ، سنة اثنتين وثلاثين وألف من الهجرة ، وقال فيه صاحبنا بكري الصرّاف :

لما أراد الله نفع عباده ولى مراداً ملك خير بلاده
وأمدّه من فضله بعناية جعلت عِداه تحت نعل جواده
وشدا لسانُ الحال في تاريخه بشرى له قد نال كل مراده

وكانت ولايته بعد وفاة أخيه الشهيد ، السلطان عثمان ، وفيه يقول بعض أدباء الشام

قضى عثمانُ سلطانُ البرايا بأسياف العساكر والجنود
ووافته المنيّة في السرايا مؤرّخة : كعثمان الشهيد (١)

فائدة: سبب قيام آل عثمان عند ضرب النوبة ، أن السلطان علاء الدين السلجوقي ، لما شاهد عزم السلطان عثمان ، وعلم قابليته في فتح أطراف تلك البلاد ، أكرمه وأمدّه ، وبعث إليه الراية السلطانية ، والطبل والزممر ، ووَسَمَه باسم السلطنة ، تقوية ليدّه ، وشدأ لعصُدّه ، فلما وصل إليه ذلك ، وضربت النوبة بين يديه ، قام عند أوّل سماعه لها على قدميه ، تعظيماً لذلك ، فهم يقومون عند ضرب النوبة ، لإحياء

← الثالث (١١٦٨ - ١١٧١) مصطفى الثالث (١١٧١ - ١١٨٨) عبد الحميد الأول (١١٨٨ - ١٢٠٤)

سليم الثالث (١٢٠٤ - ١٢٢٣) مصطفى الرابع (١٢٢٣ - ١٢٢٤) محمود الثاني (١٢٢٤ - ١٢٥٦)

عبد الحميد (١٢٥٦ - ١٢٧٨) عبد العزيز (١٢٧٨ - ١٢٩٤) مراد الخامس (١٢٩٤ - ١٢٩٤)

عبد الحميد الثاني (١٢٩٤ - ١٣٢٨) محمد رشاد (١٣٢٨ - ١٣٣٧) محمد السادس (١٣٣٧ - ١٣٤٣)

(١) بشرى = (٢ + ٣٠٠ + ٢٠٠ + ١٠) = ٥١٢ ، له = (٣٠ + ٥) = ٣٥ ، قد = (١٠٠ + ٤) = ١٠٤

نال = (٥٠ + ١ + ٣٠) = ٨١ ، كل = (٢٠ + ٣٠) = ٥٠ ، مراده = (٤٠ + ٢٠٠ + ١ + ٥) = ٢٥٠

(١٠٣٢ = (٢٥٠ + ٥٠ + ٨١ + ١٠٤ + ٣٥ + ٥١٢))

كعثمان = (٢٠ + ٧٠ + ٥٠٠ + ٤٠ + ١ + ٥٠) = ٦٨١ ، الشهيد = (١ + ٣٠ + ٣٠٠ + ٥) = ٦٨١

(٤ + ٣٥٠ = (٦٨١ + ٣٥٠) = ١٠٣١)

لتلك السنة . وكان جلوس السلطان عثمان على تخت السلطنة في سنة تسع وتسعين وستمائة ، كذا في « الإعلام » للشيخ قطب الدين الحنفي . وكانت وفاة القطب النهرواني عام تسعين وتسعمائة بمكة المشرفة ، وكان إمام المنثور والمنظوم ، بارعاً في المنطوق والمفهوم ، له « البرق اليماني في الفتح العثماني » وله « الإعلام بأعلام بلد الله الحرام » وله « الكنز الأسمى في فنّ العمى » وله « تذكرة » جامعة ، ورسائل في مسائل شتى ، ورحلة اسفرت عن محاسن الوجوه ، أخبرني بها الأمير محمد بن سويدان ، ولم أقف عليها ، وكانت رحلته سنة خمس وستين وتسعمائة ، لقي بها الأفاضل ، ونال الرياسة ، وربما شكى فيها أو بكى ، كما قال :

إذا حميدُ امرؤُ يوماً صباحاً — وأتى ذلك — لم يحمدَ مساء

وله ديوان شعر لطيف ، تقبل عليه القلوب ، لرقة ألفاظه ، ولطافة معانيه ، ومن نظمه :

الملح والكُرّاثُ أشهى عندنا من أكل مأمونيةً بالسكر
ومشاهد الحرمين أعلى رتبة من أن نقيم بدار ملك أكبر

ومن غرر قصائده قوله :

بسيف الحجى عند اشتداد النوايب تَقَلَّدت فاستغنيت عن كل ناضب

قال القاضي شهاب في « الفوائد السنية » : اشتهر أن ملك الروم لا يموت بالطاعون كما أن صاحب مصر لا يموت بالفصل ، كما أن بغداد لا يموت بها خليفة ، وفي ذلك يقول عُمارة :

قضى ربّها أن لا يموت خليفة بها ، ما يشاء الله في خلقه يقضي

وعلى ذكر الفصل ، لأبي عبد الله الفيومي :

أرى الفصل داء والرحيل دواؤه فلا تسكنوا في بلدة قد حوت فصلا

وأملّي لكم أن ترحلوا بينكم ولا تقتلوا اولادكم خشية الإملا^(١)
فمن يرحل عنه يكفى شروره ومن يتبثت يكسب الأجر والفضلا
رأيت في بعض التعاليق نقلاً عن العلامة بدر الدين الغزّي ، أن حمل كتابة :
خلاق عليم ، يدفع الطاعون ، وانه مجرب . ويقال : التختّم بالعقيق اليمني يمنع
من الطاعون .

فائدة صحيحة مجربة : اذا انقضت المدة ، لم تنفع العُدّة !

وإذا المنيّة أنشبتْ أظفارها أَلْفَيْتْ كلَّ تَمِيمَةٍ لا تنفع

حكى الخطيب عليّ بن عراق « في التذكرة » أنه ظهر الطاعون بدمشق أيام
عبد الملك بن مروان ، فخرج عبد الملك من البلد ومعه غلام له ، فكان يغلبه
النوم والفرس يعدل به عن الجادّة ، فقال لغلامه : ويحك حدثني بما تحدث به
أمثالك ، فقال : بلغني أن ثعلباً صادقاً أسداً على أن يجيره من السباع ، فكان أبدأً
بين يديه ، فظهر في يوم من الأيام عُقَاب في الهواء ، فخافه الثعلب ووثب على ظهر
الأسد ، فانحطّ العقاب واحتطفه ، فقال الثعلب : يا أبا الحارث ، العهد ! فقال :
إنّما عاهدتك على أن أحفظك من أهل الأرض وأما أهل السماء فلا قدرة لي عليهم .
فقال عبد الملك : لقد وعظمتني يا غلام ، ورجع إلى الشام وهو يقول : (لا عاصم
اليوم من أمر الله إلا من رحم) توفي سنة ست وثمانين . وفيها كان طاعون الفتيات ،
وسُمّيَ بذلك لأنّه بدأ بالنساء . ما أحسن ما قال :

(١) يشير الى الآية الكريمة (ولا تقتلوا اولادكم خشية إملاق) واجتزأ عن الاملاق بالاملا ، فإن

للشعر ضرورات .

وما ذكر من القواعد ، عن يموت ومن لا يموت ، فلم يرد منها قوانين كونية للمستقبل ، وانما ملاحظات
استقرائية عن الماضي ، وعدا عن ذلك فليس المراد منها الشمول بل الغلبة ، فإذا قال ان بغداد لا يموت بها
خليفة فليس المعنى أن ذلك على الاطلاق ، فإن الأمين والمعتضد وكثيرون ماتوا بها ، بل القصد ان اغلب
خلفاء بغداد لوحظ موتهم في غيرها ، فالسفاح في الانبار ، والمنصور في بئر ميمونة - في طريقه للحج - ،
والمهدي في ماسبان ، والهادي بعيساباذ ، والرشيدي بطوس ، والمأمون بطرسوس ، والمعتصم بسامرا ..
وهكذا .

واما التحصن من الموت بالعقيق اليمني وغيره فقد اعقبه المؤلف بما حسم به للمغفل السخف واثبت

لنفسه الظرف .

ما قد قُضي يا نفس فاصطبري له
وتيقني أن المقدّر كائن
وقال :

لو كنتُ أعجب من شيء لا عجبي
والمرء ما عاش ممدود له أمل
ما أوعظ ما قال :

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت
فلما انتهت أيامنا علقت بنا
إذا ما دهمنا أن نبوح بما جنتُ
وكنّا نلاقي النائبات بأوجه
الطاعون يوناني ، قال البصري : وهو كل ورم يظهر للحسّ ، ثم خصّ بالحر
القتال السريع التعفن ، ويطلق على الوباء ، للتلازم الحاصل بينهما غالباً ، وإلاّ
فبينهما عموم وخصوص .

وأما بغداد ، فهي قاعدة أرض العراق ، بناها المنصور العباسي ، في الجانب
الغربي على الدجلة ، وبلغت النفقة عليها أربعة آلاف ألف دينار ، وحصرت
حماماتها فكانت ستين ألفاً ، حكاه الطبري في «تاريخه» .

يقال إن المنصور بنى أربع مدن على أربع طواع ، فلا تخرب إلا بخراب الدنيا ،
وهي الرافعة بأرض الجزيرة ، والمصيصة بكسر الميم على بحر الشام ، والمنصورة
بالسند وطولها ميل في ميل ، وبغداد بالعراق ، وهي مدورة الشكل ، وتسمّى
الزوراء لازورار قبلتها ، وفيها يقول بعض واصفيها .

بلد طيب وماء معين وترى طينه يَفوح عيبرا
وإذا المرء قدّر السير منه فهو ينهائ باسمه أن يسيرا

(١) البيتان لكعب بن زهير رضي الله عنه .

(٢) هكذا في الاصل ، وانما البيت : اذا ما همنا ان نبوح .

واذعنت : خضعت .

وقال :

لهفي على بغداد من بلدة كانت من الأسقام لي جنة^(١)
كأنني عند فراقي لها آدم لما فارق الجنة
هذا ، والقاضي عبد الوهاب المالكي ، لما نبت به تلك الديار ، وخرج منها
طالباً مصر ، قال بحسب حاله ، والحكم يدور مع العلة :
بغداد دار لأهل المال طيبة وللمفائيس دار الضنك والضيق
ظلت حيران أمشي في أزقتها كأنني مصحف في دار زنديق
ومن تشرفت بحضرته ، وتمليت بسنا طلعت ، فخر قضاة العساكر ، وليث
القضاء الكاسر ، المولى أبو سعيد محمد بن أسعد ، لازال هام الفراق يصعد ، فاذا
هو أعزّ الله تعالى قدره ، وأطلع في أفق المعالي بدره ، قرّة عين الأعيان ، وغرّة
جبهة الزمان ، وهو القائل فيه :

علتُ به درجات الفضل واتضحت
هذا ويل الشباب الجون مُنسدل
دقائق من معاني لفظه البهج
فكيف حتى يضيء الشيب بالسرج^(٢)
يا حبذا أعين الأوصاف ساهرة
بين الدقائق من علياه والدرج
كيف لا وهو الذي أثنت علوم الأوائل على طبعه السليم ، وذوقه المستقيم ،
وشهدت بفضله رواة الحديث النبوي ، فما أعلى قدر من شهد بفضله الحديث والقديم .
فالدهر يرقص والأيام تنشده هذا هو العيش إلا أنه الهاني
فلا زال متفقهها في الخيرات ومدرساً ومعيداً ، وكما أسعد براعة ابتدائه يجعل
ختامه سعيداً .

فإني وإن بالغت في الشكر والثناء عليه مقرّ بالقصور وبالعجز

(١) الجنة : السترة « الترس » .

والماء المعين هو الماء الجاري .

(٢) الجون : الأسود .

والفراقد التي ذكرها قبل قليل جمع فرقد وهو المستوي الصلب من الارض ، وهو ايضاً ولد البقرة
الوحشية ، وليس هذا طبعاً هو المراد ولا ذاك ، وإنما المراد به النجم ، وهما نجمان في مجموعة بنات نعش
الصغرى « الدب الأصغر » التي تبدأ بالقطب الشمالي ، فهما فرقدان فحسب ، لافراقد .

ولكنني أرجو الذي عمّ فضله يجازيه غني فهو أكرم من يجزي
من لطائفه زاد الله في عواطفه : أي قصدت زيارته ، فرأيت على اعتابه
الشريفة ، من القضاة وطالبي المناصب ، خلقاً قد تسربلوا بأنواع القماش ، ونفخوا
روح العظمة في هيكل الشاش ، فأردت الدخول فلم يؤذن لي ، فتصاغرت نفسي ،
وفقدت بالوحشة أنسى ، وقلت هذه أثمان المطامع ، خصوصاً بغير الطالع ،
فكتبت هذين البيتين :

إنّي أتيت لبابك العالي لكي أحظى بتقبيل الأيادي العالیه
فمنعت من حجاب حضرتك التي هي للوفود مكارم متواليه
وبعثتهما مع غلام له ، توسّمت فيه جمال اللطف ، ولطف الجمال ، فجاء
الاذن فدخلت ، وأخذت حظاً من مكارم أخلاقه ، فلما أردت الخروج ، وضع
في الرقعة شيئاً من فاقع اللون الذي يسر الناظرين ، بحيث لم يفهم ذلك ، من كان
هنالك ، وقال : احتفظ^(١) الرقعة لتعود بها ، فخرجت وأولئك القوم بحالهم على
تلك الأبواب ، وأظنّ العرق فيهم على مراتبهم ، لشدة الحر والزحام ، والانتظار
الذي حيل بينه وبين المرام .

يقولون عيش البرمكيين طيب فقلت وعيشي بالسلامة أطيب^(٢)
لطيفة : كتب المولى جمال الدين العصامي ، إلى الشيخ قطب الدين المكي ،
يهنئه بشهر رمضان :

يا قطب أهل العلم في أمّ القرى رمضان هلّ ببهجة لا توصف
فتهنّ وحدك إنّ ذاتك أصبحت هي أشرف في أشرف في أشرف
فكتب اليه الجواب ، وجعل في القرطاس أشرفياً :
يا أطف الفضلاء أنت جمالنا فتهنّ بالشهر الشريف الأشرف

(١) السديد أن تكون : احفظ الرقعة ، أو : احتفظ بالرقعة ، ولا ندري ما الذي أصارها إلى هذا .
وواضح أن فاقع اللون هو الاصفر الرنان .

(٢) البرمكيون هم البرامكة نسل خالد بن برمك — الذي ولاء المنصور الموصل سنة ١٤٨ — ولا سيما
أولاد يحيى بن خالد : الفضل وجعفر ومحمد وموسى ، بلغوا في الدولة أعلى المراتب ، وكان لهم في الكرم
الذكر الواسع ، ونكبهم الرشيد نكبته المشهورة سنة ١٨٧ .

شِعْرٍ بِشِعْرِ لَيْسَ فِيهِ رَبًّا وَقَدْ زَادَ الْعِيَارُ بوزن هذا الأشرفي
وَحِكْمَى النَوَاجِي فِي « حَلَبَةِ الكُمَيْتِ » أَنْ اعْرَابِيًّا قَصِدَ المَأمُونُ وَقَالَ لَهُ :
قَلتْ فِيكَ شِعْرًا ، قَالَ : أَنشُدْهُ ، فَأَنشُدْ :

حِيَاكَ رَبَّ النَّاسِ حِيَاكَ إِذْ بِجَمَالِ الوَجْهِ رَقَاكَ
بَغْدَادَ مِنْ نوركِ أَشْرقتْ وَأورقِ العودِ بِجِدْوَاكَ (١)
فَقَالَ المَأمُونُ : يَا اعْرَابِي وَأَنَا قَلتْ فِيكَ شِعْرًا ، وَأَنشُدْ :

حِيَاكَ رَبَّ العَرْشِ حِيَاكَ إِنَّ الَّذِي أَمَلتْ أَخْطَاكَ
أَتَيْتْ شَخْصًا قَدْ خَلَا كَيْسُهُ وَلَوْ حَوَى شَيْئًا لِأَعْطَاكَ

فَقَالَ الاعْرَابِي : يَا أَمِيرَ المَوْمِنِينَ ، إِنَّ بَيْعَ الشِعْرِ بِالشِعْرِ رَبًّا ، فَاجْعَلْ بَيْنَهُمَا
شَيْئًا حَتَّى يَسْتَطَابَ ، فَضَحِكَ المَأمُونُ وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَةِ .

وَكَانَ ظَافِرُ الشَّاعِرِ حَسَنَ البَدِيهَةِ ، قَالَ القَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الأَمَدِيُّ حَاكِمَ
الاسْكَندَرِيَّةِ قَالَ : دَخَلتْ عَلَى الأَمِيرِ ابْنِ طَقْزِ فِي أَيَّامِ وِلايَتِهِ لِلشَّغْرِ ، وَفِي يَدِهِ خَاتَمٌ
قَدْ ضَاقَ عَلَى يَدِهِ حَتَّى وَرَمتْ أَصْبَعَهُ جَدًّا ، فَاسْتَدَعَى الحِدادَ وَقَطَعَ الحَلْقَةَ ،
فَأَنشُدَهُ ظَافِرُ عَلَى البَدِيهَةِ :

قَصَّرَ فِي وُصَافِكَ العَالِمُ وَكَثُرَ النَاطِمُ وَالنَاثِرُ
مَنْ يَكُنُ البَحْرَ لَهُ رَاحَةً يَضِيقُ عَنْ خَنْصَرِهَا الخَاتِمُ

فَاسْتَحْسَنَ الأَمِيرُ ذَلِكَ وَوَهَبَ لَهُ الخَاتِمَ ، وَكَانَ مِنْ ذَهَبٍ ! وَكَانَ عِنْدَ الأَمِيرِ
غَزَالٌ مُسْتَأْنَسٌ بِهِ ، قَدْ رَبَضَ ثُمَّ جَعَلَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِ الأَمِيرِ ، فَقَالَ ظَافِرُ المَذْكَورُ :

عَجِبْتُ لِحِرَاةِ هَذَا الغَزَالِ وَأَمِنْ تَخَطَّى مَعَهُ وَاعْتَمَدَ
وَأَعْجَبَهُ إِذْ بَدَأَ جَائِمًا وَقَدْ اطمَأَنَّ وَأَنْتَ الأَسَدُ

فَرَادَ الأَمِيرُ وَالْحَاضِرُونَ فِي اسْتِحْسَانِ ذَلِكَ ، ثُمَّ انصَرَفَ وَتَرَكَنا مُتَعَجِبِينَ مِنْ بَدِيهَتِهِ .
اقتباس لبعضهم :

(١) كانت في الأصل : بجدواك ، وهو تحريف جلي فقومناه .

قناعة المرء بما عنده مملكة ما مثلها مملكه
فارضواً بما قد جاء عقواً ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكه
مثله :

ولا تطلبوا ما بأيدي الأنا م تصيروا بذلك أعداءهم
لذلك قد قال ربّ العبا د ولا تسألوا الناس أشياءهم^(١)
ما أصدق ما قال :

لا تحسبنّ الشعر فضلاً بارعاً ما الشعر إلا محنة وخبال
الهجو قذّف والرثاء نياحة والعتب ضغن والمديح سؤال
ابن تميم :

وما الشعر مما أرتضي نسبي به لعمرى ولا وصفني به في المحافل
ولا قلته كي أبتغي بمقاله ثناء ولا أجرى عليه بنائل
ولكنّ دعنتني شيمة عربية إلى قوله معروفة في القبائل
فأبديت ما قد حاك في النفس سالكا يابداء ما أبديت سبّل الأفاضل
فلا تنكروا ما أبرزته سجية طُبعت عليها من سجايا الأوائل
فما تنكر الأقوم سجع حمامة إذا هتفت في صبحها والأصائل
ابن دقيق العيد :

وزهدني في الشعر أن سجيّتي بما تستجيد الناس ليس تجود
وتأبى طباعي أن أصوغ رديّه فأصرفه عن خاطري وأذود
الشهاب الفاضل :

وما الشعر فخر للفتى ومزيّة إذا لم يكن عن كل فضل يُترجم
ولكنّه عنوان ذوق وفطنة ورقّة طبع وهو للفضل أسلم
ومن تشرفت بالاجتماع به ، وتحلّيت بمحاسن أدبه ، المولى محمد أفندي
الحياتي ، فإنّي وجدت منه نديماً للسُرور مديماً ، ونفس حرّ قد لبس من مكارم

(١) الآية - الاعراف : ٨٥ ، وهود : ٨٥ ، والشعراء : ١٨٣ - (ولا تبخسوا الناس أشياءهم).

الأخلاق أديما ، فأزلت بطلعته السنية عن مرآة القلب صدأ القسوة والغم ، وسمعتُ من حديثه ما يسّلو به خاطر وينجلي الهم .

قال :

وكنْتُ إذا حدّثته أو رأيتَه
ولا سيّما إن ظلّ يتلو لمسمعي
تزول حرارات الصبابة والجوى^(١)
أحاديث أرباب المحبة والهوى

وقال :

عرفتك دهري ليس لي فيك حيلة
سوى اليأس مما في يدك وإن يكن
يروج بها فضلي لديك وأسلك
رجاء ففي الأخرى التي لست تملك

وقال :

الأقل لأصحابي عن القهوة انتهوا
وما ذاك عن بغض ولا عن كراهة
ولا تجلسوا في مجلس هي فيه
ولكن غدت مشروب كلّ سفيه

وكأنه مأخوذ من قول القائل :

إذا وقع الذباب على طعام
وتجئبت الأسود ورود ماء
رفعت يدي ونفسي تشهيه
إذا كان الكلاب ولغن فيه^(٢)

وأين ذاك من قول الآخر :

إذا شوركت في أمر بدون
ففي الحيوان يشترك اضطرارا
فلا يلحقك عار أو نفور
ارسطاليس والكلب العقور

حكّي أنّ الوزير مسيح باشا أمر بإبطال القهوة ، فقال له بعض الفقراء : إنّ
القهوة لا تبطل ، قال ولم ؟ قال : لأن حسابها موافق اسم الله تعالى قوي ، بمعنى
أنّ كلا منهما له من العدد مائة وستة عشر ، فلها منه الاستمداد ، فأمرها وشأنها

(١) الصبابة : الشوق ورقة الهوى وشدة الولوج . والجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق .

(٢) السني نحفظه : إذا كان الكلاب يلغن فيه .

قوي ، فلم يسعه التأخر لأمر السلطان مراد ، فما أفاد المنع ، وكان الأمر كما قيل (١) .
 واشتهر استعمال لفظ جبا عند تقديمها ، ولا أعلم ما أصله ، إلا أنه ورد مَوْرَد
 الهِبَة ، ولا يخفى ما فيها من الفرح الذاتي ، وثُمَّ لطيفة حسابية ، وهي أن عدد جبا
 ست فكأن القائل يقول : جلبت لك المسرة والصفاء من الست الجهات
 توفي العلامة المفتي أبو السعود سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة ، وتاريخه للفاضل
 أحمد الرومي «قد مات أبو السعود مولى العلم» (٢) وأنشدني لغيره :

وللناس عادات وقد ألفوا بها لها سنن يدعونها وفروض
 فمن لم يعاشِرهم على العُرف بينهم فذاك ثقل عندهم وبغيض
 وأنشدني لنفسه في مرج دمشق :

بصبا المرج المبلل ذيلُه علل القلب علّ يرد ويئله (٣)
 ومُرّ الروح أن تسيل دموعا إن أبي الجفن أن يُغيثك سيئله
 وادكِرُ بالرياض يومي حبيب سلفا والسلاف تربع خيلُه

(١) قهوه = ١٠٠ + ٥ + ٦ + ٥ = ١١٦ ، قوي = ١٠٠ + ٦ + ١٠ = ١١٦

وكان الأمر كما قيل ، لا يسبب هذا الهذر ، وإنما لأن ما حرم الله حرام إلى يوم القيامة ، وما أحله
 حلال إلى يوم القيامة وليست القهوة ما حرمه الإسلام ، وإن كان ينصح بعدم الاكثار منها لما تلحقه
 حيثئذ من ضرر وما تؤدي إليه من تبذير .

وبعد هذا فإذ ذكره من ترهات مما لا يستقيم حتى مع ميزانه ، فقوي ليست ١١٦ لأن الباء كما هو
 ظاهر مشددة فتكون : قوي = ١٠٠ + ٦ + ١٠ + ١٠ = ١٢٦ و١٢٦ لاتساوي ١١٦ أو على الأصح
 لاتساوي ٥١١ لأن الحرف الاخير تاء يستعاض عنه بالهاء حين الوقف فقط ، الا ترى أنك تقول شربت
 قهوته ولا تقول شربت قهووه . وعلى هذا يكون قهوة = ١٠٠ + ٥ + ٦ + ٤٠٠ = ٥١١ .

(٢) لم نعرف صدر البيت ، ولكن لك أن تقول :

فقلت في تاريخ موت الشيخ : قد مات أبو السعود مولى العلم
 وإن كان الشطر المذكور من المواليا ، فيكون على نمط :

العين دموعها تظل ترمي والنفس غدت مليئة بالهم

لما سمعت تاريخ يوم النعم : قد مات أبو السعود مولى العلم

(٣) لكي يستقيم الوزن تلفظ ألف « المبلل » كهزمة قطع .

وتمسك بسالفيه على البع د عسى الكرب ينجلي عنك ليله
ومن ذلك ايضاً .

تأنّ ولا تجزعُ لأمر تحاوله
وما ضمّن الرحمن لا تخشَ فوّته
دع السعيَ فالمسعود تطلبه المنى
هو السعد يدعو آخر الأمر ساعياً
ولا تبتسّ إن أخافُ المجد واضطرب
وما المجد إلاّ الصبر فهو أبو التقى
تقياً بظلّ الله من روض قوله :
وعزّتهنّ دنياك واغنّ بتركها
تحلّ بتاج القنع تغدّ مملكاً
فخبر اختيار المرء ما الله فاعله
ومالا فلا تجهد فما أنت نائله
وسعيّ بلا سعد محال تحاوله
وحسبك سعيّاً في المرّام تناوله
هو الشهد قد شيبت بصبر أوائله
وكم خامل بالصبر عزّت منازله
(أليس بكاف) تلحّقنك قواضله
ولا تحفّلنّ بالرزق فالله كافله
تطول على هام الرجال كواهله (١)

وسمعت منه قصيدة رأيتها امتدح بها عزمي زاده ، ، وقد تضمنت من الحكم
والأمثال ما يعجز الفكر الثاقب عن إبداء مكنونها ، فلو رآها المتنبي لتبرأ من دعواه ،
وقال إنّه صاحب المعجزة . ورأيت حاشيته على البيضاوي ، أتى فيها بالأبحاث
الرائقة ، والتحقيقات الفائقة ، وله رحلة جامعة لفرائد الفوائد ، سمّاها الإسفار عن
الأسفار ، وديوان شعر جيد اللفظ والمعنى ، وله تعليقات على فنون من الحكمة ،
ورأيت بعض أهل الشام يقدح في شأنه وشرف مكانه ، على قاعدة المرضي من علماء
الظاهر ، وكان الأوّل بالإنسان ان يمنعه من الوقوع في غيره ما يعلمه من نفسه ،
وما أظن الحال معهم إلا كما قيل في هذا الإبتلاء العام (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) .

(١) الشهد ، بفتح الشين وضمها ، العسل مع شمه .

وشيبت : خلطت .

وتقياً به : استظل به والتجىء إليه .

و (أليس بكاف) يشير به إلى قول الله عز وجل : (أليس الله بكاف عبده) والقنع — بفتح
القاف والنون — كالتقاع ، وسكنت النون لضرورة الشعر . وكواهل ، جمع كاهل ، وهو أعلى الظهر
مما يلي العنق .

حسدوا الفتى إذا لم ينالوا سعيه والقوم أعداء له وخصوم^(١)
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً إنّه لدميم
وأشدني للحلّي ، وكانت له لغات متعددة :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه وتلك له عند الملمات أعوان
فهافت على حسن اللغات مجاهداً فكلّ لسان في الحقيقة إنسان
وبحسب الحال أقول :

لا تقصد الروم خالٍ من لغاتهم ولا تظنّ الغنى في منطوق العرب
فلو أتيت بمضمون الصحاح فما أتيت فيهم بما يندني من الأرب^(٢)
وبالجملة فإنّه لا فرق بين الجماد وبين من لم يفهم ما تقول ، حتّى في المغاني^(٣) ،
وإذا دارت الأمور في العتاب ، فالعبرة باليد العليا (فلا تلو مني ولو موا أنفسكم) .

إذا كان قدر المرء إن جاء طالبا أقلّ قليل كيف يطمع في الفضل
وبالله إن السذلّ في وجه سائل أمرّ من المران ناهيك بالسذل
حكى السيوطي في «تاريخ الخلفاء» أنّ عبد الله بن الزبير ، كان له مائة غلام ،
يتكلم كل غلام بلغة أخرى ، وكان يكلم كل واحد منهم بلغته - عبد الله
السواكبي المدني :

رأيت بلاد الروم لا عيش عندهم يطيبٌ ولا صَفْوٌ يعادل أ كداري^(٤)
وكيف يطيب العيشُ لي بين فتية نهاراً وليلاً يعرضون على النار
فقلتُ محوِّلاً للمعنى بتغيير يسير :
رأيت بلاد الروم عيشي عندهم يطيبٌ وصفوي لا يشاب بأكدار

(١) المنقول والمقول : فالقوم أعداء له وخصوم .

(٢) الصحاح : هو المعجم العظيم الذي وضعه أبو نصر اسمعيل الجوهري - النصف الثاني من القرن

الرابع - جمع فيه نحو اربعين الف كلمة رتبها على أواخر الكلمات .

(٣) هكذا ، ولم نهند لوجهها ، والاقرب ان تكون مصحفه عن «المغاني» او «المتغاني» .

(٤) المقصود ببلاد الروم هنا بلاد الغرب أي أوروبا وامريكا .

أما في البيتين التاليين فقد عنى بها بلاد الاتراك أي تركيا .

فقد ضلّ من قد قال فيهم بأنّهم نهاراً وليلاً يعرضون على النار

فلما كان يوم الخامس والعشرين من جمادى الآخرة ، قدم علينا الشيخ العارف شيخ القادرية بمدينة خير البرية ، فسمعت منه حديث طيبة طيباً كأنه في صفحات فكري رقيم ، وظفرت من أخلاقه بمحاسن يجد السلو بها الفؤادُ السقيم ، أنشدني للخطيب يوسف الثففي قال : أنشدنيها لما قدمت عليه بدمشق :

من رام يحظى بالمسرة والهنا فليصحبنّ العارف المدينا
فحديثه يشفي السقام وشكله في أيّ زيّ شنته يتزيّا
وأنشدني لما نزل بدار مصطفى جلبي قصاب باشي :

إن في الروم سادة بلقاهم زال ما اشتكبه من أوصاب
فاعذروني إذا انتميم لأسد فأنا كلب مصطفى القصاب^(١)
وأنشدني فيما يناسب الحال :

إنّ الغنى يُستهاب كلما اعتكّرت دجى الكروب جلا عنها حنادسها
لا تنفع الخمسة الأشياء مُحذقة لديك إلا إذا ما كان سادسها

وفي اول ليلة جمعة من شهر رجب الفرد اوقدت المنابر ، وعمرت المساجد بصلاة الرغائب ، وهي غير معروفة بالحرمين الشريفين ، قال ابن الأثير في «جامع الأصول» : وهي أول ليلة جمعة من رجب ، تصالّى فيما بين العشاءين ثنتي عشرة ركعة بست تسليمات ، كلّ ركعة بفاتحة الكتاب مرّة والقدر ثلاثاً والاحلاص ثنتي عشرة مرة ، فإذا فرغ من صلاته قال : اللهم صلّ على محمد النبيّ الاميّ وعلى آله ، بعد ما يسلم ، سبعين مرّة ، ثم يسجد سجدة ويقول فيها : سُبُّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح ، سبعين مرّة ، ثم يرفع رأسه ويقول : ربّ اغفر وارحم ، وتجاوز عمّا تعلم ، إنّك أنت العليّ الأعظم ، وفي الأخرى : الأعز الأكرم ، سبعين مرّة ، ثم يسجد ويقول مثل ما قال في السجدة الأولى ، ثم يسأل الله تعالى .

(١) سبحان الله ، لو جعل نفسه تلميذاً له ، أو حتى خادماً .. أما كلب ! فإننا لله . بالغ في الرقة حتى انخرق ، وما المرء إلا حيث يجعل نفسه !
والحناس - في البيت التالي - جمع حندس وهو الليل الشديد الظلام .

وهو مروى عن أنس ، ولم يوجد في الستة ، والحديث مطعون فيه ، انتهى كلامه^(١) .
وهذه الليلة عندهم من قبيل الأعياد ، يتهادون فيها ويتزاورون ، وتفتح لها الأسواق ،
وابن الأثير هذا هو المحدث العلامة مجد الدين أبو السعادات :

وبنو الأثير ثلاثة قد حاز كل مفتخر
فمورّخ جمع العلوم وآخر ولي الوزر
ومحدث كتب الحديد ثلثه النهاية في الأثر

ومن تشرّفت بحضرتة ، المولى الأجلّ نقيب السادة الأشراف ، واسطة عقد
نزار في آل عبد مناف ، مولانا شيخ أفندي العلامة ، رفع الله على منار الشرف
أعلامه ، ولا زالت تتناسق الألفاظ في ميادين مدحه المطابق للواقع ، بذكر شمائله
الشائقة ونوافله الفائقة وإحسانه المتتابع .

وإن أحسن قول أت قائله قول يقال إذا ماقلته صدقا
ولا غروا إذ كان من دوحة أثمرت ملوكاً ، نتجوا من عنصر النبوة والرسالة ،
وأنتجوا مكارم الفتوة والبسالة .

لكم يا بني الزهراء في الذكر آية فجاحدها في الناس لاشك ملحد
إذا الله اننى في الكتاب عليكم فما قدر ما تني الأنام وتنشد ؟
رفعت يوماً إلى معاطفه الرحيمة قصّة وضمّنتها هذا النظم :

يا ابن خير الخلق كن لي شافعاً في بسط قبضي
فأولو الأرحام نصاً بعضهم أولى ببعض

فعطف عليّ بإحسانه ، وتعطف بتلطفه وامتنانه ، فما زلت في ظل مجده الوريث ،
منشداً في شأنه الشريف :

إذ ذكر الراوي أحاديث فضله يقول الوريث هذا الحديث المصدّق
ومن تشرّفت بطلعته السنوية في تلك الديار ، وساعدت بلقائه الأقدار ، مولانا عبد الرحمن

(١) وأوفى ما ذكر في صلاة الرغائب موجود في مساجلة جرت بين العالمين الكبيرين ابن الصلاح
والعز بن عبد السلام الذي أثبت أنه لم يصح فيها شيء وأنه لا يتقرب بها .
والمساجلة طبعها المكتب الإسلامي في رسالة لطيفة قبل سنوات .

أفندي العشاقى ، لازال في كلاءة القدير الباقي ، فرأيت منه متع الله بحياته ،
وأمدّه بسنيّ صلاته ، مولى قد استغنى عن الألقاب ، بما حواه من شرف الخناب :

وليس يَصِحّ في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دنيل

ولم أكن اعرف ذاته الشريفة ، ولا استنشقت عرف شمائله الوريفه ، حتى دعنتي
إليه مكارمه ، وأمدتني بمعرفه مراحمه ، وأنشد في شأنه ، عندليب إحسانه :

لا عيب في جوده إلا ترادفه قبل السؤال فراجيه كخجلان

ومما جرى به القلم ، في شأن هذا المفرد العلم :

قد قلت للمجد من تهوى تواصله وكلنا لك ذو وجد وأشواق

فقال لي بلسان غير معتذر : لا أشتهي أن أوافي غير عشائي

ولعلّ هذه معرفة نشأت عن العهد القديم ، فانتشرت روائع عرفها الشميم ،
حتى أقول هذا مبتدأ وداد لا بد وان يُرفع خبره ، وصدق ولاء لا غرور أن يبدو
على باب الصفاء أثره .

فأبقى لي وده يا دهر متصلا وخذ بقية ما أبقيت من أملي

ذكر القسطنطينية العظمى :

حكى الشيخ الأكبر في كتاب «محاضرة الابرار ، ومسامرة الأخيار» في غزاة
مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم ودخوله فيها ، أن جزيرتها ثمانية فراسخ ، في
المدينة منها أربعة فراسخ ، ولما قدّم مسلمة على عمر بن عبد العزيز وأخذ يصفها له
قال : ما رأيت بلاداً تحكيها ، هي مدينة بريّة بحرية ، كثيرة الفاكهة والطعام
واللباس ، سورها من الحجر ، وعرضه يسير عليه مائة فارس عرضاً ، وأمّا الأبواب
فإنّها حديد ، وعرض ما بين كلّ باين ميل ، انتهى . وفي «الخريدة» هي مثلثة
الشكل ، منها جانبان في البحر وجانب في البر ، وفيه باب الذهب ، وطولها تسعة
أميال ، وعليها سور حصين ارتفاعه أحد وعشرون ذراعاً ، ويحيط به سور آخر
يسمى الفصيل ، وارتفاعه عشرة أذرع ، وله مائة باب أعظمها المُموّه بالذهب ، وبها
منارة بالقرب من دار الشفاء ، قد ألبست جميعها من نحاس أصفر كالذهب محكم
الصنعة والتحزيم ، وعليها قبر قسطنطين ، وعلى قبره صورة فرس من نحاس عليه

شخص على صورة الملك ، وقوائم الفرس محكمة بالرصاص ما عدا يده اليمنى فانها موقوفة في الجو ، وقد فتح يده اليمنى مشيراً بها نحو بلاد المسلمين ، وفي يده اليسرى كرة ، قيل في اليمنى طَلَسَمَ يمنع العدو ، وعلى اليسرى مكتوب : ملكت الدنيا حتى صارت في يدي مثل هذه الكرة وخرجت هكذا لا أملك منها شيئاً .
وفي المعنى :

وفي قبض كفّ الطفل عند ظهوره دليل على الحرص المركّب في الحيّ
وفي بسطها عند الممات إشارة ألا فانظروني قد خرجت بلا شيء
وبلفظ آخر :

دليل على حرص ابن آدم أنته ترى كفه مضمومة عند وضعه
وفي بسطها عند الممات إشارة إلى صفرها مما حوى بعد جمعه

حكى القاضي شهاب في « الفوائد السنية » أن قسطنطين من أبناء الملك الأعظم الملقب قيصر ، نشأ بمدينة الرها ، ونقل العلوم ، ولم يزل في غاية من السعادة والظفر منصوراً على من ناواه ، وكان في أول أمره على دين المجوس ، شديداً على النصارى ، ماقتاً لدينهم ، ثم رجع إليه ، وسببه أنه ابتلى بجذام ظهر عليه ، فاغمّ لذلك ، وجمع الحذاق من الأطباء ، فاتفقوا على أدوية دبروها له ، وأمره أن يستنقع بعد أخذ تلك الأدوية في صهريج مملوء من دماء أطفال رُضِع ساعة ، فأمر بجمع جملة من أطفال الناس وذبحهم ، ليستنقع في دمائهم وهي طرية ، فَجُمِعَت الأطفال لذلك ، وعظّم ضجيج أمهاتهم ، فرحمهنّ وقال : احتمال عليّ أولى وأوجب من هلاك هذه العدة العظيمة من البشر ، فأمر برد الأطفال إلى أمهاتهم ، فانصرف النساء بأولادهن ، فلما صار من الليل إلى مَضْجِعِهِ ، رأى في منامه قائلاً يقول له : إنك رحمت الأطفال وأمهاتهم ، ورأيت احتمال عليّك أولى من ذبحهم ، فقد رحمك الله تعالى ووهبك السلامة ، فابعث الى رجل من أهل الايمان يدعى شلبشته وقف عند ما يأمرك به ، فانتبه مذعوراً وبعث في طلب الرجل ، فلما أتى به إليه أخبره بما رآه في منامه ، فقصّ عليه دين النصرانية فالتزمه ، وشفاه الله تعالى ، فأعلن بدين المسيح عليه السلام ، فخلع طاعته أهل رومية ، فخرج عنها وبنى مدينة القسطنطينية فعُرِفَتْ به فسكنها وصارت تحت الملك ، ثمّ خرج إلى رومية ، فلما دنا منهم

أذعنوا له والترموا طاعته . وفي « القاموس » : رومية سوق الدجاج ، بها ثلاثة فراسخ .
حكى المقرئ أن القسطنطينية من الإقليم السادس ، وهو حيث يكون النهار الأطول
خمس عشرة ساعة ونصف ساعة ، وارتفاع القطب الشمالي ، وهو العرض ،
خمسا وأربعين درجة وخمس درجة ، ومسافة هذا الإقليم مائتا ميل وعشرة أميال ،
وفيه من الجبال الطوال اثنان وعشرون جبلا ، ومن الأنهار الطوال اثنان وثلاثون
نهرأ ، ومن المدن الكبار تسعون مدينة ، والغالب على ألوان أهلها الشقررة والبياض .

فائدة : أول من ملك القسطنطينية من آل عثمان أبو الفتح السلطان محمد خان ،
وساق إليها السفن في البر والبحر ، وحاصرها خمسين ليلة أشد الحصار ، وكان الفتح
في سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، وصلى الجمعة في أكبر كنائسها وهي أيا صوفيا ،
وهي قبة تسامي قبة السماك ، كأن أبراجها الأفلاك ، ومسامير أبوابها نجوم
السماك^(١) . وتوفي سنة ست وثمانين وثمانمائة ، وولي بعده السلطان بايزيد ،
قاله القطبي ، وموضع قبره مع ما يليه من جانب المرحوم شاه زاده ، يكاد يكون
قاعدة تلك الديار ، لما اشتمل عليه من المحاسن ، وفي أيام السلطان بايزيد المذكور
كان المولى شمس الدين الفناري ، من أخباره أن الطلبة كانوا يعطون يومي الجمعة
والثلاثاء فأضاف إليهما يوم الاثنين ، والسبب في ذلك أنه اشتهر في زمانه تصانيف
السعد التفتازاني ، ورغب الطلبة في قرائتها ، فلم توجد تلك الكتب لعدم انتشار
نسخها ، فاحتاجوا إلى كتابتها ، فلذلك أضاف إليها يوم الاثنين ، لضيق الوقت عن
الكتابة . كذا في « الشقائق النعمانية ، في علماء الدولة العثمانية » ومن محاسنها جامع
المرحوم السلطان أحمد ، فإنه ناطق بألسن الآثار كما قيل :

همّ الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسنّ البيان
إنّ البناء إذا تعاضم شأنه أضحى يدلّ على عظيم الباني

وبالجملة فإنّ ما اشتمل عليه من الاشراق وكمال الصفاء لا يكاد يوجد في
غيره ، فلقد كنت أراها مظلمة من سائر الجهات آخر النهار ، ما خلا هذه البقعة
المباركة ، فإنّي كنت أصليّ المغرب في الجامع المذكور وأبرز الى الميدان فأظنّ

(١) لعلها « السماء » أما السهاك - في الجملة السالفة - فهو نجم في السماء لامع ، وهما سماكان : السهاك

الوقت صباحاً ، لما أجدته من الاشرار والسرور الذي لا اعلم له سبباً ، مع ما كان في خاطر مما لا يليق ذكره ، وعلى ذلك أقول :

قد قلتُ للميئدانٍ أحرزتُ اليها وأراك عن تلك البقاعِ بمعزِلِ
ما ذاك إلا من جوارك أحمداً والسرِّ في السكان لا في المنزلِ
وقيل في تاريخ بناء هذا الجامع :

تاريخ جامع أحمد من نص قرآن مبين
قد جاء فيه قوله نعم دار المتقين^(١)

توفي السلطان أحمد سنة ست وعشرين وألف :

فقل للدهر أنت أصبت فالبس برغم منك أثواب الحِداد
ومن محاسنها ، بل من محاسن الوجود ، السليمانية ، فلا زالت أثرا لمحاسن الدولة
العثمانية :

الملك لله الذي لم يزل يُودعه في آل عثمان
من شكّ فيما قيل في شأنهم فلينظر الوضع السليمانِي
وهذه شذور من فرائد « الفوائد السنية » للقاضي شهاب ، فمن ذلك هذا الغزل
الذي تحنّ إليه الجوارح ، ويتحرك له ساكن الغرام :

إنّ في الروم للحسان عيوننا ذكّرت صببها بحرب البسوس^(٢)

(١) نعم = ٣٠ + ٥٠ + ٧٠ + ٤٠ = ١٩٠ ، دار = ٤ + ١ + ٢٠٠ = ٢٠٥ ،

المتقين = ١ + ٣ + ٤٠ + ١٠٠ + ١٠ + ٥٠ = ٦٣١ ، (١٩٠ + ٢٠٥ + ٦٣١ = ١٠٢٦)

وأثواب الحداد في البيت التالي هي الثياب السود ، يلبسها بعض الناس إظهاراً لحزنهم على موتاهم ، وهذا من البدع الدخيلة .

(٢) الصب : المشوق ذو الوجد والهوى والحنين .

وحرب البسوس : حرب في الجاهلية بين بكر وتغلب وإبني وأتل ، مدتها أربعون سنة ، فبين خمس وقعات مزاحفات ، بينها مغاورات ، سميت باسم البسوس خالة جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، التي قتل ناقها كليب بن ربيعة سيد تغلب ، وكانت بكر خضعت له أيضاً .

والعوارض جمع عارض وهو صفحة الخد .

والعاج : أنياب الفيل ، القطعة منه عاجة .

والابنوس ، والابنوس : خشب ثمين شديد الصلابة أسود اللون من أشجار البلاد الحارة .

الرضاب : الريق المرشوف .

والحميا : الخمر . والراح أيضاً الخمر . وكذلك الشموس ، لأنها تجمع بصاحبها .

وقدودا هي الرماح تبدت
أسبلوا الشعر فوق مرمر جيد
وأبانوا عوارضا وخذودا
وأداروا من الرضاب حميا

وقال :

لم تترك الترك في شمس ولا قمر
لكنهم لم يفوا إن عاهدوك على

وقال :

فتنت بظبي من بني الترك، أدمعي
تملك رقي وهو ملكي برقة

وقال :

بجمام السراي غزال سرب
يقول لعاشقيه يفوز مني

وقال :

إياك والأتراك إن لبعضهم
أجسامهم كالماء إلا أنها

ومن الوصايا المليحة عن الاخلاق القبيحة :

إذا كنت والمحبوب يوماً بخلوة
فإياك والفعل المحرم إنه
فإن عفاف الذيل في شرعة الهوى

ودارت لك الكاسات واكتمل البسط
به المرء من أوج السعادة ينحط
لمن شاقه وصل الحبيب هو الشرط

(١) في الاصل يوصل . وهو غطل في المعنى وخلل في الوزن . والتصحيف فيها واضح فقومناه .
طواشي - الاولى - حقها أن تكون طوى شيئاً ، ولكن باب المسامحة في الشعر واسع . أما الطواشي
- الثانية - فهو الخصي ، وقد بلغ الطواشية في ذلك العهد مراتب عالية وسموا بالاغوات .
والصفا - في البيتين التاليين - : الصغر الاملس ، جمع صفاة ، أما الجمود - وكذلك الجمود -
فهو الصخر ، لاسياً أقساه .

وما أصدق ما قال :

بالروح يلعب في بداية أمره
ماذا تكون نهايتي في عشقه
وقال :

تَعَسَّ القياس فللغرام قضية
منها بقاء الشوق وهو بزعمهم
وقال :

تعلمت أسباب الرضا خوف هجره
ولي ألف وجه قد عرفت طريقه
وقال :

تعشقت منه حالة لست قادرا
تيفنت أتّي فيه أصبحت مغرما
وقال :

إذا دعا باسمه داع يحدثني
لا أحمل اللوم فيه والغرام به
وقال :

زعمت بأني قد بلغت من الهوى
ولما تفرقنا تذكّرت ما مضى
وقال :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى
برق تألّق موهنا لمعانه

(٢) هكذا في الأصل ، ولا يستقيم به الوزن فلا بد من استبدال «لا يكلف» بـ : «ما كلف» . والذي نرويه :

إذا دعا باسمها داع ليحزني
ما كلف الله نفساً فوق ما تسع
لا أحمل اللوم فيها والغرام بها

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه
وقال :

سكنوا بقلب آنسوه وأوحشوا
هذاك عندهم وذاك محجّب
وقال :

أبكى إلى الغرب إن لاحت منازلهم
أقول في الخدّ خال حين أنعته
وقال :

في خدّه عرق بدا
هذا يصدّق قولهم
وقال :

عليّ لربّع العامريّة وقفة
ومن مذهبي حبّ الديار لأهلها
وقال :

وفي الحبّ تعذيب وفيه عذوبة
وكلّ امرئ يهوى على قدر عقله

(١) لإدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط :

طرب الفؤاد وعاده أحزانه
وبداله من بعد ما اندمل الهوى
يبدو كحاشية الرداء ودونه
فدنا لينظر أين لاح فلم يطق
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه
ثم استعاذ من القبيح ورده
وبداله ان الذي قد ناله
حتى اطمأن ضميره وكأما

وتشعبت شعبا به اشجانه
برق تألّق موهنا لمعانه
صعب الذرى متمنع أركانه
نظراً إليه ورده سجانه
والماء ماسحت به أجفانه
نحو الغزاء عن الصبا ايقانه
ما كان قدره له ديانه
هتك العلائق عامل وسانه

وقال :

وما العيش إلا ما يُلذِّدُ وَيُشْتَهَى
بكيّت الصِّبا جهدي فمن شاء لآمني
وإن لام فيه ذو الشَّنانِ وفنّدا^(١)
ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا
وقال :

يا كاملا شوقي إليه وافر
عاملت أسبابي لديك بقطعها
وبسيط وجددي في هواه غريز
والقطع في الاسباب ليس يجوز
وقال :

يا كتابي إذا وصلت إلى من
قل له ما عليك في البعد عتب
حبّه صيرّ الفؤاد جذاذا
سوء حظي أنالني منك هذا
وقال :

لإني أثبت إليك بالعلم الذي
وقرابة الأدباء يقصر دونها
يقضي عليك بجرمتي وذمامي^(٢)
عند الكرام قرابة الأرحام
وقال :

ما بال عينك حين تلحظني
لو كان لي ذنب لبحت به
يا ابن الكرام تعدّتي هملا
كيلا يقال هجرتني مللا

(١) الشنان تسهيل الشَّنان وهو البغض مع عداوة . وفنده : لآمه وضعف رأيه .

وهذه القاعدة في جعل اللذة والشهوة أساس العيش، إنما هي على مذهب العبيد من أبناء الدنيا :

الموت والحرية الـ

هي خير مانحيا له

أما المذهب والمفض

فلقد تركناها لعب

واتباع الشهوات - الذي ذم القرآن أهله - يؤول بصاحبه إلى الدمار والعار والنار :

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتته

وساقت إليه الإثم والعار بالذي

وفي البيتين التاليين تورية بالكامل والوافر والبسيط من بحور الشعر .

(٢) « أثبت » في البيت صحيحة ، لانكر فيها ولا لوم ، غير أن « أمت » أحلى وأكثر ملائمة .

وقال :

إنِ اسْتَرَدَّ فقل يا طالما وهبنا
تجده أعطاك أضعاف الذي ذهبنا

لا تعتب الدهر في خطب رماك به
وانظر زمانك في حاليْ تقلِّبه

وقال :

عن كلِّ طالب حاجة أو راغب
يا ذا الضراعة طالبا من طالب

شاد الملوك قصورهم وتجبَّوا
فارغب إلى ملك الملوك ولا تكن

وقال :

فقال لا بل راحة القلب
في نيل ما ينفد عن قرب

وقائل ما الملك قلت الغنى
وصون ماء الوجه عن بذله

وقال :

وإنْ تئل منهم عزّاً وتمكيننا
فيذهب العمر لا دنيا ولا دنيا

لا تصحبنْ مليكا أو من يلوذ به
يستخدمونك في لذات أنفسهم

وقال آخر :

من التوقّي أجلاً ملبس
واخرج إذا ما خرجت أحرص

إذا صحبت الملوك فالبسْ
وادخل إذا ما دخلت أعمى

وقال :

في البحر ترجف دائماً من خوفه
أدخلها وماءها في جوفه

ومصاحبُ السلطان مثل سفينة
إنْ أدخلت في جوفها من مائه

وقال :

تخبره أنْ ليس بالكامل
حتى يرى مضحكة الجاهل

لا بد للكامل من زلّة
بينما يرى يضحك من جاهل

ومن النصائح :

إلا إذا ما كان ذلك منزلكْ
فلقد أحطّك رتبة من أنزلكْ
إن جاء صاحبها وإلا فهي لك

لا تقعدنْ بمجلس في صدره
واتركْ لمن هو فوق قدرك موضعا
وإذا جلست فخلِّ فوقك فسحة

وقال :

أقول للقلب لا تجزع لفائتة
فقال حقاً ولكن عند ذي أدب
أخيلتَ باب التمني غير مفتوح؟
لا شيء أوجع من ترجيح مرجوح

وقال آخر :

نُوب الزمان كثيرة وأشدّها
يا قلب لمْ عرّضتْ نفسك للهوى
شمل تحكّم فيه يوم فراق
أو ما رأيتْ مصارع العشاق؟

فائدة : كتاب مصارع العشاق كتاب في الأدب ، مؤلفه أبو محمد جعفر السراج ، وهو اثنان وعشرون جزءاً ، رأيت منه الجزء الأوّل بالديار الرومية وعليه ما صورته :

هذا كتاب مصارع العشاق
فإذا تصفّحه اللبيب رثى لهم
صرعى أبادي البين والأشواق
أسرى هوى أيسوا من الإطلاق
ومادته لابن أبي حجلة ، ومنازل الاحباب للشهاب محمود .

يا خاطري كم ذا تكون مخاطرأ
إن شئت تعلم ما نهاية ما ترى
متولّعاً بالجيد والأحداق
فانظر كتاب مصارع العشاق
وقال آخر :

تأملْ ذا الوجود بعين فكر
وما فيها جميعاً سوف يفنى
وترى الدنيا الدنيّة كالخيال
ويبقى وجه ربك ذي الجلال
وقال آخر :

دع المقادير تجري في أعنتها
يوماً يريك وضع القدر مرتفعاً
واصبر فليس لها صبر على حال
إلى السماء ويوماً يخفض العالي
وقال آخر :

ومن يحمد الدنيا لأمر يستره
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة
فسوف لعمرى عن قريب يلومها
وإن أقبلت كانت كثيراً همومها
وقال آخر :

وما هي إلا جيفة مستحيلة
عليها كلاب همهنّ اجتذابها

فإن تجتنبها كنت مسلماً لأهلها
وقال آخر :

وما شيء بأثقل وهو حقّ
فلا تفرح بشيء تشريه
وقال آخر :

من كنت عن ماله غنياً
ومن رأني بعين نقص
وقال آخر :

لا تقطن عادة الإحسان عن أحد
واشكر صنائع لطف الله إذ جعلت
وقال :

لنفعي للصديق أحقّ عندي
ولكن لانكماشني في معاشي
وقال :

إن أوصل الدهر أيدينا لمكرمة
أو مانع الدهر إذ بالعجز أقعدنا
وقال :

محن الزمان كثيرة لا تنقضي
ملك الأماجد فاسترقّ رقابهم
ابن جابر الاندلسي :

قلما يُرعى غريب الوطن
خالق الناس بخلق حسن
وقال آخر :

قيامي للعزیز عليّ فرض
فهل أحد له عقل ولبّ
وترك الفرض ما لا يستقيم
ومعرفة يراك ولا يقوم

انتهى ما نقلته من الفوائد ، مضافاً إليها ما تستعذب به موارد الهدية ، وهذه الأبيات مما جرى بها القلم ، وتطفلتُ بها على حضرة مولانا شيخ الاسلام ، وإنما أثبتتها لما اشتملت عليه من ذكر بعض مناقبه الشريفة ، بل على وفق ما قيل :
ما إن مدحتُ مكملاً في ذاته لكن مدحت مقالتي بصفاته
وإلا فالحال كما يقال :

لو أن في بابه للنظم مفخرة ألقت في مدحه ألفا من الكتب
لكنه البحر في كل الفنون فما إهداء درّ إلى بحر من الأدب ؟
وفي اليوم السادس من شهر رجب الفرد ، برزت صرة الحرمين ، في موكب لطيف ، وكان يوماً مطيراً ، وبالنسبة إليّ يوماً عبوساً قمطيرياً .

وقد هاج لي شوق ليثرب ليتني قضيت ولا يقضى عليّ بعادها
فيا ربّ جد لي قبل موتي بقربها ففي حبّها تحلو لعيني سعادها
وهو يوم مشهود ، ووقت معهود ، يجتمع له البادي والحاضر ، (وأذن في الناس بالحجّ يأتوك رجالا وعلى كلّ ضامر) ، وفي ذلك اليوم حصل لأبناء الحرمين ومن هو في زيهم من الإهانة أقل ما يستوجبون ، وذلك لازدحامهم على الصدقات ، وكانت تأتي إليهم الدراهم بعد التفاصيل بالجمال ، وطالما قال جود السراي لكل حاتم هذه التي لا ناقة لك فيها ولا جمل ، وكم أنشد لسان حالها في بهجة جمالها :

لله كم حال امريء معدم قضيت في الروم بتنفيسه
ودرهم ولّى ولكنّه قد أخذ الأجر على كيسه
فسبحان من قام على التناقض ملكه^(١) ، وجرت بخفيّ تدبيره نيرات افلاكه ،
كما سبحت باللطف في بحار حكّمته فلُكّه ، وما زلت مقيماً بها الى العشرين
والتردد شعاري ، والتعهد دثاري ، وأنا في تلك الحال ، على أثر تمّني المحال :
أقطع الوقت بالرجاء وناهي لك بقلب غداؤه التعليل

(١) هذا إذا أخذ على ظاهره كفر وسوء أدب ، وقد علق الشيخ محمد نصيف على ذلك على هامش الكتاب بأن « ليس في ملك الله تناقض » . وكأن المؤلف يريد ان هذا فيما يبدو لبعض السذج والبسطاء ، وإلا فله الحكمة البالغة .

كلما جاء كأس يأس مرير جاء كأس من الرجا معسول
وقد رميتي الحوادث بسهامها ، وعبست الأيام بعد ابتسامها ، فللّه ما لاقيته
من المتاعب في تلك المطالب ، ولقد كنت في سعة عن مطالب هاتيك المتاعب :
ولكنّ أسباب الضرورات لم تزل إلى غير ما تهوى النفوس تقود
مثله :

أقمت بها شهرين في حال غربة أرجي نداها والجنون فنون
وما نلت منها طائلا غير أنّي تعلمت طعم الذلّ كيف يكون
غيره :

لي كلما ابتسم النهار تعلّة بمحدّث ما شان قلبي شانه
فإذا الدجى وافى وأقبل جُنْحُهُ فهناك يدري الهم أين مكانه
غيره :

غنى في يد الآمال لا استفيده ودين على الأيام لا انتقاضه
يرى الصبر محمود العواقب معشر وما كلّ صبر يحمد المرء عقباه

فكنت كمن ترك الوقار وكان من أهله ، وسلب القرار لذهاب عقله ، وغدا
يساور الهموم ، ويسامر النجوم ، فلا يطيب له المقيّل ، والحال كما قيل :

بيت كما بات السليم مسهدا وفي قلبه نار يشبّ لها وقد
وقد هجر الخلّان من غير ما قلّي وأفرده الهمّ المبرّح والوجد^(١)
فلم يرث لي دهري الخوون ، ولا رقّ لي زماني المفتون ، حتّى كأني في

(١) السليم : الملسوع ، سمي به تفاقولا . وفيه تضمين لقول النابغة الجعدي :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

ويشب بكسر الشين وتشديد الباء - : يرتفع ويتقد . الوقد : النار ، ولهيبها ، وحرها .

والخلان - بضم الخاء - : جمع الخليل وهو الصديق المختص . والقل : البنص .

والمبرح - بكسر الراء المشددة - : الشديد المتعب المجهد - بكسر العين والهاء - .

والقذى : ما يقع في العين أو الشراب من تبنة ونحوها .

والشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .

جفن الدهر قَدَى ، أو في حلقه شجا وأذى ، يداغني نيل الأمنيّة ، ويكاد يسلمني
إلى المنيّة ، قلت :

وكادت ديار الروم من فرط محنتي بما رَحِبَت غمّاً عليّ تَضيق
وأنا مع ذلك أدافع الأيام ، وأعلّل النفس ببلوغ المرام ، مُتَلَفَعاً بالقناعة
والكفاف ، متنعماً بالتراهة والعفاف ،

إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكنّ نفس الحرّ تحتمل الظما
فما كل برق لاح لي يستفزني ولا كلّ من لاقيت أرضاه منعماً^(١)
وقد ذكرت بتلك الأبواب ، الفسيحة الرّحاب ، المنبوعة الجناب ، بيتين لبعض
الفضلاء وهما قوله :

وأكرم من يدقّ الباب شخص
ينوء إذا مشى ثقلاً وحملاً
وما أصدق ما قال الزمخشري :

وإذا رأيت صعوبة في مطلب
وابعثه فيما تشتهيهِ فإنّهُ
وما أحسن ما قال :

دع السحر يا من تيمّ الحبّ قلبه
إذا ما دعوت الطير لبّاك مسرعاً
فما السحر إلا في نقوش الدراهم
بدرهمك المنقوش لا بالعزائم

(١) للقاضي الجرجاني من قصيدته في أنفة العالم وترفعه عن الدنيا ، والتي منها :

يقولون لي فيك انقباض وإمنا
وما كل برق لاح لي يستفزني
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
انهبها عن بعض مالائشينا
ولم ابتدل في خدمة العلم مهجتي
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولكن أهانوه فهان ودنسوا
رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجماً
ولا كل من في الارض أرضاه منعماً
ولكن نفس الحرّ تحتمل الظما
مخافة اقوال العدى فيم أولما
لأخدم من لاقيت لكن لاخدما
إذن فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو عظموه في النفوس لعظما
محياه بالاطماع حتى تجهما

وقلت :

إذا عَزَّ من تهوى ولم ترحيلة فليس سوى الدينار أرجى وأرجح
يهون صعب الأمر في كلِّ معضيل وفي كلِّ أمر فهو أنجى وأنجح

ولقد كنت أزعم أن أصير باختلاطي بالروم بعد العرب جامع الفضيلتين ،
ولا أقول القياس إنَّما يتبع أحسن المقدمتين ، إلا أنني حصلت من الفقه على مسائل
الطهارة ، وفي الإشارة ما يغني عن العبارة ، وصرت لا أعرف من النحو بعد ذلك
الثبوت ، إلاَّ كثر شربي السويق وهو مكثوت ، ولا أفهم من التصريف مقالا ،
إلا قاتل يقاتل مقاتلة وقتالا ، ولا من المنطق بعد بذل المجهود ، إلاَّ إذا كانت الشمس
طالعة فالنهار موجود ، ولو شرحت مطول جهلي بالأصول ، وقلة ما لي فيه من
المحصول ، لتلخص للطالب من مختصر التلخيص تخلص ، وتخصّص من تهذيب
الكلام بأوفى تخصيص .

ولرحمة المتوجعين حرارة في القلب مثل شماتة الأعداء
وقال :

وحار لبّي لما بُليت به من الليالي وصرفها عَجَب
وقال :

وضاق ذرعي لضيق ذات يدي وساورتني الهموم والكرب
وقادني دهري الملوم إلى سلوك ما يستشينه الحسب

ولقد كان يخطر مثل ذلك بالبال ، ويُرسم في لوح الخيال ، لما اشتهر من مذلة
السؤال ، وقلة الإحتفال ، ولقد سلمت من المصائب ، لو تحققت بقول عليّ بن
أبي طالب ، وذلك في وصيته لابنه الحسن عند انصرافه من صفين ، والله تعالى
الموفق والمعين : يا بنيّ إن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله تعالى ذو نعمة فافعل ،
فإنك مدرك قسمك ، وآخذ سهمك ، وإنّ اليسير من الله تعالى سبحانه ، أكرم
وأعظم من الكثير من خلقه ، وإن كان كلّ منه . قلت لله ما أحلى هذا الوصل
فليتني تحققت به أو أخذت بسببه .

وإذا جرّب المجربَ غمراً فعليه إذا أصيب الملام

فأقمت ، لا منقول لي في المنقول ، ولا مَعوّل في المعقول ، وأنا لا أفصح
عني ، ولكنّي أكنّي :

وصرت أذلّ من معنى دقيق به فقر إلى فهم جليل
هذا والحديث شجون ، وما أتلوه من الأقوال ، نوع من ضرب الأعمال ،
وما يعقلها إلا العالمون :

إنّ الليالي والأيام لو سئلت عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا
فكنت أخالطهم مخالطة مسالمة ، وأجالسهم مجالسة مباسمه ، لعلمي أنّ من
لزم اليأس من الناس ، فقد سلم من البأس ، وأنّ الاجمّال في الطلب ،
والانتقال عن مظانّ العطب ، يوميان إلى النجاح ، ويؤمنان من الإفتضاح .
بجاملة الإنسان تكسب عيشه صفاء وتحبوه الجميل من الذكّر
على أنّ صبري للذي قد لقيته وإردافه بالعدر قبض على الجمر

وقد تحجّب أهل الكرم في الأبنية ، فلم أر من السعودات إلاّ سعد الأخبية ، ولعمر
الله إنهم معذرون في ذلك ، فلقد رأيت فيما هنالك ، من الطوائف القديسين
والشاميين وغيرهم ، ذوي عمائم كالأبراج ، وأكمام كالأخراج ، وقد لزموا تلك
الأبواب لزوم الكاتين ، وصار أحدهم مع الرئيس كالحصين المتحاسين ، يطالبه
بجائزة شعر لو شعر بحقيقة أمره ، لاستحي منه ولزم حده بقية عمره :

قد بان لي عذر الكرام فصدّهم عن أكثر الشعراء ليس بعار
لم يسأموا بذل النوال وإنّما جمّد الندى لبرودة الأشعار
أو كما قال الشريف العباسي :

ربّ خذ للشعر من زمرّ أسمعونا فيه ما أضنى
مثل مَضْع الماء ليس له في فمي طعم ولا معنى

فلذلك انقطعت السبيل عن أهل الحياة ، ونفق في سوق النفاق عروض أهل الرياء ،
فلم يجر باسم الفضلاء قلم الباري ، ورضى العالم غاية استأثر بها الباري ، ولله درّ القائل

لا تغضبنيّ على امرئ لك مانع ما في يديه
واغضب على الطمع الذي اس تدعاك تطلب ما لديه

وقال :

لا تكن طالباً لما في يد النا
س فيزورّ عن لقاءك الصديق
إنّما الدلّ في سوّالك لنا
س ولو في سوّال ابن الطريق

وقال :

لا أبتغي بالشعر رزقاً ولو
كنت عل جيده أقدر
كيف وعلمي أنّ لي رازقاً
يرزقني من حيث لا أشعر

وقال :

من عفّ خفّ على الصديق لقاؤه
وأخوك من وفرت ما في كيسه
وأخو الحوائج وجهه مملول
فإذا اعترضت له فأنت ثقيل
فها أنا أخفض لهم الجناح ، وأرفع عنهم الجناح ، لأنّ الأمر مراحمه لا مزاحمة
ومحاسنة لا محاشنة ، ومناسبة لا محاسبة .

وعني بالتلويح يفهم ذائق
فمشيت على هذا السنن القويم ، والمسلك المستقيم ، متحاشياً عن المباراة ، متجنباً
ما استطعت عن المماراة ، فإنّهما يهدمان الدين ، ويعدمان اليقين .

وما كنت أدري قبل عزّة ما البكا
فإنّ أجنّ من غرس المني ثمر العنا
ولا موجعات القلب حتى توكت
فلله نفس في منها تعنت
ولست بالمتصدّي للقليل والقال ، ولا المتعدّي بالجدال إلى المحال ، وكم من متشبه
لم يحكّ المثال وناقل لم يحك عن النوال ، وأين الماء من السماء؟ وموقع السيل
من مَطْلِع سُهَيْل^(١) ؟

تعرّض قوم للغرام وأعرضوا
رخضوا بالأماني وابتلوا بحظوظهم
بجانبيهم عن صحة فيه واعتلوا
وخاضوا بحار الحبّ دعوى فما ابتلوا
هذا ومن أجاب داعي الهوى ، يوشك أن لا يجاب إذا هو في هوّة الهوان هوى ،
لا جرم إنّ العثار سابق إلى قدّمه ، والاعتثار سائق إلى ندمه ، ألا يرى إلى حسن

(١) سهيل : نجم اولع به الشعراء .

وسهيل كوجنة الحب في اللو ن وقلب الحب في الخفقان

لا يرى من البلاد الشمالية بل يطلع في سماء اليمن : « وسهيل إذا استقل ياني »

اخضرار العود ، فإذا فارق منبته استعدّ للوقود ، ولا يزال المرء حسن الظن في نفسه قليل التفحص عن رؤية حدسه ، يتستر بالمحال ، على غير العلم بالحال .

والمرء تلقاه مضياً لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

فها أنا استغرق تارة في الجهل والطيش ، فأراني في لذة العيش ، وتارة تلاحظني بقايا العناية ، فأعلم أنني من الجهل في غاية ، فمن شاهدي قال الجنون فنون ، ومن تحققي انشدني كأن لم يكن بين الحجون (١) .

فليت أيام هذا الدهر تمدحني
دع المكارم لا ترحل لبغيتها

بيت شعر قديم سار في الناس
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقال :

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه
ولكن قلباً بين جنبيّ ماله

ومركوبه رجلاه والثوب جلده
مدى ينتهي بي في مرام أحده

وقال :

وكانت على الأيام نفسي عزيزة
فقلت لها يا نفس موتي كريمة

فلما رأيت صبري على الذلّ ذلت
فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

هذا وشريف النفس هو الذي لا يرى الدنيا لها ثمناً ، ولا يرتضيها لنفسه سكيناً ، حيث لم يبسطها الباري تعالى إلا اختياراً ، ولم يقبضها إلا اختباراً ، على أنّها كزيارة ضيف ، وسحابة صيف :

(١) من قصيدة لمضاض بن عمرو الجرهمي اولها :

وقائلة والدمع سكب مبادر
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
بلى نحن كئنا أهلها فأبادنا
صروف الليالي والجدود العواثر

والبيت الثاني المضمن في البيتين التاليين « دع المكارم .. » للحطيئة .
والبيتان التاليان لهما « وفي الناس من يرضى .. » للمتني من قصيدة أولها :
أودمن الايام مالا توده وأشكو إليها دهرنا وهى جنده
ورواية الديوان « الجزء ٢ الصفحة ٢٣ » : « مراد » بدل : « مرام » .

تبقى علينا ويأتي رزقها رغداً
فكيف وهي متاع يضمحلّ غداً؟

تالله لو كانت الدنيا بأجمعها
ما كان في حقّ حرّ أن يذلّ لها

أبو السعود المقفي :

وقيصّر والقصور وساكنيها
فلم تدعِ الحليم ولا السفهيا

سل الأيام ما فعلت بكسرى
أما استدعتهم للسين طراً

أقول : ويعجبني في هذا المقام قول من قال : ما زهد الزاهدون فيما كتب لهم .
قال الشيخ الشعرائي : إذا كان الزهد حقيقته ترك شيء ليس هو له فالزاهد جاهل ، لأن
زهده ما وقع إلاّ في عدم لا وجود له ، وهذا مبني على توهم صحّة
الاختيار ، وهو كلام لا معنى له ، انتهى كلامه . وكيف يصحّ للمرء ترك شيء
لم يقدر عليه ؟ فيه كلام للامة فتأمله .

ولم أر كالدنيا تُدَمّ وتُمدح

يذمّون دنياهم وهم يطلبونها

قال المثلي :

غَنَجِ اللَّحْظِ كَالْقَنَا الْأَمْلُودِ^(١)
قول من لم يصل إلى العنقود

وبروحي فديته ذا جمال
لقبوه بحامض وهو حلو

وقال :

لا فضة أبتغي فيها ولا ذهباً
فكيف آسي على شيء إذا ذهباً؟

صرفت نفسي عن الدنيا وزخرفها
نفسى التي تملك الأشياء ذاهبة

ثم إني لم أزل مع الزمان في تَفْنِيدِ وَعِتَابِ ، حتّى رضيت من الغنيمة بالاياب ،
وأنا أنادي حظّاً غير سميع ، واستعطف طالعاً غير مطيع :

وقد ضقت بالاحوال ذرّعا وحيلة فحتّى متى أشكو ولا تنفع الشكوى

وقد اشتدّ بنا الأمر في الملازمة ، وسابرونا سير مخازمة ، حتّى انثنت مما أردته ،
وجعل كلما طرق طارق طرفته .

(١) غنج : ذو دلال .

والقنا : الرمح .

والاملود : الناعم اللين .

فلا أنا من هوى الفيحاء خالٍ
وقال : ولا ممن أحبّ قضيت ديني

أقول غدا أفوز ببعض سؤالي
فيا لله من عكس الليالي
فيأتي في غد ما لا أشاء
مقاصدي التي فيها الثناء

ولما وقفت على الجملة بالتفصيل ، وتحققت أن الآمال سوّفت بالأباطيل ،
أغمضت عما هو بيد الزمان ، وقبّحت للنفس ما كان قد زان ، وقد نبذت المرام
إليه ، وقلت خذه غير مأسوف عليه ، فسحّخت النفس بما زاد على الزاد ،
ولم يبق لي من الاماني ، سوى الرجوع إلى أوطاني ، وقد تجاوزت من التمنيّ حدّه ،
وما فاني شيء سوى الحظّ وحده .

وإذا نظرت إلى الوجود بعينه فجميع ما في الكائنات مليسح
ولكن أين أنا من تلك المعاهد ، وبماذا أتوصّل لمشاهدة هاتيك المشاهد ، وقد
حالت من دونها تلك البحار ، وأحوال هاتيك المفاوز والحِرار ؟

كيف الوصول إلى سعاد ودونها
الرجل حافية ومالي مرّكب
قللُ الجبال ودونهنّ حتوف
والكفّ صيفر والطريق مخوف

ولا أقول هذه رحلة تشدّ إليها الرحال ، حيث لم تسفر بمحاسنها عن وجوه
الرجال ، فيا ناظراً إلى ما جرى به القلم ، من تسطير المشقّة والألم ، ليس من شرّعة
العقل سرّعة العدّل ، فإنّ من عيّر شخصاً ابتليّ بدائه ، ومن حكم الأفضية
فقد أزرى برأيه ، وإنّما هذه نفثة مصدور ، جواباً لسؤال مُقدّر أو مذكور ،
حيث الأيام فُرص مغتمه ، وغصص مقسّمه ، نسائمها سمام ، ومغانمها مغارم .

هي الدنيا تقول بملء فيها
ولا يغرركم منّي ابتسام
حدّارٍ حدّارٍ من بطشي وفتكي
فقولي مضحك والفعل مبكي

وما حال من فارق الحياة ونأى عنها ، وكان في الجنّة فأخرج الى النار منها ،
وقد دهمت بشهْب صروفها الليالي ، وذلك وفاق من كانت السعادة في يديه فلم
فلم يصنّها غير مبالي .

عجباً لمثلي وهو يبصر رشده
في الأرض كيف تقلّبت حالاته

ثم نادى منادي التدبير من عالم التقدير ، بأنّ الخير في الواقع ، والأمن في قطع المطامع ، وقال لسان الحرمان : عليك الأمان ، إذا حصل ما قاتك ، فلا تندم على ما فاتك .

إذا رُمّت المطالبَ قبل وقت فليستَ بواجِد إلا الأمانِي
فقبل الوقت كان سؤال موسى وكان جواب ذلك لن تراني^(١)
فعند ذلك اشتدّ الهيام ، وتضاعف الوجد والغرام ، شوقاً لساكن الزوّراء وزيارته
السنية ، وتوقفاً إلى التملّي بتجلّي جماله قبل تحكّم المنية :

وما اشتياقي حمى الزوراء من عجب وجرح قلبي إليها غير مندمل
وقد حوى سفحها بدرأً منازلُـه صميمُ قلبي في حلّي ومرتحلي
سقى بها مربعا تزهو جوانبـه بوبل غيث بذاك الحيّ منهُمِل
وعطّر الجوّ أنفاس الشدّي وقضتْ يد النسيم على الأغصان بالميل^(٢)
ويا رعى الله أوقاتا بها سلفت ما ضرّها لو مشت فينا على مهل
سُقيا لها من ليالٍ مذ مضت تركت أحشاءنا ولهب النار في شعل
أشتاقها بفؤاد غير مصطبر عنها وأبكي بدمع هامل هَطَل
لعلّ الإمامة بالجزع ثانيّة يدبّ منها نسيم البرء في عدل

ولما جعلتني المقادير نُهزة الأسفار ، ولم ترني نزهة الأسفار ، بل كنت غرّصاً
لمتاعب البحار ، وعرّصاً لمصائب القفار ، وقد ترايد ما بي من الألم ، ولم يبق
مني عضو إلا وبه ألمّ ، توسّلت في تلك الحال ، إلى العليّ المتعال ، أن يردّني
إلى حرّمه ، بمنّه وكرمه ، وكثيراً ما كنت أتوسّل بهذه الأبيات :

إلهي طال بعدي واغترابي وفي جُنح الدجى طال التهابي
ونحو أحبتي قد زاد شوقي لأهلي والأقارب والصحاب

(١) الآية ١٤٣ من سورة الاعراف : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر

إليك قال لن تراني .. » .

والهيام : شدة العشق المفضي الى الجنون .

(٢) الويل : المطر الشديد .

والشذا : قوة زكاء الرائحة .

إلهي قد وهى جَلَدِي وصبري
إلهي من سواك بنا رَحِيم
إلهي أنت أولى من عفا عن
إلهي جُدْ بقرب عن قريب
إلهي واقض لي يا خير قاض
فصادف الدعاء الإجابة ، وتحققت هذه الطلبة ، وقد أخذ الشوق بزمام الفؤاد ،
وأذكرني طيبَ وادٍ أفديه بألف واد :

واد سما قدره بالساكنين به وطالِعُ السعد في آفاقه طَلَعَا
وقد تهيأت أسباب الرحيل ، وقرأ الطالع للمطامع « وحيل » (٢) ، وهبت
نسمات القبول ، بالقرب والوصول من حضرة السيد الرسول ، صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم .

أيا ساكني أكناف طيبة حسبكم من السعي للعلواء جيرة أحمد
فمن يتبغي عنها بلاداً وإن سَمَت لأمر من الدنيا فليس بمهتد
وكان ذلك بإسعاف ذي القدر والمقدار ، وقطب القسطنطينية الذي عليه المدار ،
وهو مولانا شيخ الاسلام ، لازال في فم الدهر ابتسام .

فلولاه لم أبلغ من الروم بلُغَةً ولولا نداء ما رجعت إلى أهلي
وبالحملة ، فلولا ما أسداه من الإحسان ، وتفضل به وأعان ، لحالت المنية
دون الأمنية ، ولم أردُ مشارِع تلك الديار السنيّة :

ولما رماني الدهر من كلِّ جانب بكلِّ ملمِّ ضاق عن حمله الصدر
لجأت إليه لا فقدت وجوده وناهيك من شخص هو البرّ والبحر

(١) وهى : ضعف وبلي .

والشعاب : جمع شعب وهو ما انفرج بين الجبلين .
والسنن - بفتح السين - : الطريقة .

(٢) اشارة الآية الكريمة : « وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشباعهم من قبل . . » .
وأكناف : جمع كنف وهو الجانب والناحية .

فحمداً لأيديه ، وخواتيم أمره ومباده ، وشكراً لمنّته البهية ، وهمته العلية ،
فإنّها ما أرادت أمراً إلا أدركت غايته ، واستدركت فائته .

على أنّها عند الملمات لم تزل إذا جرّدت كالمشرّفي المهنّد
بها يأمن اللاجي خطوب زمانه كما يبلغ الراجي بها كلّ مقصد
غيره :

أطلق لسانك بالثناء على الذي أولاك حسن رغائب وغرائب
واشكره شكر الروض باكره الحيا كيما تقوم له ببعض الواجب
فأخذت في الرحيل وودّعت ، وعزمت على أن لا أعود وأزّمت ، فرجعت
كثير الشغف ، ولي قلب كلّم بالأسف .

ولقد نثرت مدامعي ودمي معاً يوم الوداع وخاطري مكسور
لا تعجبوا لتلونّ في أدمعي لا بدّ أن يتلونّ المنثور
فلا غرو أن أقول بلسان الحال ، إذا كنت كرة لصلو الحجة الليال :

كأنّي في الزمان اسم صحيح جرى فتحكّمت فيه العوامل
مزيد في بنيه كواو عمرو وملقى الحظّ فيه كراء واصيل
فصمّمت على رحيلي ، وجمعت للرحلة ذيلي وأخذت لا من الذهب بل في
الذهاب ، وعزمت على عدم تمّني الإياب ، فقوّضت خيام الغيبة ، وأسرجت
جواد الأوبه :

إلى بلدة نيظت عليّ تمّامي بها في جوار الهاشميّ محمد
فنزلت الخليج السكندري ، حتى أتيت على أسكدار ، وهي بلدة عظيمة المقدار ،
بها الجوامع الجامعة ، والمدارس الساطعة ، والمباني المشيدة ، والأسواق المتعدّدة ؛
وعرّض هذا الخليج مقدر بستة أميال ، والميل البحري مقدرّ بمسافة لو وصل غايتها
البصر وكان ثمة شخص ، عرّف كونه قائماً أو قاعداً . والبريد مقدرّ بألف باع ،
وقيل بأربعة آلاف خطوة ، والخطوة ذراع ونصف ، وفي ذلك قالوا :

إنّ البريد من الفراسخ أربع ولفراسخ فثلاث أميال ضعوا
والميل ألف أي من الباعات قل والباع أربع أذرع فتبعوا

ثم الذراع من الأصابع أربع من بعدها عشرون . ثم الأصبع
ست شعيرات فبطن شعيرة منها إلى ظهر لأخرى يوضع
ثم الشعيرة ست شعرات غدت من شعر بغل ليس فيه تضعضع

(غريبة) : حكى القزويني عن صاحب « تحفة الغرائب » أن في حدّ خليج القسطنطينية قرية فيها بيت من الحجر ، وفي البيت صورة الرجال والنساء والخيل والبغال وغيرها من الحيوانات ، فمن أصابه وجع في عضو من أعضائه ، يدخل ذلك البيت ، ويدنو من مثل صورته ، ويمسح بيده مثل العضو الموجع من الصورة ، ثم يمسح العضو الموجع ، فإن وجعه يزول في الحال ، قاله في « الآثار » . ومن العجائب المشهودة بهذا الخليج : البرج القائم في وسط مائه التيار .

ثم إننا سرنا ، وقد زجرت تلك الرعود ، فشهدنا ذلك اليوم الموعود .

في يوم برد ترى أنفاسه تشوّه الأوجه من قرصها^(١)
تودّ فيه الشمس من برده لو جرّت النار إلى قرصها

وقال :

قالوا أضرّ بنا السحاب بقطره لما رأوه لعبرتي يحكي
لا تعجبوا مما ترونّ فإنّما هذي السماء لعبرتي تبكي

ثم أتينا على قبيزه ، وهي بلدة بديعة المعاني ، أهلة المغاني ، فترلنا بخانها الأمين المأمون ، وقد رمينا بسهام بردها الميمون ، وقد أوقدوا الحطب بذلك الخان ، حتّى كادت الانفس ترهق لتكاثف الدخان .

وهكذا المرء في أيّام غربته يلقي من الضيّم ما لم يجرّ بالبال

ولما كان آخر الليل ، قمنا منه حتّى أتينا على خليج الدليل وقت الشروق ، وهو أوسع من خليج اسكدار ، فقطعناه في مركب صغير ، ثم مررنا بالدليل ، وهو اسم لقرية لطيفة ، فلما كان بعد الظهر ، أتينا على جاور كوى ، ومعناه قرية نصارى ، وفيها نهر عظيم يدور بتلك الشعاب ، وفيها اجتمعنا بأمين الصرّة الأمير محمود أغا ، ولما هدأ الليل قمنا نقطع هاتيك القلال ، وأنا بحال من قال :

(١) ماذا ترى في « ترى » ؟ لو كانت بري او لسع او نحو ذلك لكان بها أخرى .

قلبي الخفوق ومدمعي الجاري دما مهما جرى ذكر العذيب أو اللوى
وإذا تآلق بارق من بارق فهناك يُنشر من هواها انطوى^(١)

فلما كان الضحى أتينا على ازنيق ، وهي بلدة مسورة ، بها الجداول والأشجار
المختلفة الثمار ، وإليها ينسب الفخار الازنيقي ، لأنّ بها مصانعه وأحجاره ،
ثم أتينا على لفقة ، وهي قرية لطيفة ، ذات أشجار يانعة وريفة ، ثم أتينا على سقوت ،
وهي بلدة رحيبة الجنب ، مخضرة الأرجاء والرحاب ، ثم أتينا على أسكي شهر ،
ومعناه بلدة قديمة ، وقد حفّت بالأشجار ، وجرت بين رياضها الانهار ، ومن
العجائب بها حمامها الذي ماؤه أحرّ من الجمر ، من غير صنعة بشرية ، لأنّ
منابعه من معادن كبريتية ، وبها النهر التيار الذي لا يجاز إلا من جسره .

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يوم الترحل خامس
وعلى ذكر الجسر :

خطّ على ماء الشباب الذي بحدّه جسر من الشعر
صار طريقاً لي إلى سلوتي وكنت فيه موثق الأسر
وقال :

ومّا قضى الدهر الملمّ بنزلة على الفرس الميمون يبقى بها كسري
ولما قضى لم أقض غير تعجب ولكن رأيت اليسر يدنو مع العسر
فاكترت بها بغلا لا نَقْصُ في معايه ، ولا يوجد ما يدانيه في مثاليه^(٢) ،

(١) الخفوق : المضطرب الكثير الخفقان .

والعذيب واللوى وبارق الثانية مواضع يكثر الشعراء من ذكرها والحنين اليها .
أما بارق فهو ماء بالعراق ، وهو الحد بين القادسية والبصرة ، وهناك بارق آخر بتهامة او اليمن ،
وهذا انما هو جبل ، كأن باليامة جبل يدعى بارقا .
وأما العذيب ، فهو ماء بين القادسية والمغيثة ، بينه وبين القادسية أربعة أميال ، والى المغيثة إثنان
وثلاثون ميلا .

واللوى : واد من أودية بني سليم .

(٢) المثالب : المعايب ، جمع مثلبة وهي المسبة .

والحسير : الكلليل الضعيف .

والحرج هنا الاعتراض .

فما زلت أسير به وأنا معه أسير ، وما زال يسير بي والطرف منه حسير :
أسيرٌ مثل أسيرٍ وهو يعرُجُ بي كأنّه نازل ينحطّ من درَجِ
فإن رماني على ما فيه من عرج فما عليه إذا ما متّ من حرجِ
وقال :

وقد كان مركوبي أعزّ خيولهم واكرمهم إذ كان وافي الشرائط
وكنت عليه مطمئناً وثابتاً كأنسي منه راكب فوق حائط

ثم أقمنا على بلدة السلطان السيد غازي ، وهي بلدة أهلة المغاني ، بديعة المعاني ،
سميت باسم فاتحها في سنة إحدى وعشرين وتسعمائة ، وقبره على الجبل المطلّ
عليها ، وعليه مدرسة عظيمة ، وحوطها منازل عامرة بسكانها ، ثم أتينا على ينكي
خان ، ومعناه الخان الجديد ، وهو من بناء الوزير خسرو باشا ، عمره سنة تسع
وثلاثين وألف ، وحوطه منازل حدثت بحدوثة ، ثم أتينا على بياض ، وهي قرية
قوية البرد والأهوية ، وذلك لكثرة الثلج على جبالها ، وشدة أخلاق رجالها .

ومن العجائب أن أقم ببلدة يوماً وأسلم من أذى أحوالها
قال البصير : الثلج ما تصاعد من البحر إلى كرة الزمهرير ليكون مطرا ،
فتنعكس عليه الرياح الباردة ، فينعقد ويسقط في البلاد البعيدة عن الشمس ، كالدقيق ،
وهو بارد في الثالثة يابس في الثانية ، ونفعه في الحميات الحارّة والحكّة وضعف
المعدة عن الحرّ ، ويسمن الحيوان غير الانسان .

والثلج في الروم قد شاهدت موقعه كأنّه القطن يهوى وهو مندوف
وقال :

انظر إلى وسط البيضطة أيّا لم تبد فيه شامة سوداء
كرّم السحابُ فعمّ بالثلج الثرى إنّ الكريم له اليد البيضاء
تقيّ الدين السبكي :

أقول للسرّو إذ كساه ثلج بدا نوره وأنّهج
زُمرد أنت في لجّين فقال أبهى سنّاً وأبّهج
ثم أتينا على قرية تسمّى بلاوضون ، وهي كثيرة الخيرات ، بها الاشجار

المؤتلفة ، والأزهار المختلفة ، ثم أتينا على آق شهر ، ومعناه قرية بيضاء ، وقد اخضلت في أرجائها الأشجار ، وتغنت على أغصانها الأطيبار ، وفيها جدول ماء يدور بشوارعها ، وبالقرب من خانها جامع جمع المحاسن ، وهو بناء الوزير حسن باشا ، وتاريخه « غيط »^(١) ، ولها تربة معمورة ، وقبورها مبنية بالأحجار المخدومة ، كقابر الروم :

وما ينفع الإنسان ببيان قبره إذا كان فيه جسمه يتهدم
وفيها ضريح الخواجه ناصر الدين ، صاحب التفسير ، المتوفى سنة ست وثمانين
وثلاثمائة ، والعامّة تزعم أنّه جحا الذي يضرب أمثاله في الجدّ والهزل ، وهو من
فرارة ، وكنيته أبو الغصن . قيل : كان يحفر بظهر الكوفة ، فقيل له : ما لك ؟
قال : دفنت دراهمي هنا وما اهتدى إليها ، فقيل : كان عليك أن تعلمها ،
قال : قد فعلت ، قيل : ماذا ؟ قال : كانت عليها سحابة تظللها . والحكايات عنه
لا تكاد تضبط كثرة ، كذا في « المستقصى » . ورأيت في بعض التعاليق ، أنّه كان
فاضلاً ماجناً ، وقد عمل الناس على لسانه كثيراً من النكت والنوادر ، كما عملوا على
لسان المجنون ، ولاين أبي اليمن الغفاري مؤلف في ذلك يشتمل على ألف ورقة .
حكّي عنه أنّه سُئل مرّة عن القيامة فقال : بموتي تقوم .

حكّي أنّ الزهراء بنية من عجائب الدنيا أنشأها أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد
ابن عبد الله الملقب بالناصر ، أحد ملوك بني أمية بالأندلس ، بقرب قرطبة ، في أوّل
سنة مائة وخمسة وعشرين^(٢) ، ومسافة ما بينهما أربعة أميال وثلث ميل ، وطول
الزهراء من الشرق والغرب ألفان وسبعمائة ذراع ، وعرضها من القبلة الى الجنوب
ألف وخمسمائة ذراع ، وعدد السواري التي فيها أربعة آلاف سارية ، وعدد
أبوابها يزيد على خمسة عشر ألف باب . وكان الناصر المذكور يقسم جباية الأموال
ثلاثاً ، فثلث للجدد ، وثلث مدخّر ، وثلث ينفقه على عمارة الزهراء ، وكانت

(١) غيط = ١٠٠٠ + ١٠ + ٩ = ١٠١٩ .

(٢) عبد الرحمن الناصر — باني الزهراء — تولى الخلافة بالأندلس سنة ٣٠٠ وتوفي سنة ٣٥٠ عن
ثلاث وسبعين سنة ، فما ذكره المؤلف لا يتألف وهذا ، إلا اذا كانت أصابع النساخ عبثت بها فحرقها من
ثلاثمئة وخمس وعشرين الى مئة وخمس وعشرين .

جباية الاندلس خمسة آلاف دينار واربعمئة ألف وثمانين ألف دينار ، ومن السوق المستخلص سبعمائة ألف وخمسمائة وستون ديناراً ، وهي من أهول بنيان الدنيا وأجلّ خطراً ، ذكر ذلك ابن بشكوال في «تاريخ الاندلس» .

ثم أتينا على ايلغين ، وهي بلدة عظيمة ، وبها جامع لا نظير له في تلك الجادة ، بني باسم السلطان مراد سنة أربع وثمانين وتسعمائة ، وعليه أوقاف وصدقات ، ولها برد كأنه ضرب المسامير ، لكثرة الثلج والهواء البارد في شمس الحمل^(١) ، وفيها حمام للرجال وحمام للنساء ، وماؤه حار لا يصنع البشر ، وفيها أبنية محكمة عالية تدلّ على عِظَم بانيتها .

ثم أتينا على لادك ، وهي خيف لطيف .

ثم إننا قدمنا قونية ، فترلنا بجوار الملاخنكار صاحب المثوي ، وأقمنا بها ثلاثة أيّام ، كأنها ساعة من منام ، لما فيها من الخيرات وصفاء خاطر ، وهي بلدة عظيمة مسورة بسور يعرب عن قوّة بانيه حتّى السيوطي أنّ مروان آخر ملوك بني أمية افتتحها سنة ست ومائة ، وهي كثرة الأشجار ، غزيرة الأنهار ، محفوفة بالأزهار ، أهويتها كأنها تهبّ بنسمات الأسحار ، رأيت بها خمسين حانوتاً تصنع بها الحلوى الملوّنة ، ولا يبقى آخر النهار منها شيء ، وهي منتصف الطريق إلى حلب ، وللملّا في ضحوة الخميس والاثنين وبعد صلاة الجمعة ، حضرة بالدقوف والقصب ، تأخذ بمجامع القلوب الخليّة ، فيتواجدون عليها :

قال :

ومن يك وجده وجداً صحيحاً فلم يحتج إلى طرب المغني
له من وجده طرب بديع وسكر دائم من غير دن^(٢)

(١) أي عندما تكون الشمس في برج الحمل ، وذلك في الربيع .

(٢) الدن - وجمعه دنان - الزق الكبير ، ويكون غالباً من الفخار . وما أشار اليه الشاعر هو الصحيح ، فإن الاغراض الشريفة لا يتوصل اليها بالوسائل السخيفة ، والخلال الكريمة لاتتفق والاعمال الدميمة ، والخسيس لا يؤدي الى النفيس .

والرقص في الذكر اجمع فقهاء الإسلام من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة والصوفية على تحريمه ، والجهال المتأخرون يترأ منهم الصوفية المتقدمون . فإن رافق الحضرة ضرب الدقوف والزمر نخشي على مستحل ذلك الكفر :

وقال غيره ، ولا يزالون مختلفين :

ولا المثاني ، ولا الأصوات تعجني
فكل معنى بديع من محاسنه
وكل ناطقة في الكون تطربني

ثم سرنا نقطع تلك القفار ، ونجوب هاتيك الحرار ، حتى أتينا على أسمل ، وهي قرية لطيفة .

ثم أتينا على قرابيار ، ومعناه العين السوداء ، وهي قرية مخضرة الأكناف ، وفيها خان وجامع فيه مياه يردُّها المسافرون ، وفي جنوب القرية بالقرب من الأكام ، قلب ماوه سائغ ، ترده أهل القرية إذا قصر ماء الجامع .

ثم لم نزل نسير في واد فسيح الرحاب ، حتى أتينا على أركلي ، وهي بلدة عامرة ، وبساتينها زاهية زاهرة ، وبها نهر لطيف يطوف بأكنافها ، وهي من بناء هرقلينوس ، يقال إنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يدعو إلى الإسلام ، فقال بلدي قليلة الماء وأريد أن يجري فيها نهر ، فقال خذ آية من كتاب الله تعالى وأكتبها في ورقة وضعها في أي موضع شئت ينبع فيه الماء ويعم بلدك ، فحكى ذلك لبطارقه فوعده بالإسلام إن صح ذلك ، فكتب آية من كتاب الله تعالى ، وأتى إلى شعب يابس عندهم ،

← ومن يستحل الرقص قالوا بكفره ولا سيما بالدف يلهو ويزمر

وذكر الله عز وجل أشرف وأكرم من ان ينحط به الى هذه الترهات .

وقد نقل القرطبي عن الإمام الطرسوسي انه سئل عن قوم في مكان يقرأون شيئاً من القرآن ، ثم ينشد لهم منشد شيئاً من الشعر فيرقصون ويضطربون ويضربون بالدف والشبابة ، هل الحضور معهم حلال او لا ؟ فأجاب : مذهب السادة الصوفية أن هذا بطلالة وضلال . وما الإسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار ، فأثوا رقصون حوله ويتواجدون ، وهو - اي الرقص - دين الكفار وعباد العجل وإنما كان مجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار ، فينبغي للسلطان ونوابه ان ينعمهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يجل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم . هذا مذهب مالك والشافعي وابي حنيفة واحمد وغيرهم من أئمة المسلمين . ٥١ . كلام هذا الإمام ، فتأمل واحفظه فإنه الحق وغيره باطل غايته القطيعة والآثام .

وفي حاشية ابن عابدين « ٥ - ٢٣٠ » : . . . وفي الملتقى : وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كره رفع الصوت عند قراءة القرآن والجنائز والرحف والتذكير ، فاذا ظنك به عند الغناء الذي يسمونه وجداً ومحبة ، فإنه مكروه لاصل له في الدين . قال الشارح زاد في « الجوهرة » : وما يفعله متصوفة زماننا حرام لا يجوز القصد والجلوس اليه ، ومن قبلهم لم يفعل ذلك .

ووضعه في شق صخرة ، فنبع الماء وعم جميع بلده ، فأمن هو وأهل دولته (١) وجعل جميع ما يصل إليه هذا الماء ، وقفاً على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهي إلى الآن يضبط ما فيها لجهة المدينة المنورة ، فيها دور كثيرة ، وحوها نحو ألف وخمسمائة بيت ، وقرى وضياع وبساتين ، وجامع وقاضي .

ثم أتينا على خان محمد باشا ، وهو بناء محكم ، وعنده قرية لطيفة ، وقبله عقبة ينزلها الراكب كرامة للسلطان مراد ، زعموا أنه نزل عندها ومشى على قدميه ، ولعل ذلك شفقة على الدواب .

ثم سرنا بين رياض وازهار ، وحياض وأنهار ، حتى أتينا على العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فيا لها من عقبة نالنا منها أليم العقاب ، ومسننا من بردها أحر العذاب .

ثم أتينا على جفته خان ، ومعنى جفته زوج ، وذلك لأن هنالك خانين متقابلين .

ثم أتينا على خان بيري باشا ، فسرنا على أطراف تلك الجبال ، لغزارة تلك الأنهار ، ثم أخرج الأمر إلى خوضها فدخلناها ، وكنا نخوض مع الخائضين (٢) ، وهي أربعون مخاضة ، وكلها من نهر واحد يدور في تلك الشعاب .

ثم أتينا على جاووش خان ، وهو بين رياض تتعقب ، وحياض تندفق .

ثم أتينا على واد مخضل ، فيه نهر غزير ، يقال له شاقط .

ثم أتينا على أدنه ، وشاهدنا رياضها الحسنة .

دخلتها وشعاع الشمس متقد وحرها في الحشا تذكو هواجره (٣)

(١) وقد علق الشيخ محمد نصيف بأن هذه الحكايات المكتوبة هي دليل محترفي الحجب والتهايم .

(٢) سبق ان ذكرنا تحذير العلماء من استعمال القرآن في غير ما انزل له ، وكيف انه اذا كان ذلك في معرض المزاح والتهريج والاضحاك فإن كثيراً من العلماء حكم بكفره ، بل لقد حكموا بذلك على من اجتمع عنده اصحابه فقال مازحاً : وجمناهم جمعا .

وقد ادى اهمال هذا بالمؤلف الى ان اقر - كما ترى - بما يقر به اهل الجحيم ، وقانا الله منها ، (ماسلككم في سقر؟ قالوا : لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين ..) .

(٣) مخضل : مندى مبتل .

والحشا - وجمعه احشاء - : مافي البطن .

وتزكو : يشتد حرها .

وهواجر جمع هاجرة ، وهي شدة الحر .

وصرف الزمان : نواتبه وحدثانه .

ودارت دوائره اي وقعت نواتبه ودواهييه .

في موكب من عيون لو رميت بها صرف الزمان لما دارت دوائره

وهي بلدة حسنة الترتيب ، بدیعة الوضع العجيب ، عمارتها عثمانية ، وقلعتها سليمانیة ، وبها عمارة الأمير خليل بن رمضان باشا ، من الطوائف أيام الجراكسة من بيت السلطنة ، وكانوا تارة يطيعون صاحب مصر ، وتارة يطيعون صاحب الروم ، وفيها الجوامع والمدارس ، وعلى نهرها جسر يشتمل على خمس عشرة عقدا ، وعليه دولاب عجيب الوضع ، يقال لهذا النهر سايح ، وربما قيل سيحون ، ولعله شبيه به ، قال ابن خلیكان : سَيَحُونُ بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحت ، وهو وراء جيحون ، فيما وراء بلاد الترك ، وبينهما مسافة خمسة عشر يوما ، وهذان النهران ، مع عظمتها وسعة عرضهما ، يجمدان في زمن الشتاء ، وتعتبر القوافل عليهما بدوابها وأثقالها ، ويبقيان كذلك ثلاثة أشهر ، انتهى من «وفيات الاعيان» من ترجمة أبي طالب محمد أول ملوك السلجوقية .

وعلى ذكر الدولاب :

أبدى لنا الدولاب قولاً معجباً لما رأنا قادمين إليه :
أبكي وأشكو ما لقيتُ من الهوى قلبي معي وأنا أدور عليه !

وقال الذهبي :

وروضة دولابها إلى الغصون قد شكى
من حين ضاع نشرها دار عليه وبكى

ورأيت بها عنباً أحمر شديد الحمرة في كبر البيض ، وبها من أنواع الفواكه شيء كثير ، وأهلها يرحلون منها أيام الصيف إلى الايلة ، إلا العاجز الذي حبسه عجزه .

أقمت بها يوماً تقضى كأنه خيال غزال زار وهم حبيبه
ويوماً حكى طيب الوصال وثالثا تقاضت به الأرواح نفحة طيبه

ثم برزت منها ورحلت عنها ، والقلب يتأسف عليها ، والنظر يتشوف إليها ، حتى أتينا على نهر عظيم يقال له جايج ، وعليه جسر عظيم ، ويقال إنه يتصل

بجحون ، النهر العظيم الفاصل بين خوارزم وبلاد خراسان وبين بخارى
وسمرقند ، وكل ما كان من تلك الناحية فهو ما وراء النهر .

ثم أتينا على قرط كلال ، في ليلة النصف من شعبان ، وفي مثل هذه الليلة
يستدبر الإنسان القمر ، ويكشف رأسه ، وينظر إلى ظلّ عنقه في ضوء القمر ،
فإن وجده مخلصاً فإنه لا يموت في ذلك العام ، وإن كان لاصقاً بين جنبه فإنه
يموت فيه ، ومثل ذلك ما يفعل وقت شروق الشمس عند حلولها برج الحمل ،
ونحو ما يروى أنّ من رأى السُّها ليلة المحرم بين العشاءين ، لم يمّت في عامه ،
والسُّها ثابت في الخامس والسادس على العناق ، وهو الثاني من البنات ، ومن علامته
أنّه لا يثبت عليه البصر . كذا في «برهان البراهمة» وعلى ذكر السها :

وحملت أعباء الغرام وثقله فردا وحاربت الزمان وحيدا

ورعيت أنجمه فأكسبت السها سقمي واكسب جفني التسهيدا

وقال :

يا شملا هبّ من أكناف من وكلّ الطرف بأن يرعى السُّها

خبيري هل حبيبي ذاكر لي أم عما ألقىه سها

وقال :

تالله ما فارقت أرضاً لكم إلا ورافقت السها والسهاد

ولا توجهت إلى نحوها إلا وواجهت الرشا والرشاد

وقرط كلال هذا ، واد فيه خانات متعدده ، وأرضه معشبة جيده ،
وماؤها معين ، ولها بادية تأتي إلى الركب بما يحتاج إليه .

ثم أتينا على ياباس ، فلم نزل نسير في أوعار وأحجار وأنهار ، حتى أشرفنا
على بساتينها التي طابت بالانفاس ، وشاهدنا محاسنها القائل لسان التصديق في جواب
الإستفهام عنها لا باس :

لله كم نزهة يا صاح قد جمعت في روضة أزهرت تدعى ياباس

وكم بديع سبت عقلي شمائله ورحت من فرحي بالوهم في ياس

وهي بلدة على ساحل البحر الشامي .

ثم توجهنا فمررنا بقرية لطيفة يقال لها اسكندرونة ، وهي آخر ساحل مررنا به في تلك الجادة .

ثم أتينا على جبال ومحاجر إلى بيلان وهي بلدة على رأس جبل ، كثيرة الماء والخيرات ، ثم أتينا على المفرق الذي منه طريق إلى حلب وطريق إلى انطاكية وكانت مرحلة مشطة^(١) .

فائدة : المراحل الرومية مقدره المسير بالساعات ، ورأيت في ذلك مؤلفاً عند الامير محمود آغا أمين صرة الحرمين ، والمراحل الشامية مسافتها مقدره بالبرد^(٢) . والمصرية بالدرج .

ثم نزلنا على العين البيضاء ، وهي قرية أهلها رعاة ، وماؤها ينبع من بين الصخور ، ولا تكاد تسلك أيام الامطار ، وهي مخضرة الاكناف .

ثم أتينا على جبل الغاوي ، وهو صعب المسلك ، ومساحته ثلاثة أميال ، ومن أعلاه ترى حلب ، فلم نزل نقطعه ، وحوافر البغال تكاد تتقطع ، وأظافر الرجال تكاد تتقطع ، حتى أتينا على واد فيه مزارع وآبار ، وفي غربيه من منتهى جبل الغاوي صهاريج متعددة منحوتة ، وفي شرقيه بناء قديم يقال له قبر الأربعين ، فلم نزل نسير في محاجر وأوعار ، حتى أتينا على قرية التين ، وقد أبادتها الليالي ، ثم على انجاره ، وهي عين جارية في بطن الوادي .

ثم قدمنا حلب المحروسة ، وانتشقتنا عبقة بساتينها البهية المأنوسة ، وحمدنا الله تعالى على الخلاص من تلك الطريق التي هي غير قويمه ، وفراق هاتيك المنازل التي هي كما يقال خداج عقيمه ، فأول مسرة قررت بها العين ، وسر بها الجنان ، دخولنا إلى فردوسها من باب الجنان :

(١) لم ندر ما مشطة هذه ، ولعلها مشقة .

(٢) البرد جمع بريد ، وانظر ابيات ابن الحاجب المالكي في صفحة ١٨٧ ، وقوم قوله قبيل الابيات :

«والبريد مقدر بألف باع» فاجعل الميل بدل البريد ، كما هو واضح ، ولعلك فعلت .

عليك بصهوة الشهباء تكفي بجَوْشَنها محاربة الزمان^(١)
فللغرفات في الفردوس طيب يفوح شذاه من باب الجنان
فنزّلنا من تلك الأحياء ، بوجوه زانها الحياء ، وقد جادت السماء بوابلها ،
وفاضت بطلّها وهاطلّها ، فيا لها من^(٢) بلدة كما تصفها الألسن ، فيها ما تشتهيهِ
الأنفس وتلدّ الأعين .

فسقا ديارك غير مفسدها صوب الغمام وديمة تهمي
ولما حللت حماها ، صانها الله وحماها ، شكرت أيادي النوى ، وجريت
طلقاً مع الهوى ، لولا ما يطرق القلب بأشجانها ، من تذكّار الوطن وسكّانه .
فلو أتني في جنّة الخلد بعدها ذكرت ولا أنسى لذّاتها أنسا
فنزلت بالقرب من باب الفرج ، وانتشقت طيب ذلك الأراج ، وأقمت وأنا
لا أشتهي الرحيل ، وإن كان ذلك طمعاً في مستحيل :

دخلنا على أنّ المقام ثلاثة فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرا
فائدة : حلب هذه ، المدينة الشهباء ، وهي من أوسع البلاد قطراً ، وأنجعتها
قطرا ، كثيرة الخيرات ، طيبة الهواء ، صحيحة التربة ، لها سور حصين ، وقلعة
بديعة المثال ، منيعة المنال .

ذكر الياضي في «تاريخه» في حوادث سنة ٥٨٣ ما ملخصه ، أنّه لما فتح صلاح

(١) الخداج : النقصان في الشيء . وصهوة الفرس : مقعد الفارس منه . والشهباء هي حلب .
والجوشن : الدرع وكذلك هو الصدر ، وليس المقصود هنا هذا ولا ذلك ، بل جبل مطل على حلب ، في
غربها ، في سفحه مقابر للشعبة . ومن هذا الجبل كان يحمل النحاس الاحمر ، وهو معدنه . وقد أكثر شعراء
حلب من ذكر هذا الجبل جداً .

(٢) كانت «في» بدل «من» وتلاحظ انه تحريف وتصحيف .

وزانها الحياء : حسنها وزينها .

وسبق ان الطل : هو المطر الضعيف ، والوايل : المطر الشديد ، والهاتل : المطر المتتابع العظيم القطر .

وصوب الغمام : انصباب المطر منه . والديمة — جمع ديم وديوم — مطر دائم في سكون بلا رعد

ولا برق . وتهمي : تسيل لا يشيها شيء .

الدين مدينة حلب ، أنشده القاضي يحيى شرف الدين أبو المعالي بن الحسن علي^(١) محمد القرشي العثماني الأموي ، قصيدة أجاد فيها كل الإجادة ، وكان من جملتها هذا البيت :

وفتحك القطعة الشهباء في صفر مبشّر بفتوح القدس في رجب

فكان ما قال ، فتحت لثلاث بقين من رجب سنة ٥٨٣ ، فقيل له من أين لك هذا ؟ فقال : أخذته من تفسير ابن مرجانة في قوله تعالى (الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) والمنقول عن ابن مرجانة أنه ذكر حسابا طويلا وطريقا في استخراج ذلك من قوله (بضع سنين) انتهى المنقول من التاريخ .

قال الزجّاجي : وكان الخليل عليه السلام يحلب غنمه بها ويتصدق بثلثه ، فيقول الفقراء على سبيل الاستفهام : حلب ؟ فسميت بذلك . وقيل : كانت له ناقة شهباء وكان يفعل بها كذلك .

أرتك يدُ الخير آثارها وأخرجت الأرض أثقالها
وما منعت جارها بلدةً كما منعت حلب جارها
هي الخلد تجمع ما يشتهي فزرها فطوبى لمن زارها
وقال :

حلب الشهباء قالت سائر المدن عبيدي
وأنا بختي ورختي بين سعد وسعيد

وقال :

غدت حلب تقول دمشق حُفّت بأنواع من الورد العجيب

(١) هكذا ، ولعلها : .. أبو المعالي بن الحسن بن محمد القرشي .. والبيت الذي أورده عقب ذلك : وفتحك القطعة الشهباء .. يبدو وكأنه أصابه تحريف ، وربما كان : وفتحك القلعة الشهباء . والملك المؤيد ينسب القصيدة لمحي الدين بن الزكي قاضي دمشق ، ويورد البيت : وفتحك حلباً بالسيف في صفر .

والمراجع الموثوق في هذا ابن خلكان الذي فصل كل هذا في الجزء الاخير ، في : «صلاح الدين يوسف» .

فبالجوريّ إن هي كاثرتني فنعت أنا ببستان النقيب

رأيت بها الأبيض اليقق ، والأسود الحالك ، والاصفر الفاقع ، ورأيت بها أنواعاً من الأزهار العطرة ، وأما المأكول فهو فيها على ضروب مختلفة ، وأما قلعته فهي من عجائب القيلاع في حسن الاوضاع . قال القزويني : ولها نهر تيار يأتيها من جهة الشمال يقال له قويق بالتصغير ، فيخترق أرضها ، ولها قناة مباركة تخترق شوارعها ودورها وحماماتها ، وماؤها عذب فرات ، ولها القلعة الراسخة ، يقال إن في أساسها ثمانية آلاف عمود ، وهي ظاهرة الرؤوس بسفحها ، وأبنائها أهل السماحة والجود .

حكّي أنّ شخصاً كان بها ، يقال له طاهر بن محمد الهاشمي ، مات أبوه وخلف مالا كثيراً ، فأنفقه على الشعراء والزوّار ، فقصده البحريّ وقد أعدم ، فلما قدم إل حلب ، قيل إنّه قعد في بيته لديون ركبته ، فاغتم لذلك وبعث المدحة اليه مع بعض مواليه ، فلماً وصلته بكى ، وأمر غلامه أن يبيع داره ، فقال له : تبيعها وتبقى على رؤوس الناس ؟ فقال : لا بدّ من ذلك ، فباعها بثلاثمائة دينار ، وكتب معها :

لو يكون الحياء حسب الذي أزد
لحثيتُ اللجّين والدرّ واليا
والأديب الأريب يسمح بالعد
ر إذا قصر الصديق المقلّ

فلما وصلت إلى البحري ردّ الدنانير وكتب معها :

بأبي أنت ، أنت للبرّ أهل
والنوال القليل يكثر إن شا
غير أنّي رددت برّك إذ كا
وإذا ما جزيت شعراً بشعر

فلماً عادت الدنانير اليه ، ضمّ إليها خمسين أخرى وحلف أنه لا يردّها عليه ، فلما وصلت إلى البحري أنشأ يقول :

شكرتك إنّ الشكر للعبد نعمة
ومن يشكر المعروف فالله زائده

لكلّ زمان واحد يقتدي به وهذا زمان أنت لا شكّ واحده

انتهى من «النوادر المأنوسة في أخبار حلب المحروسة» .

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل
ومنها ما يحكى أنّ شاعراً قصد الجواد الأفضل ، وكانت له أيام يحْتَجِب
فيها ، فصادف أيام الإحتجاب ، فكتب في رقعة :

ماذا أقول إذا رجعت وقيل لي ماذا رأيت من الجواد الأفضل
إن قلت أعطاني كذبت وإن أقلّ بخل الجواد بماله لم يجمُل
فاختر لنفسك ما أقول فإنّني لا بدّ أخبرهم وإن لم أسأل

ثم طوى الرقعة وجعلها في قصبه وختمها بشمع وأرسلها في قناة تسير بين يدي
الجواد ، فلما وصلت إليه ونظر فيها أمر له بيدرة مال ، وكتب معها هذه الأبيات :

عاجلتنا فأتاك عاجل برّنا قلاً ولو أمهلتنا لم نُقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تسأل ونكون نحن كأننا لم نسأل

فلما خرج الخازن ودفع إليه المال قال الشاعر :

يا أيّها المولى الذي أضحي وليس له نظير
لو كان مثلك آخر ما كان في الدنيا فقير

ويُحكى أنّ رجلاً قصد سيف الدولة ، وقد عمّ القحط ، واشتدّت الأزمة ،
وقلّ المسعّد ، واستوى المقلّ والمكثّر ، والغنيّ والمعسر ، فكتب إليه رقعة ،
وكان له إلى الفضل ميل ، وله على أهله أياد طويلة الذيل ، وهذه صورة الكتابة : لقد
عرضت فاقة أسقطت رداء الحياء عن منكب الحرّية ، وأنطقت لسان التعفّف على
خلاف العادة بالمسألة ، وأحوجت أهل الصيانة إلى تحمّل ذلك الإبتدال ، وقد وقع
في النفس ، أنّ في رأفة مولانا وبرّه ما يكشف ضرّاً ، ويستوجب على الأبد حمداً
وشكراً

فامننّ بما يغني ويشمر دائماً حمداً يدوم على مدى الأيام
فلما وقف على ذلك وقع منه بموقع ، فأرسل على يد غلام ما دفع الحاجة ،
فكتب على يد الغلام :

شكرتْكَ عَنِّي كلَّ قافية تختال بين المدح والغزل
فلقد ملأتَ بما مننتَ به كفتَ الرجاءَ ومنتَهى الأمل
فلما وقف على ذلك طرب له وقال : هذا الرجل أهل للإحسان إليه ، فاستدعاه
وأغدق عليه بلطائف برّه .

وهكذا المجد إن صحت قواعده ليس التكلُّح في العينين كالكلحل
أقول : خَفَضُ عليك ، فلو أتيت بألف مجلِّد ، فيها أخبار مائة ألف جواد ،
لم تجد من يجود عليك بسمع قصة من تلك القصص ، إلا على توهم أنه أخف ،
فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين . وما أعجب ما قال :

لا تمدحنَّ ابن عباد وإن هطات
فإنَّها خطَّرات من وسَّوسه
كفَّاه بالجوْد حتى أخرجل الديما
يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما
ومن محاسن الشهاب الحلبي :

شوقي شديد إلى لقياك يا حلبُ
فلاعج الشوق قد أودى تضرمه
إن كان منك محبّ قد نأى فله
يا بلدة ألبستي بالبها حللا
حيّاك هاطل مزن جاد وابله
ولا عداك من الخيرات وافرها
ولي لديك أخلاء وإن هجروا
أفديهم أسرة عال مقامهم
بيض الوجوه كرام ما لفخرهم
من نازح شقّه في بعده النصب
وهذه المهلكات الوجد والوصب
قلب لديك لما قد ناله نحب
من الفخار سقا أرجاءك السحب
واعشوشب الروض واخضرت بك القضب
فربّع واديك رحب يانع خصب
فشخصهم في سويدا القلب منتصب^(١)
قد زانهم في الورى الافضال والحسب
حدّ وشأنهم الإكرام والأدب
فأقمت في ربعها المنيع ، وجنينا من ينيعها المريع ، في رياض تسلسلت جداول
مياهاها ، وقصور تزين الأفق بنجوم سمائها ، مع إخوان الصفا ، وخلان الوفا .

(١) النازح : البعيد . وشفه : اوهنه . واللاعج وجمعه لواعج : الهوى المحرق . وتضرمه : اشتغاله . والوجد : الحب الشديد . والوصب : المرض والوجع الدائم ونحول الجسم والتعب . والنحب : الباكي بصوت . والمزن : السحاب . واليانع : الذي ادرك وطاب وحن قطافه . وسويداء القلب : حبه

هكذا أقطع الزمان سرورا
وجناني يقول عنه لساني
أين من رتبتي الملوك وأتسي
لو على وصله وجدت اقتدارا
لو دنا الحيّ أو وصلت الديارا
أين اسكندر الزمان ودارا^(١)

ولما كان آخر شعبان المكرّم ، رحلنا ، فأتينا على سراقب ، وهي ضيعة لطيفة ،
فيها خان وبها أبنية محكمة العمارة ، ومساجد وحمامات ، ثم أتينا على خان مرعى ،
وهو بنيان عظيم ، وحوله زراعات ، وضيعة لطيفة .

ثم أتينا على المعرّة ، وهي بلدة كثيرة الثين والزيتون ، وإليها ينسب أبو العلاء
أحمد بن سليمان المعري ، صاحب التصانيف المشهورة ، والتأليف المذكورة ،
يقال إنّه كان ينتحل مذهب البراهمة ، ولا يرى إتلاف الحيوان ، ولد سنة
ست وثلاثين وثلاثمائة ، بمعرّة النعمان ، وجدّ في السنة الثالثة فعمي ، قرأ الفنون ،
ونظم وله إحدى عشرة سنة ، وكان في غاية الذكاء ، وأعجوبة في الحفظ ، عاش
ستا وثمانين سنة ، وأنشد على قبره ست وثمانون مرثية ، من أجلكها مرثية الشريف
الرّضويّ التي منها :

إن كنت لم تُرِقِ الدماء زهّادة فلقد أرقتَ اليوم من جفني دما^(٢)

والناس يفاضلون بينه وبين ابن سيده ، ويقولون : أعميان إمامان حافظان ،
أحدهما بالشرق والآخر بالمغرب . وله ديوان سمّاه سقط الزند ، شرحه كثير
من العلماء ، منهم صدر الأفاضل ، وله من نظم لزوم ما لا يلزم خمسة أجزاء ،
وله شعر نُسب به إلى الإلحاد ، وقيل : موضوع عليه منه ، والله الهادي :

(١) كذا في الاصل . ولعلها : « ابن » وقد يكون : اني لهم هذه الرتبة ، وابن منها اسكندر ودارا؟

(٢) اما قوله ان المعري ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فخطأ أو تحريف أو تصحيف ، فولادة المعري
كانت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة — وقيل ست وستين وثلاثمائة — واصاب انه عاش ستا وثمانين سنة ،
فقد توفي سنة تسع واربعين واربعمئة . لكن العجب في دعواه ان الشريف الرضي — الذي سبق ان ذكرنا
انه توفي سنة ست واربعمئة — قد رثاه ، وقد مات قبله بثلاث واربعين سنة . والذي رثاه بهذه القصيدة
انما هو علي بن همام . والمعري وابن سيده كانا في عصر واحد ، فقد توفي ابن سيده سنة ثمان وخمسين
واربعمئة عن نحو ستين سنة . وابن سيده هو الحافظ ابو الحسن علي بن اسمعيل المرسي — نسبة الى مرسية
من بلاد الاندلس ، وفق الله المسلمين للجهاد حتى يعيدوها وبقيّة بلاد المسلمين للإسلام — توفي بدائية — شرقي
الاندلس — كان اماماً في اللغة ، صنف فيها « المحكم » المشهور و« المخصص » ، وله غيرها عدة مصنفات .

عقول تستخفّ بها السطور ولا يدري الفتى لمن الشبور
كتاب محمد وكتاب موسى وإنجيل ابن مريم والزبور

ويمكن أن يكون المراد ، الذين يتبعون ما تشابه منه ، كما أخذ على أبي طالب
المكّي حيث قال : ليس على المخلوق أضرّ من الخالق ، من لم يفهم المراد ، فإنّ
الله تعالى هو النافع الضارّ ، والإحتمالات كثيرة ، والصحيح أن المراد لا يدفع
الإيراد ، وعليه جاء «من فسّر القرآن الكريم برأيه فقد كفر»^(١) ومنه :

راح من راح والثريّا الثريّا والسّمَاك السّمَاك والنسرُ نسرٌ^(٢)
ونجوم السماء تعجب منّا كيف تبقى من بعدنا وتمرّ

وهذا كما تراه ، ليس نصّاً في عدم فناء النجوم ، بل تأخرها عنّا ، ولا خلاف
فيه ، غير أنّ النفوس لا تختار التقدم عليها إلاّ في الفناء ، ولا تحبّ تأخيرها إلا في
البقاء ، وقيل إنّه تاب في آخر عمره ، وحسن اعتقاده ، كما قيل في الزمخشري .
ونسب إليه القرطبي هذه الأبيات في «تذكرته» :

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها والمخّ في تلك العظام النحلّ
أغفر لعبد تاب من فرّطاته ما كان منه في الزمان الأوّل^(٣)

(١) الحديث ضعيف . وكلام أبي طالب ان وجد له ما يؤوّل به فإن الادب مع الله جل وعلا يلزم
المسلم بغير هذه الالفاظ . ولنا ظاهر الكلام . (ز)

(٢) ابيات جميلة ، حملها على ما حملها عليه البعض تنطع وتحامل . والثريا : مجموعة من النجوم
المتلألئة المتقاربة كالمنفود ، يميز صحيح البصر فيها ستة نجوم او سبعة . وبالنظارات ستة وثلاثين
وبالمرصد الكبيرة نحو ستة آلاف ، وبالتصوير الفلكي ما لا يعد . اما السماك ، فن نجوم السماء الشديدة اللعنان ،
وهما سماكان كما سبق ان ذكرنا ، السماك الراح والسماك الاعزل . وكذلك فن النجوم المشهورة المتألقة :
النسر الواقع ، وزميلة النسر الطائر . وكل هذه النجوم ، وملايين الملايين غيرها ، تدور — بحركة
ظاهرية — حول نجم القطب ، راس بنات نعش الصغرى .

(٣) البهيم : الاسود الذي لاصوه فيه . والأليل : الطويل الشديد السواد . والنياط : التعليق —
ناط ينوط نوطاً ونياطاً — والنوط : الشيء المعلق وجمعه انواط ونياط . والمخ — وتسميه العامة النخاع
— : نقي العظم ولبه . والنحل : النحلة اي الرقيقة الهزيلة .

وقد لاحظ الاخ زهير الشاويش ان للأبيات رواية اخرى ، صدر البيت الثاني فيها : ويرى نياط
عروقها .. وصدر البيت الثالث : امن علي بتوبة تمحوها .

وحكى المقرئ في «تذكرته» أنها للزمخشري . ولما دفن وجد مكتوب على قبره :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة
لطفة صاغها الباري من النُطْفِ
عزّت فلم تعرف الأيام قيمتها
فردّها غيرة منه إلى الصّدْفِ
وأمر أن يكتب على قبره :

هذا جناه أبي عليّ
يَ وما جنيتُ على أحد

ومن كلامه :

أبا العلاء بنَ سليمانا
لو عاينت عينك هذا الوري
عماك قد أولاك إحسانا
لم يلتقَ إنسانُك إنسانا
وله :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة
تخطّمنا الأيام حتّى كأننا
وحقّ لسكان البسيطة أن يبكوا
زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

وله :

من كان يطلب من أيّامه عجا
الناس كالناس والأيام واحدة
فلي ثمانون عاما لا أرى عجا
والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

ومن نصائحه :

إذا بلغ الوليد لديك عشرا
فإن خالفتني ونبذت نصحي
فلا يدخلْ على الحرم الوليد
فأنت وإن أفدت غنيّ بليد

ثم إنا قوَّضنا خيام المقيّل ، وأخذنا في الرحيل ، فأتينا على خان الشيخون ،
وهو في وادٍ مُخضَّل ، وحواله ضيعتان بعيدتان منه .

ثم أشرفنا على بساين حماة المورقة ، ومحاسنها المونقة ، وهي مدينة قديمة من
عهد سليمان عليه السلام ، وجامعها كنيسة بالسوق الأعلى ، جدّد في خلافة
المهديّ ، وكان فيه لوح من الرخام مكتوب فيه أنّه جدّد من خراج حمص ،
وكانت من أعمال حلب ، وكانت حمص كرسيّ هذه البلاد . ومن غرائب أخبار
حماة أن الزكي بن عبد الرحمن لما اجتمع بالملك المظفر قبل أن يلي حماة أنشده :

متى أراك ومن تهوى وأنت كما تهوى على رغمهم روحين في بدن
هناك أنشد والآمال حاضرة هنتيت بالملك والأحباب والوطن^(١)
فوعده أنه إذا ملك حماه يعطيه ألف دينار ، فلما ملكها أنشده :
مولاي هذا الملك قد نلته برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئتة وذا أوان الموعد الصادق
فدفع له الألف ، وأقام معه ، ولزمته أسفار فأنفق فيها ذلك المال ، ولم يحصل
بيده زيادة على ذلك ، فقال :

ذاك الذي أعطوه لي جملة قد استردوه قليلا قليلا
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا وحسبنا الله ونعم الوكيل
فبلغ ذلك المظفر ، فأخرجه من دار كان أنزله فيها ، فقال في ذلك :

أخرجني من كسر بيت مهدم ولي فيك من حسن الثناء بيوت
فإن عشت لا أعدم مكانا يضمّتي وإن مت تدري ذكر من سيموت

فحبسه المظفر ، فقال : ما ذنبي ؟ قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وأمر بخنقه ،
فلما أحسّ بذلك قال :

أعطيتني الألف لإجلالا وتكرمة يا ليت شعري أم أعطيتني ديتي ؟

(١) يذكر ذلك الملك المؤيد - حفيد الملك المظفر المذكور - فيقول : .. وكان يصحبه - أي الملك المظفر محمود - وهو بمصر رجل من أهلها يقال له الزكي القومسي ، فاتفق وهما بمصر وقد جرى ذكر ملك الملك المظفر حماة وزواجه بنت خاله الملك الكامل - وهو ابن أخي صلاح الدين الأيوبي ، لأن الكامل ابن العادل - فأنشده الزكي القومسي :

متى أراك كما أهوى وانت ومن تهوى كأنكما روحان في بدن
هناك أنشد والأقدار مصغية هنتيت بالملك والأحباب والوطن

والقصة المذكورة أيضاً في فوات الوفيات ، ولا أذكر على أي الوجهين ذكر البيتين .

والملك المظفر هو تقي الدين محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب - وشاهنشاه هو أخو صلاح الدين - ولد سنة تسع وتسعين وخمسة ، وتوفي ثامن جمادى الأولى سنة إثنين وأربعين وستمئة بعد أن بقي في ملك حماة خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام . وكان شهياً شجاعاً فطيناً ذكياً يجب أهل الفضائل والعلوم .

فكان حاله كحال من قال :

و كنت كالتمني أن يرى فلَقَا من الصباح فلَمَّا أن رآه عَمِي

ولله درّ من قال :

ربّما يرجو الفتي نفع فتى خوفه أوّلى به من أمله
رُبّ من ترجو به دفع الأذى سوف يأتيك الأذى من قبله

ولحماة النهر العاصي ، قال في « الخريدة » : وهو نهر حماة وحمص ، مخرجه من قدس ، ومصبة البحر بأرض السُويديّة من أنطاكية ، وسُمّي العاصي لأنّ أكثر الأنهار تتوجّه إلى الجنوب وهذا يتوجّه نحو الشمال ، انتهى . وهذا التعليل إنّما يتم لو كان المتوجّه نحو الشمال هو وحده دون غيره من الأنهار ، فتأمل^(١) . وفيه الناعورة التي يضرب بها المثل ، وقد أكثر الشعراء فيها ، فمن ذلك :

ناعورة في النهر أبصرتها تشوّق الداني والقاصي
قد نبهتني للتقى والهدى لأنّها تبكي على العاصي

وقال :

نواعير في عاصي حَمَاة إذا بكت عليه دعت من عبّرتي مدمعا قاصي
وإنّي على نفسي لأجدر بالبكا إذا كانت الأخشاب تبكي على العاصي

وقال :

حماة في بهجتها جنّة فهي في الهمّ لنا جنّه
لا تياسوا من رحمة الله قد أبصرتم العاصي في الجنّه

وقال :

وناعورة قد ضاعفت بنواحيها نُواحي فاجرت مقلتي دموعها
وقد ضعفت مما تئنّ وقد غدت من الضعف والشكوى تعدّ ضلوعها

(١) تأملنا فوجدنا الملاحظة صحيحة ، لأن المقصود لانهار الأرض كلها وانما انهار تلك الناحية ، وكلها كدجلة والفرات والاردن والليطاني إنما تجري الى الجنوب . أما ان كان يشير الى السواقي فجبلي يحول دون احاطتي بها .

وقال :

هذا قياس باطل وحياتكم
شتان بين عروسها وحماتكم

قاسوا حماة بجلق فأجبتهم
فعرّوس جامع جلق ما مثلها

وقال :

وعروسها بمحاسن متزايدة
ولت شبيبتها وأمست بارده

تالله إن حماة شامة شامكم
ودمشقكم بعذارها الشبي قد

وقال :

فأجبت لا والتين والزيتون
في ذاك دينكم ولي أنا ديني

قالوا تسلّى عن ثمار شطوطها
يا عاذلين على محبّتها لكم

في ناعورة لابن نباته :

واضلعها كادت تعدّ من السقم
وأما دموعي فهي تجري على جسمي

وناعورة قالت وقد حال لونها
أدور على قلبي لأنّي فقّدته

وقال :

فيجلو طباق العيش بالمدّ والقصر
ألم تنظر الأنهار من حولها تجري
عيون المّها بين الرصافة والجسر
سلبن الحشا من حيث أدري ولا أدري
أهم كآني قد ثملت من السكر
لما ظهرت هذي الخلاوة في شعري
فقلت انزأوا يا قوم في ساحل البحر
خلاقاً لمن قد قال آه على مصر
فكانت شبيه الخلال في وجنة الدهر
تمرّ بلا نفع وتحسب من عمري

يروق امتداد الجسر والقصر فوقه
وقد أصبحت تلك الجزيرة جنة
تفوق عيون الزهر بين شطوطها
وإن جزن تلك العيد بين غصونها
فيا جيرة العاصي إذا ذقت ماءكم
ولولا بقايا طعمه في مذاقتي
وكم رام ذاك البحر يشبه لفظه
فآه على وادي حماة تأسفا
فكم مرّ لي فيها حلاوة ليلة
وفي غيرها كم كنت أقضي لياليا

نكتة لطيفة : هجا بعض المعتزلة الإمام إسماعيل بن المقرئ :

يقولون كذب المرء حيض لسانه فما بال إسماعيلكم لم يزل مقرئ
أراد بقوله : « كذب المرء حيض لسانه » : كانت تقول العرب حاض فلان أي
كذب ، ويقولون لم يزل مقرئ أي حائض ، فأجاب عن نفسه بقوله :

مدحت بما تهجو فأصبحت ضحكة فما القرء عند الشافعي سوى الطهر

الغزي :

إتني أرى الجود بالدنيا إذا ملكت خيرا من الزهد فيها يا أبا الفرج
لا تعجب لمن أغناه عن أدب جهل فإن العمى أغنى عن السرج
أخفاك مكثك في أرض نشأت بها وليس يعرف قدر الدرّ في اللجج^(١)
ثم أتينا على حمص ، وهي مدينة عظيمة ، قد أحنى عليها الزمان ، وكرّ عليها
سيف حيّفه الملوان ، ولا بن حبيب فيها :

جزيرة حمص كعبة الكون أصبحت يطوف بها دان ويسعى لها قاصي
لها حلّة من نبتها سُنْدُسيّة تعلّق في أكناف أذيالها العاصي

ومما قيل فيها لابن حجر :

جزيرة حمص لم تكن قطّ كعبة يطوف بها دان ويسعى لها قاصي
ولكنّها للهو والقصف حانّة ألم تنظروها كيف جاورها العاصي
وبها الأشجار والأزهار المختلفة الألوان ، وللشعراء فيها الأقوال البديعة ،
فمن ذلك :

ومُهَفِّهف حيا المحب بوردة بيضاء قد نشقت روائح نده
فكأنّها وبها احمرار حامِل ماء الحياة على صحيفة خده^(٢)

(١) كان الاصل : منكك بدل مكثك ، والهجج بدل اللجج ، وتراعى لنا أنه تحريف ما اثبتناه فأثبتنا ما
اثبتناه . ومعنى أحنى طال وغدر وجار ، والحيف : الظلم والجور . ومران الملوان مثني ملاوهما الليل والنهار .
(٢) المهفّف : الضامر البطن الدقيق الخصر . والنّد : خشب نفيس يعطي باحتراقه رائحة طيبة ،
فيتمخربه . والمثيم هو الذي عبده الحب وذالسه . وذكرنا ان اللجين : الفضة .

قال :

شجرات ورد أحمر بعثت في قلب كلّ متيمّ طربّا
يا من رأى من قبلها شجرا سقيّ اللّجّين وأنت الذهبا

ولابن تميم :

حاذر أصابع من ظلمت فإنّها تدعو بقلب في الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه في جمر الغضا إلاّ الدعا بأصابع المثور

ثمّ أتينا على حسيّة ، وهي واد فيه قلعة ومياه غزيرة ، ثمّ أتينا على عيون التجار وميدان الخيل ، وهو محلّ العرب النّهابة . وقارة ، وهي قرية قد أشرفت على الدمار ، وكأنّها كانت فبانّت ،

ثمّ أتينا على نبك ، وهي قرية تسمّت أزهارها ، وتفاوضت أنهارها ، وأهلها لا يكادون يفقهون حديثاً . وتوصف بالبرد الشديد .

ثمّ أتينا على القطيفة وهي روضة غنّاء ، وغيّضة حسناء ، كأنّما قُطفت من فردوس الجنة ، وبها الخان الذي هو للواردين وقاية وجنّة ، وهو الخان الذي لا يرى له عدل ، ولا يدانيه في محاسنه مثل :

تخبر به الأبصار حسنا وروّنا وتمرح فيه الخلق بالأمن واليمن
وفيه تكيّة للوافدين ، وهو من بناء الوزير سنان باشا ، فلا غرو أن يقول بلسان الحال :

إنّ آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار
وفي هذه القرية ما يزيد على برد الروم ، وما ألطف ما قال :

هذي القطيفة التي لا تُشتهي عقلا ونقلا
حشيت ببرد يابس فلأجل ذاك الحشو تُقلا

ثمّ أتينا على القصير ، وقد أرسل علينا الغمام سحائب القطر ، ومسنّا من ذلك البرد ما هو أحرّ من الجمر ، ثمّ سرنا في واد طاب روح نسيمه ، فصحّ مزاج إقليمه ،

وقد تباكت امطاره ، فتضاحكت أزهاره ، في رياضٍ أريضه ، وأهويةٍ صحيحةٍ مريضه .

ثم أتينا على حرستا ، يقال إنَّها أوَّل قريةٍ يخسف بها . ثم لم نزل في رياض مشهودة ، وحياضٍ موروده ، بين مبانٍ وثيقه ، ومغانٍ أنيقه ، حتَّى أشرفنا على جنان الشام ، التي هي برداء المحاسن تتباهى ، فإذا هو هي أو هي إياها ، رياض تغتت أطيَّارها ، فتمايلت طرباً أشجارها ، رياض مخضلة الربي ، وغياض معتلة الصبا ، رياض تنوح بها الأطيَّار ، وتتباكي فيها الامطار ، رياض تميل طرباً ، وتميد عجباً :

وما الشام إلاّ في البلاد كشامة
بها مرّجة تزهو وقد فاح نشرها
بها الورد سلطان ينادي بدوحها
ولا بن عنين :

عروسة أرض الله في الشرق والغرب
وشحرورها غنتي سحريراً على القضب
هلموا قبيل الموت للأكل والشرب
وقال :

فربّ غداً يمضي المحيل إلى الترب
ولا تركوا يوم السرور إلى غد

وإنّ لَجّ واش أو ألحّ عدول
وصحّ نسيم الروض وهو عليل
عبير وأنفاس الشمال شمول
دمشق التي شوقي إليها مبرح
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق
بلاد بها الحصباء درّ وتربها
وقال :

ليهواه الغصون يجري إليها
شامخات يخرّ بين يديها
حسنهما رأيت من فعل نهر
فهو من فرط وجدته إذ يراها
وقال :

وإن كان ممن قلّ فيه نصيبي
رأيت اسمه يحكي فؤاد حبيبي
تحنّ إلى وادي دمشق جوانحي
وإنّي لأهوى قاسيون لأنّني

وقال :

بها ينجلي عن قلب ناظرها المم
وليس له منها نصيب ولا سهم

دمشق بواديها رياض نواضر
على نفسه فليبك من ضاع عمره

وقال :

حنّ قلبي إليه بالأشواق
أتمشّي هناك بالأحداق

علّاني عن الشّام بذكر
مثلته الذكري لعيني كأنتي

وقال :

ولذات النعيم لساكنيها
سوى الإكرام للغرباء فيها

دمشق في محاسنها جنان
وما فيها حماها الله عيب

وقال :

واحكّ عن الربوة ما تحكي
وزفّها بالدفّ والجنك

دمشق قلّ ما شئت في حسنها
فالطير قد غنى على عوده

وقال :

تجد من اللّذة ما يكفي
في الروض بين الجنك والدفّ

انظر إلى الربوة مستمتعا
فالطير قد غنى على عوده

وقال :

حلّف الزمان بمثله لا يغلط
والريح تكتب والسحاب ينقط

لله يوم في دمشق قطعته
الطير يقرأ والغدير صحيفة

وقال :

كلّ الجمال إلى حماه ينسب
أو جدّول أو بلبل أو ربّرب
بيد النسيم منقش ومكتّب
في الحال بين رياضه يتشعب

أشّاق في وادي دمشق معهدا
ما فيه لإاروضة أو جوسق
وكانّ ذاك النهر فيه معصم
وإذا تكسّر ماؤه أبصرتّه

والنهر يسقي والحدائق تشرب
أضحى له من بيننا متطلب
وغدا بربوتها اللسان يشبب
بسامحها كتب الغرام تبوب

والورق تشد والنسيم مشبب
وضياعها ضاع النسيم بها فكم
ولكم طربت على السماع بعودها
فمتى أزور معالما أبوابها

وقد أبدع ابن الصائغ حيث قال :

أبدا إليك بكله يتشوق
إنني وقلبي في ربوعك موثق
متسلسل يعلو عليه ويخفق
خطأً له نسج الغمام محقق
والغصن يرقص والغدير يصفق
طرباً فذا عارٍ وهذا مورق
ونسيمه عطر كمسك يعبق
وإذاك أثواب الشقيق تشقق
ويجاوب القمريّ فيه مطوق
عود حلا مرموزه والمطلق
شجوي وأين من الخليّ الموثق
فيكاد ساكن كلّ شيء ينطق
والبرق يبسم إذ به يتألق
لي نحوه حتىّ الممات تشوق
يزهو به القطر المنيف الأباق
في الأرض مثل جماله لا يخلق
أبدا لحسن بهائها أنشوق

أدمشق لا بعدت ديارك عن في
أشفاق منك منازل لم أنسها
مهما اتجهت رأيت دوحاً ماؤه
فالريح تكتب والجداول أسطر
والطير يقرأ والنسيم مردّد
ومعطف الأغصان هزتها الصبا
والورد في الألوان يجاؤ منظرا
فبلابل منها تهيج بلابلي
وهزاره يصبو إلى شحروره
وكأنّما في كل عود صادح
والورق في الأوراق يشبه شجوها
يتلو على الأغصان أخبار الهوى
يا سائرا والريح تعثر دونه
إن جئت من وادي دمشق منزلا
بالجهة الغراء والنهر الذي
ورأيت ذاك الجامع الفرد الذي
أبلغ منازلها السنيّة أنني

ما أنصح ما قال :

بلد تذلّ لها الأسود وتخضع

عرج ركابك عن دمشق فإنها

ما بين جبهتها وباب بريدتها قمر يغيب وألف بدر يطلع
ابن تميم :

رعى الله وادي النيريين فإنني قطعتُ به يوماً لذيذاً من العمر
درى أنني قد جئته منزهاً فمدتُ لثلقائي بساطاً من الزهر
وأخدمني الماء القراح فأينما ذهبت وجدت الماء في خدمتي يجري
وقال (١) :

دمشق فيها نُزّه وسفحها زاه نضـر
في كل روض يلتقي ماء الحياة والخضر
وقال :

سقى دمشق وأياماً مضت فيها من السحائب ساريها وغاديتها
ولا يزال جنين النبات ترضعه حوامل المزن في أحشا أراضيها (٢)

فوق وجه الثرى ترى الشام شامهً ولكم للغريب فيها كرامه
سكن كلّمًا تناءيت عنه حرك الوجد في الفؤاد غرامه
وفؤادي لولا زيارة طه ما لواه اللوى ولا رام رامه
جنة وهي بالملكاره حفت من أمور تقوم منها القيامة

قال ابن الوردي : دمشق من أجل إقليم الشام مكاناً ، وأحسنه بنياناً ، وأعدله
هواء ، وأعذبه ماء ، وبها الغوطة التي لم يكن على وجه الأرض مثلها ، بها أنهار
جارية مخترقة ، وعيون سارحة متدفقة ، وأشجار باسقة ، وقصور شاهقة ،
ولها ضياع كالمدن ، وبها الجامع الأموي الذي لم يكن على وجه الأرض مثله ،

(١) ليس في الأصل « وقال » وكأنها سقطت منه فوضعناها .

(٢) في الأصل « جنين » وبدا لنا ان « جنين » اصح فعدلنا اليها .

بناه الوليد بن عبد الملك^(١) ، وانفق عليه أربعمائة صندوق ، في كلِّ صندوق أربعة عشر ألف دينار ، واجتمع في ترخيمه اثنا عشر ألف مرخّم :

لله ترخيم بجامع جَلِّق متناسب التخميم والتقسيم
قد زاد تحسينا يكذب قول من قد قال إنَّ النقص في الترخيم

وقد بُنيَ بأنواع الفصوص المحكّمة ، والمرمر المصقول ، والجزع المحكوك ، يقال إنَّ العمودين اللذين تحت قبة النسر ، اشتراهما الوليد بألف وخمسمائة دينار ، وهما عمودان مجزعان بحمرة لم ير مثلهما ، ويقال إنَّ رخام الجامع كان معجوناً ، ولذلك إذا وضع على النار ذاب ، وفي المحراب عمودان صغيران ، يقال إنَّهما كانا في عرش بلقيس ، وعند منارة الجامع الشرقية حجر ، يقال إنَّه من الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام بعصاه فانبعثت منه اثنتا عشرة عينا . قال القزويني : ومن عجائب دمشق الجامع الأموي ، وقد وصفه بعضهم فقال : هو أحد العجائب ، وجامع الغرائب ، بسط فرشته بالرخام ، وألّف على أحسن ترتيب وانتظام ، فصوصه ملتفتة ، وصنعتة موثلفة ، عمره الوليد ، وكان ذا همة في أمر العمارات وبناء المساجد ، أنفق على عمارته خراج المملكة سبع سنين ، قيل من عجائب الجامع أنّه لو عاش أحد مائة سنة وكان يتأمّله في كل يوم ، لرأى في كلِّ يوم ما لم يكن رآه من حسن الصنعة ومبالغة التتميق ، وهذا المعنى في كلِّ ذرّة من العالم للمبصر (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وهو مسقف بالرصاص إلى الآن ، وفيه نحو مائة ماء .

ومن محاسنه الفوّار^(٢) الذي على باب جيرون ، فإنّ ماءه يرتفع على نحو قامة ونصف في غلظ الساق دائماً أبداً ، واتّفق وقوفه مرة ، فقال في ذلك المعنى ابن نباته قوله :

(١) تولى الخلافة عقب وفاة أبيه عبد الملك ، في منتصف شوال سنة ست وثمانين ، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وكانت وفاته بدير مران ، ودفن في دمشق خارج الباب الصغير ، وصلّى عليه ابن عمه عمر بن عبد العزيز ، كان عمره لما توفي إثنين وأربعين سنة وستة أشهر ، وكان له من الولد ثمانية عشر ابناً ، وكان في جنب الجامع كنيسة قد سلمت للنصارى بسبب أمها في نصف البلد الذي أخذ بالصلح وكانت تعرف بكنيسة مار يوحنا فهدمها الوليد وادخلها في الجامع وعوضهم بدلها .

(٢) وهو موجود إلى الآن ، ويسمى « النوفرة » وسميت منطقتة باسمه ، فيقال للحى الذي هو فيه — شرقي الجامع — حي النوفرة .

لست أنسى الفوّار وهو ينادي غييض مائي وعطلّ الدهرُ حالي
فتمنّيت من لهيبي أنّي أشترى غييزة بروحي ومالي
وقيل أنّ دخل الجامع في كل يوم من أوقافه ألف ومائتا دينار ، تُصرف المائتان
في مصالحه ، والباقي ينقل الى خزانة السلطان (١) ، وبالجملة فإنّه الجامع الذي هو
لأشوات المحاسن جامع ، والمسجد الذي من سجد في محرابه شاهد من محاسنه النور
الساطع ، ولا غرّو إذ هو بيت ملك سَعِد من وقف بخدمته خاشعا ، وشقي من
لم يسمع إليه مخلصا ويأتيه طائعا .

وإذا حلّت الهداية قلبا نشطت للعبادة الاعضاء
وقال :

أرى الحسن مجموعا بجامع جلق وفي صدره معنى الملاحظة مشروح
فإن يتغالى في الجوامع معشر فقل لهم باب الزيادة مفتوح (٢)

وقال :

الجامع الأموي أضحى حسنه حسناً عليه في البرية مجمعا
حلّوه إذ حلّوه فانظر صحنه تلقاه أصح للحلاوة مجمعا
ولقد تذكرت بذلك الجامع أوقاتي بتلك الروضة ، وتشاغلته به فما أغنى
التشاغل بمحاسن تلك الرياض وهاتيك الغيضة .

بهجة العين روضة المختار تنجلي في مشارق الأنوار
حرّم حل فيه خير إمام جامع الفضل قبلة الأبرار
أول العالمين في الخلق لكن آخر العالمين في الإنذار
باذخ الأصل ناسخ الجهل علماً راسخ الفضل شامخ في الفخار

(١) ما أشبه الليلة بالبارحة .

(٢) واستشهد الشيخ محمد نصيف هنا على الهامش ببيتين لابن حبيب في باب الجامع الشريف الاموي المعروف بباب الزيادة وهو الباب القبلي و وهما .

ياراغياً في غير جامع جلق هل يستوي الممنوع والممنوح ؟
أقصر عشاءك في غلوك لاتزد إن الزيادة باها مفتوح !

مضريّ وأبطحيّ حبيب
صفوة الخلق أشرف الخلق خلقاً
يارسول الإله كن لي شفيعاً
أنت في الأنبياء سلطان شرع
فعليك السلام من عبد ودّ
وعلى الآل والصحاب جميعاً

قرشيّ وهاشميّ نزاريّ^(١)
نخبة من سلالة الأخيار
ياشفيع العصاة من حرّار
جئت بالسيف منذر الكفار
ماسرى سرنسمة الأسحار
وعلى التابعين والأنصار

ومن باب دمشق الغربي وادي البنفسج ، وطوله إثنا عشر ميلاً في عرض ثلاثة أميال ، وهو مغروس بأنواع الثمر والأزهار البديعة المنظر والمخبر .

فائدة :

الشام خمس شامات ! الأولى : طبرية وأعمالها ، وهي مدينة جليلة على جبل مطّل ، وأسفلها بحيرة عذبة وبها مراكب ساجحة ، ولها سور حصين ، وبها حمامات حامية من غر نار . الثانية : دمشق وأعمالها . الثالثة : حمص ، وحماء ، وحلب . الرابعة : أنطاكية وأعمالها . الخامسة : غزة ، والرماة ، وبيت المقدس ، وهو على جبل يصعد إليه من كل جانب ، وطول مسجده مائتا باع في عرض مائة وثمانين ، يقال ان جامع قرطبة سقفه أكبر من سقف الأقصى ، وصحن الأقصى أكبر من صحن جامع قرطبة ، حكاه ابن الوردي . والشام من الفرات إلى العريش طولاً ، ومن جبلي طي إلى بحر الروم عرضاً وفي الأخبار : الشام صفوة الله من بلاده ، وإليه يجتبي صفوته من عباده ، قيل المراد المدينة لأنها بالنسبة إلى مكة شام . قال المقرزيّ وسط الشام كدمشق وما والها شمال مكة من غير ميل ، فهم يستقبلون أوسط الجنوب ، بحيث يكون القطب

(١) باذخ : مرتفع ، عظيم الشأن ، عال .

مضري : نسبة إلى مضر بن نزار .

أبطحي : نسبة إلى الأبطح وانظر حاشية الصفحة ٢٢٠ ، والاباطح كثير ، والمقصود بين مكة ومني .

قرشي : نسبة إلى قريش ، والاكثرون على أنه قصي بن كلاب .

هاشمي : نسبة إلى عمرو بن عبد مناف ، ولقب بهاشم لكرمه :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

نزاريّ : نسبة إلى نزار بن معد بن عدنان ، جد النزارية من العرب .

الشمالي ، المسمّى بالحددي ، وراء ظهورهم ، وأنت إذا نظرت الى قبلة الجامع والقطب وجدت السمّ منحرفاً ، ولا كلام^(١) .

قال القزويني في « الآثار » : الغوطة ، الكورة التي قصبته دمشق ، وهي كثيرة المياه ، نضرة الأشجار ، مونة الأزهار ، متجاوبة الأطيّار ، مخضرة الجنان . استدارتها ثمانية عشر ميلا ، وكلّها بساتين وقصور ، تحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ، ومياهها خارجة من تلك الجبال ، وتمتدّ في الغوطة عدّة أنهر ، وينصبّ فاضلها في أجمة هناك ، والغوطة كلها أنهار وأشجار متصلة ، قلّما يوجد بها مزارع ، وهي أنزه بلاد الله على الاطلاق ، وأحسنها من حيث البهجة والإشراق .

قال الخوارزمي : جنان الدنيا أربعة : غوطة دمشق ، وصغد سمرقند ، وشعب بوآن ، وجزيرة الأبلّة . وقد رأيتها كلّها فأحسنها غوطة دمشق ، أما صغد سمرقند ، فهو نهر تحفّ به قصور وبساتين وقرى مشتبكة العماثر ، ومقداره اثنا عشر فرسخا في مثلها ، وأما شعب بوآن فبقعة من نواحي سابور ، مقدارها فرسخان ، وقد أتختفها الأشجار بظلالها ، وجاست الانهار خلالها ، وفيها يقول المتنبي :

مغانى الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان^(٢)

وأما نهر الأبلّة ، فهو من أعمال البصرة ، وهو أربعة فراسخ ، وعلى جانبيه بساتين كأنها بستان واحد . وأما الغوطة فهي من حيز دمشق ، طولها ثلاثون ميلا ، وعرضها خمسة عشر ميلا ، وهي مشتبكة القرى ، ولا تكاد الشمس تقع على أرضها لالتفاف شجرها واكتناف زهرها . واختلاف الأخبار لاختلاف الأنظار .

(١) بل فيه كلام كثير ، فالمقدمة التي ذكرها بعيدة عن الصحة ، وما بني على باطل فهو باطل ، فدمشق شمال مكة تقريباً لاتماماً ، وهم فيها لا يعملون القطب الشمالي وراء ظهورهم ولا يستقبلون أوسط الجنوب كما قال المقرئ ، وإنما ينحرفون إلى الشرق يسيراً بحيث يصبح القطب الشمالي خلف الكتف الايسر ، وذلك لأن خط الطول لمكة أربعون ولامشوق نحو ستة وثلاثين ونصف ، فبينهما ما يقرب من ثلاث درجات ونصف ، ويقضي هذا — بمقتضى حسابات المثلثات الكروية — إنحرافاً إلى الشرق يقرب من سبع عشرة درجة .

(٢) ويقول بعد ذلك :

ولكن الفتى العربيّ فيها غريب الوجه واليد واللسان

ومن محاسنها : المرجة التي هي جنتها ، وأنهارها التي هي بهجتها . فقلت :

ذكرت أحبتي بالمرج يوماً فهاجت أدمعي نيران وهجي
فصرت أكابد الأشواق وحدي وكلّ الناس في هرج ومرج

وقال :

يا يومنا بالمرج هل من عودة ليت الليالي للوصال تعيد
فهواك لا يبدي السلو لطيبة والله يبدي ما يشا ويعيد

ولما أحلتنيها الدهر ، وشاهدت محاسن تلك الرياض ، وبها ذلك النهر ، نزلت على مكارم عمادها ، وبدر اسعادها ، المولى الذي دخل به الكشاف تحت استار الخجل ، وقال البيضاوي لنا من تسويد الصحائف وجّل أيّ وجّل ، هو مولانا الحبر العلامة ، والبحر الفهامة ، مفتي الديار الشامية وإمامها ، وواحد ذوي المجد المؤتّل وهمامها ، المعطر ذكره الشريف أرجاء البوادي ، مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادي ، لا زالت أقلام الأنام بأداء الشهادة بكماله رافلة في حُكُل العدالة ، وإذا نشأت فهي العيدان التي هي بأسمائه الشريفة للطرب نعم الآله .

أساميا لم تزده معرفة وإنما لذّة ذكرناها

فلا انفكّ مسك لياليه شامة في وجنات الأيام ، وله من ذلك إن شاء الله تعالى حسن الختام . فنزلت من داره المعمورة بأشرف منزل ، وصرت لما لقيته من الفرح والسرور عن الهم بمعزل ،

ولمّا بلوناه تلوتنا مديحه فيا طيب ما نبأوا وياحسن ما نلتوا
هو البدر إلا أنّه البحر زاخرا سوى أنّه الضرغام لكنّه الويل
محاسن يبديها العيان كما ترى وأيسر ما فيه السماحة والبذل

وقال :

رأيت عماد الشام في الفضل وحده ولا عجب إذ كان في الفضل قد نشا
إماماً هماماً عزّ قدره ورتبة وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

وقال :

رأيت العماد وأبناءه عماد المكارم فيمن رأيت
ففيهم مقامي بهم قد سما ومنهم رويت وعنهم رويت
رأيت لديه وبين يديه في ذلك المقام ، من أبنائه الكرام ، ثلاثة تشرق الدنيا
ببهجتهم ، وتنجلي الفصاحة بحسن لهجتهم ، كما قال :

كأنه وبنيه حول حضرته بدر الدجى ولديه الأنجم الزهر
فيا لهم من فتية عليهم سيما الحجى ، وطلاوة نجوم الدجى ، فكلّ منهم ملك
القول وأميره ، وواحد الفضل الذي لا يوجد نظيره

إنّ العماد بنوه والذي شرفت به الأباطح أعني صفوة الباري
من تلق منهم تقل لاقت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري^(١)
فالتحفت برهطهم ، وانتظمت في سمطهم ، وما زلت فيهم فارغ البال ،
خالي البلبال ، نسيمي نسيم الصبا ، وأيامي أيام الصبا :

ولو لم يترد إحسانهم وجميلهم على البرّ من أهلي حسبتهم أهلي
ولم أزل من مكارم هذا العزيز ، في حوز حريز ، ومن أخلاقه الشريفة ،
وخلائقه اللطيفة ، بين الروض ونسيمه ، والأرج وشميمه

سأشكر لا أنّي أجازي لنعمة بأخرى ولكن كي يقال له شكر
وأذكر أيامي لديه وحسنها وأفضل ما يبقى من الذاهب الذكر
ثم لم أزل في تلك الديار منذ حلت ربوعها ، وارتبعت ربيعها ، أفاني الأيام ،
فيما يروي الأوام ، علما بأنّ الدهر سروره كطيف المنام ، وشروبه أكثر من
أوغاد الأنام ، وأنّ من أحر أيام الصفا ، وقابل وفاء الدهر بالحنفا ، فقد وقع في

(١) الحجى : العقل والفتنة . وطلاوة : الحسن والبهجة .

والأباطح جمع أبطح وهو - كالبطحاء والبطيحة - مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى . والسرى
سير الليل ، فالمضارع منه : يسري ، واسم الفاعل : ساري . والرهط : قوم الرجل وقبيلته . والسمط -
وجعه سموط - سلك العتد مادامت اللآلئ منتظمة فيه . والبلبال : شدة الهم .

هُوَّةُ النَّدْمِ ، وَصَارَ وَجُودُهُ عِنْدَ أَوَّلِي النُّهْيِ كَالْعَدَمِ ، وَمَنْ
وَالْتَرَمَ مَكَابِدَةَ الْهَمُومِ فَهُوَ فِي الْغُرُورِ

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمَا لِيُوهِنَهَا فَلَـمَ يَبْضِرْهَا وَأَوْهَ
فَهَا أَنَا أَطْلُبُ قَلْبِي فِي الْهَوَى وَأَنْشُدُهُ ، وَأَطَارِحُ صَوْتَ الصَّدْرِ

لَقَدْ كَادَتْ الدُّنْيَا تَقُولُ لِأَهْلِهَا مَشَافَهَةٌ أَوْ أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ
خَذُوا مِنْ نَصِيبِ مَنْ نَعِيمٌ وَلَذَّةٌ فَكَلَّ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى يَتَصَرَّمُ

غريبية : في أواخر شهر رمضان المكرّم ، وردت على أهل دمشق من أعمال
الكرّك مكاتيب فيها أنّه وقع بتلك القرى ، في غضون الأمطار ، برّد على صور
حيوانات مختلفة . وفي كتاب «السكردان» لابن أبي حجلة ، في سنة إحدى
وأربعين وسبعمائة ، ورد كتاب من حماة ، يخبر أنّه وقع في هذه الأيام بماردين
من أعمال حماة ، برد على صور حيوانات مختلفة ، فيها سباع وحيات وطيور
ورجال ونساء وغير ذلك ، وأنّ ذلك ثبت بمحضر شرعي عند قاضي الناحية ،
ثم نقل ثبوته إلى قاضي حماة ، وحكى الحافظ عبد الرحمن الربيع : في سنة خمس
وثلاثين وسبعمائة ، نزلت برودة من السماء ، طولها مائة وستون ذراعاً ، وعرضها
عشرة أذرع ، وسمكها باعان ، فلما ذابت سقى ماؤها أربع قطع من الأرض
هنالك . انتهى من «بغية المستفيد في اخبار مدينة زيد» .

فائدة : دمشق اسم عبد الخليل عليه السلام ، وكان حبشياً وهبه له نمرود بن
كنعان حين خرج عليه السلام من النار ، ولما بنى الشام سمّاها باسمه ، وكان جعله
على كلّ شيء له . كما ذكره ابن عساكر عن وهب بن منبه كذا في «الطراز
المنقوش في محاسن الحبوش» قيل : ومن خواص الشام الطعن والطاعة والطاعون ،
أما الطعن فهو مشهور في جندها كما قيل :

وَرَجَالُ الشَّامِ فِي طَعْنِهِمْ قَاسِيُونَ الْقَلْبُ مِنْهُمْ لَا يَلِينُ

(١) البيت للأعشى ، من معلقته التي مطلعها :

وَهَلْ تَطِيقُ وَدَاعاً أَهْمَا الرَّجُلِ

ودع هريرة ان الركب مرتحل

وأوهن وأوهى بمعنى ، كلاهما معناه أضعف .

وأما الطاعة ، فهي معروفة في أهلها للسلطان ، حتى قيل في وصفهم أنهم أطوع الناس للمخلوق وأعصاهم للخالق ، وأما طاعونها فهو شرٌّ من أن يذكر حتى قيل :

أما دمشق فإنها قد أوحشت من بعد ما شهد الخلائق أنسها
تاقت بعجب زائد حتى لقد ضربت بطاعون عظيم نفسها

وقاسيون بكسر السين المهملة وضم المثناة من تحت ، جبل مطلق على دمشق من جهتها الشمالية ، فيه المنازل المليحة ، والمدارس الحسنة ، والرُّبُط ، والبساتين ، ونهر يزيد ونهر تورا في ذيله ، وفيه جامع كبير ، وفيه يقول ابن عنين :

وفي كبدي من قاسيون حرارة تزول رواسيه وليس تزول

قال القزويني : الربوة على فرسخ من دمشق ، قال أهل التفسير : هو المراد من قوله تعالى (وأوبناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) .

غريبة : قال صاحب « تحفة الغريب » في بادية الشام شجرة إذا نظر الناظر إليها رأى أوراقها كالسُرُج المشعولة ، وكلّما كان الليل أظلم كان الضوء أشدّ ، فإذا هسّ الورق لا يرى شيء من الضوء .

ومن محاسن الشام نهر بردى ، المشبب به في القصائد الطنانة ، ويقال له الخاطف لقوّته ، ومن خواصّه أنه لا يزال بارداً في الأوقات الحارّة ، وفيه يقول ابن الفارض :

جَلِّقَ جَنَّةَ من تاه وبأها وربّأها مُنيّتي لولا وبأها
قال غال بردا كوثرها قلت غال بردأها بردأها

ومن محاسن الشام جامع يلغا ، سمعت فيه من العلامة العمادي للشيخ أبي الفتح المالكي :

كم نزهة في يلغا تبغي ودارج لم تخل من دارج
يموج في بركته مأوها تحت منار ليس بالمايج
مأذنة قامت على بابها تشهد للداخل والحارج

ومن محاسن الشام جامع البحر ، بالقرب من المولى خانة ، يشقّه نهر لطيف عليه أنواع المسرات :

لله يوماً به الدهر المُشْتِ سَخا مع جيرة قلدوا من جودهم نحري

قضيته وقضت لي فيه بهجته بطيب عيش مضى في جامع البحر
فائدة: «محاسن الشام» كتاب مؤلف في المعنى ، للشيخ تقي الدين البدري ،
ورأيت على ظهره للشيخ أحمد المقرئ :
محاسن الشام جلت عن أن تُحدّد بِحدّ
كأتها معجزات مقرونة بالتحديّ

ومن محاسن الشام : إحياء ليالي رمضان المعظم ، وإقامة التراويح بأحسن أداء
يورث النشاط ، فإنّ المكبرين يلوّنون في التكبير بالأصوات الحسنة ، فيبتدئون
بمقام العراق ، ويختمون بمقام العشاق ، والإمام يصلّيها بسورة الرحمن ، ويلوّن
فيها الصوت الحسن بالألحان الحسان . هذا وإن كان من البدع ، إلاّ أنّه قد صقله
التعارف ، والعرف كما لا يخفى أمر عظيم^(١) . وفي أخريات الشهر يصلّون مع
الإمام اثنتي عشرة ركعة عقيب التراويح ، يزعمون أنها صلاة الرغائب ، وهي
غير معروفة بالحرمين الشريفين .

ومن محاسن الشام في هذه الليالي : باب البريد ، وما أدراك ما باب البريد
وما يشتمل عليه من المحاسن التي يعجز القلم عن وصفها ، فيا له من باب لا يدخله
إلا أهل الدخول ، ولا يصل إليه إلا من كان من أهل الوصول ، كيف لا وهو
الذي تذلل لغزوانه الأسود وتخضع ، وترى قمراً يغيب وألف بدر يطلع^(٢) ، ويقال
ههنا تسكب البدرات ، ولا عبرة بسكب العبرات .

دمشق دار البذرقة فيها الوجوه المشرقة
لو حلّ قارون بها حلت عليه الصدقة

فائدة : في كتاب «الدارس من المدارس» للنعمي قال : في الجامع الأمويّ

(١) والعرف ، إذا ابتدعه الطعام ، والتزمه العوام ، وعاندوا لاجله الأئمة الاعلام ، ولم يبالوا بأحكام الحلال
والحرام ، فهو كما لا يخفى بلاء عظيم .

(٢) يشير الى البيتين اللذين سبق ان ذكرهما في « صفحة : ٢١٣ - ٢١٤ » :
عرج ركابك عن دمشق فإنها بلد تذلل لها الاسود وتخضع
مابين جبهتها وباب بريدها قر يغيب والـف بدر يطلع

أربعة وعشرون سبعاً ، وكلّها تجري عليها الأوقاف ، وكان في السبع الكبير
ثلثمائة وأربعة وخمسون نفراً^(١) ، وكان بدمشق أربعة وعشرون جامعاً ، كلّها
ذات أوقاف فائضة .

ومن محاسن الشام شجر السَّرْو ، وهو شجر حسن الهيئة ، قويم الساق ، يضرب
به المثل في استقامة قدّه ، ومشق قامته ، وخضرة ورقه ، ولا يزال مخضراً صيفاً
وشتاءً ، ومن خواصّه أنّ التدخين بأغصانه في البيت يطرد البقّ ، ومن التشبيه فيه :

والسرو مثل عرائس لُقّت عليهنّ الملا
شمّرن فضل الأزّر عن سوقٍ خلّخلهنّ ما^(٢)

ومن غرائب ما حكاه صاحب «الخريدة» أنّ خشب الزيتون لا دخان له .
ومن محاسن الشام حمام مصطفى باشا ، فإنّه لا نظير له في تلك الأقطار
ولا مداني ، وذلك لما اشتمل عليه من حسن الصنعة ومحاسن المباني :

زيّن الشامَ وحقّ الصمد حسنُ حمّام كثير العدد
لا ترى في سائر الدنيا له ثانياً لا وإلّاه الأحد
حار عقلي بلحيم جنّة بل نعيم فيه عيش رغد^(٣)
لطيفة : أبواب دمشق ثمانية ، وفي ذلك إشارة إلى أنّها جنّة الدنيا . وبالجملة
فإنّها الروضة الغنّاء ، والغبيضة الحسناء ،

وما الشام إلا في البلاد كشامة وأقمار واديّه الشميم تمام
فحيّى محياه الإله وزانه ولا زال برق الحسن فيه يُشام
وقال :

قال ماذا يقول في الشام حَبْر شامَ من بارق العُلى ما شامه؟^(٤)

(١) بعدد أيام سنتنا، التي عدل عنها وعن تاريخنا وتراثنا ونهج سبيل عزتنا وطريق السلف عقدة الخلف .

(٢) الملاء جمع ملاء ، سقى الله أيامها ، أيام الخلق والفضيلة والطهر والعفاف .

وسوق : جمع ساق . وما : ماء بلع الشعر همزته .

(٣) كذا ، والاقواء لا يستمّح ، فياليتّه قال : « عيش الرغد » .

(٤) الشميم ، المرتفع ، وأيضاً : الرائحة الطيبة . وشام البرق : نظر إليه أين يتجه وأين يطر .

والخبر : العالم الصالح .

قلت ماذا أقول في وصف أرض هي في وجنة المحاسن شامه ؟
هذا ، وشاعرها الشهاب الرومي ، لما تضايقت عليه السبيل فيها ، وتكدّر
لديه من مواردها الهنية صافيتها ، أنشأ يقول بلسان الإضرار ، على ما قضت به
الأقدار :

ترحل عن دمشق فليس فيها	يقدم غير من أضحي سفيها
وطالها مدى الأيام قبض	على أغنى الورى من ساكنيها
كأن فتى بناها من قديم	بنى رصد العكوس على بنيتها
أكبرها على الفقراء جارت	وجاهلها أذل بها النبيها
وقل بأن ترى إخوان صدق	لنفسك في الكريهة ترتضيها
وانفستهم تراه أشر نفس	يميل إلى الحساسة يشتهيها
فيا لله من زمن عجيب	به قد تاهت الجهلاء نيتها
تطوف بأرضها شرقا وغربا	فلم تر في الرياض بها نزيها
فإن رمت التقرب عن حماها	إلى أرض لنفسك ترتضيها
فعرّج بالركاب لحى مصر	وحيّ غصون بان مسن فيها
تتبه على البلاد إذا تبدت	بعصبتها وتفتن واصفيها
تحنّ على الغريب حنو أصل	فنتسيه الديار وقاطنيها
بلاد قد حوت بالكسر جبّراً	وروضة مشتهاها أشتيها
فيا لله هل لي ما أراها	فتلك ديار أنس أختليها

وفي غرة شوال يوم عيد الفطر ، كان الخطيب يوسف السقيفي ، وكانت
خطبته على نمط الخطب الرومية ، ولم تكن تعرف هذه الطريقة في الديار الشامية
على ما يقال ، فهو أول من ابتدع ذلك هناك . وفي عاشر شوال داروا بالمحمل
السلطاني ، تذكيراً للحجّ ، وهو من الأيام المعدودة . وفي آخر النهار احترق قصر
الملك الظاهر في غربي القلعة ، فتشوشت له الخواطر . وفي صباح تلك الليلة ،
وصل الى الشام نجاب على يده مكاتيب إلى الروم ، فأخبر بسقوط البيت الشريف ،
وكان من أمره أنه لما كان العشرون من شعبان ، انهدم من البيت جانباه الشرقي

والشامي ، بسبب الأمطار التي لم يسبق لها مثال ، والسيول التي لم يعهد مثلها في الإسلام ، وفي ذلك يقول المهتار :

هدم البيت أمر ربّ تغشا ه بسيل لم يحو غرقاه ضبطي
في نهار الخميس عشرين شعبا ن قبيل الغروب من عام لغط^(١)
وأحسن منه للفاضل فضل الطبري :

سُئلت عن سيل أتى والبيت منه قد سقط
متى أتى ؟ قلت لهم : مجيئه كان غلط^(٢)

وكان من أمر هذا السيل ، أنه ذهب بالأموال والأرواح ، وأعقب من الفناء في أهل مكة ، ما أشبهه بالوباء المصري والطاعون الشامي ، وكان ارتفاع الماء في المسجد الشريف إلى قفل الباب المحترم ، وبه أرخ من قال : رقى إلى قفل بيت الله لطيفة : على ذكر السيل^(٣) ، في الأغاني نقلا عن الهيثم ابن عدي قال : حدثني عبد الله بن العباس الهذلي عن رجل من بني عامر قال : مُطِرنا مطرا شديدا ارتبعناه ، ودام المطر ثلاثاً ، ثم أصبحنا على صحو ، فخرج الناس يمشون على الوادي ، فرأيت رجلا جالسا على حجر ، فقصدته فإذا هو المجنون جالسا يبكي ، فكلّمته طويلاً وهو مطرق ، ثم رفع رأسه وأنشد بصوت حزين لا أنسى حرّفته :

بكى السيل واستبكاني السيل إذ جرى وفاضت له من مقلتي غروب
وما ذاك إلاّ حيث أيقنت أنّه يكون بواد أنت منه قريب
يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب

(١) عام لغط أي سنة تسع وثلاثين بعد الالف ، لان اللام تعادل في حساب الجمل ثلاثين ، والنين بألف ، والطاء تسعة ، فيكون : ٣٠ + ١٠٠٠ + ٩ = ١٠٣٩ . وكان في الاصل «تغشا» فقومناه الى : «تغشا»

(٢) كالمسألة : غلط = ١٠٠٠ + ٣٠ + ٩ = ١٠٣٩ .

(٣) كانت في الاصل « السيل » فأزال السيل السيل .

وأما رقى إلى قفل بيت الله ، فهو أيضاً تسع وثلاثون واللف ، لان : رقى إلى قفل بيت الله = (٢٠٠ + ١٠ + ١٠٠) + (١٠ + ٣٠ + ١) + (٣٠ + ٨٠ + ١٠٠) + (٢ + ١٠ + ٤٠٠) + (١) = ١٠٣٩ = ٦٦ + ٤١٢ + ٢١٠ + ٤١ + ٣١٠ = (٥ + ٣٠ + ٣٠

فيا ساكني أكناف نخلة ، كلِّكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب
زاد مغلطي :

أظنّ غريب الدار في أرض عامر
وإنّ الكثيب الفرد من أيمن الحمى
ولا خير في الدنيا إذا لم تزر بها
ألا أيها البيت الذي لا أزوره
هجرتك مشتاقا وزرتك خائفا
سأستلطف الأيام فيك لعلها
ألا كلّ مهجور هناك غريب
إليّ وإن لم آتِه الحبيب^(١)
حبيبا ولم يطرب إليك حبيب
وهجرانه مني إليه ذنوب
وإني عليّ الدهر منك رقيب
ييوم سرور في هواك تشيب

(فائدة) سيل الحجاب هدم بمكة دورا كثيرة وأحاط بالكعبة ، أيام عبد الملك سنة ثمانين ، كذا في «تاريخ الخلفاء» وفي سنة إحدى وسبعين وتسعمائة ، طاف بالبيت سيل عظيم ، وهدمت بسببه دور كثيرة ، وفي ذلك للشّخّ صلاح الدين بن ظهيرة مؤرخاً بلفظ ذراع وإن تسامح :

لما علا السيل على مكة
لاذ بباب الله مستغفرا
تاريخه إن رُمت تعريفه
علا على الركن اليماني ذراع^(٢)
وخرّب الدور وأخلى البيّاع
وطاف بالبيت طواف الوداع

فائدة : بُني البيت الشريف عشر مرات ، ولم يكن هُدم في واحدة بسبب السيل . وفي «تاريخ الخلفاء» لابن حجر المكي : احترق البيت الشريف في زمن عبد الله ابن الزبير ، أستاره وسقفه وقرنا الكباش الذي فُدي به إسماعيل عليه السلام ، وكانا في السقف ، فبناه على قواعد ابراهيم عليه السلام ، وفتح بابيها وجعلهما لاصقين بالأرض ، وأدخل فيه ستة أذرع من الحجر ، فبقي بناؤه ولم يهدم الحجّاج منه إلا حائط الميزاب ، وأراد الرشيد نقض ما فعله الحجّاج ، فأقسم

(١) غروب : جمع غرب ، وهو الدمع ، أو مسيله ، أو عرقه ، أو جانب العين ، وهنا المآقي . والاجاج : الماء الملح المر . والكثيب : التل من الرمل ، ويسمى أيضاً العتقل . والحمى : ما يحمى ويدافع عنه . والحفوظ : وان الكثيب الفرد من جانب الحمى

(٢) ذراع = ٧٠٠ + ٢٠٠ + ١ + ٧٠ = ٩٧١ .

عليه مالك أن لا يفعل ، لئلا يصير البيت ملعبة للملوك ، فتزول هيئته من القلوب ، فامتثل ، وصان الله بيته ، وفي « طراز اعلام الزمن » للخزرجي (١) ، أن في أيام فتنة ابن الزبير ، احترقت الكعبة حتى انهدم سقفها وسقطت جدرانها .

بنى الكعبة الغراء عشر ذكرتهم
ملائكة الرحمن آدم وُلده
وجرهم يتاوهم قصي قريشهم
ومن بعدهم من آل عثمان قد بني

وربتهم حسب الذي أخبر الثقه
كذلك خليل الله ثم العمالقه
كذا ابن زبير ثم حجّاج لاحقه
مراد بخير أطلع الله شارقه

وفي اليوم الثالث عشر ، تشرّفنا بزيارة تربة المقدّس المبرور الشيخ محيي الدين ابن عربي ، قدّس الله سره العزيز ، فتملّيت بتلك الزيارة ، المحمولة إن شاء الله على أجنحة القبول ، وشاهدنا بها تلك الصالحية ، التي يقضي بكمال محاسنها العقول :

الصالحية جنّة والصالحون بها أقاموا
فعلى الديار وأهلها منّي التحية والسلام

ورأيت على جدار التربة المباركة للدرويش القاشني :

شيخنا الحاتمي في الكون فرد
كم علوم أتى بها من غيوب
إن سألت متى توفي شهيدا ؟
منذ أرّخت : مات قطب إمام (٢)

وهو غوث وسيّد وهمام
من بحار التوحيد يا مستهام
وللبضاوي جواب سؤال رُفِع إليه في أمر الشيخ : الذي اعتقده في حال المسئول
عنه وأدين الله تعالى ، أنّه كان شيخ الطريقة حالا وعلما ، وإمام التحقيق حقيقة
ورسما ، ومحيي رسوم المعارف فعلا وإسما :

إذا تَغَلَّغَل فِكر المرء في طرف من مجده عرفت فيه خواطره (٣)
عُباب لا تكدره الدلاء ، وسحاب تتقاصر عنه الأنواء ، كانت دعواته

(١) هكذا الاصل والذي في (كشف الظنون) (طراز اعلام اليمن) للخزرجي .

(٢) في هامش الاصل : مات سنة ٦٣٤ ، وإذا أردت معرفة حاله فانظر كتاب (تشبيه الغي الى تكفير ابن عربي)

للإمام إبراهيم البقاعي الشافعي .

(٣) عرفت مصحفة عن غرقت ، فيكون عجز البيت : من مجده غرقت فيه خواطره .

تخترق السبع الطبايق ، وتفترق بركاته فتملأ الآفاق ، وإنّي لأصفه وهو يقينا فوق ما أصفه ، وأنطق بما كتبه وغالب ظنّي أنّي ما أنصفه :

وما عليّ إذا ما قلت معتقدي دع الجهول يظنّ الحقّ بهتاننا
والله والله العظيم ومــــن أقامه حجّة للحقّ برهاننا^(١)
إنّ الذي قلت بعضٌ من مناقبه ما زدت إلا لعلّي زدت نقصانا

أما كتبه ومصنّفاته فالبحار الزواجر ، وجواهرها لكثرتها لا يعرف لها أوّل من آخر ، وما وضع الواضعون مثلها ، وإنّما يخصّ الله بمعرفة قدرها أهلها ، ومن خواصّها أنّه ما واطب أحد على مطالعتها والنظر فيها ، إلاّ وانشرح صدره ، وتيسر أمره ، وقويّ على حلّ المشكلات ، وفكّ العضلات .

وإذا خفيت عن العبيّ فعاذر أن لا تراني مقلة عياء
غيره :

نظرت إليه نظرة فتحيّرت دقائق فكري في بديع صفاته
فأوحى إليه الوهم أنّي أحبه فأثر ذلك الوهم في وجّاتنه
وقال :

إنّ الغريب إذا أقام ببلدة لعبت أنامله على الحيطان
فتراه يكتب والغرام يهزه والشوق يُقلِّبُه إلى الأوطان

وإلى منا^(٢) هذا وأنا محاجر البين ، لم أجمع على نفسي طرفة عين ، ولا لاحت لي بارقة من وجودي ، أعدّها من أيام سعودي ، ومع ذلك لم ينقطع الرجاء والاستمداد ، وإنّ قعدني الاستعداد .

أمّرّ بالكرم خلف حانطه تأخذني نشوة من الطرب
وفي اليوم السابع عشر ، كان خروج المحمل السلطاني ، وهو يوم مشهود ، تخرج له المخدّرات ، وكان أمير الركب أميره وابن أميره ، والفرد الذي يعزّ

(١) كذا في الاصل . وإنما يستقيم وزن البيت إذا كان : (والله والله والله العظيم ومن) .

(٢) لم ندر ما (منا) هذه ، الا ان تكون (يومنا) الذي اختفى راسه ، وسقط صدره ، ووقع

المقدم فيه ، وبقي لنا منه المؤخرة !

على الدهر أن يأتي بنظيره ، وكم طمح هذه الإمارة طامح ، وسرح لخدمتها
سارح ، فافتضح بقصوره وتقصيره ، وكيف لا وعمو الجامع لأشتات الفضائل ،
والحرّي بقول القائل :

اتته الإمارة منقادة إليه تُجَرَّجَرُ أذيالها
ولو رامها أحد غيره لنزلت الأرض زلزالها
فلم تكُ تصلح إلاّ له ولم يك يصلح إلاّ لها^(١)

وهو مولانا المقرّ العالي ، الأمير محمد بن الأمير فروخ باشا ، خلّد الله تعالى
رواق سيادته بدوام دولة أيامه ، وأبد سرادق سعادته على مرور الدهور وتوالي
أعوامه ، ولا زالت كتائب النواذب بعوادي نغمه إلى أعدائه مبعوثة ، وغرائب
الרגائب بعوادي نعمه إلى أوليائه محثوثة .

أمين أمين لا أرضى بواحدة بل ألف أمين في ألفين آمينا
ولم أزل في تلك الديار العمادية ، التي أقول فيها بلسان الحال :

دار العماد فرط شوقي لها يجلّ أن يذكر بين العباد
ما راق طرفي بعدها منزل لأنّها في الحسن ذات العماد

فلما كان اليوم الثاني والعشرون ، برزنا من تلك الديار ، إلى حيث تسوقنا الأقدار
فمن لي بقلبي اذ رحلت فإنّني مخلف قلبي عند من فضله عندي
ولو فارقت روعي إليه حياتها لقلت أصابت غير مذمومة العهد

فآها على تلك الديار العمادية وأوقاتها ، وحفظاً لتلك الوجوه التي لشمس
المكارم ضوء على جبهاتها ، وفي السلامة من أكدار الغربية ، والعود إلى تلك المنازل
الطيّبة التربة ، ما يسالو به الفؤاد ، ويروق مدى الآباد :

فهل درى البيت أتّي بعد فرقة ما سرت من حرم إلاّ إلى حرم
فمررنا بالكسوة ، وهي على ثلاثة عشر ميلا من دمشق ، وفيها يمكث الحاج ،

(١) من قصيدة لابي العتاهية ، من غرر شعره ، يدح بها المهدي ، مطلعها : (ألا مالسيدي ما لها ..)

ورواية الابيات ورواؤها على تقديم البيت الثالث ، حتى يجعل بين الاول والثاني ، كما هي في : ٦١٢

(أبو العتاهية) للدكتور شكري فيصل . طبع المكتبة العربية .

ثم أتينا على خان ذي النون ، وفيه شكل حصار ، ويطبخ فيه شوربا بسلق لجميع الحجّاج^(١) ثم أتينا على الصنمين ، وهي من قرى حوران ، فصعدنا منزلة رأس الماء ، وما ألطف ما قال :

سقى الله أرضاً طَوْقَهَا مثل طَرَزِهَا وساترها بُرْد من الوشي أخضر
تذكرت أحبابي بمثوى بريدها فعينيَ رأس الما وجسمي المغيّر^(٢)

وخواص هذا المنزل البرغش والبرغوث ، قال أعرابي :

تطاول بالفسطاط ليلى ولم يكن بأرض الفضا ليل عليّ يطول
ألا ليت شعري هل أبيتَ ليلة وليس لبرغوث عليّ سبيل

ولابن ميمون ملغزا فيه :

ومعشر تستحل الناس قتلهم كما استحلّوا دم الحجّاج في الحرّم
إذا سفكت دما منهم فما سفكت يداي من ذمة المسفوك غير دمي^(٢)

ثم أتينا على الزيريب ، وهو واد به قلعة ، وعندها بحرة ماء ينتهي ماؤها إلى جسر الجوامع فيما يقال ، وأصله من عين تنبع من شمال القلعة على نحو نصف ميل ، وما ألطف ما قال :

لقد قابلتنا بالعجائب بحـرة مكملّة الأوصاف بالطول والعرض
كأنّ الذي يرنوا إليها بطرفه يرى نفسه فوق السما وهو في الأرض

والمزيريب مجتمع الحجّاج ، وفيه الأسواق العامرة بما يحتاج إليه الركب ، بل بما يتّجر به ، وفي هلال ليلة ذي القعدة ، يوقد ما في الوادي من الدكاكين ، ألفا ونحوه ، وتعرف بالوقدة ، وتوقد الشموع والمشاعل في الركب ، وتكون ساعة عجيبة .

ولمّا كان الصباح رحلنا وأتينا على وادي القديم ، ويعرف بالمفرق ، لأنّ الحجّاج إذا رجعوا تفرقوا فيه ، وهو مسيل كثير الزلق ، وحوله قرى وضباع ،

(١) وبالقرب منها (شقحب) حيث جرت المعركة الفاصلة بين التتار وجيوش مصر والشام ، وأبلى

فيها شيخ الإسلام ابن تيمية البلاء الحسن وكانت الدائرة على التتار . (هامش الاصل) .

(٢) الملحوظ والمحفوظ : يداي من دمه المسفوك غير دمي .

ثم أتينا على الزرقاء ، وهو واد من أعمال عمّان ، وبه قصر شبيب بن مالك ،
وفيه نهر عظيم ينبت فيه القصب الفارسي ، وفيه ملاقاته .

ثم أتينا على البلقاء ، واد قفر يقال في غربيه ماء ، وفيه اجتمعت بالأمير الذي
فيه يقال :

أمير له في حاسبة الجود والوغي سوابق للإنسان قبل التماحه
وعقل إذا ما جال أغنى برأيه عن الجيش يشكو الخوف شاكي سلاحه (١)
ولما قصدته لأمر اقتضى ذلك ، وجدته فوق ما أمّلته ، وأهديت إليه منظومة
الصور الفلكية ، وكتبت معها :

لما رأيتك في فضل وفي أدب علوت قدرا على العلياء والحُبك
ناسبت قدرك يا من عزّ جانبه وقلت أهدي له منظومة الفلك
فظفرت من إحسانه وحسنه ، بما تحقق به أنّه المعنيّ بقول القائل :

طلق يُفيض على العفاة سجّاله وعلى العداة بسطّوه سجّيلا
وإذا حبّاك بغرّة من ماله ثنّى فأعقب غرّة تحجّيلا (٢)

ثم أتينا على القطراني ، بعد معاينة عقبات ومحاجر ، وهو واد فيه قلعة
وبركة ماء تفيض على مثلها . ثم أتينا على الحسا من أعمال الكرك ، وفيه نهر لطيف
وملاقاته . ثم أتينا على عنيزة وهناك البرد الشديد ، وبه خان قديم . ثم أتينا على
مغان (٣) من أعمال الكرك ، به ضيعة وقلعة ، وآبار ماؤها ليس بالحيّد . ثم أتينا على
عقبة الصوان ، منحدر على نصف ميل ، وبها أحجار القدح الجيدة ، التي لا يكاد
يوجد مثلها ، ومنها تنقل للهدية ، وإذا نزل عنها الركب أناخ أسفلها ليتكامل ،

(١) الوغي : الحرب . و : التماحه : ابصاره بنظر خفيف . وشاكي السلاح : ذو حدة وشوكة في سلاحه .

(٢) العفاة - جمع عافي - : الاضياف وطلاب الفضل . والسجال - جمع سجل - : الدلو العظيمة فيها
الماء . السجيل : الصلب الشديد ، وبكسر السين ، حجارة كالطين اليابس . وغرة الشيء : اوله
وظلّته ومعظمه . والغرة بياض في جبهة الفرس ، والتحجيل بياض في قوائمه ، يشبه بهما نور المؤمنين يوم
القيامة اذ يأتون غراً محجلين من اثر الوضوء .

(٣) لعلها « مغان » .

فِيخْرِجُونَ أنواع الحلوى المعدادة لذلك ، ويفرقونها على بعضهم ، فلذلك يقال لها عقبة الحلوى ، ورأيت العرب تأخذ القطن العتيق ، فتبله بالماء القراح ، وتمسح به عرق الضأن من تحت أبطيه وفخذه ، فإذا جفّ كان بمنزلة الضرم ؛ ثم مررنا بعبادان ، وليست هي التي قيل فيها : « ليس وراء عبادان قرية » لأن تلك في ساحل البحر المحيط ، وهي التي يأخذ منها أهل الفلك أطوال البلدان . وبالطليبات ، وبطن الغول ، واد كثير شجر الغضا والعيثران الذكي^(١) . ثم أتينا على ذات حج ، واد فيه قلعة لطيفة ، فيها شجرة توت وريفة ، ونقر في حجر ينبع منه الماء ، فيخرج من القلعة ويملاً البركة خارجها ، وفيه نخيل ومياه غير جيدة ، ثم نزلنا بالعرائد ، وهي قاع البسيطة ، وفيها اجتمعت بالفاضل المتفتن الشيخ محمد الحرّ ، أحسن الله تعالى إليه ، أنشدني إجازة لنفسه النفيسة :

قلت لما أبلّحت في هجو دهر بذل الجهد في احتفاظ الجهول
كيف لا اشتكي صروف زمان ترك الحرّ في زوايا الخمول
وأنشدني لغیره :

لعمرك ما الغريب بذى التناهي ولكنّ المُقلّ هو الغريب
إذا ما المرء أعوز ضاق ذرعاً بحاجته وأبعده القريب
وللشيخ نجم الدين الشامي :

علة شيبى قبل إبانه هجر حيبى في المقال الصحيح
ويدعى العلة في هجره شيبى ففي القولين دور صحيح
ولغيره^(٢) :

مسألة الدور جرت بيني وبين من أحبّ
لولا مشيبى ما جفا لولا جفاه لم أشب
قلت : وأنت خير بأنّ هذا المعنى فيه ما فيه ، إذا الدور توقّف وجود كلّ

(١) مر أن الغضا من شجر البادية ، صلب العود ، بعيد أمه الجمر ، يكثر الشعراء من التنغي به وتشبيه تسعر أشواق عشاقهم بجمره .

أما العيثران - ، بفتح الثاء وضمها ، أما العين والباء ففتوحتان . وعبوثران - : فهو نبات من المركبات الانبوية الزهر طيب الرائحة ، أوراقه تشبه في شكلها ورق الزيتون .

(٢) كلمة : (ولغيره) لم تكن في الاصل ، أضفناها ليتسق الكلام .

من الشيبين على وجود الآخر ، وإذا كان الجفاء بسبب وجود الشيب ، فالشيب متقدّم على الجفا ، وإذا كان كذلك ، فكيف يجعل الشيب بسبب وجود الجفاء ، فتأمله فإنه خفيّ ظاهر ، اللهم إلا أن يقال إن الدور على مجرد الدعوى ، وفي هذا المقام لا يتعيّن تقدّم شيء على شيء ، وما ألفت ما قال :

ما ازددت في حبّ من شغفت به إلا غراما عليه أو وكّها
وعشقتي في هواه دائرة آخرها لا يزال أوّلها

وحكى السيوطي في «تاريخه» لما كان سنة ٥٨٢ اجتمعت الكواكب الستة في برج الميزان ، فحكّم المنجمون بحراب العالم في جميع البلاد بطوفان الريح ، فشرع الناس في حفر مغارات في التخوم^(١) ، وسدّوا منافذها ، ونقلوا إليها الماء والزاد ، وانتقلوا إليها ، وأقاموا ينتظرون تلك الليلة التي وعدوا فيها بالريح ، وهي الليلة التاسعة من جمادى الآخرة من هذه السنة ، فلم يأت فيها شيء من الريح ، بل ولا هبّ نسيم ، بحيث أوقدت الشموع بين يدي السلطان صلاح الدين فلم يتحرك لها أصلا ، وعملت الشعراء في وصف هذه الحادثة :

كلام المنجم في لفظه يحلّ لدينا محل الحدّث
يخبّر عن حادثات السما ويجهل في بيته ما حدث

وقال آخر :

أحسّاب النجوم أحلّتمونا على علم أدقّ من الهباء
علوم الأرض لم تصلو إليها فكيف بكم إلى علم السماء
ويعجبني قول أبي الغنائم محمد بن المعلّم الواسطي :

قل لأبي الفضل قول معترف مضى جمادى وجاءنا رجب
ولا جرت زعزعا كما حكموا ولا بدا كوكب له ذنب
كلا ولا أظلمت ذكاء ولا بدت إذا في قرانها الشهب
يقضي عليها من ليس يعلم ما يُقضى عليه هذا هو العجب

(١) التخوم جمع تخم وهو الحد .

ثم لم نزل في أسر المسير ، حتى أتينا على تبوك ، وهي على النصف من طريق الشام ، وفيها عين ونخل وحائط ، وهي آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها قلعة فيها بئر وشجرة توت ، وحولها منازل للعرب ومزارع وأشجار على عيون وعريش . ثم أتينا على المعز ، وهو قفر لا أنيس به ، وأنشدني فيه السيد الأجل زين العابدين ، لعمه العلامة السيد زين الدين :

لا تحسبونا وإن شطّ المزار بنا
وكانت الدهر في تفريقنا وقضى
نحوّل عن منهج الودّ القديم بكم
أو نبغي بالتنائي عنكم عوَضاً
وأنشدني للفاضل محمد أفندي الحنائي :

يا بني الزهراء لا لُقِّيم
سِرِّكم لاح بمعنى آدم
أبد الآباد سوءاً من أحد
فلذا كلّ إليه قد سجد
وقال آخر :

يا آل بيت رسول الله حبّكم
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم
فرض من الله في القرآن أنزله
من لم يصلّ عليكم لا صلاة له
وقال :

من العشاق باح الدمع لما
لزورة صاحب الزوراء من قد
نوى ركب العراق إلى الحجاز
بنى سُبُل الحقيقة لا المجاز

ثم مررنا بالمضيق ، وهو مسلك حصر ، كثير الأوعار والمحاجر ، حتى أتينا على الأخيضر ، وهو واد مثلث الجوانب ، في جنوبيه قلعة سليمانية ، بتاريخ ثمان وثلاثين وتسعمائة ، وفيها عين تملأ منها ثلاث برك ، تلاصق القلعة المبنية لحفظ البئر من دفنها أيام عصيان بني لام وبني عقبة . ثم أتينا على المعظم وهو واد فيه قلعة عثمانية ، عمرت سنة إحدى وثلاثين وألف ، غير أنه لم يكن بها ماء ، وقد أشرفت على الدمار ، وفيه يقول بعضهم :

يا ذا المعظم إنّ فيك لقسوة
فلأني معنى قد سُميت معظماً؟
إنّ المعظم من يُغيث وفوده
وأراك أفنيت الأنام من الظما

وعند القلعة بركة عظيمة متسعة جداً ، يأتيها الماء من الأمطار ، ولها خمس

وعشرون درجة ، ولما وردناها وجدنا منها خمسة عشر درجة في الماء الفرات ، ثم أتينا على الأقرع ، ثم بشطب العجوز ، وهو شعب فيه ماء غزير من المطر ، ولا يكاد يخلو عنه فيما يقال . ثم أتينا على المبارك ، وهو بين صخرتين عظيمتين كالمزمين ، يمرّ من بينهما الركب ، ويكون له ضجيج بالاستغفار ، وزعموا أنّ صالحا عليه السلام عقرت ناقته هناك . ثم أتينا على مداين صالح ، وهي بيوت منحوتة في الصخور ، وعندها آبار . ثم أتينا على العلى ، فاجتمعنا بأبناء البلاد ، من جيران سيّد العباد ، وسند العباد ، فقرت بهم النواظر واستقرت .

لله يومي بالعلّى إذ شاهدت
ورأيت فيه جيرة من يثرب
عيناى آثار النبي الهادي
سقيت منازلهم بصوب عهداد

غيره :

يا واردا من حمى المختار يخبرني
ناشدتك الله إن أوليت مكرمة
عن جيرة شنف الأسماع بالخبر
حدثت فقد ناب سمعي اليوم عن بصري^(١)
فأقمنا في العلى ، مع إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، ثلاثة أيام لباليها ، تحكي عقودا تزينت بلآليها .

فله ما لاقيت فيها من الهنا
وحدثني يا سعد عنها فزدني
ولله حادي العامرية إذ يحدو
شجوننا فزدني من حديثك يا سعد

والعلّى قرية لطيفة ، على ست مراحل من المدينة المنورة ، وهي منقطع أحكام الشام ، وكانت معافاة أيام الجراكسة ، فغزاهم عرب أيام العثمانيين ، فرفعوا أمرهم إلى نائب الشام عيسى باشا ، فأمر أن يُبنى حصن ويجعل فيه حرس ويحيى^(٢)

(١) عهداد : جمع عهد أو عهدة أو عهدة - الأول يفتح العين والثانية بكسرهما - ، وهو اول مطر الربيع . وشنف : زين . والحادي : الذي يسوق الإبل ويتغنى لها ، ويحدو : يرفع صوته بالحداء .

(٢) الظاهر أنها تصحيف عن (يجي) التي يقتضها المعنى . وسبق أن أشرنا إلى أنه يريد بالعثمانية : العثمانيين . أما الجراكسة ، فهم المماليك حكام مصر بعد الأيوبيين وقبل العثمانيين ، وهم صنفان : المماليك البحرية ثم المماليك الشراكسة ، الذين عناهم المؤلف ، وكان آخرهم قانصوه الغوري ، ثم طومان باي ، اللذين تغلب عليهما السلطان سليم الاول العثماني لما فتح الشام ومصر .

ويبدو ان العثماني دينار ، اي ليرة ذهبية .

القرية ، ويضرب على كل نخلة عثمانى للحرس ، فانتهت الجباية إلى الترقى وبطل الحرس ، فشكوا فلم تفتحهم الشكوى وتضاعفت المظلمة ، وكان الأمر كما قيل :

ربّ من ترجو به دفع الأذى سوف يأتيك الأذى من قبله
وهي كما يقال روضة غنّا ، وغیضة حسنا ، بها النخيل الباسقه ، والأشجار
المتناسقه ، وفيها عينان تجريان :

مياه بوجه الأرض تجري كأنّها صفائح تَبْرٍ قد سُبِكن جداولاً
كأنّ بها من شدة الجري جنّة وقد ألبستهنّ الرياح سلاسلًا
وقال :

كأنّما النهر إذ مرّ النسيم به والغيم يهَمِّي وضوء البرق حين بدا
رشق السهام ولمع البيض يوم وغيّ خاف الغدير سطاها فاكنتسى زردًا
وقال :

روض كمخضّر العذار وجدول نقّشت عليه يد النسيم مَبَاردا^(١)
(لطيفة) : حكّي أنّ ملك الروم كتب إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه
أيام خلافته : بلغني أنّ ببلدك شجرة تخرج ثمرا كآذان الحمُر ، ثم تنشق عن أحسن
من اللؤلؤ المنضد ، ثم تخضّر فتكون كالزمرّد الأخضر ، ثم تحمرّ وتصفّر فتكون
كشندور الذهب وقطع الياقوت ، ثم تنبع^(٢) كأطيب الفالودج ، ثم تبيس فتكون قوتا ،
فإن كان كذلك فلا شك أنّها من شجر الجنّة . فكتب إليه : صدقت رسلك ،
وإنّها الشجرة التي ولد تحتها المسيح عليه السلام . وقال خالد بن صفوان يصفها :
هي الراسخات في الوحل ، المطاعم في المَحَل ، الملقحات بالفحل ، المونعات

(١) التبر : الذهب الخام قبل ضربه او صوغه . والجنة : الجنون ، والجن أيضاً . ورشق السهام :
رميها . والبيض : السيف . والزررد - وجمها زرود - الدرع ذات الحلقات المتداخلة .

والعذار : ما كان من الخمية في جانبي الوجه ، وموضعه فن الوجه . والفالودج : نوع من الحلوى
قديماً ، كان له واللوزينج مقام رفيع عند ذوي البطون ، اخذوا فن صنعها وإهدار الجهود والأوقات
والأموال فيها وإرهاق المعدّهما . . عن الفرس .

(٢) كذا ، ولعلها : (تينع) .

كشهد النحل ، تخرج أسفاطاً غلاظاً وأوساطاً ، ثم تنشقّ عن قضبان لجينّ وعَسَجَدَ ،
كالدرّ المنضدّ ، ثم تصير ذهباً أحمر بعد أن كانت في لون الزَبْرَجَدِ .

كأنّ النخيل الباسقات وقد بدت لناظرها حسناً قباب زبرجد
وقد علقت في فرعها زينة لها قناديلَ ياقوت بأمراس عسجد
يُروى أنّ النخلة أول شجرة استقرت على وجه الأرض ، وأنها خلقت من
فضلة طينة آدم عليه السلام . وفي الخبر : « أكرموا عماتكم النخل » . وقال البهلول (١) :
وعماتك النخل كن مثلها لرامي الحجارة ترمي الرطب
ثم أخذنا في قطع المراحل ، وسلوك فجاج المسالك والمنازل ، حتّى مررنا
بآبار الفقير ، وهي أربعون بئراً فيما يقال ، ثم أتينا على مطران وهو واد قفر
محمل ، وفيه يقول القائل :

مطران مثل الشعب قفر محمل ما فيه من عطف على ولئهان
ومن العجائب أنّه لم يُولينَا مطراً ويُسمّى قفره مطران

ثم أتينا على بئر الزمرد ، وهي على الجادة بين جبال متضايقة ، فارتوى منها
الظمان ، واطمأنّ بها الولئهان ، ورحلنا عن ذلك الواد ، وقد طاب الفؤاد .

ومرّ بيّ النسيم فرقّ حتّى كأنّي قد شكوت إليه ما بي
ولم نزل نجوب الأعوار ، ونقطع الفيافي والقفار ، حتى أتينا على شعب النعام ،
وهو قفر خال من الأنعام ، اتفق أنا اشترينا فيه من العرب قربة ماء بنصف دينار ،
ثم رحلنا ، وعزرة تختطف من الركب ما كتب لها :

وإذا رأيت مصائباً في معشر فحظوظ ضعفاهم أجلّ وأوفر

(١) المحل : الجذب . وأسفاط جمع سفظ وهو وعاء كالقفة . والجين : الفضة . والمسجد : الذهب
والمنضد : المجتمع الى بعضه باتساق . والباسقات : العالية المرتفعة . وامراس : جبال ، مفردها مرس
ومفرد مرس مرسة — بفتح الراء فيها — . وبيت البهلول (وعماتك النخل . .) سبق في صفحة ٦١ .
والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين .

وقال :

فسرنا ، ووهج الجوّ أوقد حرّه وليس إلى شمّ النسيم سبيل
كان نسيم الجو قد مات وانطوى فعهدي به في الشام وهو عليل^(١)

ثم أتينا على هديّة ، وهي شعب مسيل ، فيه نخل وماء من بقايا السيل ، وهو من أحبّ المياه وأضرّها ، وسمومها ، يورث الحميات ، وبالجملة فإنّها بقعة وخيمة ، ورقعة ذميمة ، سهام وبائها صائب ، وحمى خبيرها متناوب ، وداخلها لا يأمن من الدنيا الفراق ، ولو كان له ألف راق ، وكيف لا وهو أوها سهام بالليل سموم بالنهار ، وماؤها يسيل بالصحة والأعمار ، وهي على مرحلة من خبير ، وخبير اسم ولاية مشتملة على حصون وعيون ومزارع ونخيل ، على ثلاثة أيام من المدينة ، على يمين الخارج إلى الشام . ثم رحلنا فلم نزل نطوي بالسير الفيافي القفار ، فمررنا بالعقبة السوداء ، ومنها ترى الفحلّتان ، ثم أتينا على الفحلّتين ، وهما قنّتان على شاهق جبل من غربي الجادة ، ثم أتينا على واد القرى ، قيل كان بها ألف قرية ولم يبق منها غير الأطلال ، ومنها كثير عزة ، ولا ماء به ، وحرّه شديد ، ولذلك قيل :

وادي القرى شاهده ما فيه للضيف قري

وفي المصيف حرّه تحسب فيه سقرًا

ثم امتطينا متنّ الغبراء ، وازورّ مسيرنا لنحو الزوراء ، فلم نزل كذلك ،
نجوب هاتيك المسالك

ولأهل الزوراء في القلب ودّ فسلام على حمى ساكنيها

هي دار السلام طابت مقاما ومقيلا والقول ما قيل فيها

وقد زاد الشوق ، وحثّ السوق

وأعظم ما يكون الشوق يوما إذا دنت الخيام من الخيام

(١) أورد الشيخ محمد نصيف على الهامش هذه الرواية الاخرى للبيتين :

أقول وحرّ الرمل قد زاد قدره وليس إلى شمّ النسيم سبيل
أظن نسيم الجو قد مات وانقضى فعهدي به في الشام وهو عليل

ثم أتينا على العراقيب ، فانشقنا من تلقاء طيبة أطيب العرف ، وسلكنا بحرف
وادها فكانت طيبة الإسم والفعل والحرف

فشممتُ من أرض الحج از نسيم أنفاس التلاق
وضحكت من فرح السرو ر كما بكيت من الفراق^(١)
ولما أسفر الصباح ، وفاح عرف هاتيك البطاح ، هبت لنا نسيمات العقيق
والنقا ، مؤذنة بالتداني واللقا

على ساكني بطن العقيق سلام وإن اسهروني بالفراق وناموا
حظرتم عليّ النوم وهو محلل وحلّتم التعذيب وهو حرام
إذا بنتم عن حاجر وحجرتم على السمع أن يدنو إليه كلام
فلا ميّلت ريح الصبا فرع بانّة ولا سجّعت فوق الغصون حمام
ولا قهقهت فيه الرعود ولا بكت على حافتيه بالعشاء غمام
فما لي وما للربيع قد بان أهله وقد قوّضت من ساكنيه خيام
ألا ليت شعري هل إلى الرمل عودة وهل لي بتلك البانتين لمّام
وهل نهلة من برّ عروة عذبة أداوي بها قلبا كـواه أوام
ألا يا حمامات الأراك اليكُمُ فما لي في تغريدكن مرام
فوجدي وشوقي مسعد وموانس ونوحني ودمعي مطرب ومدام

ولما أشرقت الأرض بنور ربها ، وتأرّجت تلك البقاع بطيب تربها ، تبدّت

(١) الغبراء : الأرض . ومتن الغبراء : ما ارتفع واستوى من الأرض . وازور : عدل وانحرف .
والزوراء : المدينة المنورة ، وبغداد أيضاً . والمقيل : مكان القيلولة .
و (ضحكت من فرح السرور ..) استحسن أن تكون : (.. فرط السرور) . والنقا :
القطعة المحدودة من الرمل لاسيا الابيض منه ، والمقصود هنا موضع قرب المدينة وكذلك العقيق . ولمناسبة العقيق
فقد أورد الشيخ محمد نصيف على الهامش هنا هذين البيتين للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر
الهمواري الاندلسي الضرير نزيل حلب :

ولما نظمنا بالعقيق مطينا نثرنا عقيق الدمع فوق المحاجر
وما كان لي قلب على الصبر ينطوي لأنني قد خلفت قلبي بجاجر
كما ذكر أن الابيات العشرة الميمية المذكورة (على ساكني ..) ذكر في «خلاصة الوفا» أنها
لعبد السلام بن يوسف .

من البركتين عرائس تلك النخيل ، وقال لسان الحال دونك صفاء العيش والظل
الظليل :

ولي ثمّ بين البركتين معاهد على حفظها قلبي الحفيظ أمين
فيا طيب عيش مر لي في ربوعها ودادك باق لست فيه أمين

غيره :

صاح هذي أعلام طيبة لاحت وفوادي على اللقاء حريص
وتبدت نخيلها للمطايا فعيون المطي للنخل خصوص
فترحلت، ولو أمكن لمشيت على الأحداق ، وتمليت بهاتيك الأنوار وبذلك
الإشراق ، وحمدت الله تعالى على ما أولى وأنا ، وأخذت أنشد قول من قال :

أيّها المغرّم المشوق هنيئاً ما أنالوك من لذيد التلاقي
قل لعينيك تهملان سرورا طالما أسعداك يوم الفراق
ابدل الحزن بالسرور ابتهاجا وجميع الاشجان والأشواق
وأمر العين أن تفيض سجالا وتوالي بدمعها المهراق
هذه دارهم وأنت محبب ما بقاء الدموع في الآماق

فتمليت من تلك الحضرة الشريفة ، والروضة المطهرة المنيفة ، بذلك المقام
النبيّ ، والمرام العلويّ

ولعيني لما بدا نور طه وحمي فيهِ منبر ومقام
قلت يا حادي الركائب قل لي هذه يقظلة وإلا منام

ولما ألقيت العصا والجراب ، وعزمت على ترك الذهب والإياب ، رأيت ركاباً
تُعد للسرّي ، ورحالا تُشدّ إلى أمّ القرى ، فعصفت بي رياح الغرام ، واهتاج
لي الشوق إلى البيت الحرام ، فزمت ناقتي ، ونبذت علاقتي .

وقلت للآنمي أقصر فإنّي سأختار المقام على المقام

وأنفق ما جمعت بأرض جمع
وأسلو بالحطيم عن الحطام^(١)
غيره :

ياسميري روح بمكة روجي
فذرأها سربي وطيسي ثراها
شادياً إن رغبت في إسعادي
وسيل المسيد وردي ورادي
ومقام المقام والفتح بادي
ومعراج قدسي

فبرزت من المدينة الشريفة ، ونزلت على ذي الحليفة ، وهي على ستة أميال منها ، فأحرمت منها بحجة لروح سيد المرسلين ، وخاتم النبیین ، رجاء أن أكون من المقبولين . ثم أتينا على خيف بني عمرو ، وهو شعب بين جبال شاهقة ، فيه النخيل الباسقة ، والأشجار المتناسقة ، وماؤه من جدولين ، أحدهما في الخيف^(٢) الأعلى ، والآخر في الخيف الأسفل ، والقرية على سفح الجبل ، لأن السيل يغشى الوادي . ثم مررنا بالحمراء والصفراء والحسينية ، وهي خيوف حسنة ، وقرى مستحسنة ، وأخذنا على طريق زقاقه ، وهي شرقي الطريق البدريه ، ثم أتينا على حسنا ، وهو واد قد يوجد به الماء من الامطار ، ثم أتينا على مستورة ، واد كثير الرمل ، وماؤه من حفائر يحلو مع المطر ، ويهجم مع المحل ، وعليه قرية لطيفة . ثم أتينا على رابع ، واد من الجحفة ، واسمه القديم رابوغ ، وهو ميقات أهل الشام ، وماؤه من الحفائر ، وعليه مزارع ، وهي على الساحل ، بحيث يوثى إليها بالسمك الطري ، في الغالب ، وهي كثيرة الغبار ، وفي ذلك يقول الفيومي :

(١) المقام : مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، قرب البيت ، ويستحب أن تصلى ركعتا الطواف فيه إن أمكن . وواضح أن المقام الثاني هو القعود والمكث . وجمع : منى ، إذ بها يجتمع الحجيج . والحطيم : حجر لإسماعيل عليه الصلاة والسلام لأنه كان من الكعبة فحطم عنها ، لما ضاقت على قریش النفقة الطاهرة الحلال . ولذلك يكون الطواف من ورائه لا بينه وبين الكعبة . والحطام : ماتكسر من الشيء اليابس ، والمقصود هنا حطام الدنيا وهو ما فيها من مال كثير أو قليل يفنى ولا يبقى .

(٢) الجدول : النهر الصغير . والخيف : ما ارتفع من سفح الجبل عن مسيل الماء ، وأشرفه وأعرفه خيف منى ، حيث اجتمع أهل بيعة العقبة بافضل الخلق صلى الله عليه وآله وسلم ، وحيث بني فيه بعد ذلك مسجد الخيف .

لم أنس بالحفنة يوماً غداً عقلي من أهواله زائع
يوماً لحوم الخلق فيه اشتوت من حره والقلب من رابع^(١)
ثم أتينا على دفين ، وهي كئبان قبيل السيل من جنة كلية^(٢) ، وفيه يقول :
ويوم سَرنا على دفين أوقد حرّ النهار نارَه
وصارت الشمسُ في التهابِّ وقودها الناس والحجاره
ثم أتينا على قديد ، وهو واد فيه آبار ومزارع وقرية لطيفة ، يقول لسان حال
سكانها :

بلاد ألفناها على كلِّ حالة وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
وتستطيب الأرض التي لا هواؤها ولا ماؤها عذب ولكنّه وطن
ثم مررنا بعقبة الرمل وتسمّى عقبة السكر ، لأن أرباب النعم يقسمونه عليها . ثم أتينا
على خليص وهي عين غزيرة الماء ، عليها نخل كثير ، وبركة متسعة جدا ،
وإذا احتاجت العين إلى العمارة جاء المصرف^(٣) إليها من حاصل جدّة ، كذا في
« زهر الرياض » وقد عفا رسم هذه العين لتغافل الدولة عنها ، وعسى أن يعود
الماء إلى مجاريه .

لله درّ الليالي في تقلّبها
بينما يرى الماء يجري في جداوله
ومن لطائف الخطيب محمد بن حجر :
جمالنا مهفّف
طلبت منه قبلة
تريدها مستورة
وكل أمربدا من حكمة الهادي
حتى يغور كأن لم يجر بالوادي
في أذنه أرخى خريص
فقال لي أنت لصيص
قلت له على خليص

ثم أتينا على عسّان ، وهي قرية جامعة ، على نحو يومين من مكة ، بها آبار وبرك
وعين تعرف بالعولاء^(٤) ، ينقل ماؤها إلى مكة للتبرك به ، ثم أتينا على البرقاء ، وهي واد
كثير الأعشاب ، وماؤه من الأمطار ما بين تلك الشعاب .

(١) البيت على هذا الشكل فيه اقواء يدل على خلل في عجزه لم تهتد إلى وجهه فيه نرتضيه .
ثم بدا لنا أن آخر كل من البيتين ساكن ، وانتبهنا أيضاً انه يكتفي في البيت الثاني عن الغبار ، لأن
رابع - وهي بليدة بين المدينة وجدة ، على الطريق ، معروفة - قلبها « غبار » ف : « القلب من رابع »
معطوفة على « حره » .

(٢) كذا في الأصل . ولعل « جنة » مصحفة عن « جهة » أما كلية فلم تهتد إلى وجهها .

(٣) كذا ، ولعلها « المتصرف » .

(٤) هكذا هي في الأصل ، وعلى الهامش « الغولاء » بالغين .

ثم أتينا على الوادي^(١) ، وما أدراك ما الوادي ، واد فسيح الجناب ، منحصر الأرجاء والرحاب ، به النخيل التي لا تحصى ، والحداول التي محاسن رياضها لا تستقصى ، وفيه الكادى الذي هو أطيب الطيب ، وأنواع البطيخ العجيب ، وقد تزينت أرجاؤه بقباب^(٢) أبناء الزهراء ، فلا فقدتهم تلك المنازل ، ولا برح كل روض بهم عاطر وآهل .
ثم رحلنا منه والأشواق تقودنا إلى البيت الحرام ، وتسوقنا إلى البلد الذي لا يزال يقصد ويرام .

بلد به البيت المحرم قبلة	للعالمين له المساجد تعدل
حرام حرام أرضه وصيوده	والصيد في كل البلاد محلل
وبه المشاعر والمناسك كلتها	وإلى فضيلته البرية ترحل
وبه المقام وحوض زمزم مشرع	والحجر والركن المشيد الأفضل
والمسجد العالي المحصب والصفاء	والمشعران لمن يطوف ويرمل
وبمكة الحسناء يضاعف أجرنا	وبها المسيء من الخطايا يغسل

وجد بنا السير إلى أم القرى ، فدخلنا من باب السلام ، إلى ذلك المقام ، وأقمنا بذلك البلد الحرام ، ثم توجهنا إلى عرفة ، وهي على اثني عشر ميلاً من مكة ، فقضينا الحج وعلى الله القبول ، كانت حجة الجمعة المشهور فضلها على غيرها . ثم توجهنا إلى منى فرمينا الجمار ، وبلغنا بها الأوطار . ومنى على فرسخ من مكة ، بين جبلين مطلين عليها ، أحدهما ثبير ، وهو موضع الكعبش .

وآي منى خمس فمنها اتساعها	لحجاج بيت الله لو جاوزوا الحداً
ومنع حداة خطف لحم بأرضها	وقلة وجدان البعوض بها عدداً
وكون ذباب لا يعاقر طعمها	ورفع حصى المقبول دون الذي رُدّاً

(١) يذكر الشيخ محمد نصيف على الهاشم أن هذا الوادي هو : « الوادي المسمى وادي فاطمة ، وهو وادي مر ، أو مر الظهران » .

ومر الظهران موضع على مرحلة من مكة فيه عيون كثيرة .

(٢) يقول الشيخ محمد نصيف أيضاً على الهاشم : يقصد المؤلف بالقباب بيوت الاشراف اولاد السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

وقال :

ولما قضينا من منى كل حاجة
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
ومسح بالأركان من هو ماسح
وسألت بأعناق المطي الأباطح
فأقمنا في بيوت أذن الله أن يرفع شأنها ، ويسبح فيها بالغدو والآصال سكانها ،
وشهدنا من أهلها تلك الصباحة ، وعلمنا مقرر الملاحاة والفصاحة ، وما ألطف ما قال
القاضي عز الدين الكناني :

تطالبني نفسي مقاماً بمكة
حياء من التقصير في حقّ بعضهم
ويغلبني شوقي إليها فإنني
وأقدم رجلي تارة وأؤخر
فأذكر ضعف أهلها فاقصر^(١)
وإرضاء كلّ منهم متعذّر
وما أحسن ما قال :

يا أهل دار المعلّى والبقيع سقت
لو أنّ روعي في كفتي لزرتكم
ثم أخذنا بأطراف الملتزم ، وتصلّعنا من ماء زمزم ، وأخذنا بحظّ من ذلك
المقام ، ورجونا الله تعالى تحقيق المرام

أكرم بزمزم إذ غدا متفجّرا
حاوي الملاحاة والعذوبة والشفا
بمعين ماء للمفاسد يصلح
فلذاك يحلو للقلوب ويملح

ولما كان اليوم الثاني والعشرون من ذي الحجة الحرام ، عدنا على تلك المنازل
التي تقدّم ذكرها ، ورجعنا كما ترجع إلى منازل الأفق زهرها^(٣) ، وعند افتتاح
عام « ختم » ، قدمنا المدينة وقد حصل المراد وتمّ

(١) يستقيم الوزن بإشباع فتحة الفاء من « ضعف » . وإن كنا نستحسن ان تكون : فأذكر -
ضعفاً - أهلها فأقصر .

(٢) المعلّى : مقبرة أهل مكة . والبقيع : مقبرة أهل المدينة .

(٣) الزهر - جمع أزهر - : النيرة الصافية اللون ، وهي النجوم . وسبق ان تحدّثنا عن بروج الشمس
ومنازل القمر والنجوم .

وعام « ختم » هو عام أربعين بعد الالف ، وذلك لأن :

ختم : ٦٠٠ + ٤٠٠ + ٤٠ = ١٠٤٠ .

فيا عينيّ بيتا في اعتناق ويا نومي قدمت على الكرامه
ويا قلبي هنيئا بالتداني وبشري قد قدمت على السلامه
وها أنا قد ألقيت عصا الترحال بفنائها الفسيح ، وعزمت على أن لا أفارقها
إلا مع الأجل المريح

وقد طفت البلاد ومن عليها كراماً في الطبائع أو لثام
فلم أرَ مثل جيرانى وأهلي لثلي عند مثلهم مقام
وقال :

عليّ عهد عن ديارك لا أخطو وإن ضاق فيها العيش أو طاول القحط
على أنني فيها على خير حالة عزيز جناب لا يزاولني البسط
وقال :

إذا لم تقم في طيبة عند طيب به طيبة طابت فأين تطيب ؟
وإن لم يجب في جبهنا ربنا الدعا ففي أي حيّ للدعاء يجب ؟
غيره :

سقى الله يثرب من بلدة وطاف بها مستفيض السحاب
بلاد تسامت بمن حلّها وعزّت ففيها الدعا يستجاب
غيره :

رعى الله طيبة من بلدة وساق السحاب لأعتابها
فقد جمعت كلّ فضل جزيل ولا يدخل الفصل من بابها
ومن محاسن الخانوتي :

يا أهل طيبة لا زالت شمائلكم كالروض باكره سار من الديم
أنفاسكم والنفوس الغرّ ما برحت كالزهر والزهر في لطف وفي كرم
ما أمكم زائر إلاّ وآب بما يربو على فكره من كلّ مغتم
فأنتم الطيبون الطاهرون ومن لا ريب في مجدهم من سالف القدم
لا عيب فيكم سوى أنّ التزيل بكم يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

جميلكم جلّ أن يحصى وفضلكم
كفاكم بجوار المصطفى شرفا
لولاكم خيرة الله الكريم لما
والله جلّ اسمه بالقرب خولكم
لا زلتم وأمان الله يكلّوكم
وكيف أخشى الرزايا أن تليكم بكم
عليه صلّى اله العرش ما سجعت
 وآله الطهر أرباب الكمال ومن
في الناس أشهر من نار على علم
وجار ذي الجاه أنى كان لم يضم
كنتم له جيرة من سائر الأمم
وزادكم بسطة في العلم والمهم
مما أحاذر في حرز من اللّم (١)
وأتم من حمى المختار في حرم
ورق الحمام بين الضال والسلم
والاهم وجميع الصحب كلهم

وقال القزويني في كتاب «آثار البلاد وأخبار العباد» : الحجاز ، ومنه
مدينة يثرب ، وهي حرّة سبخة ، مقدار نصف مكة ، من خصائصها أن من دخلها
يشم رائحة الطيب ، وللعطر فيها فضل رائحة لم توجد في غيرها .

وإذا لم تر الهلال فسلّم لأناس رأوه بالأبصار

قال : وأهلها أحسن الناس أصواتا ، قيل لبعضهم : لم كنتم أحسن الناس
أصواتا؟ قال : مثلنا كالعبدان خلت أجوافنا فصفت أصواتنا ، في «الخريدة» :
هي مستوى من الأرض ، وعليها سور قديم ، وحولها نخل كثير ، وثمرها في غاية
الحلاوة ، وأما حدائقها فكما قال بعضهم : كنت إذا دخلتها كأنني أبشّر قلبي
بنضح السرور والفرح ، ولم أجد لذلك سببا إلا انفساح جوّها ، وحسن هوائها ،
وطيب نسيمها ، وصحة إقليمها . ويكفي في فضلها خبر : من استطاع أن يموت
بالمدينة فليمت فإنني أشفع لمن يموت بها .

(١) خولكم : اعطاكم وتفضل عليكم . والبسطة . التوسع . ويكلؤكم : يحفظكم ويحرسكم ويحميكم .
والحرز : الموضع الحصين . واللّم : صغار الذنوب . والرزايا : المصائب . والضال - الواحدة
ضالة - : شجر يشبه النبق ، له ثمر يؤكل . والسلم - واحده سلمة - : شجر ذو شوك ، يكثر في جزيرة
العرب والبلدان الحارة ، من فصيلة القطنيات .

والجار محسُوب على جيرانه جار الكريم مسامح من ذنبه

غيره :

يا أهل طيبة قد سكنتم أضلعي فودادكم نامٍ وشوقي محكم
لا غرّو أن أرحى هواكم منشداً : من أجل عين ألف عين تكرم

هذا آخر هذه الرحلة المكتوبة ، والله الحمد على فراق تلك الأوقات المتعوبه ،
فليكن محمولاً على متن الحلم كلامها الموضوع ، فقد علم الله تعالى أنّها صدرت
عن قلب مكسور وفؤاد مصدوع ، وقد أنشأتها بالاغترار ، وأمليتها بلسان الاضطرار ،
فكانت من سقط المتاع ، المستوجبة لأن لا تباع ، لا سيّما إن رميت بالكساد ،
وافساد الحسّاد ، وقيل هذا هذاء ، هذاء إذا كان من منح هذا الدهر الملوم
اساءة وايداء ، فالمرجو من ذوي الانصاف ، والمعصوم عن وصمة الاعتساف ،
المعذرة فيما طغى به القلم ، وزلت فيه القدم ، على أن المعترض مصاب وإن أصاب .

وليس اعتقاد المرء ما خطّ كفه كما أن حاكمي الكفر ليس بكافر

على أن الحاكم بالتخطئة لا يخلو من حسد أو عناد ، ولا ينجو من هوى يعدل
به عن سبيل الرشاد ، وعسى أن يظفر بمخرج صالح لو دقق النظر ، أو يقف على
منهج واضح إن لاحظ المقصد المعتبر ، ولكن من جبّلت جبيلته بماء التعسف ،
وخمّرت طينته بالعناد والتكلف ، لا يزال يرفع عن قبول الحق شامخ أنفه ،
وإن أوتي الحق الصريح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

خذ من زمانك ما صفا ودع الذي فيه الكدر
العمر أقصر مدّة من أن يدنس بالغير

وحيث تشرّفت بألقاب قطب دائرة الوجود ، ومركز العلم والحلم والوجود ،
فلا غرّو أن تكون من أحسن الوسائل ، وأنفع الوسائل ، لا سيّما وقد احتوت على
كثير من مفيد الأخبار ، وانطوت على مواعظ ترتضيها الأخبار ، إلى غير ذلك
مما يفيد سلامة الطبع ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع .

يا رحلة جمعتها ألفاظها تستعذب

لا تستقلّوا حجمها فيها الكثير الطيب

فلتكن تذكرة في الحياة ، وأثراً بعد الممات ، تصلح لمسامرة المجلس ، وتكون للوحيد نعم الأنيس .

رسالة طالب في الكون أضحى يرى مطلوبه في كل مصر
حوت أوراقها أبيات شعر ولكن كل بيت مثل قصر
غيره :

وكم من رسالات رَقَمْتُ نقوشها فلم أنتفع يوماً بتلك الرسائل
أراني في حرمان ما كنت ارتجى وآخر عمري لاحقاً بالأوائل

وأنا استغفر الله تعالى من التجوُّز في المقال ، وألجأ إليه من الوقوع في ربة
القييل والقال ، فلا أتعلم بالموهات من الوسوس الشيطانية ، والمسولات من
الهواجس النفسانية ، ولا أكون ممن أفتن وقبح ، واسأله أن يختصني بالقبول
المرضي ، والعطاء الفيضي ، هذا وإن أخطأت تحقيقاً ، فمن البرّ ما يكون عقوقاً (١) .

كتبت وقد أيقنت أن جوارحي ستبلى ويبلى كل ما أنا ناقله
فإن كان خيراً سوف أحمد غيبه وإن كان شراً أوبقتني غوائله
فأستغفر الله العظيم من الذي كتبت ومما قلت إنني لقائله

والحمد لله أولاً وآخراً ، وباطنا وظاهراً ، ونشكره في الأولى والآخرة ،
ونسأله عواطف رحمته الفاخرة ، إنّه الجواد الذي لا يخيب من أمّله ، ولا
يخذل من قطع رجاه من سواه وأمّ له .

يا سفرة شقت بكل مشقة وخلا محيّاها عن الإسفار
كتبت لنا خطأً خلا من احرف لكن ظفرت بنزهة الأسفار

(١) الربة - بفتح الراء وكسرهما - : العروة في الحبل . كناية عن الوقوع في الإثم .

والموهات : الخدع والزخارف وما يلبس به .

والمسولات : المزيّنات المغويات .

و : «من البر ما يكون عقوقاً» : عجز بيت للإمام «البخاري» :

رام نفعاً فضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقاً

وأويق : أهلك .

والغوائل : الدواهي .

تم

بحمد الله ومنه وتوفيقه وعونه، قد تمّ طبع هذه الرحلة الجميلة المشتتة على الفرائد الجليله يطلع من طالعها على أخلاق الرجال، وما جبلوا عليه من مختلف الخصال، فيرغب في الممدوح منها، ويجتنب المذموم، على حسب ما في جبلته من الجوهر المقسوم وناهيك بكتاب جمع من النوادر الحسان، ما تنبسط بها النفوس التي قبضتها صروف الزمان، ولله درّ مؤلفها حيث أورد من الأشعار الفائقة، والمعاني الرائقة، بحسب اقتضاء الحال، وسياق المقال، ما يتمثل به المنشئ في رسائله، ويحلى به جيد وسائله، الا أنه كان في أسوء حال، وأقبح تمثال، مما جنته عليه أقلام النساخ، وما جرى منها على وجهه من الاوساخ فحرفوا وصحفوا، وأسقطوا منه فأجحفوا، وما أحسن التصحيح الجليل، اذا كان مع الطبع الجميل، فهما كالدين والدنيا اذا اجتمعا، وكالحب والمحبوب إذا كانا معا، فاعتنى بتصحيحه وبذل جهده في تنقيحه العبد الضعيف مصطفى وهبي، أمدّه الله بلطفه الوهبي والكسبي، وكان طبعه على ذمة من هو بالفضل ممتاز، جناب الشيخ عبد الله الباز، زاد الله اقباله وبلغه آماله بالمطبعة الوهبيه، احدى المطابع المصريه في آخر العشر الثاني مسن شهر شوال الذي هو من سنة ثلاث وتسعين بعد المائتين والألف من هجرة من بلغ الى أقصى الكمال، صلى الله عليه وآله والتابعين له في كل أحواله ما سار الهلال فصار بدرا، ولقى الفتى من سفره نصبا واجرا .

آمين

فهرس الآيات

- الصفحة: ٣ (قل بفضل الله وبرحمته . . .)
- الصفحة: ٤ (فامشوا) .
- الصفحة: (٩) (وإنا منا المسلمون ومنا القاسطون)
- الصفحة: (١٢) (وأبدلناهم بجنّتهم جنّتين . . .)
- الصفحة: (١٧) (لا تأخذه سنة ولا نوم) .
- الصفحة: ١٩ (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) .
- الصفحة: (٢٣) (وفرش مرفوعة) .
- الصفحة: ٢٨ (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) .
- الصفحة: ٢٨ (وهذه الأنهار تجري من تحتي) .
- الصفحة: ٢٩ (قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) .
- الصفحة: (٣٠) (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)
- الصفحة: ٣٤ (وقدّت قميصه من دبر . . .)
- الصفحة: ٣٩ (اتخذت مع الرسول سيلا) .
- الصفحة: ٤٠ (إني لأجد ريح يوسف) .
- الصفحة: ٤٢ (فألقيه في اليم) .
- الصفحة: ٤٢ (وأنزلنا من السماء ماء . . .)

- الصفحة: ٤٢ (وإنا على ذهاب به لقادرون) .
- الصفحة: (٤٢) (فلما فصل طالوت بالجنود قال : إن الله مُبْتَلِيكُمْ بنهر..)
- الصفحة: (٤٤) (وحوار عين) .
- الصفحة: ٤٦ (نكال الآخرة والأولى) .
- الصفحة: ٥١ (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) .
- الصفحة: (٥٢) (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل . . .)
- الصفحة: ٥٥ (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) .
- الصفحة: (٥٨) (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة . . .)
- الصفحة: (٥٩) (فإن لم يصبها وابلٌ فطلّ) .
- الصفحة: ٦٢ (يوسف أعرض عن هذا) .
- الصفحة: ٦٦ (والله من وراءهم محيط * بل هو قرآن مجيد . . .)
- الصفحة: ٦٩ (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير . . .)
- الصفحة: (٧٠) (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) .
- الصفحة: ٧٢ (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن . . .)
- الصفحة: ٧٣ (لن تستطيع معي صبراً) .
- الصفحة: ٧٤ (اهبطوا مصرأ) .
- الصفحة: ٧٤ (فتيّموا صعيدياً طيباً) .
- الصفحة: (٧٥) (فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم . . .)
- الصفحة: ٧٩ (ستكتب شهادتهم ويُسألون) .
- الصفحة: ٨٢ (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله)
- الصفحة: ٨٣ (فما بكت عليهم السماء) .
- الصفحة: ٨٣ (وما رميت إذ رميتَ ولكن الله رمى) .

- الصفحة: ٨٣ (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم . . .)
- الصفحة: (٨٨) (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم . . .)
- الصفحة: (٨٩) (إنما النسيء زيادة في الكفر) .
- الصفحة: ٩٨ (مالي لا أرى الهدهد) .
- الصفحة: ١٠٢ (ولا تعدو عيناك عنهم)
- الصفحة: ١٠٣ (وما علمناه الشعر وما ينبغي له)
- الصفحة: ١٠٥ (فأخرجناهم من جنات وعيون)
- الصفحة: ١٠٩ (وما رميت إذ رميت) .
- الصفحة: ١١٨ (إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد)
- الصفحة: ١٢٠ (ما فرطنا في الكتاب من شيء)
- الصفحة: ١٢٠ (والطير محشورة كل له أوّاب)
- الصفحة: ١٢٠ (لو كنت فظاً غليظ القلب لا نفصوا)
- الصفحة: ١٢٠ (مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها) .
- الصفحة: ١٢١ (ولقد نصركم الله بيدر) .
- الصفحة: ١٢١ (طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) .
- الصفحة: (١٣٤) (وشاورهم) .
- الصفحة: ١٣٥ (هو الذي يسيركم في البرّ والبحر) .
- الصفحة: ١٣٩ (يفرح المؤمنون بنصر الله) .
- الصفحة: (١٤١) (قال إنك لن تستطيع معي صبرا) .
- الصفحة: (١٤١) (حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما)
- الصفحة: ١٤٧ (اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور) .
- الصفحة: ١٤٨ (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)

- الصفحة: ١٤٩ (ولا يحق المكر السيء إلا بأهله)
- الصفحة: ١٤٩ (فاعتبروا يا أولي الأبصار) .
- الصفحة: ١٥٣ (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) .
- الصفحة: (١٥٣) (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق)
- الصفحة: (١٥٨) (ولا تبخسوا الناس أشياءهم)
- الصفحة: ١٦١ (ولن تجد لسنة الله تبديلاً)
- الصفحة: (١٦١) (أليس الله بكاف عبده) .
- الصفحة: ١٦٢ (فلا تلوموني ولوموا أنفسكم)
- الصفحة: ١٧٤ (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) .
- الصفحة: ١٧٦ (وأذن في الناس بالحج . . .)
- الصفحة: (١٨٥) (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال . . .)
- الصفحة: (١٨٦) (وحيل بينهم وبين ما يشتهون . . .)
- الصفحة: (١٩٤) (وجمعناهم جمعاً)
- الصفحة: (١٩٤) (ماسلككم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين . . .)
- الصفحة: ١٩٨ (فيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين)
- الصفحة: ١٩٩ (الم * غلبت الروم . . .)
- الصفحة: ٢٠٦ (حسبنا الله ونعم الوكيل)
- الصفحة: ٢٠٨ (والتين والزيتون) .

فهرس الأجارس

الحدس رزم : (١) صفءة : (١٥) :

« وقد ءاء فف صفءة مهاءر النبف صللله علفه ، فثرب ، أنها أرفس ذاء نءل ، بفن ءرففن »

الحدس رزم : (٢) صفءة : (١٦) :

« الءفاء من الاءمان » .

الحدس رزم : (٣) صفءة : (٣٩) :

« إن من البهان لسءرا » .

الحدس رزم : (٤) صفءة : (٤١) :

« اللهم إنف أسألء ءفرها وءفر ماففها وءفر ما أرسلء به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلء به » .

الحدس رزم : (٥) صفءة : (٤٢) :

« أنزل الله ءعالف من الءئءة إلى الأرفس ءمسءة أنهار : سفءون وءفءون وءءلة والفراء والنفل ، أنزلها من عفن واءءة من الءئءة ، من أسفل ءرءة من ءرءاءها ، على ءناءف ءبرفل علفه السلام ، واستوءعها الءبال ، وأءراها فف الأرفس بقءر ، فذلك قولة : (وأنزلنا من السماء ماء بقءر فأسكناه فف الأرفس) فإذا كان عءء ءرءف فأءوء ومأءوء ، أمر الله ءبرفل فرفع من الأرفس القرآن والعلم والءءر من البفء ومقام ابراهفم وءابوء موسى بما فف ، وهذه الأنهار الءمسءة ، ففرع كل ذلك إلى السماء ، فذلك قولة : (وإناف على ذهاب به لقاءرون) » .

الحديث رقم: (٦) صفحة: (٤٢) :

«الأنهار النازلة من الجنة، وأن منها دجلة والفرات وسيحون وجيحون» .

الحديث رقم: (٧) صفحة: (٤٥) :

أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : غار النيل على عهد فرعون ، فأتاه أهل مملكته فقالوا : أيها الملك أجز لنا النيل ، قال : إني لم أرض عنكم ، فذهبوا ثم أتوه فقالوا : يا أيها الملك ماتت البهائم وهلك الأبقار إن لم تجر لنا النيل لتتخذن إلهاً غيرك ، قال اخرجوا إلى الصعيد فخرجوا فتنحى عنهم بحيث . . .

الحديث رقم: (٨) صفحة: (٥١) :

« يغزو جيش الكعبة فاذا كانوا بيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم . قالت عائشة . . . »

الحديث رقم: (٩) صفحة: (٥١) :

جواب معاذ بن جبل للناس في طاعون عمواس : إنكم تدعون رجزاً وليس برجز إنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وشهادة ينخص الله بها من يشاء من عباده ، يا أيها الناس خافوا . . . الخ

الحديث رقم: (١٠) صفحة: (٥٨) :

روي أن عمر رضي الله عنه قال : أشعر الناس الذي يقول : ومن ، ومن ، ومن ، ومن . . .

الحديث رقم: (١١) صفحة: (٦٤) :

روي أن الله تعالى لما خلق الأشياء ، قال القتل : أنا لاحق بالشام ، فقالت الفتنة وأنا معك ؛ وقال الحصب . . .

الحديث رقم (١٢) صفحة: (٦٤) :

وروي أن الله تعالى جعل البركة عشرة أجزاء ، تسعة منها في قريش ، وواحد في سائر الناس ، وجعل الكرم . . .

الحديث رقم: (١٣) صفحة: (٦٧) :

روي أن الدابة تخرج من جبل جياذ في أيام التشريق والناس في منى .

الحديث رقم: (١٤) صفحة: (٧٠) :

الله الله في أصحابي .

الحديث رقم: (١٥) صفحة: (٨١) :

«زيد بن أرقم: أكف فلقد رأيت النبي ﷺ يقبل هذه الثنابا» .

الحديث رقم: (١٦) صفحة: (٨٣) :

روي عن ابن عباس أنه قال: رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر ويده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأمي ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين لم أزل ألتقطه منذ اليوم .

الحديث رقم: (١٧) صفحة: (٨٣) :

عن أبي حباب الكلبي قال: أتيت كربلاء فقلت لرجل من أشراف العرب بها: بلغني أنكم تسمعون نواح الجن . . . الخ وقال السدّي: لما قتل الحسين بكت السماء عليه وبكاؤها حمرتها .

وعن عطاء في قوله تعالى: (فما بكت عليهم السماء) قال بكاؤها حمرة أطرافها .

الحديث رقم: (١٨) صفحة: (٨٤) :

أكثروا من ذكر هاذم اللذات .

الحديث رقم: (١٩) صفحة: (٨٨) :

الأمر بالإنصات أثناء الخطبة، وأن من لغا فلا جمعه له .

الحديث رقم: (٢٠) صفحة: (١٠٣):

استنشد رسول الله ﷺ بعض أصحابه من شعر أمية بن الصلت فأنشده مئة قافية .

الحديث رقم: (٢١) صفحة: (١٣٠):

مر عمر بجسان وهو ينشد الشعر في المسجد، فنظر إليه شزراً ، فقال له: كنت أنشده فيه، وفيه من هو خير منك .

الحديث رقم: (٢٢) صفحة: (١٠٩):

« . . كنت سمعه الذي يسمع به . . »

الحديث رقم: (٢٣) صفحة: (١٠٩):

« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

الحديث رقم: (٢٤) صفحة: (١٢١):

كنت كترأ خفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقاً فبي عرفوني .

الحديث رقم: (٢٥) صفحة: (١٢٢):

كل أمر ذي بال . .

الحديث رقم: (٢٦) صفحة: (١٣١):

لو كُشف لأحدكم لرأى قائداً يقوده .

الحديث رقم: (٢٧) صفحة: (١٣٤):

وقد جاء الحث على الاستشارة في الهدى النبوي الكريم .

الحديث رقم: (٢٨) : صفحة: (١٤٧):

روي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال: من عظمت نعمة الله عليه، كثرت حوائج الناس إليه . فمن شكر الله تعالى تحمّل تلك المؤن عنهم وزاد الله في نعمته، ومن لم يتحملها فقد عرّض النعمة للزوال في الدنيا والنكال في الآخرة .

الحديث رقم: (٢٩) صفحة: (١٦٣):

« صلاة الرغائب » .

الحديث رقم: (٣٠) صفحة: (١٧٥):

« خالق الناس بخلق حسن » .

الحديث رقم: (٣١) صفحة: (١٧٩):

من وصية علي بن أبي طالب لابنه الحسن عند انصرافه من صفين: يا بني، إن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله تعالى ذو نعمة فافعل، فانك مدرك قسمك، وآخذ سهمك، وإن اليسير من الله سبحانه وتعالى، أكرم وأعظم من الكثير من خلقه، وإن كان كل منه .

الحديث رقم: (٣٢) صفحة: (١٩٣):

وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأن على رؤوسهم الطير من الوقار :

الحديث رقم: (٣٣) صفحة: (٢٠٤):

« من فسّر القرآن الكريم برأيه فقد كفر » .

الحديث رقم: (٣٤) صفحة: (٢٤٨):

من استطاع أن يموت بالمدينة . . .

فهرس الكنب

- حرف الألف -

٢٤٧، ٢١٨، ٣٧، ٢٨	آثار العباد وأخبار البلاد:
٩٢	الاتقان:
(٧٦) ، (٦)	إحياء علوم الدين:
٣٢	أخبار الزمان ومن أباده الحدثن
٢٨	الأطول:
١٣٩	الإعلام « للقطبي »:
١٥٢	الإعلام « لقطب الدين الحنفي »:
١٥٢	الإعلام ببلد الله الحرام « للقطب النهرواني »:
٨	الأغاني
٨٣	الأمالى « لثعلب »:
(١٤٩)	الإمامة:
٨٥	إمتاع الأسماع
٦٤	الأمصار
٥٠ ، ٤٩ ، ١٨	أنباء الغمر

- حرف الباء -

١٣٦	البحر
٥٤	البديعية
٨٨	البرق الوامض

١٥٢	البرق اليماني في الفتح العثماني ...
١٨ ، ١٥ ، ١٢	برهان الإعجاز في منازل الحجاز
١٩٦	برهان البراهمة ...
٢٢١	بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد
٣٢	بغية الوعاة

— حرف التاء —

(٧٦)	تاج العروس
١٥٤	تاريخ الأمم والملوك
١٩٢	تاريخ الأندلس
٢٣٤ ، ٢٢٧ ، ١٦٢ ، ٧٩	تاريخ الخلفاء
(٨٢)	تاريخ مجيد ينتظر من يكتبه
(١٣٣)	تاريخ مكة
١٥	تاريخ الوفا
١٩٨	تاريخ الياضي
١٣٢	التحفة السنوية في الدولة الحسينية
٢٢٢	تحفة الغريب
١٤٢ ، ٥٧	التذكرة « للبصير »
١٣٧	التذكرة « لجمال الدين العصامي »
١٥٣	التذكرة « للخطيب علي بن عراق »
٨٨ ، ٦٣	التذكرة « للصلاح الصفدي »
٢٠٤	التذكرة « للقرطبي »
١٥٢	التذكرة « للقطب النهرواني »
٨٨	التذكرة « للكندي »
١٩	تقويم البلدان
(٢٢٨)	تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي
٣٢	تهذيب الأسماء واللغات

- حرف الجيم -

١٦٣	جامع الأصول
٢٦	الجواهر في معتقد الأكابر
(١٩٣)	الجوهرة النيرة

- حرف الحاء -

(١٩٣)	حاشية ابن عابدين
٦٠ ، ٢٠	حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
(٦)	حصول المرام
١٥٧	حلبة الكميت

- حرف الخاء -

٢٨ ، ٢١ ، ١٣ ، (٦)	الخريدة
٢٤٧ ، ٢٢٤ ، ٢٠٧ ، ١٦٥ ، ١١٥ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣١	الخبط
١١٨ ، ١١٧ ، ٨٥ ، ٣٧ ، ٣٥ ، ٢٨ ، ١٣	خلاصة الوفا
١٤

- حرف الدال -

٢٢٣	الدارس من المدارس
(٢٣٠)	ديوان أبي العتاهية
(١٨٢)	ديوان المتنبي
١٥٢	ديوان النهرواني

- حرف الراء -

٦	رحلة الشتاء والصيف
(١٩٣)	ردّ المحتار (حاشية ابن عابدين)
٢٠	الروض المعطار في أخبار الأقطار

- حرف السين -

٢٠٣	سقط الزند
٢٢١ ، ٦٨ ، ٤٦	السكردان
(١٣٣)	سمط النجوم العوالي

- حرف الشين -

(٧٦)	شرح إحياء علوم الدين
٥٤	شرح الألفية
٢٠٣	شرح سقط الزند
١٢٠	شرح الموشح النحوي
١٦٧	الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية

- حرف الصاد -

(١٦٢) ، ١٦٢	الصباح
٢٢	الصدق والصدقة

- حرف الطاء -

٥٥	الطبقات
(٢٢٨) ، ٢٢٨	طراز أعلام اليمن
٢٢١	الطراز المنقوش في محاسن الحبوش

- حرف العين -

٥٤	العبر
١٣٥	عقود النحر في نوادر البحر
(١٢)	العواصم من القواصم

- حرف الفاء -

(٢٠٦)	فوات الوفيات
(٢٠٦) ، ١٦٨ ، ١٦٦ ، ١٥٢ ، ١٤٧	الفوائد السنية

- حرف القاف -

١٦٧	القاموس
٢٧	قاموس القصص
١١٨	قوانين الدوازين

- حرف الكاف -

(١٤٩)	الكافي
١٠٩	كشف الحجاب
٤٢ ، ٣٧	كتر الأسرار
١٥٢	الكثر الأسمى في فن المعنى
٢٧	كوكب الروضة

- حرف اللام -

٢٠٣	اللزوميات
-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----------

- حرف الميم -

١١٥ ، ٥٩ ، ٣٦ ، ٢٩	مباهج الفكر ومناهج العبر
١٤٩	مباهج التوسل في مناهج التوسل
٢٢٣	محاسن الشام
١١٨ ، ١١٥ ، ٧٢ ، ٧٠ ، ٥٦ ، ٥٠ ، ٤٦ ، ٣٧ ، ٣٦	المحاضرة
١٦٥	محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار
(٢٠٣)	المحكم
(١٤٩)	المحيط
٣٦	مختصر المسالك
(٢٠٣)	المخصص
١١٦ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢	المرأة
١٩١	مساجلة علمية بين ابن الصلاح والغز بن عبد السلام...
٧٠ ، ٦٠	المسالك والممالك
١٩١	المستقصى
١٧٤	مصارع العشاق
٨٦	المغرب في أخبار المغرب
١٩٣	ملتقى الأبحر
١٤٧	منازل الأبحر
١٢٠	منتهى الآمال من مشتهى الموالم
(٨٢)	منهاج السنة

- حرف النون -

(١٤٨)	النجوم الزاهرة
٧٧	النوادر والأخبار

٢٠١ النوادر المأنوسة في أخبار حلب المحروسة

— حرف الهاء —

٣٧ الهيئة السنية

— حرف الواو —

(١٤٩) الوزارة

(٦) وصول الأحكام

١٩٥ وفيات الأعيان



فهرس الاعلام

- حرف الألف -

٢٣٨ ، ٢٢٨ ، ، (١٢٣) ، ١١٩ ، (٤٢)	آدم عليه السلام
٧٢	...	آسية رضي الله عنها
١٠٦	...	أصف بن برخيا
١٥٧	...	أبو عبد الله الأمدي
(٨٤)	...	الأمير الفاطمي
(٤٧) ، ٤٢ ، ٣٧ ، ٢٠	...	ابراهيم عليه السلام
(٢٤٢) ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢١ ، ١٩٩ ، ١٢٣ ، ٧٢		
١٤	...	ابراهيم أبو الحرم
(٨١)	...	ابراهيم بن الأشتر النخعي
(٢٢٨)	...	ابراهيم البقاعي
٥٦	...	ابراهيم بن حسن بن عجلان
(٤٧)	...	ابراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى
(١٥٠)	...	السلطان ابراهيم العثماني
١٢٩	...	ابليس لعنه الله
١٦٤ ، ١٦٣ ، (٤)	...	ابن الأثير (علي بن محمد)
١٢٨	...	الوزير أحمد باشا
(٨٤) ، ٨٤	...	أحمد بن بدر (الأفضل بن أمير الجيوش)
٤٥	...	أحمد بن الحسين (البهقي)

١٦٠	٧٣ ، ٢٦	أحمد الرومي
٥٥	أحمد زروق
٥٢	أحمد بن طولون
(٢٣١) ، (٨٢)	أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية)
١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٨	الشريف أحمد بن عبد المطلب
١٣٠ ، ١٢٩ ، (١٢٨)	
١٦٨ ، ١٦٧ ، (١٥٠) ، ١٥٠	السلطان أحمد العثماني
٥٥	أحمد بن عقبة الحضرمي
(٤٩)	أحمد بن علي (البهاء السبكي)
(١٩٣)	أحمد بن حنبل
٢٢٣ ، ١٢١	أحمد المقرئ
١٢٢ ، ٨٣	أحمد بن يحيى (ثعلب)
١٤٤	الأحنف بن قيس
١٤٥	ادريس آغا
١٣٠	الشريف ادريس بن حسن
(١٧١)	ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى
١٢٣ ، ٧٢ ، ٣١	ادريس عليه السلام (ابن يرد)
١٤٤ ، ١١٨ ، ٣٢ ، ٣١	أرسطاليس
(٧٢) ، ٧٢	أرميا
٣٧	اسحاق بن ابراهيم عليهما السلام
٨٥	اسحاق الموصم بن جعفر الصادق
٤٠ ، ٢٣	اسرائيل عليه السلام
١١٨	الأسعد (مؤلف قوانين الدواوين)
٤٧	الأسعد بن مماتي
٣١ ، ٢٣ ، ٧	الاسكندر
٣٢ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ٢٠٣ ، (٢٠٣)	
(٢٤٢) ، ٢٢٧ ، ٧٢ ، (٤٧)	اسماعيل عليه السلام

٧٣	الشريف بركات
١٢٥	بركات بن محمد بن بركات
(١٣)	البرنس صاحب الكرك
٩١	أبو الفتح البستي
(١٦٨)	البسوس (خالة جساس)
١٩٢	ابن بشكوال
١٩٠	١٤٢	٥٧	البصير
٣٥	بطليموس
(٨٢)	أبو بكر بن العربي (محمد بن عبد الله)
(٩)	أبو بكر رضي الله عنه
(١٦٨)	أبو بكر بن وائل
١٥١	بكر الصراف
٢١٥	١٣٦	بلقيس
(٦٣)	٦٣	٥٧	البهاء زهير
٤٩	البهاء السبكي (أحمد بن علي)
(٢٣٨)	٢٣٨	(٦١)	البهلول (بن عمرو، الموسوس)
٨٤	٤٩	البوصيري
١٩٤	بيري باشا
٢٢٨	١٦١	البيضاوي (عبد الله بن عمر)
٤٥	البيهقي (أحمد بن الحسين)

— حرف التاء —

٣٠	تاج الملك
١٤٧	شهاب الدين التبريزي
(١٦٨)	تغلب بن وائل
١٦٧	٢٨	(٢٦)	التفتازاني (مسعود بن عمر)

١٩٠ ، ٤٤	التقي السبكي (علي بن عبد الكافي)
٥٨	التلعفري (محمد بن يوسف)
(٧٠) ، (٦٩)	أبو تمام (حبيب بن أوس)
١٠٦ ، ٨٠ ، ٦٠ ، ٤٨ ، ٤٤	ابن تميم
٢١٤ ، ٢١٠ ، ١٥٨				
(١٣٥)	القاضي التنوخي
(٢٣١) ، (٨٢)	ابن تيمية (أحمد بن عبد الحلیم)

— حرف الثاء —

١٢٣ ، ٨٣	ثعلب (أحمد بن يحيى)
١٠٣	ابن منير الثعالبي

— حرف الجيم —

١٧٥ ، ٥٤	ابن جابر الأندلسي
٦٤ ، ٣١	الجاحظ (عمرو بن بحر)
٤٦ ، ٤٥ ، ٤٢	جبريل عليه السلام
١٩١	جحا
(١٧٨)	القاضي الجرجاني
(١٦٨)	جساس بن مرة
(١٥٦) ، ١٢٠ ، (٣٣) ، ٢٢	جعفر اليرمكي
١٧٤	أبو محمد جعفر السراج
(١٣٣) ، ١٣٣	الشريف جعفر بن محمد
٢٠	جمال الدين بن زويته
١٣٧	جمال الدين العصامي
١٢٢	ابن جني
٢٠١	الجواد الأفضل

٥٢ ، ٣٢	ابن الجوزي
٦٨ ، (٤٨) ، ٢٧	جوهر الصقلي
(١٦٢)	الجوهري

— حرف الحاء —

١٤٨	حاتم الطائي
٤٠	الحاجب
(١٩٧) ، ١٩	ابن الحاجب
(١٤٨) ، ١٤٨ ، ٥٣ ، ٢٧	الحاكم الفاطمي
٢٨	حام بن نوح عليه السلام
٣٧	حامد بن أبي شالوم
٨٣	أبو حباب الكلبي
١١٩ ، ٦٣	أبو حبان
(٧٠) ، (٦٩)	حبيب بن أوس (أبو تمام)
(٢١٦) ، ٢٠٩	ابن حبيب
٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٦٤	الحجاج
٢٠٩ ، ٨٣ ، ٥٥ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ١٨ ، ١٦	ابن حجر العسقلاني
٢٢٧	ابن حجر المكي
، ٤٣ ، ٤٠ ، ٢٤ ، ١٩	ابن أبي حجلة
٢٢١ ، ١٧٤ ، (٨٧) ، ٨٧ ، ٧٨ ، (٧٥) ، ٧٥ ، ٥٩ ، ٤٦ ، ٤٥	ابن حجة
٣٩	ابن أبي الحديد
١٠٩	أبو البركات الخاتمي
١٠٩	حزام
(٨)	حسان بن ثابت
(١٠٣) ، (٩٤) ، ٩٤	الشريف الحسن بن أبي نمي
١٣٢	

— حرف الخاء —

(١٥٦) ، (٣٣)	خالد بن برمك
٢٣٧	خالد بن صفوان
(٢٣٨) ، ٢٢٨ ، ١١٧	الخزرجي
١٩٠	الوزير خسرو باشا
٢١٤ ، (١٤١) ، ١٤١ ، ٧٢	الخضر عليه السلام
(١٩٩) ، ١٩٥ ، ٨٨ ، ٨٧	ابن خلكان (أحمد بن محمد)
(٨٤)	الملك الأشرف خليل
١٩٢	الملا خنكار (صاحب المثنوي)
٢١٨	الخوارزمي
(٨١) ، ٨١ ، ٨٠	خولة بن يزيد الأصبحي

— حرف الدال —

(٢٠٣) ، ٢٠٣	دارا
٧٢	دانيال
١٥٨	ابن دقيق العيد
٦٠	أبو دلامة (زند بن الجون)
٧٥	الدماميني
٢٢١	دمشق (عبد ابراهيم عليه السلام)
٥٤	الشمس الدمشقي

— حرف الذاال —

١٩٥	الذهبي (الشاعر)
٥٤	الذهبي (محمد بن أحمد)
٧٢ ، ٢٨	ذو القرنين

- حرف الراء -

(٩٤)	الراضي بالله العباسي
١٢٢	ابن رشد
٢٢٧	الرشيد العباسي
(٨٨)	الرفاعي (أحمد بن علي)
(١٤٩)	ركن الدولة (الحسن بن بويه)
٩٩	ابن الرومي (علي بن العباس)

- حرف الزاي -

١٢٣	زبان بن عمار
(٧٦)	المرضى الزبيدي (محمد بن محمد)
(٦٩)	الزبير بن العوام رضي الله عنه
١٩٩	الزجاجي (عبد الرحمن بن اسحاق)
٢٤٧	زكريا بن محمد (القزويني) ٢٨ ، ١٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٤٧
(٢٠٦)	الزكي بن عبد الرحمن
٣٤	زليخا
٢٠٥	الزنجشيري (محمود بن عمر)
٦٠	زند بن الجون (أبو دلامة)
(٥٨)	زهير بن أبي سلمى
(٢٠٤)	زهير الشاويش
١٢٣	الزيات (حمزة بن حبيب)
٩٥	ابن زيادة
٨١	زيد بن أرقم رضي الله عنه
٢٣٥	زين الدين

- حرف السين -

(٣٨)	سابور ذو الأكتاف ...
------	-----	-----	-----	-----	----------------------

٧٢	سارة رضي الله عنها
٥٨، ٤٨	ابن الساعاتي
(١٩٣)	السامري
٤٨	سبط الملك
(١٠٣) ، ١٠٣	سحبان وائل
٨٣ ، (٧٤)	السدي
١٦٧ ، ٢٨ ، (٢٦)	السعد التفتازاني
٧٨	سعد الدين الحكيم
١٨٣ ، (١٦٠) ، ١٦٠ ، ١٣١	المفتي أبو السعود «محمد بن أحمد» :
(١٥٣) ، (١٤٠)	الخليفة السفاح «عبد الله بن محمد»
٨٣	أبو سفيان بن حرب
(٩٦) ، ٩٦	سلمان رضي الله عنه
٨٣	أم سلمة رضي الله عنها
(١٥١) ، (١٥٠) ، ١٣٩ ، ١٢٤ ، ٧٣	السلطان سليم العثماني
(٢٣٦) ، ١٥١	
(١٥٠)	السلطان سليمان الثاني
١٣٦ ، ١١٨ ، ١٠٦ ، ٩٨ ، ٧٢ ، ٣٥ ، ٣٢ ، ٢٨ ، ٧	سليمان عليه السلام :
٨٤	سليمان بن عبد الملك
١٥٠	السلطان سليمان القانوني
(٧٠)	سليمان بن مهران «الأعمش»
١٥ ، ١٤	السمهودي «علي بن عبد الله»
٢١٠	الوزير سنان باشا
٨٠ ، ٧٩	سنان بن أنس النخعي
٤٩	علم الدين سنجر الشجاعي
٨٨	شهاب الدين السهروردي «يحيى بن حبش»
١٢٢	سيبويه «عمرو بن عثمان»
(٢٠٣) ، ٢٠٣	ابن سيده «علي بن اسمعيل»

٢٠١ ، (٤٧)	سيف الدولة « علي بن عبد الله »
٣٤	سيف الدين بن جبارة
(٣٨)	ابن سينا « الحسين بن عبد الله »
٣٦ ، ٣٢ ، ٢٨ ، ٢٧	السيوطي « عبد الرحمن بن أبي بكر »
٣٧ ، (٤٤) ، ٤٩ ، ٥٠ ، (٥١) ، ٥٢ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ٧٩	
٢٣٤ ، ١٩٢ ، ١٦٢ ، ١٢٠ ، ١١٧ ، ١١٥ ، ١٠٥ ، ٩٢	

— حرف الشين —

٩٢	الشاطبي
٨٦	شافع بن علي
(١٩٣) ، (١٤٥) ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٥٦	الإمام الشافعي
٣٧	أبو شالوم بن العيص
٢٣٣	نجم الدين الشامي
(١٥)	السلطان شاهجهان
١٦٧	شاه زاده
(١٤٠) ، ١٤٠	ابن شبرمة
٢٣٢	شبيب بن مالك
(٢٠٣) ، ٢٠٣ ، (١٣٠) ، (١٥)	الشريف الرضي
(١٣٣) ، ١٣٣ ، ١٣٢	الشريف شكر بن حسن
١٨٠	الشريف العباسي (الشاعر)
٨٠	ابن شريك التميمي
١٠٩ ، ٢٦	الشعراني
٧٢	شعيا
٦٧ ، ١٩	شعيب عليه السلام
(٢٣٠)	شكري باشا
١٦٦	شلبشته
(٤٤)	الشمخ

٨١) ، ٨٠ ، ٧٩	شمر بن ذي الجوشن
٥٤	الشمس الدمشقي
٢٠٢	الشهاب الحلبي
١٦٨ ، ١٦٦ ، ١٥٢ ، ٤٤	القاضي شهاب الدين
٧٨	شهاب الدين القوسي
٨٨	شهاب الدين محمود
٢٢٥ ، ١٦٠ ، ٧٣ ، ٢٦	الشهاب الرومي
١٥٨	الشهاب الفاضل
٢٧	الشهاب النهرواني
(١٢٣) ، ٧٢	شيث عليه السلام
١٦٤	شيخ أفندي

— حرف الصاد —

٢١٣	ابن الصائغ
٣١	أبو صاب
(١٤٩) ، ١٤٩	الصاحب بن عباد «اسماعيل بن عباد»
٤٥ ، ٣٠	ابن الصاحب
٢٣٦ ، ١٢٣	صالح عليه السلام
١١٠ ، ١٠٠ ، ٨٨ ، ٧٧ ، ٦٣ ، ٤٣ ، ٤٠	الصفدي
(٥٧)	صفي الدين الحلبي
١١٥	الصلاح
(١٦٤)	ابن الصلاح
(١٤٨) ، ١٤٨	ابن الصلاح الكاتب
(٨٦) ، (٨٤) ، (١٣)	صلاح الدين الأيوبي
٢٣٤ ، (٢٠٦) ، (١٩٩) ، ١٩٨ ، (١٤٠) ، ١١٧	صلاح الدين بن طهيرة
٢٢٧	أبو الصلت عبد الله بن ربيعة
(١٠٣)	

— حرف الطاء —

١٩٥	أبو طالب محمد (أول ملوك السلجوقية)
(٢٠٤)	٢٠٤	أبو طالب المكي
(٤٢)	طالوت
٥٤	طاهر الحلبي
٢٠٠	طاهر بن محمد الهاشمي
١٥٤	الطبري
(١٩٣)	الطرطوسي
(١٣٢)	(١١٤)	(١٠)	(٤)	الطغرائي
١٥٧	الأمير ابن طقز
(٦٩)	طلحة رضي الله عنه
(٢٣٦)	طومان باي

— حرف الظاء —

١٥٧	ظافر الشاعر (أيام الحاكم)
(٨)	(٤)	ظالم بن عمرو (أبو الأسود الدؤلي)

— حرف العين —

(٦٩)	(٥١)	عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها
(١٩٣)	ابن عابدين (محمد أمين)
(٢٠٦)	(٨٦)	٨٥	(١٣)	الملك العادل الأيوبي
١٢٣	عاصم بن أبي النجود (أحد القراء السبعة)
٦٩	العاضد الفاطمي (عبد الله بن يوسف)

(١٤٩)	عباد (أبو الصاحب) بن العباس
(١٥١)	السلطان عبد الحميد الأول
(١٥١)	السلطان عبد الحميد الثاني
١٩٩	عبد الرحمن بن اسحق «الزجاجي»
١٤٩	عبد الرحمن البسطامي
٢٢١	عبد الرحمن الربيع
١٦٤	عبد الرحمن العشاقى
٢٢٢ ، ٢١٩	عبد الرحمن العمادى
(١٩١) ، ١٩١	عبد الرحمن الناصر
٨	القاضى عبد الرحيم اليسىانى
١٣٢	الشيخ عبد الرزاق (فاتح البيت)
٦١ ، ٦٠ ، ٢١	العبدري
(٢٤٠)	عبد السلام بن يوسف
٣٨	ابن عبد الظاهر
(١٥١)	السلطان عبد العزيز
١٠٣	أبو الصلت عبد الله بن ربيعة
٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ١٦٢	عبد الله بن الزبير
١٦٢	عبد الله السواكنى المدينى
(١٤٠) ، ١٤٠	عبد الله بن شبرمة
١٠٦ ، ٨٣ ، ٤٢	عبد الله بن عباس رضى الله عنهما
٢٢٦	عبد الله بن عباس الهذلى
٢٢٨ ، ١٦١	عبد الله بن عمر (البيضاوى)
٤٥	عبد الله بن عمرو بن العاص
١٢٣	عبد الله بن كثير (أحد القراء السبعة)
(١٥٣) ، (١٤٠)	عبد الله بن محمد (السفاح)
٩٦	عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
(٨)	عبد الله بن معاوية الهاشمى

١٥٧ ، (١٥٣) ، ٣٣ ، ٣٢	عبد الله بن هارون (المأمون)
(١٥١)	السلطان عبد المجيد
٦٣	عبد المحسن الصوري
٢٠	عبد المعين
(٢٦)	عبد الملك بن الجويني
٢٢٧ ، (٢١٥) ، ١٥٣	عبد الملك بن مروان
١٥٥	القاضي عبد الوهاب المالكي
٨٢ ، (٨١) ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩	عبيد الله بن زياد
(٥١)	أبو عبيدة رضي الله عنه (عامر بن عبد الله الجراح)
٦١ ، ٦٠	أبو عبيدة الراوية (معمربن المثنى)
(٢٠٣) ، (١١٦)	أبو العتاهية (اسماعيل بن القاسم)
١١٠	العتبي
١٥٢ ، ١٥١ ، (١٥٠)	السلطان عثمان
١٥١ ، (٧٠)	عثمان بن عفان رضي الله عنه
١٢٥	عجلان بن رميثة بن أبي نمي
(٣٨)	عدي بن زيد العبادي
١٣٢	أبو العرب الزبيري
(١٦٤)	العز بن عبد السلام
٢٤٥	عز الدين الكناني
(١٤٨) ، (١٣٣)	العزير بالله الفاطمي
٢٨	العصام (شارح التفتازاني)
١٥٦	جمال الدين العصامي
٨٣	عطاء
١٥١	السلطان علاء الدين السلجوقي
٢٠٥ ، ٢٠٣	أبو العلاء المعري
(٦٩) ، ٣٢ ، ١١	علي بن أبي طالب رضي الله عنه
١٧٩ ، (١٤٩) ، (١٤٨) ، ١٤٧ ، ٨٣ ، (٧٠)	

١٢٣	علي بن اسماعيل (الأشعري)
١٤٧	الوزير علي باشا
٢٣٥ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨	علي بن الحسين (زين العابدين)
٥٥	علي بن حسن بن عجلان
٢٢١	علي بن الحسن (ابن عساكر)
١٢٣	علي بن حمزة (الكسائي)
٩٩	علي بن العباس (ابن الرومي)
١٩٠ ، ٤٤	علي بن عبد الكافي (التقي السبكي)
١٥ ، ١٤	علي بن عبد الله (السمهودي)
٢٠١ ، (٤٧)	علي بن عبد الله (سيف الدولة)
١٥٣	علي بن عراق
(١٤٩)	علي بن محمد (ابن العميد)
١٦٤ ، ١٦٣ ، (٤)	علي بن محمد (ابن الأثير)
٤٤	علي المغربي
١٢٧	علي بن مقرب
(٢٠٣)	علي بن همام
١٢٤	ابن العليف
٥٤ ، ٨	العماد الاصفهاني
١٥٢ ، ٦٩ ، ٣٣	عمارة اليمني
٢٣٧ ، ١٠٣ ، (٥٨) ، (٩)	عمر رضي الله عنه
(٨١) ، ٨١ ، (٨٠) ، ٨٠ ، ٧٩	عمر بن سعد
(٢١٥) ، ١٦٥	عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
٦٤ ، ٣١	عمر بن بحر (الجاحظ)
(٤٨)	عمر بن العاص
١٢٢	عمر بن عثمان (سيويه)
١٢٣	أبو عمر بن العلاء (زبان بن عمار)
(٧٦)	عمر بن معد يكرب

٢٢٢ ، ٢١١	ابن عنين (محمد بن نصر الله)
٢٣٦	عيسى باشا (نائب الشام)
(١٣٣) ، ١٣٣	الشريف عيسى بن جعفر
(١٤٠) ، ١٤٠	عيسى بن محمد (الملك المعظم)
(٩٤) ، ٩٤ ، ٧٢	عيسى عليه السلام
٢٣٧ ، ٢٠٤ ، ١٦٦ ، ١٣٢ ، ١٢٣	
(١٤٠)	عيسى بن موسى (العباسي)
٣٧	العيص بن اسحاق
٥٠	بدر الدين العيني

— حرف الغين —

(٦)	الغزالي (محمد بن محمد)
٢٠٩ ، ١٥٣	الغزي
(٢٣٦) ، ٧٣ ، ٢٢ ، ٢٠ ، ١٧	الغوري

— حرف الفاء —

(٣٣)	فاتك (أبو شجاع)
٢٢٢ ، ٨٨ ، (٨٧) ، ٨٧ ، ٣٢ ، ٢٩	ابن الفارض (عمر بن علي)
٥٨	الفارقي
(٢٢٤) ، (١١٨) ، ٧٨	فاطمة رضي الله عنها
٢٢٢	أبو الفتح المالكي
(١٤٩)	فخر الدولة البويهري
٤١ ، (٣٢) ، ٢٦	الفخر الرازي (محمد بن عمر)
(٩٢) ، ٢١	أبو فراس الحمداني (الحارث بن سعيد)
(٤٧)	فرديناند دي ليسبس

٤٥ ، ٣٤ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٣	فرعون
(١٣٤) ، ٤٦ ، (٤٥)						
١٣٥ ، ١٣٠	الفرفوري
٦٣	تاج الدين الفزوي
٢٢٦	فضل الطبري
(١٥٦) ، (٣٣)	الفضل بن يحيى البرمكي
١٦٧	شمس الدين الفناري
١٥ ، ١٢ ، ١١	أبو عبد الله الفيومي (عبد البر بن عبد القادر)
٢٤٢ ، ١٥٢ ، ١٠٧ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٤ ، ٦٥ ، ٣٠ ، ١٦						

— حرف القاف —

٨٥	القاسم بن اسحاق الموثمن
٥٦	أبو القاسم بن الحسن بن عجلان
٨٨	القاسم بن عساكر
١٣٠	الوزير قانصوه
(٢٣٦)	قانصوه الغوري
(٩٤)	القاهر بالله
١٢٦ ، (١٢٥) ، ١٢٥	الشريف قتادة
٢٠٤ ، (١٩٣)	القرطي
٦٤	ابن القرية (أيوب بن زيد)
٢١٨ ، ٢١٥ ، ٢٠٠ ، ١٨٨ ، ٢٨	القزويني (زكريا محمد)
٢٤٧ ، ٢٢٢						
(١٣٨) ، ١٣٨ ، (١٠٣) ، ١٠٣	قس بن ساعدة الايادي
١٦٦	قسطنطين
٨٧	أبو الحسين القصاب
١٦٣	قصاب باشي

٢٢٨ ، (٢١٧)	قصي بن كلاب
١٤٠	القطب (الشاعر)
١٥٢	قطب الدين الحنفي
١٥٢	القطب النهرواني
١٦٧ ، ١٥١ ، ١٣٩ ، ٧٣	القطبي (صاحب الأعلام)
١٠٧	ابن قلاقس (نصر بن عبد الله)
٤٩	المنصور قلاوون
٢٢٨	الدرويش القلشي
١٧	القيراطي
(١٣٨)	قيس بن عاصم
١٦٦ ، ٢٨	قيصر

— حرف الكاف —

(١٤٨) ، ١٤٨ ، ٦٨	كافور الاخشيدي
(٢٠٦) ، ١٤٧ ، ٨٩	الملك الكامل الأيوبي
١٢٣	ابن كثير (عبد الله ، أحد القراء السبعة)
٤٩ ، (٣٨) ، (٣٣) ، ٢٨	كسرى
٩٦ ، ٤٢	كعب الأخبار
(١٥٤) ، (٥٨)	كعب بن زهير
٤٩	الكلأئي (شمس الدين)
(١٦٨)	أم كلثوم بنت اسحاق الموثمن
(١٦٨)	كليب بن ربيعة
١١٨ ، ٨٨ ، ٧٢	الكندي

— حرف اللام —

٤٣	ابن اللبان
(٦١)	لييد بن ربيعة

٩٤	٧٢	٩٤	لقمان الحكيم
(٩٦)	٩٦	أبو لهب « عبد العزى بن عبد المطلب »
١٢٣	٧٢	لوط عليه السلام
(١٣)	حسام الدين لؤلؤ « الحاجب »
٨٧	الليث بن سعد

— حرف الميم —

١٥	١١	٩	٣	محمد صلى الله عليه وسلم :
٨٩	(٨٨)	٨٣	٨١	٧٨	(٧٠)	٥٣ ، (٥١) ، (٤٠) ، ٣٣ ، (٣١)
١٨٦	١٦٣	١٢٣	١٢١	(١٠٩)	(١٠٣)	١٠٣ ، (٩٤) ، (٩٣)
٢٤٢	٢٣٦	٢٣٥	٢١٦	٢٠٤	١٩٤	(١٩٣) ، ١٩٣ ، ١٨٧
٢٤٧	(٢٤٢)					.
١٥٧	(١٥٣)	٣٣	٣٢	المأمون « عبد الله بن هرون »
٢٢٨	١٩٣	٨٧	الإمام مالك بن أنس
٨٠	مالك الكندي
(٤٧)	٣٣	(٢٥)	المتنبي « احمد بن الحسين »
٢١٨	(١٨٢)	١٦١	١٤٤	(١٤٣)	(١٣٠)	(١٢٥) ، ٨٥
٢٢٦	مجنون نبي عامر « قيس بن الملوح »
١٣٤	مجيد الدين بن تميم
١٢٩	١٢٨	الشريف محسن بن حسين
١٥٥	محمد بن أسعد
(١٩٣)	محمد أمين* عابدين « ابن عابدين »
١٢٤	١٢٣	٧٣	أبو نمي محمد بن بركات (أمير مكة)
١٩٤	محمد باشا
٢٤٣	محمد بن حجر (الخطيب)
٢٣٣	محمد الحر

٢٣٥	محمد الحنائي
١٥٨	محمد الحياتي
(١٥١)	السلطان محمد رشاد
١٥٢، ١٣٩	محمد بن سويدان (أمير البحر)
(٤٧)، ٤٧	محمد بن عبد الله بن حسن (النفيس الزكية)
(٨٢)	محمد بن عبد الله (أبو بكر بن العربي)
١٦٧، (١٥١)، (١٥٠)	السلطان محمد العثماني
٤١، (٣٢)، ٢٦	محمد بن عمر (الفخر الرازي)
٢٣٠	محمد بن الأمير فروخ باشا
٥٣	محمد بن قاسم بن عاصم
١٨٣ (١٦٠)، ١٦٠، ١٣١	محمد بن محمد (المفتي أبو السعود المفسر)
٢٣٤	محمد بن المعلم الواسطي
٢١١	محمد بن نصر الله (ابن عنين)
٢٠١، (١٣٤)، (٦٧)، (٢٦)	محمد نصيف
(٢٤٤)، (٢٤٠)، (٢٣٩)، (٢١٦)، (١٩٤)	٢٢٢، (١٧٦)، (١٩٤)، (٢١٦)
(١٥٣)	محمد بن هارون (الأمين)
(٢٤٠)	محمد الهواري
(١٥٦)	محمد بن يحيى البرمكي
٥٨	محمد بن يوسف (التلعفري)
١٧٤	الشهاب محمود
١٩٧، ٨٨	محمود آغا
(٤)	السلطان محمود السلجوقي
(١٥١)، (١٥٠)	السلطان محمود العثماني
٢٠٥، ٢٠٤، ١٧٨، ٤٠	محمود بن عمر (الزنجشيري)
(٢٠٦)، ٢٠٥، (١٩٩)	محي الدين بن الزكي (الشاعر)

١٢٨ ، (١٢٨) ،	محي الدين بن عربي (محمد بن علي)
١٣٤ ، (١٣٤) ،	٢٢٨ ،	١٦٥ ،	٢٢٨ ،	(٢٢٨) ،	
(٨١) ،	المختار بن عبيدة الثقفي
١٣٩ ،	المدائني (علي بن محمد)
٦٧ ، ٢٠ ،	مدين بن ابراهيم عليه السلام
١٥٠ ، ١٤٣ ،	السلطان مراد العثماني
٢٢٨ ، ١٩٤ ، ١٩٢ ، ١٦٠ ، (١٥١) ، ١٥١ ، (١٥٠) ،					
(٧٦) ،	المرتضى الزبيدي (محمد بن محمد)
(١٩٩) ،	ابن مرجانة (المفسر)
(١٤) ، ١٤ ،	مروان بن الحكم
١٩٢ ،	مروان بن محمد بن مروان (الخليفة)
٧٢ ،	مريم رضي الله عنها ...
(١٣٣) ، ٦٩ ، ٦٨ ، (٤٨) ، ٢٧ ،					المعز لدين الله الفاطمي (معد بن اسماعيل)
(٨٤) ،	المستعلي الفاطمي (أحمد بن معد)
(٨٤) ،	المستنصر الفاطمي (معد بن علي)
١٣٠ ،	الشريف مسعود بن إدريس
(٤) ،	السلطان مسعود بن محمد السلجوقي
١٦٧ ، ٢٨ ، (٢٦) ،					مسعود بن عمر (السعد التفتازاني)
٩٦ ،	ابن مسعود رضي الله عنه
١١٦ ، ٣٢ ،	المسعودي (علي بن الحسين)
(٥١) ،	الإمام مسلم (ابن الحجاج القشيري)
١٦٥ ،	مسلمة بن عبد الملك
١٥٩ ،	الوزير مسيح باشا ...
٢٨ ،	مصر بن حام بن نوح عليه السلام
٢٢٤ ،	مصطفى باشا (صاحب الحمام)
١٦٣ ،	مصطفى جلبي

(١٥١) ، (١٥٠)	السلطان مصطفى العثماني
٤٦	مصعب بن الريان (فرعون)
(١٨٢)	مضاض بن عمرو الجرهمي
(٢١٧)	مضر بن نزار
(٢٠٦)	الملك المظفر عمر
(٢٠٦) ، ٢٠٦ ، ٢٠٥	الملك المظفر محمود
(٥١)	معاذ بن جبل رضي الله عنه
(١٠٣) ، ٨٣ ، (٦٩)	معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما
٢٧	ابن المعتز (عبد الله بن محمد)
(١٥٣) ، (٦٩)	المعتصم (محمد بن هارون)
(١٥٣)	المعتضد (احمد بن طلحة)
١٣٢	المعتمد بن عباد (محمد بن عباد)
٢٠٥ ، (٢٠٣)	المعري (أبو العلاء أحمد بن عبد الله)
٦١ ، ٦٠	معمربن المثني (أبو عبيدة)
٦٢	معين الدين المالكي
٦٢	أبو مفلح
(٩٤)	المقتدر بالله (جعفر بن أحمد)
٢٠٥	المقري
٧١ ، ٦٩ ، ٤٩ ، ٤٦ ، ٢٧	المقرئزي (تقي الدين أحمد بن عبد القادر)
٢١٧ ، ١٦٧ ، ١٤٨ ، ١٣٩ ، ١٢١ ، ١١٧ ، ٨٤ ، ٧٢	
(٩٤) ، ٩٤	ابن مقلة (محمد بن علي)
٩٩	ابن مكناس (عبد الرحمن بن عبد الرزاق)
١٥٦	قطب الدين المكي
(٤)	ملكشاه بن ألب أرسلان
٢٢١	ابن منبه (وهب)
٨٨	المنذري (الحافظ ، عبد العظيم بن عبد القوي)

٣٣ ، (٣٣)	المنصور (عبد الله بن محمد)
(١٥٦) ، ١٥٤ ، (١٥٣) ، (١٤٠) ، ٤٨ ، (٤٧)				
(٨٤)				المنصور بن أحمد (الأمير الفاطمي)
(٢٣٠) ، (١٥٣) ، (١٤٠)				المهدي (محمد بن عبد الله)
١٠٠ (٣٨)				مهيار الديلمي
٤٢ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٠ ، ١٩				موسى عليه السلام
٤٦ ، (٥٢) ، ٦٧ ، ٧٢ ، (٧٢) ، ٨٢ ، ١٢٣ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، (١٤١) ، (١٤٦) ، ١٨٥ ، (١٨٥) ، ٢٠٤ ، ٢١٥				
٧٢ ، (٤٢)				أم موسى عليه السلام (يوحانذ)
(١٥٦)				موسى بن يحيى البرمكي
(١٢٥)				الملك المؤيد (صاحب حماه، اسماعيل بن علي)
(٢٠٦) ، (١٣٣)				
٥٠				السلطان المؤيد الجركسي (شيخ بن عبد الله)
(١٤٩)				مؤيد الدولة البويهبي (بويه بن حسن)
(٢٢١)				ميمون بن قيس (الأعشى)
٢٣١				ابن ميمون الشاعر (لعله محمد بن عبد الله)

— حرف النون —

(١٧٧)				الناطقة الجعدي (قيس بن عبد الله)
٨٦				الناقليسي
١٢٦ ، ١٢٥				الناصر العباسي (أحمد بن الحسن)
١٧				الناصر الجركسي (محمد بن قايتباي)
١٩١				الخواجة ناصر الدين (صاحب التفسير)
١٢٣				نافع بن عبد الرحمن الليثي القاريء
٢١٥ ، ٢٠٨ ، ٧٧ ، ٣٩ ، ٢٩				ابن نباتة (محمد بن محمد)
٥٠				ابن النبيه

(٢١٧)	نزار بن معد بن عدنان
١٠٧	نصر بن عبد الله (ابن قلاقس)
(١٩٣) ، ١٤٤	النعمان بن ثابت (أبو حنيفة)
٢٢٣	النعيمي (عبد القادر بن محمد)
٨٥	السيدة نفيسة (بنت الحسن بن زيد بن الحسن السبط)
٢٢١ ، ٢٨	نمرود بن كنعان
١٥٧ ، ١٠٦ ، ٥٠	النواجي (محمد بن حسن)
٤١	أبو نواس (الحسن بن هانيء)
٧٢ ، ٥٩ ، ٢٨ ، ٣١	نوح عليه السلام
١٣٢ ، ١٢٣	
١١١	نور الدين (الشاعر)
٣٢	النووي (يحيى بن شرف)
١٥	النيسابوري (الشاعر)

— حرف الهاء —

(٤٧)	هاجر رضي الله عنها
(١٥٣)	الهادي (موسى بن محمد)
(٢١٧)	هاشم بن عبد مناف
١٩٣	هرقل (قيصر)
٣٦ ، ٣١	هرمس
٥٨	هرم بن سنان
(٧٢) ، ٧٢	هرون عليه السلام
١٢٠	هرون الرشيد (هارون بن محمد)
(٧٠)	هشام بن عبد الملك
١٢٣ ، ١٢٠	هود عليه السلام
٢٢٦	الهيثم بن عددي

- حرف الواو -

٤٠	الواحدى (على بن محمد)
١٨٧ ، (٧٩)	واصل بن عطاء (الغزال)
٦٣	الوأواء الدمشقى (محمد بن أحمد)
٤٣	الورآق
٢١٤ ، ١١٨ ، ٧٦ ، ٣٧ ، ٣١	ابن الوردى (عمر بن المظفر)
(٢١٥) ، ٢١٥ ، ١١٦	الوليد بن عبد الملك
٣٢	أبو الوليد
٢٢١	وهب بن منبه

- حرف الياء -

١٥١	يافش بن نوح عليه السلام
١٩٨	اليافعى (عبد الله بن أسعد)
٨٨	يحيى بن حبش (السهر اوردى)
١٩٩	يحيى بن حسن (القاضى)
(١٥٦) ، (٣٣)	يحيى بن خالد البرمكى
١٨٦ ، ١٤٤ ، ٧	يحيى بن زكريا (شيخ الاسلام)
٧١	يزيد بن حاتم
٨٣ ، ٨٢ ، ٧٩	يزيد بن معاوية رضى الله عنه
٤٠ ، ٢٣	يعقوب عليه السلام
١١٨	يعمر بن شداد
١٩١	أبو اليمى الرفاعى
٧٢ ، (٤٢)	يوحانذ (أم موسى عليه السلام)
٢٢٥ ، ١٦٣	يوسف السقىنى (خطيب دمشق)
٧٢ ، ٥٣ ، ٤٦ ، ٤٠ ، ٣٤ ، ٢٨	يوسف عليه السلام
(٧٢) ، ٧٢	يوشع بن نون

فهرس الواسع

— حرف الألف —

٢٣٨	آبار الفقير
(٤٢)	آسية
١٩١	آق شهر
٢١٨	الأبلة
٢٣٥	الأخضر
(٢٠)	الأردن
١٩٣	أركلي
(٤٢)	أرمينيا
٦٧، ١٧	الأزلم
١٨٩	أزنيق
١٨٧	أسكدار
١٩٧	اسكندرونة
١١٣، ١١١	الإسكندرية
١٥٧، ١٣٩، ١٢٣، ١٢١، ١١٩، ١١٨، ١١٧، ١١٦، ١١٥	
١٨٩	أسكي شهر
(١١٦)، (١٠٢)	إسلامبول (قسطنطينية)
١٨٨، ١٨٦، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥، ١٤٧، ١٤٢، ١١٩	
١٩٣	إسمل

٢٨	أسوان
١٤٢ ، ١٣٢ ، (١٢٨)	إشيلية
١٧	إصطبل عنتر
(١٤٩)	اصطخر
(٤)	أصفهان
١٩٤	أضنة
١٩	أعين القصب
(١٣٣)	إفريقية
٦٧ ، (١٥) ، ١٥	أكره
١٩٢	إلغن
١٦٢	أمريكة
(١٥٣)	الأنبار
١٩١ ، ١٤٢ ، ١٣٩ ، (١٢٢) ، (١٢٧)	الأندلس
١٩٢ ، (٢٠٣)	
٢١٧ ، ٢٠٧ ، ١٩٧ ، ١٣٩	أنطاكية
٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١	الأهرام
(١٦٢) ، (٢٣) ، (٢٢) ، (١٣)	أوروبا
٦٧ ، ٢٨ ، ٢١ ، ٢٠ ، (١٣)	أيلة
٤٩ ، (٣٣) ، ٣٣	إيوان كسرى

حرف الباء —

١٣	باب المنذب
٢٢٢	بادية الشام
(١٨٩) ، ١٨٩	بارق
(١٣)	البحر الأحمر
١٣٩ ، ١٣٤ ، ١١٢ ، ٣٧ ، ٢٣ ، ١٣	البحر الرومي
١٣	بجر الظلمات
٣٥	بجر فارس

١٣	البحر الهندي
٦٤	البحرين
١٩٦	بخارى
٦٧	بدر
٢٨	برقة
٦٤٠ (٤٧)	البصرة
٢٣٣	بطن الغول
(٦٧) ، ٦٧	بطن مر
٠ ، ٦٣ ، ٥٣ ، ٥٠	بغداد
(٢٤٠) ، ١٥٧ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، (١٥٣) ، ١٥٢ (١٢٥) ، ٧٦ ، ٦٦	
١٩٠	بلا وضون
(٥٤) ، ٥٤	بليس
٦٤	بلخ
٢٣٢	البلقاء
٢٤	البويب
١٩٠	بياض
٢١٧ ، ٨٤ ، ٥٣ ، ٢٠	بيت المقدس
٢٣٨	بئر الزمرد
(١٥٣)	بئر ميمونة
١٩٧	بيلان

- حرف التاء -

(١٥)	تاج محل
٢٣٥	تبوك
١٦٢٠ (٢٢)	تركية
٢١	التيه

- حرف الجيم -

٢٧ ، ٢٥	الجامع الأزهر
١٩٤	جاووش خان
٢٨	جبل طالوت
٣٧ ، ٣٦ ، ٢٩	جبل القمر
٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٦٧	الجحفة
(٢٤٣) ، ٢٤٣	جدة
١٥٤	الجزيرة
(١٥)	جزيرة العرب
١٩٤	جفنة خان
٦٨	جباد
٩٠ ، ٤٦	الجزيرة

- حرف الحاء -

٢٤٠	حاجر
، (١٣) ، ١٣ ، ١١	الحجاز
٢٤٧ ، ٢٣٥ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ٦٤ ، ٥٤ ، (٢٠) ، ٢٠ ، ١٧ ، ١٥	الحجون
(١٨٢)	حريه
٢١١	حرسنا
١٥	الحريه
٢٣٢	الحسا
٢٤٢	حسنا
٢٤٢ ، ١٢٩	الحسينية
٢١٠	حسية
(٨٤)	حطين
، ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٢ ، ١١٩ ، ٧٣ ، ٦٣	حلب
(٢٤٠) ، ٢١٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، (١٩٩) ، ١٩٩ ، (١٩٨)	

١٢٥	حلي
٢٠٧	(٢٠٦)	٢٠٦	٢٠٥	حماة
٢٢١	٢١٧	٢٠٨				
٢٤٢	الحمراء
٢١٧	٢٠٩	٢٠٧	٢٠٥	حمص
٦٧	١٤٤	(١٣)	١٣	الخوراء
٢٣١	حوران

- حرف الخاء -

٢٠٥	خان شيخون
١٩٦	خراسان
٢٤٣	٦٧	خليص
١٩٦	خوارزم
٢٣٩	خيبر
٢٤٢	١١	خيف بني عمرو

- حرف الدال -

(٢٠٣)	دانية		
٤٤٤	(٤٢)	٤٢	١٣	دجلة		
(٢٠٧)	١٥٤	٧٦						
٢٤٣	دفين		
(٨٢)	٨٢	٦٧	٦٦	٦٤	٤٥	دمشق		
٢١١	٢٠٨	١٩٩	١٦٣	١٦٠	١٥٣	(١٤٠)	(١٢٨)	(٨٦)
٢١٨	٢١٧	(٢١٦)	٢١٦	(٢١٥)	٢١٥	٢١٤	٢١٣	٢١٢
٢٣٠	٢٢٥	٢٢٤	(٢٢٣)	٢٢٣	٢٢٢	٢٢١	(٢١٨)	

— ٢٩٨ —

٦٧	الدهناء
(٢١٥)	دير مران
١٨٨	الديبل

— حرف الذال —

٢٣٣	ذات حج
٢٤٢ ، (٦٧) ، ٦٧	ذو الحليفة
(٦٧)	ذو قرن

— حرف الراء —

(٢٤٣) ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، (٦٧) ، ٦٧ ، (١٣)	رابع
٢٢٢ ، ٢١٢	الربرة
١٥٤	الرافقة
١١٠ ، ١٠٧	رشيد
٩٨	رضوى
(٢١٧)	الرملة
١٦٦	الرها
١٤٢ ، ١٣٨ ، ١٣٦	رودس
٨٩ ، ٧٣ ، ٤٦ ، ٢٨	الروضة
١٦٧ ، ١٦٦	رومية

— حرف الزاي —

٢٢١ ، (٧٦)	زيد
٢٣٢	الزرقاء
(١٩١) ، ١٩١	الزهراء

- حرف السين -

٢١٨	سايور
(١٥٣)	سامراء
١٣٦	سبأ
١٣٩	سبته
٢٠٣	سراقب
٣٧	سرنديب
١٨٩	سقوت
١٤٥	سلع
٢١٨ ، ١٩٦	سمرقند
١٥٤ ، ٧٢ ، ٣٥ ، ١٣	السند
٢٠٧	السويدية
٦٧ ، ٢٣ ، ١٣	السويس

- حرف الشين -

١٣ ، (١٣) ، ٤٦ ، (٥١) ،	الشام
١٣٩ ، ١١٦ ، ٧٧ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٦٧ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٥٤ ،	شرفه بني عطيفة
١٥٣ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،	شعب بوان
٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، (٢٣٦) ، ٢٣٩ ، (٢٣٩) ، ٢٤٢ ،	شعب النعام
١٩	شقحب
٢١٨	شيراز
٢٣٨	
(٢٣١)	
٩٤	

- حرف الصاد -

١٤٢ ، ١٤١	صاقص
٥٦ ، ٤٥	الصعيد
(١٨٢) ، (٤٧)	الصفاء
٢٤٢ ، ٦٧	الصفراء
١٧٩ ، (٦٩) ، ٦٩	صفين
٢٣١	الصنمين
١١٨	الصين

- حرف الطاء -

(١٤٩)	الطالقان
٢١٧	طبرية
١٣٩	طرابلس الغرب
(١٥٣)	طرسوس
٢٣٣	الطليبات
٥٦ ، ٢٠	الطور
(١٥٣)	طوس

- حرف الظاء -

١٩	ظهر الحمار
----	-----	-----	-----	-----	------------

- حرف العين -

٢٣٣	عبدان (في الأردن)
٢٣	عجروود
(١٨٩) ، ١٨٩	العذيب

٢٣٥ ، ١٥٤ ، (٦٧) ، ٦٤ ، ٥٣	العراق
٢٤٠	العراقيب
٢٣٣	العرائض
٢٤٤	عرفة
٢٨ ، ٢٣	العريش
٢٤٣ ، ٦٧	عسفان
(٨٤) ، ٨٤	عسقلان
١١	العشيرة
٦٧ ، ٢٢ ، ٢١ ، (٢٠)	العقبة
(٢٤٠) ، ٢٤٠ ، ٩١	العقيق
٢٣٦	العلي
٢٣٢	عمان
(٦٩)	عمورية
٢٣٢	عنيزة
(١٣)	عذيب
(١٥٣)	عيساباذ
(١٤) ، ١٤	العين الزرقاء
٣٤	عين شمس
٦٧ ، ١٨	عيون القصب

- حرف الغين -

٢١٧ ، ٢٠	غزة
٢١٨ ، ٢١٤	الغوطة

- حرف الفاء -

٢٣	فاران
(٩٦)	٩٦ ، ٦٤	فارس
٢٣٩	الفحلتان
٢٣١ ، ٨٦ ، (٤٨)	٤٧ ، ٤٣	القسطاط
(٢٠)	فلسطين
٢٢	فيينا

- حرف القاف -

(١٨٩)	القادسية
٢١٠	قارة
٢٢٢ ، ٢١١	قاسيون
٣٤ ، ٢٨ ، ٢٧	القاهرة
١٢٤ ، ٨٨ ، ٨٦ ، ٨٤ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٠ ، ٥٥ ، ٥٤ ، (٤٨)	٤٨ ، ٤٧	قبيزة
١٨٨	قديد
٢٤٣	قدس (منبع العاصي)
٢٠٧	قرايبان
١٩٣	قرطبة
٢١٧ ، ١٩١	قرط كلال
١٩٦ ، (١٠٢)	القصير
٢١٠	القطراني
٢٣٢	القطيفة
٢١٠	القلزم
٦٧ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٣٥ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٣	قلعة الغوري
٢٠	

٢٢	قلعة نخل
٣٧	قمرية
(٤٨) ، (٤٧)	قناة السويس
١٩٢	قونية
٦٨	القيروان

- حرف الكاف -

(٣٨)	كاظمة
٨٤ ، ٨٣ ، (٧٩) ، ٧٨	كربلاء
٢٣٢ ، ٢٢١ ، ٢٠	الكرك
٢٣٠	الكسوة
(٢٤٢) ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ١٢١ ، ٥٣ ، (٥١)	الكعبة
١٩	كهف شعيب
١٩١ ، (١٤٠) ، ٨٢ ، (٨١) ، ٨١ ، ٧٨ ، ٦٤	الكووفة

- حرف اللام -

١٩٢	لادك
١٨٩	لفقة
(١٨٩) ، ١٨٩	اللوى

- حرف الميم -

٢٢١	ماردين
(١٥٣)	ماسبندان
٢٣٦	المبرك

٣٣	المدائن
٢٣٦	مدائن صالح
٦٧ ، ١٩	مدین
٩ ، (٩)	المدینة = طيبة = یرب
١٠ ، ١٣ ، ١٤ ، (١٤) ، ١٥ ، (١٥) ، ٣٠ ، (٤٧) ، ٦٧ ، (٦٧) ، ٧٢ ،						
١٢٦ ، ١٦٣ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، (٢٤٠) ،						
٢٤١ ، ٢٤٢ ، (٢٤٣) ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ١٢٥ ،						
٢٠٣ ، (١٢٨)	مرسیة
(٢٤٤)	مر الظهران
١٤٢	مرمرة
٦٤	مرو
(٤٧)	المروة
٢٣١	مزیریب
٢٤٣ ، ٢٤٢	مستورة
١٤	مسجد قبا
١١ ، ١٣ ، (١٣) ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥ ، (٢٥) ،						مصر
٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ،						
٤٨ ، (٤٨) ، ٥٠ ، ٥٢ ، (٥٢) ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ،						
٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٤ ،						
(٨٤) ، ٨٥ ، (٨٦) ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٤ ،						
(١٣٣) ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٩٥ ، (٢٠٦) ، ٢٠٨ ، ٢٢٥ ، (٢٣١) ، (٢٣٦)						
١٤	المصلی
١٥٤	المصیصة
٢٣٥	المضیق
٢٣٨	مطران

٢٣٢	معان
٢٠٣	المعرة
٢٣٥	المعز
٢٣٥	المعظم
٦٧ ، ١٩	مغاير شعيب
٢٠٣ ، ١٣٤ ، (١٢٧) ، ١١٨ ، ١١٥ ، ٨٦ ، ٢٠	المغرب
(١٨٩)	المغينة
، (١٣) ، (٩) ، ٩	مكة المكرمة
، ١٢٣ ، ٨٨ ، ٨٥ ، ٧٣ ، ٧٢ ، (٦٧) ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٥٥ ، ٥٣ ، (٤٧) ، ١٧
، ١٣٣ ، ١٣٢ ، (١٢٩) ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، (١٢٥) ، ١٢٥ ، ١٢٤
، ٢٢٧ ، (٢١٨) ، (٢١٧) ، ٢١٧ ، (١٨٢) ، ١٦٣ ، ١٥٢ ، (١٣٣)
٢٤٧ ، (٢٤٥) ، ٢٤٥ ، (٢٤٤) ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١
٢٣	المنصرف
١٥٤	المنصورة
٢٨	منف
٢٤٥ ، ٢٤٤ ، (٢٤٢) ، ٢٤٢ ، (٢١٧) ، ٦٨ ، (١٣)	منى
(١٣٣)	المهدية
٦٧	الموالح
٩٤ ، ٦٣	الموصل
١٨ ، ١٧	المويلح

- حرف النون -

٦٧ ، ١٢	نبط
٢١٠	النبك
١٢٥	نجد

٦٧	نخل
(٢٤٠)		التقا
١١٠١٠	النقب
٦٧	نقب علي
(٢٠٧)	نهر الأردن
٢٢٢	نهر بردى
٢٢٢	نهر تورا
١٩٥	نهر جايح
٤٢	نهر جيحان
١٩٦ ، ١٩٥ ، (٤٢) ، ٤٢ ، ٣٥		نهر جيحون
١٩٥	نهر سايح
٤٢	نهر سيحان
١٩٥ ، (٤٢) ، ٤٢	نهر سيحون
٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧	نهر العاصي
(٢٠٧) ، (٤٢) ، ٤٢ ، ١٣		نهر الفرات
(٢٠٧)	نهر الليطاني
١١٣ ، ٣٥		نهر مهران
٢٢٢		نهر يزيد
٢١٤	النيربان
٢٨ ، ٢٣ ، (٢٠) ، ١٩ ، ١٤ ، ١٣		النيل
(٤٢) ، ٤٢ ، ٣٧ ، ٣٦ ، (٣٥) ، ٣٥ ، ٣٤ ، (٣١) ، ٣١ ، (٣٠) ، ٣٠						
٤٣ ، (٤٣) ، ٤٤ ، (٤٤) ، ٤٥ ، (٤٥) ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٩ ، ٧٤						
١١٨ ، ١١٢ ، ١١١ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ٨٩ ، ٨٥ ، ٧٦ ، ٧٥						

- حرف الهاء -

٢٣٩	هدية
-----	-----	-----	-----	-----	------

— ٣٠٧ —

٦٤	هرات
٧٢	الهند

— حرف الواو —

١٧	وادي السماق والدخاخين
٢٣٩	وادي القرى
١٢	وادي النار
٢٢	وادي النخل
٦٧ ، ١٧ ، (١٦) ، ١٦ ، ١٥	الوجه

— حرف الياء —

١٩٦	ياباس
(٦٧)	يلملم
٦٤	اليمامة
١٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، (٦٧) ، ٧٢ ، ١٢٥	اليمن
(١٨١) ، ١٢٨	ينبع
١٠ ، ١١ ، ١٧ ، ٦٧ ، ٧٣	ينكي خان
(١٢٥) ، ١٢٥	
١٩٠	

فهرس الشعر

- حرف الهمزة -

- أحساب النجوم أحلتمونا
 إذا حمد امرؤ يوماً صباحاً
 إذا مات جارك ذات يوم
 أقول : غداً أفوز ببعض سوئي
 أمرتني بركوب البحر أقطعه
 انظر إلى وجه البسيطة أيضاً
 إن لله غير أرضك مـرعى
 البحر أهون من مرارة مائه
 رحلة لم يزل يفندني الصي
 في خده عرق بـدا
 قد أتينا الحوراء في يوم حر
 كل يوم وكل أرض - لكربي
 نيل همومي وما لقيت به
 وإذا الينيات لم تغن شيئاً
 وإذا حلت الهداية قلباً
 وإذا خفيت عن الغبي فعاذر
 وبركة للعيون تبـدو
 والبق والناموس حولي عسكر
- على علم أدق من الهباء ٢٣٤
 - وأنى ذاك - لم يحمد مساء ١٥٢
 ولست بواجد حبّ العشاء ٠٩٤
 فيأتي في غد مالا أشاء ١٨٤
 غيري - لك الخير - فاحصه بدا الداء ١٣٢
 لم تبد فيه شامة سوداء ١٩٠
 نرتعيه وغير مائك ماء ١٤٠
 أن تستقر بأضلعي الرمضاء ١١٢
 ف إذا ما نويتها والشتاء ٠٠٦
 ذا حمرة لصفـائه ١٧١
 شمسه كالعقبة الحمراء ٠١٤
 منهم - كربلا وعاشوراء ٠٨٤
 لفرط وجدي وفيض بلوأي ٠٣١
 فالتماس الهدى بهن عناء ٠٨١
 نشطت للعبادة الأعضاء ٢١٦
 أن لا تراني مقلّة عمياء ٢٢٩
 في غاية الحسن والبهاء ٠٢٤
 يتنادمون على مدام دماي ١١٤

ولرحمة المتوجعين حرارة في القلب مثل شماتة الأعداء ١٧٩
وقست منهم قلوب على من بكت الأرض فقدهم والسماء ٠٨١

- حرف الباء -

- آها لمصر، أين مصر وكيف لي
أترجو أمة قتلت حسيناً
إذا اصطفاك لأمر هيأتك له
إذا أعرضت فالأهل مني أجنب
إذا المرء من أعداه لم يشف نفسه
إذا لام فيها الشيخ طفل غرامها
إذا لم تقم في طيبة عند طيب
أشتاق في وادي دمشق معهداً
أطلق لسانك بالثناء على الذي
أظل غريب الدار في أرض عامر
أغار على حرف يكون من اسمها
أقمت بها يوماً تقضى كأنه
إلهي طال بعدي واغترابي
أمامي من الحرمان جيش عرمرم
أمر بالكرم خلف حائطه
أماً ركابي فضة وذهباً
إن الفؤاد إذا تكدر لم يكن
انظر إلى النيل الذي
إن في الروم سادة بلقاهم
بالحاكم العدل أضحي الدين معتلياً
بروحي محبوباً عن العين شخصه
بسيف الحجى عند اشتداد النوائب
بكى السيل واستبكاني السيل إذ جرى
- بديار مصر مرتعاً وملاعباً ٠٧٧
شفاعة جده يوم الحساب ٠٨٥
يد العناية حتى تبلغ الأربا ١٢٨
وإن أقبلت فالأجنبي نسيب ٠٢٢
فما نفعه إن قام للشار طالب ٠٩٧
على سكره فالشيخ كالطفل يلعب ١١٠
به طيبة طابت فأين تطيب ٢٤٦
كل الجمال إلى حماه ينسب ٢١٢
أولاك حسن رغائب وغرائب ١٨٧
ألا كل مهجور هناك غريب ٢٢٧
إذا ما رأته العين في خط كاتب ٠٦٣
خيال غزال زار وهم حبيبه ١٩٥
وفي جنح الدجى طال التهاني ١٨٥
ومنه ورأي جحفل حين أركب ٠١٠
تأخذني نشوة من الطرب ٢٢٩
إني قتلت السيد المحجبا ٠٨١
يصفو بغير شكايه وعتاب ٠٠٥
ظهرت به آيات ربي ٠٣٠
زال ما أشكيه من أوصاب ١٦٣
وكيف لا وهو نجل السادة النجبا ٠٥٣
ومن ليس يخلو عن لساني ولا قلبي ٠٢٧
تقلدت فاستغنيت عن كل ناضب ١٥٢
وفاضت له من مقلتي غروب ٢٢٦

- ١٣٨ وأول أرض مس جلسدي تراها
٠٧٦ جل المؤلف بين الماء واللهب
٢١١ وإن كان مما قلّ فيه نصيبي
٠٦١ وقوس النوى ترمي الحشا أسهم الخطب
٠٩٨ مادام حياً فإذا ماذهب
٠٨٦ على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو
١٧٠ على وصفها إذ لم يذقها سوى قلبي
٠٦٣ على غرة من لوعتي ونحيبي
١٧٠ وعلمه حي له كيف يغضب
١١٢ والقلب فيه نفور عن مراكبه
٠٦٤ وكن في حزب من غلبا
(٦١) وبقيت في خلف كجلد الأجر
١٤٣ ويسلي عن الأوطان كل غريب
١٤٦ حتماً ولكن شقاء المرء مكتوب
١٧٠ إلى غاية ما بعدها لي مذهب
١٠٠ عذاب قلبي وما له ذنب
(٦٩) جلودهم قبل نضج التين والعنب
٢٤٦ وطاف بها مستفيض السحاب
(٦٩) في حده الحد بين الحد واللعب
١٧٣ عن كل طالب حاجة أو راغب
٢١٠ في قلب كل مقيم طربا
٠٧٥ ألفت شعاعاً كاللهب
١٠٧ ألفت شعاعاً كاللهب
٢٠٢ من نازح شفه في بعده النصب
٠٩١ خفض وبأبي كل أبي
١٣١ عجائب حتى ليس فيها عجائب
٠٩٦ ولست على قدر السلاف تصاب
- بلاد بها نيطت علي تماثمي
تأمل البحر والبدر المنير وقل
تحن إلى وادي دمشق جوانحي
تذكرت يوم الفطر في مصر إذ أتى
ترى الفتى ينكر فضل الفتى
تعجبت من أمر القرافة إذ غدت
تعشقت منه حالة لست قادراً
تعشقتك سكران من خمرة الصبا
تعلمت أسباب الرضا خوف هجره
خلقت طيناً وماء البحر يتلفني
دع الأتراك والعربا
ذهب الذين يعاش في أكنافهم
رأيت بها ما يملأ العين قرّة
الرزق يأتي ولو لم يسع صاحبه
زعمت بأني قد بلغت من الهوى
سارقتة نظرة أطال بها
ستون ألفاً كآساد الشرى نضجت
سقى الله يثرب من بلادة
السيف أصدق أنباء من الكتب
شاد الملوك قصورهم وتحجّبوا
شجرات ورد أحمر بعثت
الشمس فوق النيل قد
الشمس فوق النيل قد
شوقي شديد إلى لقياك يا حلب
العلم يأتي كل ذي
على أنها الأيام قد صرن كلها
على قدرك الصهباء تعطيك نشوة

- ٠٨٥ بشق قلوب لا بشق جيوب
١٧١ ليملي علي الشوق والدمع كاتب
١٩٩ بأنواع من الورد العجيب
٠٠٨ مثقلات يلدن كل عرجية
(٩٦) وقد وضع الشرك النسب أبا لهب
١٢٤ ودنيا بهم فيها الحياة تطيب
٠١٨ ففؤادي فيه حر الوصب
٢٣٤ مضى جمادى وجاءنا رجب
١٣٠ آن الرحيل فودع الأحبابا
٠٩٨ وجانب الذل إن الذل محتب
١٣٦ إلى سليمان يسعى من رسوم سبا
٠٩٣ ويفرح أن يدعى إليه وينسب
١١٢ علي منه المعاطب
١٧٣ إن استرد فقل ياطال ما وهب
١٣٢ واعجب لأسود عيني كيف لم يشب
١٦٢ ولا تظن الغنى في منطلق العرب
٠٩٦ فلا تترك التقوى اعتماداً على النسب
٢٣٣ ولكن المقل هو الغريب
٠٨٦ وفينا له مذهب مذهب
٠٣٤ في صنعة الأهرام للألباب
١٦٩ حسناً لغيرهم يعزى وينتسب
١٤٥ وحاشا العامرية من عتاب
١١٦ لدوا للموت وابتنوا للخراب
١٧٦ ألفت في مدحه ألفاً من الكتب
٠١٤ وذا بأي شيء كنت أملي الكتاب
١٤٦ والحظ واللحظ طول الدهر في عتب
٠٧٤ فاستوطنوه مشرقاً ومغرباً
- علينا لك الإسعاد لو كان نافعاً
علي لربع العامرية وقفة
غدت حلب تقول دمشق حفت
فالليالي من الزمان جبالى
فقد رفع الإسلام سلمان فارس
فلا عدمتهم نعمة خلقت لهم
قصب الوادي هبوا لي ماءه
قل لأبي الفضل قول معترف
قل للمقيم بغير دار إقامة
قوض خيامك عن أرض تضامها
كعرش بلقيس لما جاء محتظفاً
كفى شرفاً بالعلم دعواه جاهل
لا أركب البحر أخشى
لا تعتب الدهر في خطب رماك به
لا تعجب لراسي كيف شاب أسى
لا تقصد الروم خال من لفاتهم
لعمرك ما الانسان إلا ابن دينه
لعمرك ما الغريب بذى التنائي
لقد أصبح الشافعي الإمام
لله أي عجيبة وغريبة
لم تترك الترك في شمس ولا قمر
لنا عتب على سلمات نجد
لنا ملك ينادي كل يوم
لو أن في بابيه للنظم مفرجة
لولم أقل هذا وهذا
مالي وللمجد والأيام عابسة
ما مصر إلا منزل مستحسن

- ٢٣٣ يبي وبين من أحب
٠٨١ ولم يكفها حتى قفتها مصائب
١٤٣ يقول لسان الحال وهو صواب
١١٣ أن الرغائب عنها الناس قد رغبوا
٢٠٥ فلي ثمانون عاماً لا أرى عجبا
٠٥٦ ي نزول رجال يريدون نهيه
٠٤١ أتت إلى القلب بأسباب
٢٤٨ جار الكريم مسامح من ذنبه
٧٠٠ بين الحميسين لاني السبعة الشهب
١٠٥ ما بين ماض وآت أي تلعب
١٣٧ ولا حاجة يسمو لها لعجيب
٠٧٢ ليعجيني ظل الخباء المطنب
١٧٩ من الليالي وصرفها عجب
١٧٩ وساورتي الهموم والكرب
٠٦١ لرامي الحجارة ترمي الرطب
٢٣٨ لرامي الحجارة ترمي الرطب
١٩٩ مبشر بفتح القدس في رجب
١٧١ فصل عنه صباً حكيمته التجارب
١٧٣ فقال لا بل راحة القلب
١٤٥ كما وردت لأمر خط في الكتب
١١٣ إلا ومعناه إن فكرت في لقبه
(١٤٣) كان كمن أفرط في سبه
٢١١ قرب غد يمضي المحيل إلى الترب
١٢٩ وطلوها بيد البلى نهب
٠٢٤ على بركة الحجاج والدمع يسكب
٠١٩ وجدت عليه الناس يسقون بالقرب
٢١١ عروسة أرض الله في الشرق والغرب
١٠٥ ولا كل جفن ضيق بنجيب
- مسألة اللودور جرت
مصائب شتى جمعت في مصيبة
ملك إذا مارمت ذكر مدحجه
من الغرائب فيما شاهدت مقلي
من كان يطلب في أيامه عجبا
نزلنا على القصب السكر
هبت لنارريح شمالية
والجار محسوب على جيرانه
والعلم في شهب الأرماع لامعة
والماء تلعب أطراف النسيم به
وإن اغتراب المرء من غير فاقة
وإني على ما في من حضرة
وحرار لي لما بليت به
وضاق ذرعي لضيق ذات يدي
وعماتك النخل كن مثلها
وعماتك النخل كن مثها
وفتحك القطعة الشهباء في صفر
وفي الحب تعذيب وفيه عذوبة
وقائل ما لملك قلت الغنى
وقد صدرت ولكن بعد مهلكة
وقلما أبصرت عينك من رجل
وكان من عدد إحسانه
ولا تركوا يوم السرور إلى غد
ولقد وقفت على ربوعهم
ولما اعتنقنا للوداع عشية
ولما وردنا ماء مدين بكرة
وما الشام إلا في البلاد كشامة
وما كل وجه أبيض بمبارك

- وما هي إلا جيفة مستحيلة
ومحتجب بين الأسنة والظبا
ومرّبي النسيم فرقّ حتى
ومن العجائب أني
ومن تفكر في الدنيا وغايتها
يا ابن الكرام أعدي الدهر ذكرفتي
يا بارقاً بأعالي الرقمتين بدا
يا رحلة جمعتهها
يا سيداً بالوعد أتخف عبده
يقولون عيش البرمكين طيب
- عليها كلاب همهن اجتذابها
وفي القلب من إعراضه مثل حجه
كأنّي قد شكوت إليه ما بي
في لج بحر صرت راكب
أقامه الفكر بين العجز والتعب
له بشطريه تحويل وتقلب
لقد حكيت ولكن فاتك الشنب
ألفاظها تستعذب
فضلاً ولكن وعده مثل السحاب
فقلت وعيشي بالسلامة أطيب

- حرف التاء -

- أخرجني من كسر بيت مهدم
أتيت إلى الحجاز فقلت لما
أتيت بيوتاً لم تنل من ظهورها
إذا رأيت أموراً
أعطيتني الألف إجلالاً وتكرمة
إن العداوة تستحيل مودة
أنت يا نرجسة الرو
بالسبح حيناً وباللقاء آونة
بروحي من أسميها بستي
نبي الدنيا أقلوا لهم فيها
بها ما يلد العيش من حسن منظر
رأيت العماد وأبناءه
عجباً لثلي وهو يبصر رشده
فان الماء ماء أبي وجدي
- ولي فيك من حسن الثناء بيوت
تبدى وجهه لي وارثوته
وأبوابها عن قرع مثلك سدت
منها القلوب تفتتت
ياليت شعري أم أعطيتني ديتي
بتدارك الهفوات بالحسنات
ض لما في الروض ست
وبالكثيب زماناً والأثيلات
فتنظري النحاة بعين مقت
فما فيها يوؤل إلى الفوات
وما ترتضيه النفس من شهواتها
عماد المكارم فيمن رأيت
في الأرض كيف تقلبت حالاته
وبيري ذو حفرت وذو طويت (١٦)

- في الأرض آيات فلا تكن منكرًا
في حالة البعد روجي كنت أرسلها
قد نشر الزنبق أعلامه
كانت لمصر بهجوة
كم من كتاب قد تصفحته
لا تقطن عادة الإحسان عن أحد
للأس فضل بقائه ووفائه
لي مدة لا بد أبلغها
ما إن مدحت مكملًا في ذاته
مادمت حيًا فدار الناس كلهم
نظرت إليه نظرة فتحيرت
وإن لم أفر حقاً إليك بنسبة
وكانت على الأيام نفسي عزيزة
وعني بالتلويح يفهم ذائق
وما كنت أدري قبل عزة ما البكا
ونحن في مركب كالنون يذكرونا
- وعجائب الأشياء من آياته ٠٥٥
تقبل الأرض غني فهي نائبي ٠٨٩
وقال كل الزهر في خدمتي (٥٧)
بالنيل منذ ولي خلت ٠٤٥
وقلت في نفسي صححته (٦٩)
مادام يمكن في الإمكان تارات ١٧٥
ودوام منظره على الأوقات ٠٥٨
محتومة فإذا انقضت متّ ١٣٥
لكن مدحت مقالتي بصفاته ١٧٦
فإنما أنت في دار المداراة ٠٩٧
دقائق فكري في بديع صفاته ٢٢٩
لعزتها حسبي افتخاراً بهمتي ١٤٥
فلما رأته صبري على الذل ذلت ١٨٢
غني عن التصريح للمتعت ١٨١
ولا موجعات القلب حتى تولت ١٨١
موسى بن عمران في يم بتابوت ١٣٦

- حرف التاء -

- أنزلنا الدهر على معشر
كلام المنجم في لفظه
لا بارك الله في البعوض ولا
- تغرّ بالناس أحاديثهم ٠٦٦
يحل لدينا محل الحدث ٢٣٤
بورك في البق والبراغيث ٠٦٥

- حرف الجيم -

- أسير مثل أسير وهو يعرج بي
أقول للسرو إذ كساه
إني أرى الجود بالدنيا إذا ملكت
- كأنه نازل ينحط من درج ١٩٠
ثلج بدا نوره وأهـج ١٩٠
خيراً من الزهد فيها يأبأ الفرج ٢٠٩

- ذكرت أحبتى بالمرج يوماً
علت به درجات الفضل واتضح
٢١٩ فهاجت أدمعي نيران وهجي
١٥٥ دقائق من معاني لفظه البهج
٢٢٢ ودارج لم يخل من دارج
٠٦٠ أن البنفسج أذكى منه في المهج
١٢٥ منها سراج الأمة الوهاج
٠١٣ ليس النديم إليه بالمحتاج

- حرف الحاء -

- إذا عزّ من تهوى ولم تر حيلة
أرى الحسن مجموعاً بجامع جلق
١٧٩ فليس سوى الدينار أرجى وأرجح
٢١٦ وفي صدره معنى الملاحظة مشروح
٠٤٩ والماء مجتمع فيها ومسفوح
١٧٤ أخلت باب التمني غير مفتوح
٢٤٥ بمعين ماء للمفاسد يصلح
١٠٥ فلاح لي أن ليس فيه فلاح
٢٣٢ سوابق للإنسان قبل التماحه
٠٩٩ ملاح أدلتها واضحة
٠١٨ هذي المناهل مدحها لا يصلح
٢٣٣ هجر حبيبي في المقال الصحيح
٠٨٨ فالصب ينشد والخلي يسبح
إلى الوغى قبل نموم الصباح (٥٦)
١٨٤ فجميع ما في الكائنات مليح
بساحة العبد قليل النجاح (١٠٥)
٢٤٥ ومسح بالأركان من هو ماسح
١١٠ ما ضاع من كلني ومن تبرحي
هل يستوي المنوع والممنوح (٢١٦)
٠٦٠ يرتاح صدري له وينشرح
- عزّ من تهوى ولم تر حيلة
أرى الحسن مجموعاً بجامع جلق
أقمت بالبركة الفيحاء مدهقة
أقول للقلب لا تجزع لفائنة
أكرم بزمزم إذ غدا متفجراً
أملته ثم تأملته
أميرله في حلبة الجود والوغى
ثلاث تجمعن في ريقها
سألوا مديح مناهل فأجبتهم
علة شيبى قبل إبانه
قسم الإله الأمرين عباده
نبهتهم مثل عوالي الرماح
وإذا نظرت إلى الوجود بعينه
وأن من ينزل آماله
ولما قضينا من منى كل حاجة
يا جاهلاً قدر المحبة ساءني
ياراغباً في غير جامع جلت
يامهدياً لي بنفسجاً عطراً

يانسيم الصبح من كاظمة شد ماهجت الجوى والبرحا (٣٨)
يذمون دنياهم وهم يطلبونها ولم أر كالدنيا تدم وتمدح ١٨٣

- حرف الدال -

آل حرب أوقدتم نار حرب
أبكي إذا ذكر العقيق بمثله
إذا اجتمع الناس في واحد
إذا أفادك إنسان بفائدة
إذا بلغ الوليد لديك عشراً
إذا تخلفت أمراً كنت تعهده
إذا نلت المنى بصديق ود
أفد العلم ولا تبخل به
أقال فعالي بله أكثره مجد
ألم تغتمض عيناك ليلة أرمد
إلى بلدة نيظت علي تئمي
أما المذهب والمفضه
أميرنا السيد المفضال مسعود
إن الصفا في شرب كل مودة
إن العبيد إذا ذلتهم صلحوا
إن دام هذا ولم يحدث له بدل
أود من الأيام مالا توده
أولو العزم خمس والشرائع خمسة
أولئك الناس إن عدوا وإن ذكروا
أيا ساكني أطياف طيبة حسبكم
إياك والأتراك إن لبعضهم
برح بي أن علوم الورى
تالله لو كانت الدنيا بأجمعها

ليس يخبو لها الزمان وقود ٠٨٣
لعهود جبرته وحسن المعهد ١١٤
وخالفهم في الرضا واحد ٠٩٦
من العلوم فجدد ذكرها أبدا ١٢٢
فلا يدخل على الحرم الوليد ٢٠٥
يجري الزمان على مجرى عوائده ٠٦٦
وكان وفاقه وفق المراد ٠٩٥
وإلى علمك علماً فاسترد ٠٩١
وذا الجلد فيه نلت أم لم أنل جد (٠٢٥)
وبت كما بات الخلي مسهدا (١٧٧)
بها في جوار الهاشمي محمد ١٨٧
ضض والمفوف والنضيد (١٧٢)
من وصفه العدل والإنصاف والوجود ١٣٠
لم يخل من كدر لمن هو وارد ٠٩٨
على الهوان وإن أكرمتهم فسدوا ١١١
لم ييك ميت ولم يفرح بمولود ٠٩٦
واشكوا ليها دهرنا وهي له جنده (١٨٢)
يدان بهارب العباد ويعبد ١٢٣
ومن سواهم فلغو غير معدود ١٢٧
من السعي للعلاء جيرة أحمد ١٨٦
أشخاص غزلان وفعل أسود ١٦٩
علمان ما إن لهما من مزيد ٠٣٢
تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا ١٨٣

- تالله ما فارقت أرضاً لكم
تبن أن صدر الأرض مصر
تعس القياس فللغرام قضية
تفقد السادات خدامهم
تنام النصارى واليهود بأمرهم
توق من الشتاء ولا تخاطر
حلب الشهباء قالت
حلفت من يكتب بي
دار العماد فرط شوقي إليها
رعى الله مصرأ كم بها من مسرة
رعى الله مصرأ كم بها من مسرة
روض كمخضر العذار وجدول
زادت أصابع نيلنا
زين الشام وحق الصمد
شكرتك إن الشكر للعبد نعمة
طالع تواريخ من في الدهر قد وجدوا
عجبت لجرأة هذا الغزال
عدوى البليد إلى الجليد سريعة
على أنها عند الملمات لم تنزل
فتنت بظبي من بني الترك أدمعي
فقل للدهر أنت أصبت فالبس
فله ما لاقيت فيها من الهنا
فلو أن السحاب همى بعقل
فما كل غاد نحو قصد يناله
فمن لي بقلبي إذ رحلت فإنني
فيا حسن هاتيك الديار وتربها
في أهل مصر معان
- إلا ورافقت السها والسهاد
ونهداها من الهرمين شاهد
ليست على نهج الحجى تنقاد
مكرمة لا تنقص السؤدا
ونوم بني الزهراء نوم مشرد
بنفسك قائلاً إني جليد
سائر الممدن عبيدي
بالواحد الفرد الصمد
يجل أن يذكر بين العباد
ومنز أنس لاح كالطالع السعد
ومنز أنس لاح كالطالع السعد
نقشت عليه يد النسيم مباردا
وظفت وطاقف في البلاد
حسن حمام كثير العدد
ومن يشكر المعروف فالله زائده
تجد هموماً تسلي عنك ما تجد
وأمن تخطى به واعتمد
والنار تطرح في الرماد فتخمد
إذا جردت كالمشرفي المهند
لهجرانه تنهل عسفاً على خدي
برغم منك أثواب الحداد
ولله حادي العامرية إذ يحدو
لما أروى مع النخل القتادا
ولا كل من زار الحمى سمع النداء
مخلف قلبي عند من فضله عندي
فكم قد حوت حسناً يجل عن العد
من لطفهم تستفاد

- قضى عثمان سلطان البرايا
 قطعت كم بيد أطلب من وصاله باد
 كأن التقاء النيل بالبحر إذ هما
 كأن النخيل الباسقات وقد غدت
 كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى
 كأنما النهر إذ مر النسيم به
 كل البلاد فداء مصر لأجل من
 لا تغالي بمدح مصر وقصر
 لا تقرضن الصديق شيئاً
 لكل شيء آفة من جنسه
 لكم يا بني الزهراء في الذكر آية
 لله در الليالي في قلبها
 لله يومي بالعلي إذ شاهدت
 لما أراد الله نفع عباده
 محاسن الشام جلت
 عن الزمان كثيرة لا تنقضي
 مداده في الطرس لما بدا
 مرام شط مرمى العقل فيه
 مسح الرسول جبينه
 من رام يستسقي معالم طيبة
 هذا الزمان الذي كنا نحاذره
 هذا جناه أبي علي
 هذي رشيد وكم حوت من روضة
 وآي منى خمس فمنها اتساعها
 وأحسن عمرو في الذي كان بيننا
 وبروحي فديته ذا جمال
 وحملت أعباء الغرام وثقله
- بأسياف العساكر والجنود ١٥١
 وبالخفا باد مالي من أخذي بيد ١٢٠
 مليكان سارا في جحافل من جند ١١٢
 لناظرها حسناً قباب زبرجد ٢٣٨
 وأقيال مكة في بسالتهم أسد ١٢٩
 والغيم يهمي وضوء البرق حين بدأ ٢٣٧
 قد زاتها وهو الأمير الأوحده ٠٦٢
 فهي دار سراها الأوغاد ٠٧٨
 إن رمت أن تقتني وداده ٠٩٥
 حتى الحديد عدا عليه المبرد (١٤٠)
 فجاحدها في الناس لا شك ملحد ١٦٤
 وكل أمر بدا من حكمة الهادي ٢٤٣
 عيناى آثار النبي الهادي ٢٣٦
 ولى مراداً ملك خير بلاه ١٥١
 عن أن تحدد بحد ٢٢٣
 وسروره يأتيك كالأعياد ١٧٥
 قلبه الصب ومن يزهد ١٠٠
 ودون مداه بيد لا تبيد ١٠٨
 فله بريق في الحدود ٠٨٣
 ويشاهد المعدوم كالوجود ٠١٥
 فيما يحدث كعب وابن مسعود ٠٩٦
 ي، وما جنيت على أحد ٢٠٥
 غنا وقصر في الرياض مشيد ١١٠
 لحجاج بيت الله لو جاوزوا الحد ٢٤٤
 وإن عاد بالإحسان فالعود أحمد (١٤٠)
 غنج اللحظ كالقنا الأملود ١٨٣
 فرداً وحاربت الزمان وحيداً ١٩٦

- وزهدني في الشعر أن سجيبي
وفي الناس من يرضى بميسور عيشة
وكان عهد العين منذ نأت
وكان آخر عهد العين منذ نأت
وكم مات في البحر المحيط أخوظما
وكنت ألوم العاشقين ولا أرى
ولكل شيء آفة من جنسه
ولكن أسباب الضرورات لم تنزل
وما العيش إلا ما يلد ويشتهي
ومليحة شهدت لها ضراتها
ومفهمف حيا المحب بوردة
ويكاد من كرم الطباع وليدهم
يابني الزهراء لا لقيتيم
ياسرحة الماء قد سدت موارده
ياسميري روج بمكة روحي
يايومنا بالمرج هل من عودة
يبيت كما بات السليم مسهداً
يقدح الدهر في شماريخ رضوى
- بما تستجيد الناس ليس تجود ١٥٨
ومركوبه رجلاه والثوب جلده ١٨٢
بالدمع آخر عهد القلب بالجلد ٠١١
بالدمع آخر عهد القلب بالجلد (١١)
بغلته والماء جار وراكد ١٣١
مزية ما بين الوصال إلى البعد ١٠٠
حتى الحديد عدا عليه المبرد (١٠١)
إلى غير ما تهوى النفوس تقود ١٧٧
وإن لآم فيه ذو الشنان وفندا ١٧٢
والفضل ما شهدت به الأضداد ٠٩٢
بيضاء قد نشقت روائح نده ٢٠٩
هب التمام ليلة الميلاد ١٢٧
أبد الأباد سوءاً من أحد ٢٣٥
أما إليك طريق غير مسدود (٦٢)
شادياً إن رُغبت في إسعادي ٢٤٢
ليت الليلي للوصل تيمد ٢١٩
وفي قلبه نار يشب لها وقد ١٧٧
ويحطّ الصخور من هبود ٠٨٢

- حرف الذال -

- ذهبت وقد سد الغرام مذاهي
في موقف وقف الحمام عليهم
ياكتاني إذا وصلت إلى من
- وقلبي إلى نحو الأجنة يجبد ١٠٤
في ضنكه واستحوذ استحوذا ٠٨٠
حبه صير الفؤاد جذاذا ١٧٢

- حرف الراء -

- أبيت لقبر الشافعي أزوره
اجعل نديمك دقراً في ضمنه
- فعارضني فلك وما عنده بحر ٠٨٦
حكم العلوم وطبها في نشره ٠٩١

- أخبار مصر حديثها من حسنه
إذا رمت صبراً عند فقري ببلوتي
إذا شوركت في أمر بدون
إذا عرف الانسان أخبار ماضى
إذا ما خلوت من المؤنسين
أعد ذكر من حلّ الغضى يامعذبي
أفريت خمسين عاماً معملاً نظري
ألا إن قراء الأئمة سبعة
ألا قل لمن يبغي ظهور سيادة
إلهي أنت تعلم أن عجزني
أملت أن تتعطفوا بوصالكم
إن آثارنا تدل علينا
إن العماد بنوه والذي شرفت
إن الليالي والأيام لوسئت
إن الملوك وإن جلت مناصبها
انظر إلى الهرمين واسمع منهما
انظر إلى بركة الفيل التي اكتنفت
انظر إلى سير المراكب إذ بدت
أيا ساكني مصر غدا النيل جاركم
أين كسرى ، كسرى الملوك أنوشر
بالد طب و ما معين
بهجة العين روضة المختار
تطالبني نفسي مقاماً في مكة
تعشقت بدمراً ليس فيه مطمع
تعلم هذا النيل من خلقي الوفا
تناقض ما نرى إلا السكوت له
جعلوا لأبناء الرسول علامة
- يحلو لأن اللفظ منها سكر
يقول الحيا لن تستطيع معي صبرا
فلا يلحقك عار أو نفور
توهمت قد عاش من أول الدهر
طلبت الموانس في الدفر
وإن أضرموه بالأضالع والصدر
فيه فلم أدر ما آتي وما أذر
بهم يهتدي في الذكر كل كبير
تملكها الزهر الكرام بنو الزهر
بعفوك من عذابك يستجير
فرايت من هجرانكم ما لا يرى
فانظروا بعدنا إلى الآثار
به الأباطح أعني صفوة الباري
عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا
لها مع السوقة الأسرار والسمر
ما يرويان عن الزمان الغابر
بها المناظر كالأهداب للبصر
والماء يعلو حولها ويدور
فألبسكم تلك الخلاوة في الشعر
وان أم أين قبله سابور (٣٨)
وترى طينه يفوح عبيرا
تنجلي في مشارق الأنوار
فأذكر ضعفاً أهلها فأقصر
سوى أنني في حسنه أتفكر
لسكان مصر لهف قلبي على مصر
وأن نعوذ بمولانا من النار
إن العلامة شأن من لم يشهر

- حاذر أصابع من ظلمت فإنها
حتى التقينا فلا والله ماسمت
خذ من زمانك ما صفا
خرجوا به ولكل باك حوله
خط على ماء الشباب الذي
خليج كالحسام له صقال
خليلي ماتحت السماء بنينه
دخلتها وشعاع الشمس متقد
دخلنا على أن المقام ثلاثة
دفن الليث فلايث لكم
دمشق فيها نزة
الدين أول دينار نطقت به
راح من راح والثريا الثريا
رأيت بلاد الروم لا عيش عندهم
رأيت بلاد الروم عيشي عندهم
رسالة طالب في الكون أضحى
رعى الله وادي النيرين فإنني
زارت معطرة الشذى ملفوفة
زهر الوعود ذوى من طيل مطلقكم
سأشكر لا أني أجازي لنعمة
سد الخليج بكسره جبر الورى
سفر البر كيف كان جميل
سقى السفح من ذيل المقطم عارض
سقى السفح من ذيل المقطم عارض
سقى الله أرضاً طوقها مثل طرزها
سقى الله هاتيك المعاهد من مصر
سلم له الأمر تعش سالماً
- ٢١٠ تدعو بقلب في السدجى مكسور
١٤٤ أذني بأحسن مما قد رأى بصري
٢٤٨ ودع الذي فيه الكدر
٠٨٢ صعقات موسى يوم ذك الطور
١٨٩ نجده جسر من الشعر
٠٤٨ ولكن فيه للرأي مسرة
٠٣٣ تماثل في إتقانها هرمي مصر
١٩٤ وحرها في الحشا تذكو هواجره
١٩٨ فطاب لنا حتى أقمنا بها عشا
٠٨٧ ومضى العلم غريباً وقبر
٢١٤ وسفحها زاه نضر
٠٧١ والدرء للهم في ذا الدرهم الساري
٢٠٤ والسماك السماك والنسر نسر
١٦٢ يطيب ولا صفو يعادل أكداري
١٦٢ يطيب وصفوي لا يشاب بأكدار
٢٤٩ يرى مطلوبه في كل مصر
٢١٤ قطعت به يوماً لذيذاً من العمر
٠٩٩ كي تختفي فأبى شذا العطر
٠٥٩ لأنه من نداكم غير ممطور
٢٢٠ بأخرى ولكن كي يقال له شكر
٠٤٨ طراً فكل قد غدا مسرورا
١٣٤ ليس لي في البحار من أوطار
٠٧٥ تعارضه من دمع عيني مواطره
٠٨٧ تعارضه من دمع عيني مواطره
٢٣١ وسائرهما برد من الوشي أخضر
٠٩٠ بلاد بها قد كان بيتي على البحر
٠٥٢ وارض بأحكام اللطيف الخبير

- شربنا بكأس الفقر يوماً وبالغنى
عدلت أيادي النيل في تقسيمها
عقول تستخف بها السطور
علم الحديث فضيلة تحصيلها
على المرء أن يسعى لما فيه نفعه
العيش دار رحبة وحليمة
فارقته لا عن رضاءً وهجرتها
فألقت عصاها واستقر بها النوى
فان كنت لم تسمع بأخبار من مضى
فما كل معلوم يباح مصونه
فيا عطشي والمما الزلال أخوضه
قالوا تساقطت النجوم
قد بان لي عذر الكرام فصدهم
قدمت على السلامة من دمشق
كأنه وبنوه حول حضرته
كسر الخليج وكان ذلك نعمة
كن عالماً أخبار من عاش وانقضى
لا أبغى بالشعر رزقاً ولو
لا ترم في بئر شربت زلالها
لا تقعدن على ضيم ومسغبة
لا تكره البرغوث إن اسمه
لا تمنع العلم طالبه
لا شيء أحلى في مسامع مغرم
لعمرك ما مصر بمصر وإنما
لقد قعد الزمان بكل حرّ
لله درّ الخليج إن لله
لله يوماً به الدهر المشت سخا
- وما منهما إلا سقانا به الدهر
لنداه في الخليجان والأنهار
ولا يدري الفتى لمن الثبور
بالسعي والتطواف في الأمصار
وليس عليه أن يساعده الدهر
حسناً ومهر فاره
لا عن قلى ورحلت لا متخيراً
كما قر عيناً بالإياب المسافر
ولم تر في الباقيين ما يصنع الدهر
ولا كل ما أملت عيون الظبا يروى
ويا وحشتي والمؤنسون حضور
م لحادث خطبٍ عسير
عن أكثر الشعراء ليس بعار
فراق بنيل مصر ماتكدر
بدر الدجى ولديه الأنجم الزهر
سرت قلوب العالمين بنشره
وكن ذا اعتبار واغتنم أطيّب العمر
كنت على جيده أقدر
آجرّة فيقال أنك غادر
لكي يقال عزيز النفس مصطبر
برّ و غوث لك لو تدري
فسواك أيضاً عنده خبر
يلهو به أبداً سوى الأشعار
هي الجنة العليا لمن يتفكر
وأهدى فضله لذوي اليسار
تفضلاً لا نزال نشكره
مع جيرة قلّدوا من جودهم نخري

- لله يوم الوفا والناس قد جمعوا
لو كنت أعجب من شيء لأعجبني
ليال ينقضين وما شعرنا
ما للقرىض غدت تعاف بحوره
مجاملة الإنسان تكسب عيشه
مدادي مدامي والكؤوس محابري
مررت بشاطي النيل والماء مولع
الملح والكراث أشهى عندنا
ملوك بني عثمان إذ كان أصلهم
منارة كعروس الحسن إذ جليت
من ذا الذي تصفو له أوقاته
من مخبر الأكوان أني في الورى
النار آخر دينار نطقت به
نبكي على مصر وسكانها
نزيل اسكندرية ليس يقرى
نزيل سكندرية ليس يقرى
نعم تجنب لا يوم العطاء كما
هكذا أقطع الزمان سروراً
هويت مصرياً غدا قاهري
هي المقادير فلمني أو فذر
وادي القري شاهدته
وإذا رأيت صعوبة في مطلب
وإذا رأيت مصائباً في معشر
وإذا لم تر الهلال فسلم
والمرء تلقاه مضياً لفرصته
وإني وإن أعطيت في القول بسطة
وبركة ما ما تملك العين وصفها
- كالروض تطفو على نهر أزاهره ٠٣٠
سعي القى وهو مخبوء له القدر ١٥٤
بأنصاف لمن ولا سرار (٠٠٧)
بين الأنام ودوحه لم يثمر ٠٩٥
صفاء وتجبوه الجميل من الذكر ١٨٠
نداماي أقلامي وفاكهي شعري ١٣٧
بلثم ثنياه ييوس ويصدر ٠٤٣
من أكل مامونية بالسكر ١٥٢
كريمأ لهم في المكرمات مفاخر ١٥١
وهدمها بقضاء الله والقدر ٠٥٠
طراً ويبلغ كل ما يختار ٠١٩
لاقت رسطاليس والإسكندرا ١٤٤
والهم آخر هذا الدرهم الجاري ٠٧١
مذ خربت أركانها العامرة ٠٦٩
بغير الماء أو نظر السواري ١٢٣
بغير الماء أو نعت السواري ١١٧
تجنب ابن عطاء لثغة الرء (٠٧٩)
لو على وصله وجدت اقتدار ٢٠٣
بصارم من لحظه يشهر ٠٢٧
إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر ١٠٦
مافيه للضيف قري ٢٣٩
فاحمله صعوبته على الدينار ١٧٨
فحظوظ ضعفاهم أجل وأوفر ٢٣٨
لأناس رأوه بالأبصار ٢٤٧
حتى إذا فات أمر عاتب القدرا ١٨٢
وطاوعني فيه الكلام المحبر ١٤٤
يحف بها نبت من الروض مزهر ٠٢٤

- وبنو الأثر ثلاثية
وبي ظبية تحكي النسيم لطافه
وخلفت مصر من ورائي وخاطري
وصفوة في جدث كأن ضريحه
وقائلةٍ والدمع سكب مبادر
وقد يدعي علم القراءات معشر
وقلما قيل من شيءٍ لمسألة
وكم للدهر من فعل عجيب
ولقد سألت الناس عن أخلاقه
ولقد نثرت مدامعي ودمي معاً
ولما رأيت الشمس عند طلوعها
ولما رماني الدهر من كل جانب
ولما نظمنا بالعقيق مطينا
وليس اعتقاد المرء ماخط كفه
وما هو إلا الخط يعترض المنى
ومما قضى الدهر الملم بتزلة
ومن يستحل الرقص قالوا بكفره
ويوم سرناعلى دفين
يا أيها المولى اللذي
يا أيها النيل المبارك إن تكن
يا سفرة شقت بكل مشقة
يا ضيعة العمر في قوم تخالمهم
يا عين إن بعد الحبيب وداره
يا فاضلا فاق في المعاني
يا كحيل العيون إنك ظي
يا من يحاول راحة في دهره
يا وارداً من حمى المختار يخبرني
- قد حاز كل مفتخر ١٦٤
ولكن حظي من محاسنها الهجر ٠٣٨
بمصر ولكن أين من ناصري مصر ١٠٤
في قلب كل موحد محفور ٠٨٤
وقد شرقت بالدمع منها المحاجر (١٨٢)
وباعهم في النحو أقصر من شبر ٠٩٣
إلا ويبدو لها في الناس من خبر ٠٥٠
به فيه أولو الأبواب حاروا ٠٠٤
وكماله وعلا نباهة قدره ١٤٤
يوم الوداع وخاطري مكسور ١٨٧
ونحن بوسط البحر في النيل من مصر ٠٧٦
بكل ملم ضاق عن حملة الصدر ١٨٦
نثرنا عقيق الدمع فوق المحاجر (٢٤٠)
كما أن حاكي الكفر ليس بكافر ٢٤٨
ولولاه كان الدهر أطوع مأمور ١٤٥
على الفرس الميمون يلقى بها كسري ١٨٩
ولاسيما بالدف يلهو ويزمر (١٩٣)
أوقد حرّ النهار ناره ٢٤٣
أضحى وليس له نظير ٢٠١
من عند ربك تأتي فاجر بأمره ٠٨٩
وخلا يحياها عن الإسفار ٢٤٩
ناساً ولا غير أثواب على صور ١٣٨
ونأت مرابعه وشط مزاره ٠١٥
وهو بأحكامها خبير ٠٧١
بلقاه قد تسعف الأقدار ١٢٠
صبراً على ما نلت من خطب عسر ٠٩٥
عن جيرة شتّف الأسماع بالخبر ٢٣٦

- يروق امتداد الجسر والقصر فوقه ٢٠٨ فيجلو طباق العيش بالمد والقصر
يقولون كذب المرء حيض لسانه ٢٠٩ فما بال اسماعيلكم لم يزل مقري
يوم لنا بالنيل مختصر ٠٤٤ ولكل يوم مسرة قصر

- حرف الزاي -

- إذا ما اعتر ذو علم بعلم ٠٩٣ فعلم الفقه أولى باعتزاز
تجاوزت حد الأكثرين إلى السها ١٠٢ وجاوزت واستبقيتهم في المراكز
فإني وإن بالغت في الشكر والثنا ١٥٥ عليه مقرّ بالقصور وبالعجز
كتابي الكوكب المفدى ٠٢٧ دقت معان به عزيزة
من العشاق باح الدمع لما ٢٣٥ نوى ركب العراق إلى الحجاز
من كان مهوى أن يحيط بسمعه ٠٢٧ علماً بمصر كامل التمييز
يا كاملاً شوقي إليه وافر ١٧٢ وبسيط وجدي في هواه غريز

- حرف السين -

- إذا سرّها أمر وفيه مآثم ٠٩٩ قضيت لها فيما تريد على نفسي
إذا صحبت الملوّك فالبس ١٧٣ من التوقي أجملّ ملبس
أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ١٨٩ ويوماً له يوم الترحل خامس
أما والذي أصفاك مني مودة ١١١ فأضحى لها في ساحة القلب مغرس
إن الغريب إذا ما كان ذا قلم ٠٠٥ فليس سلوته إلا بقرطاس
إن في الروم للحسان عيوننا ١٦٨ ذكرت صبّها بحرب البسوس
إن مصرّاً لأحسن الأرض طرا ٠٣٠ ليس في حسنّها البديع التباس
فلو أني في جنة الخلد بعدها ١٩٨ ذكرت ولا أنسى للذاتها أنسا
فليت أيام هذا الدهر تمدحني ١٨٢ بيت شعر قديم سار في الناس
قد دخلت مصر فيما قدروي زمر ٠٧٢ من النبيين زادوا مصر تأنيسا
قل للذي سار بلاد الورى ٠٢٥ وأظهر القوة والباسا
لا تحقرن امرءاً إن كان ذا ضعة ٠٩٨ فكم وضع من الأقوام قد رأسا
لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه ٠٩٦ على ما تجلى يومه لا ابن أمسه

١٧٦	قضيت في الروم بتنفيسه	لله كم حال امرىء معدم
١٩٦	في روضة أزهرت تدعى بياباس	لله كم نزهة ياصاح قد جمعت
١٢٥	إلا سماحتهم في العز بالباس	لولم يكن في بني عجلان نافلة
٠٥٨	وأشبه شيء بها النرجس	وأحسن ما في الوجود العيون
٠٠٧	بمنصبه العالي صدور المجالس	ولا برحت تزداد عزاً ورفعة
٠٥٩	يتعاضدان على قتال الناس	ومهفهف الحاظه وعذاره
١٢١	أين الذي قد حموكي بالقنا والترس	يادار أين ملوك الأرض أين الفرس

- حرف الشين -

١٦٩	رقيق الطبع لا يصغي لواشي	بحمام السراي غزال سرب
٠٦٥	البق والبرغوث والبرغش	ثلاث باءات بلينا بها
٢١٩	ولا عجب إذ كان في الفضل قد نشا	رأيت عماد الشام في الفضل وحده

- حرف الصاد -

٢٠٩	يطوف بها دان ويسعى لها قاصي	جزيرة حمص كعبة الكون أصبحت
٢٠٩	يطوف بها دان ويسعى لها قاصي	جزيرة حمص لم تكن قط كعبة
٢٤٣	في أذنه أرخي خريص	جمـالنا مهفهف
٠٤٥	بموج يزيد ولا ينقص	شربنا على النيل في مده
٢٤١	وفوادي على اللقاء حريص	صاح هذي أعلام طيبة لاحت
١٨٨	تشوه الأوجه من قرصها	في يوم برد ترى أنفـاسه
٠٧٣	في شكله وعمومه وخصوصه	الكون عندي كالحيال حقيقة
٢٠٧	تشوق الداني والقاصي	ناعورة في النهر أبصرتها
٢٠٧	عليه دعت من عبرتي مدمعاً قاصي	نواعير في عاصي حماة إذا بكت

- حرف الضاد -

٠٩٦	فمنها جليّ ومستغص	تأن وشاور لدى المشكلات
١٥٢	بها مايشاء الله في خلقه يقضي	قضى ربهما ألا يموت خليفة
(١٣٤)	فيه يطير به جناح أبيض	كم من غراب للقطيعة أسود
٢٣٥	وعاند الدهر في تفريقنا وقضى	لا تحسبونا وإن شطّ المزار بنا
٢٣١	مكملة الأوصاف بالطول والعرض	لقد قابلتنا بالعجائب بحرة
٠٨٧	وجبت عليه زيارة ابن الفارض	لم يبق صيب مزنة إلا وقد
١٣٤	والموج تحسبه جواداً يركض	وركبت بحر الروم وهو كحلبة
١٤٢	والموج تحسبه جواداً يركض	وركبت بحر الروم وهو كحلبة
١٦٠	لها سنن يدعونها وفروض	وللناس عادات وقد ألفوا بها
٠٤٦	وجاء إلى مصر ليفسد في الأرض	ولما طغى فرعون جهلاً وقومه
١٢٥	يكن ليله صباحاً ومطعمه غضاً	ومن تكن الأسد الضواري جدوده
١٦٤	شافعاً في بسط قبضي	يا ابن خير الخلق كمن لي
٠٦٢	عن بسطها بالنوال منقبضة	يا أهل مصر رأيت أيديكم

- حرف الطاء -

١٦٩	ودارت لك الكاسات واكتمل البسط	إذا كنت والمحبوب يوماً بخلوة
٠٢٦	ففي هذه الدنيا له الشيل والخط	إلى المال مل واجمعه إن كنت عارفاً
٢٢٦	والبيت منه قد سقط	سئلت عن سيل أتى
٢٤٦	وإن ضاق فيها العيش أو طاول القحط	علي عهدود عن ديارك لا أخطو
٢١٢	حلف الزمان بمثله لا يغلط	لله يوم في دمشق قطعته
٢٢٦	ه بسيل لم يحو غرقاه ضبطي	هدم البيت أمر رب تغشا
١٩٠	وأكرمهم إذ كان وافي الشرائط	وقد كان مركوبي أعز خيولهم
٠٩٤	من نخب العلم التي تلتقط	اليوم حرف وغداً مثله

- حرف الطاء -

٠٣٩	في الحب فوق تمكن الملحوظ	مسموع لفظك في القلوب ممكن
-----	--------------------------	---------------------------

- حرف العين -

- إذا دعا باسمها داع ليحزنني
إذا دعا باسمه داع يحدني
أملاني حديث من سكن الجز
إن كان قد قضى الفراق وصدتي
إن البريد من الفراسخ أربع
إن علم الحساب علم جزيل
أين الذي الهرمان من بنيانه
بلادي وإن جارت علي عزيزة
تتخلف الآثار عن أصحابها
الجامع الأموي أضحى حسنه
الحد والموضوع ثم الواضع
الحزن يقلت والتجمل يردع
حشاي على جمر ذكي من النوى
دليل على حرص ابن آدم أنه
شاقني ردف مليح
عرج ركابك عن دمشق فإنها
عرج ركابك عن دمشق فإنها
فياليت مايني وبين أحسبي
لقد بسطت في بحر جسمك بسطة
لما علا السيل على مكة
مازال هذا البين يسقي كأسه
النيل زاد زيادة قد آذنت
هبطت إليك من المحل الأرفع
واد سما قدره بالساكنين به
وإذا المنية أنشبت أظفارها
- كادت له شعبة من مهجتي تقع (١٧٠)
كادت له شعبة من مهجتي تقع ١٧٠
ع ولا تكتباه إلا بدمعي ٠١٥
عنكم حجاز من نوى لا يرفع ٠١١
ولفرسخ فثلاث أميال ضعوا ١٨٧
ومعين إذ تشتري وتبييع ٠٢١
ماقومه مايومه ما المصرع ٠٣٣
ولو أنني أعري بها وأجوع ١٢٦
حيناً ويدر كهها الفناء فتبع (٣٣)
حسناً عليه في البرية مجمعا ٢١٦
والاسم الاستمداد حكم الشارع ١٢٢
والدمع بينهما عصي طبع (٣٣)
وعيني في روض من الحسن ترتع ١٠٧
ترى كفه مضمومة عند وضعه ١٦٦
لحروف النحو يجمع ٠٩٩
بلد تذلل لها الأسود وتخضع ٢١٣
بلد تذلل لها الأسود وتخضع (٢٢٣)
من البعد مايني وبين المراجع ١٣٦
أشار إليها بالوفاء الأصابع ٠٢٩
وخرب الدور وأخلى البقاع ٢٢٧
من رق من بين البرية طبعه ٠٩٠
من كل باسقة النخيل بطلعها ٠٤٣
ورقاء ذات تحجب وتمتع (٠٣٨)
وطالع السعد في آفاقه طلعا ١٨٦
ألفيت كل تيممة لا تنفع ١٥٣

- وأعظم ما بي أنني بفضائلي
وعلى السد عزة قبل أن تم
وكان من العلوم بحيث يقضى
ولي كف ضرغام أصول ببطشها
وناعورة قد ضاعفت بنواحها
يا أيها الناس من رأى قمراً
يابانة الوادي التي سفكت دمي
ياساكني اسكندرية فيكم
ينازع في تفضيلي الشام مغرض
- حرمتم ومالي غيرهن ذرائع ١٤٦
ملكه ذلة المحب الخضوع ٠٤٨
له في كل فنٍ بالجميع ٠٣٢
وأشري بها بين الورى وأبيع (١٢٥)
نواحي فأجرت مقلتي دموعها ٢٠٧
من أي أفق أرادته طلعا ١٠٠
بلحاظها بل يافتاة الأجرع ١٤٧
بات التزبل بليلة الملسوع ١١٧
كأني به قد مات فيما ينازع ٠٧٧

- حرف الغين -

- لم أنس بالتحفة يوماً غدا
عقلي من أهواله زائغ ٢٤٣

- حرف الفاء -

- إذا الفتى فاته مالاً يجمله
إذا ما ضاق صدري لم أجد لي
استشقوا لهوا الربيع فإنه
أطراف تيجان أتت من سندس
ألا قل لأصحابي عن القهوة انتهوا
أما ترى البحر ما أحلى شمائله
انظر إلى الربوة مستمتعاً
إن كنت تحسن تشبيه المنار فقل
إياك من صاحب ترجو معونته
تأخرت عن موقفني
جزى الله عنا الموت خيراً فإنه
عابت هذا النيل في ترك الوفا
- ففي التأدب مما فاته خلف ٠٩٣
مقرّ نزاهة إلا القرافة ٠٨٧
نعم الصديق وعنده أطفاف ١٠٤
خضر بأعلامٍ على الأشراف ٠٥٤
ولا تجلسوا في مجلس هي فيه ١٥٩
والموج يضرب برأ ثم ينحرف ٠٤٣
تجد من اللذة ما يكفي ٢١٢
كما أقول وصفها كما أصف ١١٦
أو فتية من بني الأيام تألفها ٠٩٥
فقلت ياخود قـفي ٠٩٩
أبرّ بنا من كل بر وأرأف ٠٩٧
فأجاني حالاً بغير توقف ٠٣٠

- عابت هذا النيل في ترك الوفا
فمن لعين ترى ما حلّ ساحتها
فيا كتابي إذا ماجئت منزله
قد قلت إذ مدحوا الحياة فأسرفوا
قد كان صاحب هذا القبر جوهرة
كانت قريش بيضة فتفلقت
كيف الوصول إلى سعاد ودونها
هذا جباه الله ملك جدوده
والثلج في الروم قد شاهدت موقعه
وقد حللنا في واد لا أنيس به
ومصاحب السلطان مثل سفينة
يا أطف الفضلاء أنت جماننا
ياطيب ريح سرى من نحوكم سحرًا
لولا تلافيه قلبي في الهوى تلف
ياقطب أهل العلم في أم القرى
رمضان هلّ بهجة لا توصف

- حرف القاف -

- أدمشق لا بعدت ديارك عن فتى
أبدأ إليك بكله يشوقا
إذا ذكر الراوي أحاديث فضله
يقول الورى هذا الحديث المصدق
إشرب على مقياس مصر وغنّ لي
من روضة المعشوق في عشاق
اشرب على مقياس مصر وغنّ لي
من روضة المعشوق في عشاق
إننا إذا اجتمعت يوماً دراهمنا
ظلت إلى طرق المعروف تستبق

- انظر إلى الشمس فوق النيل غاربة
وانظر لما بعدها من حمرة الشفق ١٠٧
أيها المغرم المشوق هنيئاً
ما أنالوك من لذيذ التلاق ٢٤١
البدر فوق النيل قد
ألقي شعاعاً يأتلق ٠٧٤
البدر فوق النيل قد
ألقي شعاعاً يأتلق ١٠٧
بسحاب إذا همما الماء منه
أهب الرعد في هواه البروق ١٤٠
بغداد دار لأهل المال طيبة
وللمفليس دار الضنك والضيق ١٥٥
بني الكعبة الغراء عشر ذكرتهم
وربتهم حسب الذي أخبر الثقة ٢٢٨
جزى الله الشدائد كل خير
وإن جرعتني غصصي بريقي ٠٩٧
جميع الأرض فيها طيب عيش
ولذات وروضات أنيقه ٠٧٦
حياة وعلم ، قدرة وإرادة
وسمع وإبصار كلام مع البقا ١٢٣
دمشق دار البذررقه
فيها الوجوه المشرقة ٢٢٣
رام نفعاً فصرّ من غير قصد
ومن البر ما يكون عقوقاً (٢٤٩)
روت الصبا عنكم حديثاً طيباً
فلذاك أصبحت الصبا تستنشق ٠٣٩
سكنوا بقلب آ نسوه وأوحشوا
لحظاً جرى من بعدهم وتدفقا ١٧١

- عاينت ورد الروض يلطم خدّه
ويقول وهو على البنفسج محنق ٠٦٠
عللاني عن الشأم بذكر
حن قلبي إليه بالأشواق ٢١٢
فلإذا سمعت بأن محروماً أتى
ماء ليشربه ففاض فصدق ١٤٥
فشممت من أرض الحجا
ز نسيم أنفاس التلاق ٢٤٠
قد قلت للمجد من تهوى توأصله
وكلنا لك ذو وجد وأشواق ١٦٥
كل الأمور تبيد عنك وتنقضي
إلا الثناء فإنه لك باقي ١٤٨
لا تكن طالباً لما في يد النـا
س فيزورّ عن لقاءك الصديق ١٨١
لم لا أهيّم بمصر وأشتهيها وأعشق ٠٩٠
مدينة خير الخلق تحلو لناظري
فلا تعذلوني إن فنتت بها عشقا ٠١٤
من كان يرجو أن يعيش فإنني
أصبحت أرجو أن أموت لأعتق ٠٩٦
مولاي هذا الملك قد نلتـه
برغم مخلوق من الخالق ٢٠٦
نبت ندماي بدجلة موهناً
والنجم في أفق السماء معلق ٠٤٤
نوب الزمان كثيرة وأشدها
شمل تحكم فيه يوم فراق ١٧٤
هجم النيل في البيوت على النا
س وثنى فيهم بقطع الطريق ٠٤٣

- هذا كتاب مصارع العشاق
صرعى أيادي البين والأشواق ١٧٤
وإذا علمت بأن مجدوداً حوى
عوداً فأثمر في يديه فصدق (١٤٥)
وأكثر الناس في تشبيههم أبداً
للرجس الغض بالأجفان والحدق ٠٥٨
وإن أحسن قول أنت قائله
قول يقال إذا ماقتته صدقا ١٦٤
وكادت ديار الروم من فرط محنتي
بما رحبت غمّاً عليّ تضيق ١٧٨
وكل نبي في القران فإنه
لمن نسل إبراهيم ذي العلم والتقى ١٢٣
ولقد أقول لمن تعشق أغيدا
أو غادة وغدا أسير وثاق ١٠١
وما هذه الأيام إلا صحائف
نورخ فيها ثم تمحي وتمحق ١٣٣
يا خاطري كم ذا تكون مخاطراً
متولعاً بالجد والأحداق ١٧٤
يا ويح قلبي وكم جهدي أحمله
مالا يطاق وقد رثت علائقه ١١١

- حرف الكاف -

- إذا كنت في أمر فكن فيه محسناً
فكما قليل أنت ماض وتاركه ١٤٧
بشاشة وجه المرء خير من القري
فكيف الذي يأتي به وهو ضاحك ١٤٣
تأمل في نبات الأرض وانظر
إلى آثار ما صنع المليك (٠٦٠)
توقد جمر القلب عند تغربي
فمن أجله دمعي أتى جيد السبك ١١٥

- ١٥٧ حيالك رب العرش حياكا
 ١٥٧ حيالك رب الناس حياكا
 ٠٥١ دع الاعتراض فما الأمر لك
 ٢١٢ دمشق قل ماشئت في حسنها
 ٠٠٦ راض العلوم فسله عن دقائقها
 ٢٠٥ ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة
 ١٣٤ عجبت للبحر لما أن رأيت به
 ١٥٩ عرفتك دهري ليس لي فيك حيلة
 ١٢٤ عزيز على بيت النبوة والملك
 ٦٢ في مصر من إذا رأى في أهله
 ٢٠٨ قاسوا حماة بجلت فأجبتهم
 ١٨٨ قالوا أضمر بنا السحاب بقطره
 ١٠٦ قد سمعت الصدى وذاك جماد
 ١٥٨ قناعة المرء بما عنده،
 ١٧٣ لا تقعدن بمجلس في صدره
 ٠٨٥ لما خشيت من الجحيم وحرها
 ٢٣٢ لما رأيتك في فضل وفي أدب
 (٠٢٦) لم تر عيني أبداً
 ١٢٩ ما اختلف الليل والنهار ولا
 ٠٧٣ الملك لله من يظفر بنيل مني
 ١٠٥ النهر مولى والتسيم خديمه
 ١٨٤ هي الدنيا تقول بملء فيها
 ١٩٥ وروضة دولا بها
 ٠٥٨ ونرجس كالثغور مبتسم
 ٠٤٠ ياطيب نشره بّي من أرضكم
- إن الذي أمّلت أخطا كما
 إذ بجمال الوجه رقاكا
 ولا الحكم في حركات الفلك
 واحك عن الربوة ما تحكي
 فعنده للخفايا أي إدراك
 وحقّ لسكان البسيطة أن يكوا
 تلك الصواري وقد أربت الحبك
 يروج بها فضلي وأسلك
 مقام على ذل المهانة والفتك
 سوءاً كما في محكم الذكر حكلي
 هذا قياس باطل وحياتكم
 لما رأوه لعبرتي يحكي
 كل شيء تقول ردّ عليك
 مملكة ما مثلها مملكة
 إلا إذا ما كان ذلك منزلك
 خوفاً وقد ضاقت علي مسالك
 علوت قدراً على العلياء والحبك
 تحت أديم الفلك (٠٢٦)
 دارت نجوم السماء في فلك
 يتركه قهراً ويضمن بعده الدركا
 هذا كلام ليس فيه تشكك
 حذار حذار من بطشي وفتكي
 إلى للغصون قد شككا
 له دموع المحقق الشاكي
 فأثار كامن لوعي وتهكي

- حرف اللام -

- أبكي إلى الغرب إن لاحت منازلهم
١٧١ من جانب الشرق خوف القليل والقال
إذا المرء أعطى نفسه كل مااشتتهت
ولم ينهها تاقت إلى كل باطل (١٧٢)
إذا سلسلوا من مصر رأس خليجها
فما ذاك من نقص يلوح لفاضل ٠٧٤
إذا كان قدر المرء إن جاء طالباً
أقل قليل كيف يطمع في الفضل ١٦٢
أرى أبداً قليلاً من كثير
وبدراً في الحقيقة من هلال ٠٢٩
أرى الفصل داء والرحيل دواؤه
فلا تسكنوا في بلدة قدحوت فصلا ١٥٢
أرى أهل الشام يفاخروننا
وتلك وقاحة فيهم وخصله ٠٧٧
أريد بسطة كف أستعين بها
على قضاء حقوق للعلى قبلي ١٣٢
أرى سوح الجزيرة من بعيد
كأحداق تغازل بالمغازل ٠٤٧
اسقي خمرة كرقعة عقلي
أو كديني ولا أقول كحالي ٠٦٢
أصالة الرأي صانتي عن الخطل
وحلية الفضل زانتي لدى العطل (٤)
أصبحت في بلدة غراء تجهلني
وكل ثاوب بدار الجهل مجهول ١٣٨
أصبحت لا أرجو ولا أتقي
إلا إلهي وله الفضل ١٤٨

أقطع الوقت بالرجاء وناهي—

١٧٦ ك بقلب غذاؤه التعليل

أقول وحرّ الرمل قد زاد قدره

٢٣٩) وليس إلى شم النسيم سييل

إن شئت تبصرني وتبصر حالي

٠٣٨ قابل إذا هبّ النسيم قبولا

انظر إلى النيل وجرم السما

٠٧٦ وماله من حسن تخييل

إن كانت العشاق من أشواقهم

٠٤١ جعلوا النسيم إلى الحبيب سييلا

إن العلى حدثني وهي صادقة

٠٠٤ فيما تحدث أن العزّ في النقل

إن الليالي للأنام مناهل

١٢٣ تطوى وتنشر دونها الآجال

إن الولاية لاتدوم لواحد

١٤٧ إن كنت تنكر ذا فأين الأول

إن مصراً نزهة الدنيا

٠٧٦ غاية المقصود والسول

أيها الماجد المعظم يحيي

١٤٤ بك يحيي بيت الحيا والمعالي

بأبي أنت، أنت للبرّ أهمل

٢٠٠ والمساعي بعد وسعيك قبل

بالعلم ينال كل عابد مالا

٠٢٦ فاجهد لتنال في الملا آمالا

بصبا المرج المبلل ذليله

١٦٠ علّل القلب علّ يبرد ويله

بلد به البيت المحرم قبلة

٢٤٤ للعالمين له المساجد تعدل

- بلوت الناس قرناً بعد قرن
٠٧٩ فلم أر غير ختال وقالي
تأمل ذا الوجود بعين فكر
١٧٤ ترى الدنيا الدنية كالحيال
تأن ولا تجزع لأمر تحاوله
١٦١ فخير اختيار المرء ما الله فاعله
تطاول بالفسطاط ليلى ولم يكن
٢٣١ بأرض الفضا ليل علي يطول
تعرض قوم للغرام وأعرضوا
١٨١ بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا
تعرف من عينه نجابته
١٢٨ كأنه بالذكاء مكتحل
تعشقت رب الحسن لما رأته
١٠٩ عياناً فجاهدت الهوى في سبيله
جزيرة مصر لا عدتك مسرة
٠٤٧ ولا زالت اللذات فيك اتصاتها
دع المقادير تجري في أعتها
١٧٤ واصبر فليس لها صبر على حال
دمشق التي شوقي إليها مبرح
٢١١ وإن لجّ واش أو ألحّ عدول
ديار مصر هي الدنيا وساكنها
٠٧٦ هم الأنام فقابلهم بتقييل
ذاك الذي أعطوه لي جملة
٢٠٦ قد استردوه قليلاً قليلاً
رأيت في أرض مصر إذ حلت بها
٠٤٣ عجائباً ما رآها الناس في جيل
رأيت في النوم أبي آدمياً
١١٩ صلى عليه الله ذو الفضل

- ربما يرجو الفتى نفع فتى
٢٠٧ خوفاً أولى به من أمليه
رب من ترجو به دفع الأذى
٢٣٧ سوف يأتيك الأذى من قبله
سكان طيبة أبلي الحب صبكم
٠٣٠ والشوق باق ليوم العرض في الطول
سلام على مصر ويقلب إنني
١١٣ لقد كنت عن اسكندرية في شغل
شكرتك عني كل قافية
٢٠٢ تختال بين المدح والغزل
طلق يفيض على العفاة سجاله
٢٣٢ وعلى العداة بسطوه سجلا
عاجلتنا فأتاك عاجل برنا
٢٠١ قلا ولو أمهلتنا لم نقلل
عجبا لهذا الدهر في أفعاله
٠٨٤ رأس بمصر وجثة في كربلا
علمي بسابقة المقذور الزمني
١٤٦ صبري وصمتي فلم أحرص ولم أسل
فأبق لي وده يادهر متصلا
١٦٥ وخذ بقية ما أبقيت من أملي
فاصبر لها غير محتال ولا ضجر
٠١٠ في حادث الدهر ما يغني عن الحيل
فإن دفنوا تحت التراب جماله
١٣٠ فما دفنت أوصافه وشمائله
فرق فرق الدروس واجمع مالا
٠٢٦ فالعمر مضى ولم تنل آمالا

- فسرنا ووهج الجوّ أوقد حرّه
٢٣٩ وليس إلى شم النسيم سييل
فلا صديق إليه مشتكى حزني،
١١٤ ولا أنيس إليه منتهى جذلي
فلولاه لم أبلغ من الروم بلغة
١٨٦ ولولا نداءه ما رجعت إلى أهلي
فوائد في مغاني الروم وافية
١٤٧ وحسنها يجتليها من تأمله
فيم اقتحامك لبحر البحر تركبه
١٣٢ وأنت يكفيك منه مصّة الوشل
قد قلت للميدان أحرزت البها
١٦٨ وأراك عن تلك البقاع بمعزل
قفا نيك من ذكرى حبيب و منزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل (١١٥)
قلت لما أبلجت في هجو دهر
٢٣٣ بذل الجهد في احتفاظ الجهول
قيّد بخطك ما يديه فكرك من
٠٩٤ نتيجة تعجب الحذاق والفضلا
كأني في الزمان اسم صحيح
١٨٧ جرى فتحكمت فيه العوامل
كنت وقد أيقنت أن جوارحي
٢٤٩ ستبلى ويبلى كل ما أنا قائله
كل أرض قد تسامت
٠٨٩ باقتضا أمر جليل
كل من يطلب العلوم وحيداً
٠٩٣ دون شيخ فإنه في ضلال
كناطح صخرة يوماً ليوهنها
٢٢١ فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

- لا بد للكامل من زلّة
١٧٣ تخبره أن ليس بالكامل
لا تحسبن الشعر فضلاً بارعاً
١٥٨ ما الشعر إلا محنة وخبال
لست أنسى الغوار وهو ينادي
٢١٦ غيض مائي وعطل الدهر حالي
لنفي للصديق أحق عندي
١٧٥ وحق أبيك من خيلي ورجلي
لو أن كل يسير رد محتقراً
٠٠٧ لم يقبل الله يوماً للورى عملاً
لو يكون الجباء حسب الذي أنـ
٢٠٠ ت له عندنا محل وأهل
ليس العطاء من الفضول سماحة
٢٠١ حتى تجود وما لديك قليل
ليست على الحر الليب مشقة
١٠٦ بأشق من أن لا يرى أمثاله
ما بال عينك حين تلحظني
١٧٢ يا ابن الكرام تعدّني هملاً
ماذا أقول إذا رجعت وقيل لي
٢٠١ ماذا رأيت من الجواد الأفضل
ما كنت أؤثر أن يمتد بي زمني
حتى أرى دولة الأوغاد والسفل (١٠)
المال أحسن ما ادخرت فلا تكن
٠٢٦ سمحاً به وتأن في تفصيله
مصر مناي ومنتهى أربي
٠٧٧ زمن الربيع وبركة الرطل
من عفّ خفّ على الصديق لقاءه
١٨١ وأخو الحوائج وجهه مملول

- مياه بوجه الأرض تجري كأنها
صفائح تبرٍ قد سبكن جداولاً ٢٣٧
نادى أحبتـه وأصغى للصدى
كما يجب فقال مثل مقاله (١٠٦)
نهاية إقدام العقول عقـال
وغاية سعي العالمين ضلال (٠٣٢)
هـذـي القـطـيـفة الـتي
لا تشتهي عقلاً ونقلاً ٢١٠
والسرو مثل عرائس
لفت عليهن المـلا ٢٢٤
ودع هريرة إن الـركب مرتحل
وهل تطيق وداعاً أيها الرجل (٢٢١)
ودع عنك أمراً قد مضى لسبيله
ولكن على مانالك اليوم فأقبل ٠٨٢
وصرت أذل من معنى دقيـق
به فقرر إلى فهم جليـل ١٨٠
وعدة الرسل الكرام الكـمـل
في اسم محمد بدت بالجمـل ١٢١
وفي كبدي من قاسيون حرارة
تزول رواسيه وليس تزول ٢٢٢
وقال لي بين لما رأى
لدي الخطوب وعندي العويل ١١٤
وكم من رسالات رقت نقوشها
فلم أنتفع يوماً بتلك الرسائل ٢٤٩
وكنت أظن أن جبال رضوى
تزول وأن ودك لا يزول ٠٩٨

- ولقد ركب البحر أرجو راحة
فشهدت فيه مواقع الأهوال ١٣٥
ولكل رأيت منهم مقاماً
٠٦١ شرحه في الكتاب مما يطول
ولكل رأيت منهم مقاماً
١٤٩ شرحه في الكتاب مما يطول
ولما اعتنقنا للوداع عشيّة
٠٢٤ على بركة الحجاج والدمع يسكب
ولما بلوناه تلونا مدحجه
٢١٩ فياطيب مانبلو وياحسن ما نتلو
ولم نستفد من علمنا طول عمرنا
٠٣٢ سوى أن حفظنا منه قيل وقالوا
ولو لم يزد احسانهم وجميلهم
٢٢٠ على البر من أهلي حسبتهم أهلي
وليس غريباً من نأى عن دياره
١٠٦ إذا كان ذامال وينسب للفضل
وليس يصح في الأذهان شيء
١٦٥ إذا احتاج النهار إلى دليل
وما اشتياقي حمى الزوراء من عجب
١٨٥ وجرح قلبي إليها غير مندمل
وما الشعر مما ارتضي نسبي به
١٥٨ لعمرى ولا وصفي به في المحافل
وما شيء بأثقل وهو حق
١٧٥ على الأعناق من ممن الرجال
وما كل ما يحكي التوهم صادقاً
١٤٥ ولا كل ما تحوي الظنون محصلاً

- ومن قبل تركيب الهوى كنت ساكنا
ولكن برغمي حركتني العوامل ٠٠٥
وهكذا المجد إن صحت قواعده
ليس التكحل في العينين كالكحل ٢٠٢
وهكذا المرء في أيام غربته
يلقى من الضيم ما لم يجر بالبال ١٨٨
يا آل بيت رسول الله حرككم
فرض من الله في القرآن أنزله ٢٣٥
يا أهل مصر بوادينا المقدس من
فواكه تشتوها في منازلكم ٠٧٧
يا سادتي هل يخطرن ببالكم
من ليس يخطر غيركم في باله ٠٩٨
ياطيب ما جاء النسيم بعرفكم
وحديثه عنكم حديث مرسل ٠٤٠
يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة
لك الملامة إن قصرت في عذلي ٠٦٩
ياقلب إن خان الخليل فخلته
فلكم فتى ذاق العنا من خلته ١٠١
يا من تناسى ودادي بعد معرفة
وقد غدا طوع لوام وعذال ١٠٠
يامن يرى مدّ البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليل ٢٠٤
يداوي أسى العشاق من نحو أرضكم
نسيم صباً أضحى عليه قبول ٠٣٩
يقولون أهل الغرب أهل فضيلة
وكل امرئ قد قال حسب مقاله ١١٩
يمثل ذو اللب في نفسه
مصائبه قبل أن تنزلا ٠٩٧

- حرف الميم -

- إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
إذا كنت ذا ثروة في الملا
الأزم المشهور قبـح ذكر
أقول ووادي الوجه سال من الحيا
ألا ياقومنا ارتحلوا وسيروا
أنا والحبيب ومن يلوم ثلاثة
إن كنت تسعى للزيادة فاستقم
إن كنت لم ترق الدماء زهادة
إن الدرهم شأنها
إن النساء وإن نسبن لعفة
إن قدر المرء بالعلم كما
إني أثبت إليك بالعلم الذي
بالروح يلعب في بداية أمره
بعشر تنال العلم قوت وصحة
تعدو الأعادي على من لاخفير له
تعدو الذئاب على من لاكلاب له
جئنا إلى العلم في زمان
حسدوا الفتي إذ لم ينالوا سعيه
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفي أذن الجوزاء منه زمازم (٠٤٧)
دع السحر يامن تيم الحب قلبه
فما السحر إلا في نقوش الدرهم
دمشق بواديها رياض نواضر
رقصت براغيث الشتا فأجابها ال
سم سمة محمد آثارها
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
فأنت المسود في العالم
لم تصف عيشة من بواديه ألم
وقد طاب فيه للحجيج مقام
فلو ترك القطا يوماً لنام (٠٠٨)
لحم بديع الحسن أصبح ينتمي
تل المراد وقد سموت إلى السما
فلقد أرتق اليوم من جفني دما
ألم يشق على الكرام
رمم تقلبها السور الحوم
أن قدر العلم بالمال سما
يقضي عليك بجرمي وذمامي
وسوى الغرام به فقير غرام
وحفظ وفهم ثاقب في التعلم
وتتقي مريض المستأسد الحامي
وتتقي صولة المستوفز الحامي (٠٠٨)
يحط فيه من كان عالم
والقوم أعداء له وخصوم
زحفه
وفي أذن الجوزاء منه زمازم (٠٤٧)
دع السحر يامن تيم الحب قلبه
فما السحر إلا في نقوش الدرهم
دمشق بواديها رياض نواضر
رقصت براغيث الشتا فأجابها ال
سم سمة محمد آثارها
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
فأنت المسود في العالم
لم تصف عيشة من بواديه ألم
وقد طاب فيه للحجيج مقام
فلو ترك القطا يوماً لنام (٠٠٨)
لحم بديع الحسن أصبح ينتمي
تل المراد وقد سموت إلى السما
فلقد أرتق اليوم من جفني دما
ألم يشق على الكرام
رمم تقلبها السور الحوم
أن قدر العلم بالمال سما
يقضي عليك بجرمي وذمامي
وسوى الغرام به فقير غرام
وحفظ وفهم ثاقب في التعلم
وتتقي مريض المستأسد الحامي
وتتقي صولة المستوفز الحامي (٠٠٨)
يحط فيه من كان عالم
والقوم أعداء له وخصوم
زحفه
وفي أذن الجوزاء منه زمازم (٠٤٧)
دع السحر يامن تيم الحب قلبه
فما السحر إلا في نقوش الدرهم
دمشق بواديها رياض نواضر
رقصت براغيث الشتا فأجابها ال
سم سمة محمد آثارها

- الصالحية جنّة
 ضمنت إلى صدري فتاة صغيرة
 علي سا كني بطن العقيق سلام
 عود لسانك حسن القول تنج به
 العين دموعها تظل تهمني
 فامنن بما يغني ويثمر دائماً
 فسقى ديارك غير مفسدها
 فصاحة حسان وخط ابن مقلّة
 فقلت في تاريخ موت الشيخ قد
 فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن
 فهل درى البيت أني بعد فرقته
 فوق وجه الثرى ترى الشام شامه
 فيا عيني بيتا في اعتناق
 قال: ماذا يقول في الشام جبر
 قد علا نبيل مصر في زيادته
 قصر في أوصافك العالم
 قيامي للعزير علي فرض
 لا تستدل على تغير صاحب
 لا تمدحن ابن عباد وإن هطلت
 لا غرو من حزني لبينهـم
 لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
 لقد قسم الله البراغيث في الورى
 لقد كادت الدنيا تقول لأهلها
 لله ترخيم يجامع جلق
 ما تنسج الأيدي يبيد وإنما
 ما مثل مصر في زمان ربيعها
 ما مصر إلا بلدة ما مثلها
- والصالحون بها أقاموا
 لها سحر أجفان خلا عن الدم
 وإن أسهروني بالفراق وناموا
 من زلة اللفظ بل من زلة القدم
 والنفس غدت مليئة بالهم (١٦٠)
 حمداً يدوم على مدى الأيام
 صوب الغمام وديمّة تهمي
 وحكمة لقمان وزهد ابن مريم
 مات أبو السعود مولى العلم (١٦٠)
 إذن لم يكن فيها معاش لظالم (١٥١)
 ماسرت من حرم إلا إلى حرم
 ولكم للغريب فيها كرامته
 ويانومي قدمت على الكرامه
 شام من بارق العلى ماشامه
 حتى لقد بلغ الأهرام حين طما
 وكثر النائر والناظم (١٥٧)
 وترك الفرض مالا يستقيم
 وزوال صحبته وخفر ذمامه
 كفاه بالجوود حتى أخجل الدما
 يوم النوى وأنا أخو الهم
 حتى يراق على جوانبه الدم
 فوفر منها عند قسمتها قسمي
 مشافهة لو أنها تتكلم
 متناسب التخسيس والتقسيم
 يبقى لنا ما تنسج الأقلام
 ما بين ماء واعتلال نسيم
 غريبها يرتع في نعيمها

- ٠١٧ إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
١٠١ وعنه فكاشف كل من عنده فهم
٠٦٢ لم لا الوضيع ولا المعظم
١٢٧ منهم ومن عاش فيهم بالأذى سلم
٠٩٨ ثم انثت عنه فكاد يهيم
١٧٩ فعليه إذا أصيب الملام
٢٣٩ إذا دنت الخيام من الخيام
١١٤ ولو أردت دوام اللهم لم يدم
٠٢٢ إذا أقعدتك الرزايا أقاما
٠٦٥ أبداً أوسع البراغيث ذما
١١٦ ضياء إذا ما خندس الليل أظلما
٠١٠ وإن غاب جيران علي كرام
١١٣ من المعروف حتى بالسلام
١٥٠ فتاهم ومن فيهم عزيز مكرم
٢٤٦ كرام في الطبائع أو لثام
٢٤١ سأختار المقام على المقام
٠٢٤ فهو في لذة وفي آلام
١٢٧ وأوصاف ألد من المدامة
٠٤٠ إلى نحوكم لو أنها تتكلم
٢٠٧ من الصباح فلما أن رآه عمي
٢٤١ وحمى فيه منبر ومقام
٠١٢ وصرنا جميعاً من عيان إلى وهم
١٣٤ وهاج علينا موجه يتلاطم
١٤٦ لكن حظوظ وأرزاق بأقسام
٢٢٤ وأقمار واديه الشميم تمام
١٥٨ إذا لم يكن عن كل فضل يترجم
١٢٤ إلا دخول كلام الله في الكلم
- متى يبلغ البنيان يوماً تمامه
مع العلم فاسلك حيث ماسلك العلم
من أهل مصر ليس يسـ
من سالم الناس لم تسلم مقاتله
نظرت فأقصدت الفؤاد بسهما
وإذا جرب المجرب غمر
وأعظم ما يكون الشوق يوماً
والدهر لا شك ذو ضيق وذو سعة
وأن الرفيق الشفيق الذي
وخليل يقول لما رأني
وسامية الأرجاء تهدي أبا السمر
وفارقت حتى لا أراع من النوى
وقد بخلت علي بكل شيء
وقد ساقني دهري المليم لفتية
وقد طفت البلاد ومن عليها
وقلت للآمي أقصر فإني
وكذلك الإنسان مادام حياً
وكم فيهم محاسن وهي شتى
وكم لي إذا هب النسيم تحية
وكنت كالمتمني أن يرى فلقاً
ولعيني لما بدا نور طه
ولما تناءت بالأحبة دارهم
ولما ركبت البحر والبحر قدطما
وليس رزق الفتى من حسن حيلته
وما الشام إلا في البلاد كشامة
وما الشعر فخر للفتى ومزية
وما دخولهم في الناس أو مضر

- وما ينفع الإنسان ببيان قبره
ومعشر تستحل الناس قتلهم
ومن لا يصانع في أمور كثيرة
ومن يحمد الدنيا لأمر يسره
وناعورة قالت وقد حال لونها
يا أهل دار المعلى والبيع سقت
يا أهل طيبة قد سكتتم أضلعي
يا أهل طيبة لازالت شمائلكم
ياذا المعظم إن فيك لقسوة
يا سالكاً بين الأسته والقننا
يقولون لي فيك انقباض وإنما
- إذا كان فيه جسمه يتهدم ١٩١
كما استحلوا دم الحجاج في الحرم ٢٣١
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم (٠٥٨)
فسوف لعمرى عن قريب يلومها ١٧٤
وأضلعها كادت تعد من السقم ٢٠٨
ربوعكم سحب منهلة الديم ٢٤٥
فودادكم نام وشوقي محكم ٢٤٨
كالروض باكره سار من الديم ٢٤٦
فلأى معنى قد سميت معظما ٢٣٥
إني أشم عليك رائحة الدم (٦٣)
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما (١٧٨)

- حرف النون -

- آمين آمين لا أرضى بواحدة
أبا العلاء بن سليماننا
أخي لن تنال العلم إلا بستة
إذا الأرتى توسد أبرديسه
إذا رمت المطالب قبل وقت
إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى
أستخدم الريح في حمل السلام لكم
إشفع فلا الشافع أعلا يداً
أعانقها والنفس بعد مشوقة
أقمت بها شهرين في حال غربة
ألا لن تنال العلم إلا بستة
ألا لن تنال العلم إلا بستة
إن أو صل الدهر أيدينا لمكرمة
- بل ألف آمين في ألفين آمينا ٢٣٠
عماك قد أولاك إحسانا ٢٠٥
سأنيك عن تفصيلها بيان (٢٦)
خدود جوازيء بالرمل عين (٤٤)
فلمت بواجد إلا الأمانى ١٨٥
وسيرته عدلا وأخلاقه حسناً ٠٩١
كأنما أنا في عصري سليمان ٠٤٠
عندي وأسنى من يد المحسن ٠٣٧
إليها وهل بعد العناق تدان ٠٩٩
أرجي نداها والجنون فنون ١٧٧
سأنيك عن مجموعها بيان ٠٢٦
سأنيك عن مجموعها بيان ٠٩٢
ثم امتنعنا فلا نلنا أمانينا ١٧٥

- أنشأت مدرسة ومارستاننا لتصحح الأديان والأبدانا ٠٤٩
انظر إلى المشور ما بيننا وقد كساه الطل قمصانا ٠٥٩
أنفقت كم عين والمحجوب مالي عان
وأنا الشجي العان أضحي دمع عيني عين ١٢٠
إن الغريب إذا أقام ببلدة لعبت أنامله على الحيطان ٢٢٩
إن في عينيه معنى حدث الرجس عنه ٠٥٨
إني إذا نزلت ديار المصطفى وازداد شوقي نحوها وحنيني ٠١٥
بالطف لي أسوة في كل حادثة فهات يادهر ما أعددت من محن ٠٨١
بعض الذي نالنا يادهر يكفيننا فامنن بيقيا وأودعها يداً فينا ٠٨٢
بعوض جعلن دمي قهوة وغنيني بضروب الأغاني ٠٦٥
بقدر لغات المرء يكثر نفعه وتلك له عند الملمات أعوان ١٦٢
بلاد ألفناها على كل حالة وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن ٢٤٣
بني عمنا من آل موسى وجعفر وآل حسين كيف صبركم عنا ١٢٦
تاريخ جامع أحمد من نص قرآن ميين ١٦٨
تركت جفني واصلا والكرى راء فجد بالوصل فالوصل زين ٠٧٩
تجير به الأبصار حسناً ورونقاً وتمرح فيه الخلق بالأمن واليمن ٢١٠
حافظ السنة حفظاً لا ترى معه أن تعمل الناس الأسنة ٠٠٦
حماة في بهجتها جنة فهي في الهم لنا جنّة ٢٠٧
حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان (٠٠٤)
رأيت النيل ذا عقل ولب لما يبدو لعين الناس منه ٠٣٠
رب خذ للشعر من زمر أسمعونا فيه ما أضنى ١٨٠
سامح أخاك إذا أتاك بمنكر مخلوص شيء قلمما يتمكن ١٠١
سكرات خمس إن رمي المرء بها صار ضحكة الشيطان ١١١
طرب الفؤاد وعاده أحزانه وتشعبت شعباً به أشجاناه (١٧١)
عليك بصهوة الشهباء تكفي بجوشنها محاربة الزمان ١٩٨
فالدهر يرقص والأيام تنشده هذا هو العيش إلا أنه الهاني ١٥٥
فائدة جليلة مستحسنة إن شئت أن تعرف كم نيل السنة ٠٣٠

- فمني إليها كل وقت تحية
 في النيل أعلام بدت
 قالوا تسلي عن ثمار شطوطها
 قد سألت النسيم وهو خبير
 كان رحلي عن طيبة عجباً
 كأن الياسمين الغض لما
 كأنما حجل كانت بسفح ربي
 كلما أثبت الزمان قنّاة
 كيف يلذ العيش في بلدة
 لا تصحبن ملكاً أو من يلوذ به
 لا تعاد الناس في أوطانهم
 لاسقى الله بلدة كنت فيها
 لا عيب في جوده إلا ترادفه
 لجامع مولانا المؤيد رونق
 لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
 لهنفي على بغداد من بلدة
 لي حبيب لو قيل ما تمنى
 لي كلما ابتسم النهار تعلّة
 ما في التواجد إن فكرت من حرج
 ما كل ما يتمنى المرء يدركه
 متى أراك كما أهوى وأنت ومن
 متى أراك ومن تهوى وأنت كما
 مطران مثل الشعب قفر محل
 مغاني الشعب طيبا في المغاني
 ملك إذا عاينت نور جبينه
 الملك لله الذي لم يزل
 من تحلى بغير ما هو فيه
- وساكنها في كل آن لها السنا ٠١٠
 بيض كأيدي المحسنينا ١٠٧
 فأجبت لا والتين والزيتون ٢٠٨
 بسؤالٍ إذا غاب وجهك عني ٠٣٩
 وحادثاً من حوادث الزمن ٠٠٩
 أدرت عليه وسط الروض عيني ٠٥٩
 فرت كأنهم بالسفح ما كانوا ٠١١
 ركب المرء في القنّاة سنانا (٥٦)
 سكان قلبي غير سكانها ١٤٣
 وإن تئل منهم عزاً وتمكيننا ١٧٣
 قل ما يرعى غريب الوطن ١٧٥
 البراغيث كلهم أكلوني ٠٦٦
 قبل السؤال فراجيه كخجلان ١٦٥
 منارته بالحسن ترهو وبالزین ٠٥٠
 فمسرّح غزلان ودير لرهبان ١٢٨
 كانت من الأسقام لي جنّة ١٥٥
 ما تعديته ولو بالنون ١٠٩
 بمحدث ماشان قلبي شأنه ١٧٧
 ولا المثاني ولا الأصوات تعجبني ١٩٣
 تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ١٠٤
 تهوى كأنكما روحان في بدن (٢٠٦)
 تهوى على رغمهم روحين في بدن ٢٠٦
 مافيه من عطف على ولهان ٢٣٨
 بمنزلة الريح من الزمانا ٢١٨
 فارقه والنور فوق جيني ١٥٠
 يودعه في آل عثمان ١٦٨
 فضحته شواهد الامتحان ٠٩٣

- من كنت عن ماله غنياً
من يستقم يحرم مناه ومن يزغ
مهفهف قد ريقه الشهد إن بدا
الموت والحريفة الـ
هذي خفوق البرق والقلب الذي
هزوا القدود فأخجلوا سمر القنا
هم الملوك إذا أرادوا ذكرها
هو الشعر لا شيء سواه وإنه
وأكرم من يدق الباب شخص
وبدا له من بعد ما اندمل الهوى
وذي هيف كالرمح رنحه الصبا
ورب حمامة في الدوح صارت
ورجال الشام في طعنهم
وسهيل كوجنة الحب في اللو
وعلى الأفق من دماء الشهيد
وقد يتقارب الوصفان جداً
وكل أخ مفارقة أخوه
ولا تم لام في اكتحالي،
ولقد أرى بين المسمى واسمه
ولكن الفتى العربي فيها
ولم أنس قول الورد لاتركنوا إلى
ولي ثم بين البركتين معاهد
وما علي إذا قلت معتدي
وما يمنع الجيش الكثير التفافه
ومن يك وجدده وجداً صحيحاً
ياصاح لو أبصرت باب زويلة
يا ليلة مرت لنا حلوة
- ١٧٥ فلا أبالي إذا جفاني
٠٩٥ يختص بالاسعاف والتمكين
٠٥٦ يحاكي القنا لكن بغير سنان
١٧٢ شماء والشرف المسكين
١٣٦ ضمت عليه جوانحي خفقان
(٥٦) وتقلدوا بدل السهام الأعينا
١٦٧ من بعدهم فبالسن البنيان
١٠٣ لأحسن ما قال قس وسحبان
١٧٨ ثقل الحمل مشغول اليدين
١٧٠ برق تألق موهناً لمعانه
٠٥٧ يفوق القنا طولا بغير سنان
١١٤ تجيد النوح فناً بعد فن
٢٢١ قاسيون القلب منهم لا يلين
(١٨١) ن وقلب المحب في الخفقان
٠٨٣ ين علي ونجمله شاهدان
١٥٠ وموصوفاهما متباعدان
(٠٠٦) لعمر أليك إلا الفرقدان
٠٨٥ يوم أراقوا دم الحسين
٠١٩ نسباً قد استغنى عن التبيين
٢١٨ غريب الوجه واليد واللسان
٠٥٩ معاهدة المشور فهو يمين
٢٤١ على حفظها قلبي الحفيظ أمين
٢٢٩ دع الجهول يظن الحق بهتانا
١٢٩ على غير منصور وغير معان
١٩٢ فلم يحتج إلى طرب المغني
٠٧٨ لعلمت قدر محله بنيانا
٠٨٥ بها انتصفنا من صروف الزمان

- حرف الهاء -

- أنته الإمارة منقادة
أتطلب من زمانك ذا وفاء
أتينا إلى الوجه المرجى نواله
إذا وقع الذباب على طعام
أرتك يد الخير آثارها
أسامياً لم تزده معرفة
أما دمشق فإنها قد أوحشت
إن الغنى يستهاب كلما اعتكرت
بجامع مولانا المويّد أنشئت
ترحل عن دمشق فليس فيها
جلت جنة من تاه وبأها
حسنها ما رأيت من فعل نهر
حل الديار بما فيها لأهليها
دمشق من محاسنها جنان
رعى الله ظيماً بالأريمل إذ بدت
رو من نبط لهيبي
سقى دمشق وأياماً مضت فيها
سل الأيام ما فعلت بكسرى
غنى في يد الآمال لا أستفيده
قل للأمر نصيحة
لا تبعثوا غير الصبا بتحية
لا تسلكن طريقاً لست تعرفها
لا تعتن على بخل مغاربة
لو كفر العالمون نعمته
ما ازددت في حب من شغفت به
ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت
- إليه تجرجر أذيالها
وترجو ذاك جهلا من بنيه
فشح ولم يسمح بطيب نداءه
رفعت يدي وعيني تشتهيه
وأخرجت الأرض أثقالها
وإنما لذة ذكرناها
من بعد ما شهد الخلائق أنسها
دجى الكروب جلا عنها حادسها
عروس سمت ماخلت قط مثالها
يقدم غير من أضحي سفيها
ورباها مني لولا وبأها
لهواه الغصون يجري إليها
وقل سلام على الدنيا وما فيها
ولذات النعيم لساكنيها
حشاشة قلب المستهام رعاها
واسقنا ثم توجّه
من السحائب ساريها وغاديا
وقيصر والقصور وساكنيها
ودين على الأيام لا أتقاضاه
من حاذق فطن نبيه
ماطاب في سمعي حديث سواها
بلا دليل فتوهي في مغاويرها
طباع أنفسهم تبدي الذي فيها
لما عدت نفسه سجاياها
إلا غراماً عليه أو ولها
لنا رغبة أو رهبة عظماؤها

- وقد هاج لي شوق ليثرب ليتني
ولا تطلبوا ما بأيدي الأنا
ولأهل الزوراء في القلب ود
ولقد أتيت ديار مصر مرّة
ولما وجدنا الوجه عند وروده
ومن العجائب أن أقيم ببلدة
وناعورة قد ضاعفت بنواحيها
- قضيت ولا يقضى عليّ بعداها ١٧٦
م تصيرون بذلك أعداءهم ١٥٨
فسلام على حمى ساكنيها ٢٣٩
شوقاً لقوم همت في إسعافهم ٠٦٠
خليلاً من الماء القراح فئاؤه ٠١٦
يوماً وأسلم من أذى أحوالها ١٩٠
نواحي فأجرت مقلتي دموعها ٢٠٧

- حرف الواو -

- تحكيه سمر القنا ولكن
فما كل معلوم يباح مصونه
قلبي الخفوق ومدمعي الجاري دما
لقد خضت يانفس بحر الهوى
وقد ضقت بالأحوال ذرعا وحيلة
وكنت إذا حدثته أو رأيتـه
وما البحث في الآثار إلا مبعّد
- يزيد في جسمه طلاوة ٠٥٦
ولا كل ما أملت عيون الظبا يروى ١٠٩
مهما جرى ذكر العذيب أو اللوى ١٨٩
وأحرق قلبي بنار النوى ١٣١
فحتى متى أشكو ولا تنفع الشكوى ١٨٣
تزول حرارات الصبابة والجوى ١٥٩
عن المقصد الأسنى إلى الغاية القصوى ١٠٩

- حرف الياء -

- أبا خالد أحسنت لا زلت محسناً
أبدى لنا الدولاب قولاً معجبا
أرانا الجميل الوجه معتذراً لنا
إركب النيل ما استطعت ففيه
إني أتيت لبابك العالي لكي
البحر مر المذاق صعب
- رفيقاً بمن يهوى جواريك هاديا ١٣٥
لما رأنا قادمين إليه ١٩٥
فأوليته شكراً وما زلت مثنيا ٠١٦
راحة للفقى وغاية بغيه ١٠٦
أحظى بتقيل الأيادي العاليه ١٥٦
لا رجعت حاجتي إليه ١١٢

- دع عنك مصر فأهلها بعد الوفا
سرك إن أودعته ثانيا
لا تغضبني على امرئ
ماخط كف امرئ شيئاً وراجعه
من رام يحظى بالمسرة والهنا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة
وأوصاني الوصي وصاة نصح
وعين الرضا عن كل عيب كليله
وفي قبض كف الطفل عدظهوره
- ألفوا الجفا وتحجبا في الأبنيه ٠٧٨
فاعلم بأن قد آن أن يفشيه ٠٩٥
لك مانع ما في يديه ١٨٠
إلا وعن له تبديل مافيه ٠٠٩
فليصحب العارف المدنيا ١٦٣
فإن عرضت أيقنت أن لا أخأ ليا (٨)
وكان مهذباً شهماً أيأ ١١٩
كما أن عين السخط تبدي المساوي ٠٠٨
دليل على الحرص المركب في الحي ١٦٦



صفحة

٢٨	مصر
٢٩	النيل وكسر الخليج
٣٠	أبيات في النيل
٣١	الأهرام
٣٤	عين شمس
٣٦	جبل القمر
٣٧	مد النيل وسببه، والملتن
٣٨	الرياح والنسائم
٤٢	ذكر فضل النيل
٤٣	أبيات أخرى في النيل
٤٥	قصة عن فرعون
٤٦	حكاية عن مبدأ أمر فرعون
٤٧	خليج مصر
٤٩	المدرسة المنصورية والمؤيدية ومدارس أخرى
٥١	طاعون وأحداث وقعت بمصر
٥٥	القبض على الشريف علي بن عجلان وأخيه
٥٦	قصب السكر
٥٧	السبع زهرات بمصر
٦١	أهل مصر
٦٣	الملك الأحمق
٦٤	كلام في البلدان وخصائصها
٦٥	أبيات في البراغيث
٦٦	ترهات لدفع البراغيث
٦٦	ذكر الطريق المسلوك إلى مكة المشرفة
٦٨	القاهرة المعزية
٧٠	نقود مصر ومكاييلها

صفحة						
٧١	أبيات في الدراهم والدنانير
٧٢	من دخل مصر من الأنبياء
٧٣	بيتان للسلطان سليم
٧٤	أبيات في مدح مصر والنيل
٧٨	مشهد الحسين رضي الله عنه ومقتله
٨٥	مشهد السيدة نفيسة وقبر الإمام الشافعي
٨٧	تربة الليث بن سعد وتربة ابن الفارض
٨٨	ابن الفارض
٨٩	خان الخليلي
٩٠	بولاق
٩٢	متنوعات شعرية
١٠٤	وداع القاهرة
١٠٧	الوصول إلى رشيد
١٠٩	عقيدة الحلول والاتحاد
١١٠	القبطي الأديب
١١٣	الزول في الاسكندرية
١١٥	الاسكندرية ومارتها
١١٧	عامود السواري
١١٩	بهلوان من حلب
١٢٠	الموالي وأبيات منها
١٢١	طرف وسخف عن الشيخ أحمد
١٢٣	مقتل أمير مكة الشريف أحمد بن عبد المطلب
١٢٥	الشريف قتادة وخبره مع الخليفة الناصر
١٣١	فراق الاسكندرية
١٣٢	طرف عن البحر
١٣٣	جواد العربي الجواد

صفحة

١٣٦	رودس
١٣٩	محمد بن سويدان
١٤١	جزيرة صاقص بلد المصطكي
١٤٢	الوصول إلى اسلامبول
١٤٣	لقاء المؤلف بشيخ الإسلام يحيى بن زكريا
١٥٠	السلطان مراد ونسبه
١٥٣	الطاعون والقدر
١٥٥	محمد بن أسعد
١٥٧	ظافر الشاعر
١٥٨	محمد أفندي الحياتي
١٥٩	إبطال القهوة، وهراء الفقراء
١٦٣	صلاة الرغائب
١٦٤	العلامة شيخ أفندي
١٦٥	وصف اسلامبول
١٦٦	قسطنطين وسبب تنصره
١٦٧	فتح اسلامبول
١٦٩	تغزل بالأتراك
١٧٦	صرّة الحرمين
١٨٠	هجاء طوائف من الأدعياء
١٨١	سأم المؤلف من ضيق ذات يده
١٨٥	شوقه إلى وطنه
١٨٧	فراق اسلامبول
١٨٨	خليج اسلامبول، وقبيرة، وخليج الديبل
١٨٩	أزنيق ولفقة وأسكي شهر
١٩٠	ينكي خان، وبياض وثلجها، وبلاوضون
١٩١	آق شهر، وجحا، والزهراء

صفحة	
١٩٢ إلغين ، ولادك ، وقونية ، والراقصون
١٩٣ اسمل وقرابيار وأركلي
١٩٤	خان محمد باشا ، وجفته خان ، وخان بيري باشا وجاوش خان
١٩٥ أضنة ، وبعض مافيا
١٩٦ قرط كلال وترهاتها وياباس
١٩٧ اسكندرونة وبيلان وجبل الغاوي
١٩٨ التزول في حلب
١٩٩ أخبار حلب وصلاح الدين ، والخليل عليه الصلاة والسلام
٢٠٠ البحري مع الجواد المدقع
٢٠١ سخاء الجواد الأفضل ، وكرم سيف الدولة
٢٠٣ المعرة ، وأبو العلاء المعري
٢٠٥ الوصول إلى حماه
٢٠٦ الزكي القومصي مع الملك المظفر
٢٠٧ العاصي ونواعيره
٢٠٩ حمص
٢١٠ حسيا والنبك والقطيفة والقصير
٢١١ حرستا ، وتباشير الشام
٢١٢ أبيات في دمشق وغوطتها
٢١٥ الجامع الأموي وبنائه
٢١٧ الشامات الخمس
٢١٨ الغوطة ، وجنان الدنيا
٢١٩ المرجة ، والمفتي العمادي
٢٢١ عجائب البرد ، وعبد الخليل
٢٢٢ قاسيون والرطوبة وبردى وجامع يلغا
٢٢٣ التراويح في دمشق ، وغزلان باب البريد

تصويب أخطاء الكتاب

وقع لدى طبع هذا الكتاب أخطاء ، وقل أن يخلو طبع كتاب من أخطاء . وقد أشرنا إلى بعض هذه الأخطاء في فهرست التصويبات ، ومعها كثير مما ظننا خطأه ، فأبقيناه في الطبع على ما وجدناه في الأصل ، وأشرنا في فهرست التصويبات إلى ما غلب على ظننا أنه الصواب . وذلك مثل قوله في صفحة « ٦٠ » عن الورد: « لا تشربوه وإن توضع نشره » فجعلناها: « لا تقربوه » . وكما في صفحة ١٣٨: « وكل ناو بدار الجهل مجهول » فرأينا أنها قد تكون مصحفة عن : « وكل ناو .. » وكذلك في صفحة ١٦٣ ذكر الخطيب يوسف الثقفي ، فأشرنا إلى ما بدا لنا من أنه: يوسف السقيفي .. وهكذا .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٢-	تحمله	تحله
٦	٥	قَمْطِيرِير	قَمْطِيرِير
٦	٦-	«لدب	«الدب
٩	٣-	قسط وقسوط	قَسْطُ وُقُسُوط
٩	٢-	قسط	قَسْطُ
١٣	١١	يعهدا	يعهدوا
٣٠	٥-	مستحسنة ، السنة	مستحسنة ، السنة
٣١	١٣-	(١)	(٢)
٣٢	٢	اللغة	اللغات
٤٤	١٤	شرب	إشرب
٥٥	٣-	تقلها	تقلبها
٦٠	٧	لا تشربوه	لا تقربوه
٧٢	١-	الياء .	الياء ، كما يستقيم أيضاً بأهون من هذا ، وذلك يجعل همزة أرميا همزة وصل .

٣٠	١٨	٤-	٧٥
يمائل	يمائل	٥-	٧٥
١٠٧	٥٨	٩-	٧٥
الشهيد .. ن	الشهيد	٦-	٨٣
نفسية	نفسية	٨	٨٥
نائبتي	نائبتي	١	٨٩
ما	ما	٢	٩٣
يكون المرید أمام	يكون ... مام	٥-	٩٣
ولو	لو	٦-	٩٣
تتعطفوا بوصولكم	يتعطفوا بوصولكم	٦	١٠٠
العرب. ولعل البيت «مما» بدل «ماقد».	العرب.	١-	١٠٣
لهوى	الهوى	١٢	١٠٤
مذهبي	مذهبي	٣-	١٠٤
«٧٥»	«٤٠»	٤-	١٠٧
S _B	Sle	١-	١١٤
والماء	والماء	١٤	١١٥
يُدْرَس وَيُدْرَس	يُدْرَس وَيُدْرَس	١-	١٢٢
المقرب *	المقرب	٣	١٢٧
(*) وقد طبع المكتب الإسلامي ديوانه ، وهو الآن على أهبة إعادة طبعه .	*	٤-	١٢٧
الخير	اليوم	٤-	١٣٢

«أنا» . وأبو العرب الزبيري هو
مصعب بن محمد بن صالح الزبيري
الصقلي الشاعر . والحصري هو أبو
الحسن علي بن عبد الغني الفهري
الحصري المقرئ الشاعر الضرير
كان أقرأ الناس بسبته وأطرافها
توفي سنة ٤٨٨ هـ .

«أنا» ٣- ١٣٢

CO³PB

CO³Ple

٢- ١٣٦

ثاو

ناو

١٠ ١٣٨

ماسبدان

ماسبدان

٤- ١٥٣

والناثر (٢)

والناثر

٩- ١٥٧

(٢) كذا في الأصل . والصواب

الحاشية ... ١٥٧

- كما هو واضح - : «وكثر

الناثر والناظم» .

إذ

إذا

١ ١٦٢

السقيفي

الثقفي

٥ ١٦٣

إذا

إذ

٥- ١٦٤

ضض

ض

٧- ١٧٢

البيضة أيضا

البيضة أيا

٦- ١٩٠

فسقى

فسقا

٦ ١٩٨

من

فن

٤- ٢٣٧

الحجا :: ز

الحج :: لاز

٣ ٢٤٠